

مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَلِيٍّ الْفَضْلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

تَصْحِيحٌ وَتَحْقِيقٌ وَتَعْلِيلٌ

رَبَّنَا هَاشِمُ بْنُ الرَّبِيعِ الْحَمَلَانِيُّ وَرَبَّنَا فَصِيلُ اللَّهِ الرَّبَّاعِي الطَّبَّاطَبَايَا

عَمَّا لَلَّهِ عَنْهَا

دار المعرفة

مَجْمَعُ الْبَيَانِ

في تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

مُؤَلَّفِهِ
الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
مِنْ أَكْبَرِ عُلَمَاءِ الْإِمَامِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ
مركز تحقيقات و ترویج علوم اسلامی

الجزء الرابع

دارالمعرفة
للطباعة والنشر



مركز تحقيقات کامپيوتر علوم اسلامي



للطباعة والنشر والتوزيع
Publishing & Distributing

دار المعرفة
DAR EL-MAREFAH

مستعمرة المطار - نجاه بنك مبكو - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٢٤٣٠١-٨٢٤٣٣٢ - برفيا مرفكار بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



هي مكية عن ابن عباس غير ست آيات وما قدروا الله حق قدره إلى آخر ثلاث آيات قل تعالوا أتئل ما حرم ربكم عليكم إلى آخر ثلاث آيات فإنهن نزلن بالمدينة وفي رواية أخرى عنه غير ثلاث آيات قل تعالوا أتئل إلى آخر الثلاث وباقي السورة كلها نزلت بمكة وروي عن أبي بن كعب وعكرمة وقتادة أنها كلها نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً ومعها سبعون ألف ملك قد ملأوا ما بين الخافقين لهم زجل^(١) بالتسبيح والتحميد فقال النبي ﷺ سبحان الله العظيم وخرّ ساجداً ثم دعا الكتاب فكتبوها من قبلهم واكثرها حجاج على المشركين وعلى من كذب بالبعث والنشور.

[عدد آياتها] هي مائة وخمس وستون آية كوفي ست بصري شامي سبع حجازي (خلافها) اربع آيات وجعل الظلمات والنور حجازي لست عليكم بوكيل كوفي كن فيكون وإلى صراط مستقيم غير الكوفي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال أنزلت علي الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأها صلى عليه أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من الأنعام يوماً وليلة، جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ قال من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله ويعلم ما تكسبون وكُل الله به اربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة وينزل ملك من السماء السابعة ومعه مرزبة^(٢) من حديد فإذا أراد الشيطان ان يوسوس أو يرمي في قلبه شيئاً ضربه بها إلى آخر الخبر وروي

(١) الزجل : الصوت .

(٢) المرزبة : عصاة كبيرة من حديد تتخذ لتكسير المدر.

العياشي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال إن سورة الانعام نزلت جملة واحدة وشيئها سبعون ألف ملك فعظموها وبجلوها فإن اسم الله فيها في سبعين موضعاً ولو يعلم الناس ما في قراءتها من الفضل ما تركوها ثم قال عليه السلام من كانت له إلى الله حاجة يريد قضاءها فليصل أربع ركعات بفاتحة الكتاب والانعام وليقل في صلاته إذا فرغ من القراءة يا كريم يا كريم يا عظيم يا عظيم يا عظيم يا اعظم من كل عظيم يا سميع الدعاء يا من لا تغيره الليالي والأيام صل على محمد وآل محمد وارحم ضعفي وفقري وفاقتي ومسكنتي يا من رحم الشيخ يعقوب حين ردّ عليه يوسف قرة عينه يا من رحم أيوب بعد طول بلائه يا من رحم محمداً ومن اليتيم آواه ونصره على جبابرة قريش وطواغيتها وامكنه منهم يا مغيث يا مغيث يا مغيث تقول ذلك مراراً فوالذي نفسي بيده لو دعوت الله بها ثم سألت الله جميع حوائجك لأعطاك وروى علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) قال نزلت الانعام جملة واحدة شيئها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتهليل والتكبير فمن قراها سبحوا له إلى يوم القيامة وروى أبو صالح عن ابن عباس قال من قرأ سورة الانعام في كل ليلة كان من الأمنين يوم القيامة ولم ير النار بعينه ابداً .

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

[تفسیرها] لما ختم الله سورة المائدة بآية على كل شيء قدیر افتتح سورة الانعام بما يدل على کمال قدرته من خلق السماوات والأرض وغيره فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ١ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ ٢ ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ ٣

[اللغة] العدل خلاف الجور وعدلت به غيره أي سويته به وعدلت عنه أي اعرضت وعدلت الشيء فاعتدل أي قومته فاستقام والأجل الوقت المضروب لأنقضاء الأمد فأجل الإنسان وقت انقضاء عمره واجل الدين محله وهو وقت انقضاء التأخير واصله التأخير يقال أجله تأجيلاً وعجله تعجيلاً والأجل نقيض العاجل والامتراء الشك واصله من مرأت الناقة إذا مسحت ضرعها لاستخراج اللبن ومنه ماراه يماريه مرأ ومماراة إذا استخرج ما عنده بالمناظرة فالامتراء استخراج الشبهة المشككة من غير حل.

[المعنى] بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه اعلاماً بأنه المستحق لجميع المحامد لأن اصول النعم وفروعها منه تعالى ولأن له الصفات العلى فقال ﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض﴾ يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة وقيل إنه في لفظ الخبر ومعناه الأمر أي احمدا الله وإنما جاء على صيغة الخبر وإن كان فيه معنى الأمر لأنه ابلغ في البيان من حيث أنه يجمع الأمرين وقد ذكرنا من معنى الحمد لله وتفسيره في الفاتحة ما فيه كفاية ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ يعني الليل والنهار عن السدي وجماعة من المفسرين وقيل الجنة والنار عن قتادة وإنما قدم ذكر الظلمات لأنه خلق الظلمة قبل النور وكذلك خلق السماوات قبل الأرض ثم عجب سبحانه ممن جعل له شريكاً مع ما يرى من الآيات الدالة على وحدانيته فقال ﴿ثم الذين كفروا﴾ أي جحدوا الحق ﴿بربهم يعدلون﴾ أي يسوون به غيره بأن جعلوا له انداداً مأخوذ من قولهم ما اعدل بفلان احداً أي لا نظير له عندي وقيل معنى يعدلون يشركون به غيره عن الحسن ومجاهد ودخول ثم في قوله ثم الذين كفروا دليل على معنى لطيف وهو أنه سبحانه انكر على الكفار العدل به وعجب المؤمنين من ذلك ومثله في المعنى قوله فيما بعد ثم أنتم تمترون والوجه في التعجب ان هؤلاء الكفار مع اعترافهم بأن اصول النعم منه وأنه هو الخالق والرازق عبدوا غيره ونقضوا ما اعترفوا به وأيضاً فإنهم عبدوا ما لا ينفع ولا يضر من الحجارة والموات ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني به آدم والمعنى انشأ اباكم واخترعه من طين وأنتم من ذريته فلما كان آدم أصلنا ونحن من نسله جاز أن يقول لنا خلقكم من طين ﴿ثم قضى اجلاً﴾ أي كتب وقدر اجلاً والقضاء يكون بمعنى الحكم وبمعنى الأمر وبمعنى الخلق وبمعنى الإتمام والإكمال ﴿وأجل مسمى عنده﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) أنه يعني بالأجلين أجل الحياة إلى الموت وأجل الموت إلى البعث وقيام الساعة عن الحسن وسعيد بن المسيب وكتادة

والضحك واختاره الزجاج وروى أيضاً عطاء عن ابن عباس قال قضى أجلاً من مولده إلى مماته وأجل مسمى عنده من الممات إلى البعث لا يعلم ميقاته أحد سواه فإذا كان الرجل صالحاً واصلاً لرحمه زاد الله له في أجل الحياة ونقص من أجل الممات إلى البعث وإذا كان غير صالح ولا واصل نقصه الله من أجل الحياة وزاد في أجل المبعث قال وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب (وثانيها) أنه الأجل الذي يحيا به أهل الدنيا إلى أن يموتوا وأجل مسمى عنده يعني الآخرة لأنه أجل دائم ممدود لا آخر له وإنما قال مسمى عنده لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ في السماء وهو الموضع الذي لا يملك فيه الحكم على الخلق سواه عن الجبائي وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد (وثالثها) أن أجلاً يعني به أجل من مضى من الخلق وأجل مسمى عنده يعني به آجال الباقيين عن أبي مسلم (ورابعها) أن قوله قضى أجلاً عني به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة وأجل مسمى عنده هو أجل موت الإنسان وهو المروي عن ابن عباس ويؤيده قوله ويرسل الآخرة إلى أجل مسمى والاصل في الأجل هو الوقت فأجل الحياة هو الوقت الذي يكون فيه الحياة وأجل الموت أو القتل هو الوقت الذي يحدث فيه الموت أو القتل وما يعلم الله تعالى أن المكلف يعيش إليه لو لم يقتل لا يتسمى أجلاً حقيقة ويجوز أن يسمى ذلك مجازاً وما جاء في الأخبار من أن صلة الرحم تزيد في العمر والصدقة تزيد في الأجل وأن الله تعالى زاد في أجل قوم يونس وما أشبه ذلك فلا مانع من ذلك وقوله ﴿ثم انتم تمترون﴾ خطاب للكفار الذين شكوا في البعث والنشور واحتجاج عليهم بأنه سبحانه خلقهم ونقلهم من حال إلى حال وقضى عليهم الموت وهم يشاهدون ذلك ويقرّون بأنه لا محيص منه ثم بعد هذا يشكّون ويكذبون بالبعث ومن قدر على ابتداء الخلق فلا ينبغي أن يشك في أنه يصح منه أعادتهم وبعثهم.

[الإعراب] «هو» الاشبه أن يكون ضمير القصة والحديث وتقديره الأمر الله يعلم في السماوات وفي الأرض سرّكم وجهركم فالله مبتدأ ويعلم خبره وفي السماوات وفي الأرض في موضع النصب بيعلم وسرّكم مفعوله أيضاً ولا يكون الظرف الذي هو الجار والمجرور منصوب الموضع بالمصدر وإن جعلنا الظرف متعلقاً باسم الله جاز في قياس قول من قال إن أصل الله الإلاه فيكون المعنى هو المعبود في السماوات وفي الأرض يعلم وتقديره الأمر المعبود في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم ومن جعل اسم الله بمنزلة أسماء

الاعلام فلا يجوز أن يتعلق الظرف به إلا أن يقدر فيه ضرباً من معنى الفعل ويجوز أن يكون هو مبتدأ والله خبره والعامل في قوله في السماوات وفي الأرض اسم الله على ما قلناه ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم﴾ فيه وجوه على ما ذكرناه في الاعراب فعلى التقدير الاول يكون معناه الله يعلم في السماوات وفي الأرض سرّكم وجهركم ويكون الخطاب لجميع الخلق لأن الخلق إما أن يكونوا ملائكة فهم في السماء أو بشراً أو جنّاً فهم في الأرض فهو سبحانه عالم بجميع اسرارهم واحوالهم ومتصرفاتهم لا يخفى عليه منها شيء ويقويه قوله ويعلم ما تكسبون أي يعلم جميع ما تعلمونه من الخير والشر فيجازيكم على حسب اعمالكم وعلى التقدير الثاني يكون معناه ان المعبود في السماوات وفي الأرض أو المنفرد بالتدبير في السماوات وفي الأرض يعلم سرّكم وجهركم فلا تخفى عليه منكم خافية ويكون الخطاب لبني آدم وان جعلت اسم الله علماً على هذا التقدير ثم علقت به قوله في السماوات وفي الأرض لم يجز وان علقت به بمحذوف يكون خبر الله أو حالاً عنه أوهم بأن يكون الباري سبحانه في محل تعالى عن ذلك علواً كبيراً وقال أبو بكر السراج ان الله وان كان اسماً علماً ففيه معنى الثناء والتعظيم الذي يقرب بهما من الفعل فيجوز أن يوصل لذلك بالمحل وتأويله وهو المعظم أو نحوذا في السماوات وفي الأرض ثم قال يعلم سرّكم وجهركم ومثل ذلك قوله سبحانه وهو الذي في السماء آله وفي الأرض إله قال الزجاج فلو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز إلا أن يكون في الكلام دليل على أن زيدا يدبّر أمر البيت والدار فيكون المعنى هو المدبّر في البيت والدار ولو قلت هو المعتضد والخليفة في الشرق والغرب أو قلت هو المعتضد في الشرق والغرب جاز وعلى مقتضى ما قاله أبو بكر والزجاج يكون في متعلقة بما دلّ عليه اسم الله ويكون هو الله مبتدأ وخبراً والمعنى وهو المنفرد بالإلهية في السماوات وفي الأرض لا إله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه وان جعلت في السماوات خبراً بعد خبر فيكون التقدير وهو الله وهو في السماوات وفي الأرض يعني أنه في كل مكان فلا يكون إلى مكان اقرب منه إلى مكان ثم اخبر سبحانه عن هذا المعنى مبيناً لذلك مؤكداً له بقوله يعلم سرّكم وجهركم أي الخفي المكتوم والظاهر المكشوف منكم ﴿ويعلم ما تكسبون﴾ والمعنى يعلم نياتكم واحوالكم واعمالكم وهذا الترتيب الذي ذكرته في معاني هذه الآية التي استنبطتها من

وجوه الاعراب مما لم اسبق اليه وهو في استقامة فصوله ومطابقة اصول الدين كما تراه لا غبار عليه وفيه دلالة على فساد قول من يقول بأن الله تعالى في مكان دون مكان تعالى عن ذلك وتقدس وفي قوله يعلم سركم وجهركم دلالة على أنه عالم لنفسه لأن من كان عالماً بعلم لا يصح ذلك منه .

﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾

[الإعراب] من الأولى مزيدة وهي التي تقع في النفي لاستغراق الجنس وموضعه رفع والثانية للتبعية .



[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في أول الآية فقال ﴿ وما تأتاهم من آية ﴾ أي لا تأتاهم حجة ﴿ من آيات ربهم ﴾ أي من حججه وبياناته كأنشقاق القمر وآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات ﴿ إلا كانوا عنها معرضين ﴾ لا يقبلونها ولا يستدلون بها على ما دلهم الله عليه من توحيده وصدق رسوله ﴿ فقد كذبوا بالحق لما جاءهم ﴾ أي بالحق الذي اتاهم به محمد ﷺ من القرآن وسائر أمور الدين ﴿ فسوف يأتيهم أنباء ﴾ أي أخبار ﴿ ما كانوا به يستهزئون ﴾ والمعنى أخبار استهزائهم وجزاؤه وهو عقاب الآخرة وقيل معناه سيعلمون ما يؤول إليه استهزاؤهم عن ابن عباس والحسن وبه قال الزجاج ومعنى الاستهزاء إيهام التفضيم في معنى التحقير .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ ﴿٦﴾

[اللغة] القرن أهل كل عصر مأخوذ من اقرانهم في العصر قال الزجاج والقرن ثمانون سنة وقيل سبعون سنة قال والذي يقع عندي ان القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو كان فيها طبقة من أهل العلم قلت السنون أو كثرت والدليل عليه قول النبي ﷺ خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والتمكين اعطاء ما به يصحُّ الفعل كائنا ما كان من آلة وغيرها والاقدار اعطاء القدرة خاصة ومفعال من اسماء المبالغة يقال ديمة^(١) مدرار إذا كان مطرها غزيراً داراً وهذا كقولهم امرأة مذكارة إذا كانت كثيرة الولادة للذكور وكذلك مثنائ في الإناث واصل المدرار من در اللبن إذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ودّرت السماء إذا امطرت والدّر اللبن ويقال لله درّه أي عمله وفي الذم لا درّ دره أي لا كثر خيره.

[الاعراب] كم نصب باهلكنا لا بقوله يروا لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله وهو تعليق ومعنى التعليق أن الاستفهام ابطال عمل يرى في اللفظ وقد عمل في معناه وانتقل من الخبر إلى الخطاب في قوله ما لم نمكن لكم اتساعاً في الكلام وقد قال مكناهم في الأرض وإنما لم يقل ما لم نمكنكم لأن العرب تقول مكنته ومكنت له كما تقول نصحته ونصحت له.

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

[المعنى] ثم حذّرهم سبحانه ما نزل بالأمم قبلهم فقال ﴿ألم يروا﴾ أي ألم يعلم هؤلاء الكفار ﴿كم اهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أي من أمة وكل طبقة مقترنين في وقت قرن ﴿مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾ معناه جعلناهم ملوكاً وأغنياء كأنه سبحانه اخبر النبي عنهم في صدر الكلام ثم خاطبه معهم وقال ابن عباس يريد اعطيناهم ما لم نعظكم والمعنى وسعنا عليهم في كثرة العبيد والأموال والولاية والبسطة وطول العمر ونفاذ الأمر وانتم تسمعون اخبارهم وترون ديارهم وآثارهم ﴿وأرسلنا السماء عليهم مدراراً﴾ قال ابن عباس يريد به الغيث والبركة والسماء معناه المطر هنا ﴿وجعلنا الأنهار﴾ أي ماء الأنهار ﴿تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم﴾ ولم يُغن ذلك عنهم شيئاً لما طغوا واجترأوا علينا ﴿وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين﴾ أي خلقنا من بعد هلاكهم جماعة أخرى وفي هذه الآية دلالة على وجوب التفكير والتدبر واحتجاج على منكري البعث بأن من اهلك من قبلهم وأنشأ قوماً آخرين قادر على ان يفني العالم وينشئ عالماً آخر ويعيد الخلق بعد الافناء .

(١) الديمة : مطر يدوم في شكون بلا رعد ولا برق.

﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾

[النزول] نزلت في نضر بن الحرث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله عن الكلبي .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن عنادهم فقال ﴿ ولو نزلنا عليك ﴾ يا محمد ﴿ كتاباً في قِرطاس ﴾ أي كتابة في صحيفة وأراد بالكتاب المصدر وبالقِرطاس الصحيفة وقيل كتاباً معلقاً من السماء الى الأرض عن ابن عباس ﴿ فلمسوه بأيديهم ﴾ أي فعاینوا ذلك معاينة ولمسوه بأيديهم عن قتادة وغيره قالوا اللمس باليد ابلغ في الاحساس من المعاينة ولذلك قال فلمسوه بأيديهم دون ان يقول فعاینوه ﴿ لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ﴾ أخبر سبحانه انهم يدفعون الدليل حتى لو أتاهم الدليل مدركاً بالحس لنسبوا ذلك الى السحر لعظم عنادهم وقساوة قلوبهم وفي هذه الآية دلالة على ما يقوله أهل العدل في اللطف لانه تعالى بين أنه إنما لم يفعل ما سأله حيث علم أنهم لا يؤمنون عنده .

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ﴾ ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ خَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

[اللغة] قال الزجاج قضي في اللغة على ضروب كلها يرجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه وقد ذكرنا معاني القضاء في سورة البقرة عند قوله إذا قضي أمراً فإنما يقول له كن فيكون يقال لبست الأمر على القوم البسه لبساً إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلاً قال ابن السكيت يقال لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى اللبس منع النفس

من ادراك الشيء بما هو كالستر له واصله من الستر بالثوب وهو لبس الثوب لأنه يستر النفس يقال لبست الثوب البسه لباساً ولبساً والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله يقال حاق بهم يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقناً بفتح الياء .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انهم قالوا ﴿لولا﴾ أي هلاً ﴿انزل عليه﴾ أي على محمد ﴿ملك﴾ نشاهده فنصدقه ثم أخبر تعالى عن عظم عنادهم فقال ﴿ولو انزلنا ملكاً﴾ على ما اقترحوه لما آمنوا به واقتضت الحكمة استئصالهم وان لا ينظرهم ولا يمهلهم وذلك معنى قوله ﴿لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ أي لأهلكوا بعذاب الاستئصال عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه لو انزلنا ملكاً في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم عن مجاهد ثم قال تعالى ﴿ولو جعلناه ملكاً﴾ أي لو جعلنا الرسول ملكاً أو الذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك ﴿لجعلناه رجلاً﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة الا بعد التجسم بالاجسام الكثيفة ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس وكان جبرائيل يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي وكذلك نبا الخصم إذ تسوَّروا المحراب وإتيانهم إبراهيم ولوطاً في صورة الضيفان من الأدميين ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفهم في أمر النبي فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو انزلنا ملكاً فرأوا هم الملك رجلاً لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفهم منهم أي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان وهذا احتجاج عليهم بأن الذي طلبوه لا يزيدهم بياناً بل يكون الأمر في ذلك على ما هم عليه من الحيرة وقيل معناه ولو انزلنا ملكاً لما عرفوه الا بالتفكر وهم لا يتفكرون فييقون في اللبس الذي كانوا فيه فاضاف اللبس إلى نفسه لأنه يقع عند انزاله الملائكة ثم قال سبحانه على سبيل التسلية لنبيه من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ يقول لقد استهزأت الأمم الماضية برسلها كما استهزأ بك قومك فلست بأول رسول استهزىء به ولا هم أول أمة استهزأت برسولها ﴿فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي فحلّ بالساخرين منهم ﴿ما كانوا به يستهزؤن﴾ من وعيد انبيائهم بعاجل العقاب في الدنيا وقيل معنى حاق بهم احاط بهم عن الضحاك وهو اختيار الزجاج أي احاط بهم العذاب الذي هو جزاء استهزائهم فهو من باب حذف المضاف إذا جعلت ما في قوله ما كانوا به يستهزؤن عبارة عن القرآن والشرعة وان جعلت ما عبارة عن العذاب الذي كان يوعدهم به النبي ان لم يؤمنوا استغثت عن تقدير

حذف المضاف ويكون المعنى فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه .

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي

الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١١) قُلْ لِمَنْ
مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ
لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٢) * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٣)

[الإعراب] قال الأخفش الذين خسروا أنفسهم بدل من الكاف والميم في ليجمعنكم وقال الزجاج هو في موضع رفع على الابتداء وخبره فهم لا يؤمنون لأن ليجمعنكم مشتمل على سائر الخلق الذين خسروا أنفسهم وغيرهم قال واللام في ليجمعنكم لام قسم فجائز أن يكون تمام الكلام كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم استأنف فقال ليجمعنكم والمعنى والله ليجمعنكم وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مفسراً لها لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فسر رحمته بأنه يمهلهم إلى يوم القيامة ليتوبوا .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سافروا فيها ﴿ ثُمَّ أَنْظِرُوا ﴾ والنظر طلب الإدراك بالبصر وبالفكر وبالاستدلال ومعناه هنا فانظروا بابصاركم وتفكروا بقلوبكم ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ المستهزئين وإنما أمرهم بذلك لأن ديار المكذبين من الأمم السالفة كانت باقية وأخبارهم في الخسف والهلاك كانت شائعة فإذا سار هؤلاء في الأرض وسمعوا أخبارهم وعاینوا آثارهم دعاهم ذلك إلى الإيمان وزجرهم عن الكفر والطغيان ثم قال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الله الذي خلقهما أم الأصنام فإن اجابوك فقالوا الله والا ﴿ فَقُلْ ﴾ أنت ﴿ اللَّهُ ﴾ أي ملكهما وخلقهما والتصرف فيهما كيف يشاء له ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ أي أوجب على نفسه الإنعام على خلقه وقيل معناه أوجب على نفسه الثواب لمن اطاعه وقيل

أوجب على نفسه الرحمة بانظاره عباده وامهاله اياهم ليتداركوا ما فرطوا فيه ويتوبوا عن معاصيهم وقيل أوجب على نفسه الرحمة لأمة محمد بأن لا يعذبهم عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية عند التكذيب بل يؤخرهم إلى يوم القيامة عن الكلبي ﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾ أي ليؤخرن جمعكم إلى يوم القيامة فيكون تفسيراً للرحمة على ما ذكرناه ان المراد به امهال العاصي ليتوب وقيل ان هذا احتجاج على من انكر البعث والنشور ويقول ليجمعنكم إلى اليوم الذي انكرتموه كما تقول جمعت هؤلاء إلى هؤلاء أي ضمنت بينهم في الجمع يريد بجمع آخركم إلى أولكم قرناً بعد قرن إلى يوم القيامة وهو الذي ﴿لا ريب فيه﴾ وقيل معناه ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا انفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به عن الأخفش ويسأل عن هذا فيقال كيف يحذر المشركين بالبعث وهم لا يصدقون به والجواب انه جار مجرى الإلزام وأيضاً فإنه تعالى إنما ذكر ذلك عقيب الدليل ويقال كيف نفى الريب مطلقاً فقال لا ريب فيه والكافر مرتاب فيه والجواب ان الحق حق وان ارتاب فيه المبطل وايضاً فإن الدلائل تزيل الشك والريب فإن نعم الدنيا تعم المحسن والمسيء فلا بد من دار يتميز فيه المحسن من المسيء وايضاً فقد صح ان التكليف تعريف للشوائب وإذا لم يمكن ايصال الثواب في الدنيا لأن من شأنه ان يكون صافياً من الشوائب فلا يكون مقترناً بالتكليف لأن التكليف لا يعرى من المشقة فلا بد من دار أخرى وايضاً فإن التمكين من الظلم من غير انتصاف في العاجل وانزال الأمراض من غير استحقاق ولا ايفاء عوض في العاجل توجب قضية العقل في ذلك ان يكون دار أخرى توفى فيها الاعراض وينتصف من المظلوم للظالم ﴿الذين خسروا انفسهم﴾ أي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد ﴿فهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون بالحق ولما ذكر تعالى ملك السماوات والأرض عقبه بذكر ما فيهما فقال ﴿وله ما سكن﴾ أي وله كل متمكن ساكن ﴿في الليل والنهار﴾ خلقاً وملكاً ومُلكاً وإنما ذكر الليل والنهار هنا وذكر السماوات والأرض فيما قبل لأن الاول يجمع المكان والثاني يجمع الزمان وهما ظرفان لكل موجود فكأنه اراد الاجسام والاعراض وعلى هذا فلا يكون السكون في الآية ما هو خلاف الحركة بل المراد به الحلول كما قال ابن الاعرابي انه من قولهم فلان يسكن بلد كذا أي يحلّه وهذا موافق لقول ابن عباس وله ما استقر في الليل والنهار من خلق وقيل معناه ما سكن في الليل للاستراحة وتحرك في النهار للمعيشة وإنما ذكر الساكن دون المتحرك لأنه اعم واكثر ولأن عاقبة التحرك السكون ولأن النعمة في السكون اكثر والراحة فيه اعم وقيل اراد الساكن والمتحرك وتقديره

وله ما سكن وتحرك الا ان العرب قد تذكر أحد وجهي الشيء وتحذف الآخر لان المذكور ينبه على المحذوف كقوله تعالى ﴿سِرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ والمراد الحر والبرد ومتى قيل لماذا ذكر السكون والحركة من بين سائر المخلوقات فالجواب لما في ذلك من التنبيه على حدوث العالم واثبات الصانع لأن كل جسم لا ينفك من الحوادث التي هي الحركة والسكون فإذا لا بد من محرك ومسكن لاستواء الوجهين في الجواز ولما نبه على اثبات الصانع عقبه بذكر صفته فقال ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ والسميع هو الذي على صفة يسمع لاجلها ان يسمع المسموعات إذا وجدت وهو كونه حياً لا آفة به ولذلك يوصف به فيما لم يزل والعليم هو العالم بوجوده التدابير في خلقه وبكل ما يصح ان يعلم وإنما جعل الليل والنهار في هذه الآية كالمسكن لما اشتملا عليه لأنه ليس يخرج منهما شيء فجمع كل الأشياء بهذا اللفظ القليل الحروف وهذا من افصح ما يمكن كما قال النابغة .

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي  وَإِنْ خَلْتُمْ إِنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(١)
فجعل الليل مدركاً له إذ كان مشتملاً عليه .

﴿ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ الْفَقْرَ وَلِيَ الْفَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ
مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

[القراءة] روي في الشواذ قراءة عكرمة والاعمش ولا يُطْعَم بفتح الياء ومعناه ولا

ياكل .

[اللغة] الفطرة ابتداء الخلقة قال ابن عباس ما كنت ادري معنى الفاطر حتى احتكم

(١) المنتأى كمنتهى : اسم مكان من انتأى من التأى بمعنى البعد يقول : انتك كالليل الذي يدركني اين كنت وإن أبعد في الهرب فاذهب إلى اقصى الارض لسعة ملكك .

إِلَيَّ اعرابيان في بئر فقال أحدهما انا فطرتها أي ابتدأت حفرها واصل الفطر الشق ومنه إذا السماء انفطرت أي انشقت قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الفطر في معنى الخلق والانفطار في معنى الانشقاق قيل إنهما يرجعان إلى شيء واحد لأن معنى فطرهما خلقهما خلقاً قاطعاً .

[الاعراب] غير نصب لأنه مفعول اتخذ ولياً مفعول ثان وقوله إن عصيت ربي فيه وجهان أحدهما أنه اعتراض بين الكلام كما يكون الاعتراض بالاقسام فعلى هذا لا موضع له من الاعراب والآخر أنه في موضع نصب على الحال فكأنه قيل اني اخاف عاصياً ربي عذاب يوم عظيم ويكون جواب الشرط محذوفاً على الوجهين جميعاً .

[النزول] قيل ان أهل مكة قالوا لرسول الله يا محمد تركت ملة قومك وقد علمنا أنه لا يحملك على ذلك الا الفقر فإننا نجمع لك من اموالنا حتى تكون من اغنانا فنزلت الآية .

[المعنى] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سبق ذكرهم ﴿ اغير الله اتخذ ولياً ﴾ أي مالكا ومولى وولي الشيم مالكم الذي هو اولى من غيره والمعنى لا اتخذ غير الله ولياً الا ان أخرجه على لفظ الاستفهام ابلغ من سائر الفاظ النفي ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ أي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال ﴿ وهو يطعم ولا يطعم ﴾ أي يرزق ولا يرزق والمراد يرزق الخلق ولا يرزقه أحد وقيل إنما ذكر الإطعام لأن حاجة العباد إليه أشد ولأن نفيه عن الله ادل على نفي شبهه بالمخلوقين لأن الحاجة إلى الطعام لا تجوز الا على الاجسام واحتج سبحانه بهذا على الكفار لأن من خلق السماوات والأرض وانشأ ما فيهما واحكم تدبيرها واطعم من فيهما وهم فقراء إليه معلوم أنه الذي ليس كمثله شيء وهو القادر القاهر الغني الحي فلا يجوز لمن عرف ذلك ان يعبد غيره ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ اني امرت ﴾ أي امرني ربي ﴿ أن أكون أول من اسلم ﴾ أي استسلم لأمر الله ورضي بحكمه وقيل معناه امرت ان كون أول من اخلص العبادة من أهل هذا الزمان عن الكلي وقيل اول من اسلم من أمتي وآمن بعد الفترة عن الحسن وإنما كان أول لأنه خص بالوحي وقيل معناه ان أكون أول من خضع وآمن وعرف الحق من قومي وان اترك ما هم عليه من الشرك ونظيره قول موسى سبحانه تبث إليك وانا اول المؤمنين أي بأنك لا ترى ممن سألك ان تريه نفسك وقول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين بأن هذا ليس بسحر وانه

الحق أي أول المؤمنين من السحرة ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ المعنى أمرت بالأمرين جميعاً أي أمرت بالإيمان ونهيت عن الشرك وتقديره وقيل لي لا تكونن من المشركين وصار أمرت بدلاً من ذلك لأنه حين قال أمرت أخبر أنه قيل له ذلك فقوله ﴿ولا تكونن﴾ معطوف على ما قبله في المعنى ﴿قل﴾ يا محمد ﴿اني اخاف﴾ قيل معناه اوقن واعلم وقيل هو من الخوف ﴿ان عصيت ربي﴾ بترك أمره وترك نهيه وقيل بعبادة غيره وقيل باتخاذ غيره ولياً ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني يوم القيامة ومعنى العظيم هنا أنه شديد على العباد وعظيم في قلوبهم .

﴿مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب وأبو بكر عن عاصم من يُصْرِفْ بفتح الباء وكسر الراء والباقون يُصْرِفْ بضم الباء وفتح الراء .

[الحجة] قال أبو علي فاعل يصرف الضمير العائد إلى ربي وينبغي ان يكون حذف الضمير العائد إلى العذاب والمعنى من يصرفه عنه وكذلك في قراءة أبي فيما زعموا وليس حذف هذا الضمير بالسهل وليس بمنزلة الضمير الذي يحذف من الصلة لأن مَنْ جزاء ولا يكون صلة على ان الضمير إنما يحذف من الصلة إذا عاد إلى الموصول نحو هذا الذي بعث الله رسولاً وسلام على عباده الذين اصطفى أي بعثهم واصطفاهم ولا يعود الضمير المحذوف هنا إلى موصول ولا إلى مَنْ التي للجزاء وإنما يرجع إلى العذاب في قوله عذاب يوم عظيم وليس هذا بمنزلة قوله والحافظين فروجهم والحافظات لأن هذا فعل واحد قد تكرر وعدّي الأول منهما إلى المفعول فعلم بتعدية الأول ان الثاني بمنزلة وأما قراءة من قرأ يُصْرِفْ فالمسند إليه الفعل المبني للمفعول ضمير العذاب المتقدم ذكره والذكر العائد إلى المبتدأ الذي هو مَنْ في القراءتين جميعاً الضمير الذي في عنه ومما يقوّي قراءة من قرأ يصرف بفتح الباء ان ما بعده من قوله فقد رحمه مسند إلى ضمير إسم الله تعالى فقد اتفق الفعلان في الإسناد إلى هذا الضمير ومما يقوّي ذلك أيضاً ان الهاء المحذوفة من يصرفه لما كانت في حيز الجزاء وكان ما في حيزه في أنه لا يتسلط على ما تقدمه بمنزلة ما في الصلة في أنه لا يجوز ان يتسلط على الموصول حُسْنَ حذف الهاء منه كما حسن حذفها من الصلة .

[المعنى] ﴿من يصرف﴾ العذاب ﴿عنه يومئذ فقد رحمه﴾ الله يريد من غفر له فإنه

يتبیه الله لا محالة وذكر سبحانه الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه ليس له الا صرف العذاب عنه فقط ﴿وذلك الفوز﴾ أي الظفر بالبغية ﴿المبين﴾ الظاهر البين ويحتمل ان يكون معنى الآية أنه لا يصرف العذاب عن أحد الا برحمة الله كما روي ان النبي ﷺ قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمّدني الله برحمة منه وفضل ووضع يده على فوق رأسه وطوّل بها صوته رواه الحسن في تفسيره .

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (١٨) ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٩)

[المعنى] ثم بين سبحانه أنه لا يملك النفع والضرر الا هو فقال ﴿وان يمسك الله بضراً﴾ أي ان يمسك بفقر أو مرض أو مكروه ﴿فلا كاشف له الا هو﴾ أي لا مزيل ولا مفرج له عنك الا هو ولا يملك كشفه سواء مما يعبد المشركون ﴿وان يمسك بخيراً﴾ أي وان يصبك بغنى أو سعة في الرزق أو صحة في البدن أو شيء من محاب الدنيا ﴿فهو على كل شيء﴾ من الخير والضرر ﴿قدير﴾ ولا يقدر أحد على دفع ما يريد له عباده من مكروه أو محبوب فإن قيل ان المس من صفات الاجسام فكيف قال ان يمسك الله قلنا الباء للتعدية والمراد ان امسك الله ضراً أي جعل الضر يمسك فالفعل للضر وان كان في الظاهر قد اسند الى اسم الله تعالى والضر اسم جامع لكل ما يتضرر به من المكروه كما ان الخير اسم جامع لكل ما ينتفع به ﴿وهو القاهر﴾ ومعناه القادر على ان يقهر غيره ﴿فوق عباده﴾ معنى فوق ههنا قهره واستعلاؤه عليهم فهم تحت تسخير وتذليله بما علاهم به من الاقتدار الذي لا ينفك منه أحد ومثله قوله تعالى يد الله فوق أيديهم يريد أنه اقوى منهم ﴿وهو الحكيم الخبير﴾ معناه أنه مع قدرته عليهم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والخبير العالم بالشيء وتأويله أنه العالم بما يصح ان يخبر به والخبر علمك بالشيء تقول لي به خبر أي علم واصله من الخبر لأنه طريق من طرق العلم فإذا كان القاهر على ما ذكرناه بمعنى القادر صَحَّ وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه قاهر وقال بعضهم لا يسمى قاهراً الا بعد ان يقهر غيره فعلى هذا

يكون من صفات الافعال فلا يصح وصفه فيما لم يزل به .

﴿ قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾

[الاعراب] شهادة نصب على التمييز ومن بلغ في محل نصب بالانذار والعاثد إلى الموصول محذوف واثنكم كتب بالياء لأن الهمزة التي قبلها همزة تُخَفَّفُ بأن تجعل بين فإذا كانت مكسورة تجعل بين الهمزة والياء فكتب بالياء الذين آتيناهم الكتاب رفع بالابتداء ويعرفونه خبره الذين خسروا أنفسهم رفع بكونه نعتاً للذين الاولى ويجوز أن يكون رفعاً بالابتداء وقوله فهم لا يؤمنون خبره .

[النزول] قال الكلبي أتى اهل مكة رسول الله ﷺ فقالوا اما وجد الله رسولا غيرك ما نرى أحداً يصدّقك فيما تقول ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

[المعنى] ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ ﴾ أي اعظم ﴿ شَهَادَةً ﴾ واصدق حتى آتيكم به وأدلكم بذلك على اني صادق وقيل معناه أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شهادة حتى يشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب عن الجبائي وقيل معناه أَيْ شَيْءٍ اعظم حجة واصدق شهادة عن ابن عباس فَإِنْ قَالُوا اللَّهُ وَالْأَفْئِدَةُ لَهُمْ ﴿ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ يشهد لي بالرسالة والنبوة وقيل معناه يشهد لي بتبليغ الرسالة إليكم وتكذيبكم آيَاي ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ ﴾ أي أنزل إليّ حجة أو شهادة على صدقي ﴿ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ ﴾ أي لأخوّفكم به من عذاب الله تعالى ﴿ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ أي ولا خوّف به من بلغه القرآن إلى يوم القيامة وروى الحسن في تفسيره

عن النبي ﷺ أنه قال من بلغه أني ادعو إلى أن لا إله إلا الله فقد بلغه يعني بلغته الحجة وقامت عليه وقال محمد بن كعب من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً وسمع منه وقال مجاهد حيث ما يأتي القرآن فهو داعٍ ونذير وقرأ هذه الآية وفي تفسير العياشي قال أبو جعفر وأبو عبد الله (ع) من بلغ معناه من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ وعلى هذا فيكون قوله ومن بلغ في موضع رفع عطفاً على الضمير في أنذر وفي الآية دلالة على أن الله تعالى يجوز أن يسمى شيئاً لأن قوله أي شيء أكبر شهادة جاء جوابه قل الله ومعنى الشيء إنه ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فالله سبحانه شيء لا كالأشياء بمعنى أنه معلوم لا كالمعلومات التي هي الجواهر والأعراض والاشترار في الإسم لا يوجب التماثل وفي قوله ومن بلغ دلالة على أنه خاتم الأنبياء ومبعوث إلى الناس كافة ثم قال سبحانه مؤمناً لهم قل يا محمد لهم ﴿أنتنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ هذا إستفهام معناه الجحد والإنكار وتقديره كيف تشهدون أن مع الله آلهة أخرى بعد وضوح الأدلة وقيام الحجة بوحدانية الله تعالى وإنما قال أخرى ولم يقل آخر لأن الآلهة جمع والجمع مؤنث فهو كقوله والله الأسماء الحسنی وقوله فما بال القرون الأولى ولم يقل الأولى ثم قال سبحانه لنبيه ﴿قل﴾ أنت يا محمد ﴿لا أشهد﴾ بمثل ذلك وإن شهدتم ببائيات الشريك لله بعد قيام الحجة بوحدانية الله تعالى والشاهد هو المبين لدعوى المدعي ثم قال ﴿قل﴾ يا محمد لمن شهد أن معه آلهة أخرى ﴿إنما هو إله واحد وأنتي بريء مما تشركون﴾ به وبعبادته من الأوثان وغيرها ولهذا قال أهل العلم يستحب لمن أسلم ابتداء أن يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين سوى الإسلام ثم ذكر سبحانه أن الكفار بين جاهل ومعاند فقال ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ وهذا مفسر في سورة البقرة ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾ مفسر في هذه السورة فإن حملته على أنه صفة للذين الأولى فالمعنى به أهل الكتاب وإن حملته على الابتداء فإنه يتناول جميع الكفار وقال أبو حمزة الثمالي لما قدم النبي ﷺ المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام أن الله تعالى أنزل على نبيه ﷺ أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام نعرف نبي الله بالنعمة الذي نعمة الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان وإيم الله الذي يحلف به ابن سلام لأنه بمحمد أشد معرفة مني بابني فقال له كيف قال عبد الله عرفته بما نعمة الله لنا في كتابنا فاشهد أنه هو فأما ابني فأبني لا أدري ما أحدثت أمه فقال قد وفقت وصدقت وأصبت.

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢١) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (٢٢)

[القراءة] ويوم يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما قراءة يعقوب وحده وكذلك في الفرقان وفي سبأ وقرىء في سائر القرآن بالنون وقرأ حفص هنا وفي يونس بالنون وفي سائر القرآن بالياء وقرأ أبو جعفر وابن كثير في الفرقان بالياء وفي سائر القرآن بالنون وقرأ الباقر بالنون في جميع القرآن .

[الحجة] من قرأ بالياء ردّه إلى الله قوله على الله كذباً ومن قرأ بالنون ابتداء والياء في المعنى كالنون .

[الإعراب] يوم نحشرهم العامل فيه محذوف على معنى واذكر يوم نحشرهم وقيل إنه معطوف على محذوف كأنه قيل لا يفلح الظالمون أبداً ويوم نحشرهم والعائد إلى الموصول محذوف من الذين كنتم تزعمون وتقديره تزعمون أنهم شركاء أو تزعمونهم شركاء فحذف مفعولي الزعم لدلالة الكلام وحالة السؤال عليه .

[المعنى] ثم بين سبحانه ما يلزمهم من التوبيخ والتهجين بالإشراك فقال ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ﴾ معناه ومن أكفر ممن اختلق على الله كذباً فأشرك به الألهة عن ابن عباس وهذا استفهام معناه الجحد أي لا أحد أظلم منه لأن جوابه كذلك فاكتمى من الجواب بما يدل عليه ﴿ أو كذب بآياته ﴾ أي بالقرآن وبمحمد ومعجزاته ﴿ أنه لا يفلح الظالمون ﴾ أي لا يفوز برحمة الله وثوابه ورضوانه ولا بالنجاة من النار الظالمون والظالم ههنا هو الكافر بنبوّة محمد (ﷺ) المكذب بآياته الجاحد لها بقوله ما نصب الله آية على نبوته ﴿ ويوم نحشرهم جميعاً ﴾ عنى بهم من تقدّم ذكرهم من الكفار لأنه سبحانه يحشرهم يوم القيامة من قبورهم إلى موضع الحساب ﴿ ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ﴾ اختلف في وجه هذا السؤال فقيل إن المشركين إذا رأوا تجاوز الله تعالى عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض إذا سئلتم فقولوا أنا موحدون فلما جمعهم الله قال لهم أين شركاؤكم

ليعلموا أن الله يعرف أنهم أشركوا به في دار الدنيا وأنه لا ينفعهم الكتمان عن مقاتل وقيل إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله فقيل لهم يوم القيامة ﴿أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم تويخاً لهم وتبكيئاً على ما كانوا يدعونهم عن أكثر المفسرين وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم اتخذوها لأنفسهم ومعنى تزعمون تكذبون قال ابن عباس وكل زعم في كتاب الله كذب وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان مذهب الجبر وعلى إثبات المعاد وحشر جميع الخلق .

﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣) أَنْظُرْ
كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف ثم لم تكن بالتاء ففتنهم بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم ثم لم تكن بالتاء أيضاً ففتنهم بالرفع وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ثم لم يكن بالياء ففتنهم بالنصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف والله ربنا بالنصب وقرأ الباقر *بالحجة* مؤيد علوم ردي

[الحجة] من قرأ تكن بالتاء فتنتهم بالنصب فإنه أنث إن قالوا لما كان القول الفتنة في المعنى كما قال فله عشر أمثالها فأنث الأمثال لما كانت في المعنى الحسنات ومما جاء في الشعر قول لبيد :

فَمَضَى وَقَدَّمَهَا وَكَانَتْ عَادَةً مِنْهُ إِذَا هِيَ عَرَدَتْ إِقْدَامُهَا^(١)

فأنت الأقدام لما كانت العادة في المعنى قال الزجاج ويجوز أن يكون تأويل إلا أن قالوا إلا مقالتهن ومن قرأ لم تكن بالتاء فنتهن رفعاً أثبت علامة التانيث في الفعل المسند إلى الفتنة والفتنة مؤنثة وعلى هذه القراءة يكون قوله إلا أن قالوا في موضع نصب بكونه خبر كان \ ومن قرأ لم يكن بالياء فنتهن نصباً فعلى أن قوله أن قالوا اسم كان والأولى والأقوى أن يكون فنتهن نصباً وإن قالوا الاسم لأن أن إذا وصلت لم توصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمّر

(۱) قوله عردت أي انهزمت .

فكما أن المضمّر إذا كان مع المظهر كان ، أن يكون المضمّر الاسم أحسن ، فكذاك أن إذا كانت مع اسم غيرها كانت ، أن يكون الاسم أولى^(١) وأما من قرأ والله ربنا فإنه جعل الاسم المضاف وصفاً للمفرد ومثل ذلك رأيت زيدا صاحبنا وقوله ما كنا مشركين جواب للقسم ومن قرأ ربنا بالنصب فصل بالاسم المنادى بين القسم والمقسم عليه والفصل به لا يمتنع وقد فصل بالنداء بين الصلة والموصول لكثرة النداء في الكلام وذلك مثل قول الشاعر :

ذَاكَ الَّذِي وَأَبِيكَ يُعْرِفُ مَا لِكَ وَالْحَقُّ يَدْفَعُ تَرْهَاتِ الْبَاطِلِ^(٢)
ويجوز أن يكون نصبه على المدح بمعنى أعني ربنا واذكر ربنا .

[اللغة] قال الأزهري جماع الفتنة في كلام العرب الامتحان مأخوذ من قولك فنتت الذهب والفضة إذا أذبتهما بالنار وأحرقتهما وقد فتن الرجل بالمرأة وافتنن وقد فتنته المرأة وافتنته قال الشاعر :

لَئِنْ فَتَنْتَنِي لَهَيَّ بِالْأَمْسِ أَفْتَنَتْ عَقِيلاً فَأَمْسَى قَدْ قَلَى كُلُّ مُسْلِمٍ^(٣)
[الإعراب] العامل في كيف قوله كذبوا ولا يجوز أن يعمل فيه أنظر لأن الاستفهام له صدر الكلام فلا يجوز أن يعمل فيه ما قبله .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سبحانه جواب القوم عند توجه التوبيخ إليهم فقال ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ اختلف في معنى الفتنة هنا على وجوه (أحدها) إن معناه ثم لم يكن جوابهم لأنهم حين سئلوا اختبر ما عندهم بالسؤال فلم يكن الجواب عن ذلك الاختبار إلا هذا القول (وثانيها) إن المراد لم يكن معذرتهم ﴿ إلا أن قالوا ﴾ عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وهذا راجع إلى معنى الجواب ﴿ أيضاً ﴾ (وثالثها) ما قاله الزجاج أن تأويله حسن لطيف لا يعرفه إلا من عرف معاني الكلام وتصرف العرب في ذلك والله عز وجل ذكر في هذه الآية الأفاضل التي جرت من أمر المشركين وأنهم مفتنون بشركهم ثم أعلم أنه لم يكن افتتانهم بشركهم وإقامتهم عليه إلا أن تبرأوا منه وانتفوا منه فحلفوا أنهم ما

(١) أي أن يكون « أن » الاسم أولى .

(٢) الترهات : الطرق الصغار غير الجادة تشعب عنها واستعير في الباطل .

(٣) قلى الرجل : أبغضه .

كانوا مشركين ومثل ذلك في اللغة أن ترى إنساناً يحب غاوياً فإذا وقع في هلكة تبرأ منه فتقول له ما كانت محبتك فلاناً إلا أن افتننت منه فالفتننة هاهنا بمعنى الشرك والافتتان بالأوثان ويؤيد ذلك ما رواه غطا عن ابن عباس قال فتنتهم يريد شركهم في الدنيا وهذا القول في التأويل يرجع إلى حذف المضاف لأن المعنى لم يكن عاقبة فتنتهم إلا البراءة منها بقولهم ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ ويسأل فيقال كيف يجوز أن يكذبوا في الآخرة ويحلفوا على الكذب والدار ليست بدار تكليف وكل الناس ملجؤون فيها إلى ترك القبيح لمشاهدة الحقائق وزوال عوارض الشبه والشكوك ولمعرفتهم بالله سبحانه ضرورة والجواب أن معناه ما كنا مشركين في الدنيا عند أنفسنا وفي اعتقادنا وتقديرنا وذلك أن المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة فعلى هذا يكون قولهم وحلفهم يقعان على وجه الصدق وقيل أيضاً أنهم إنما يحلفون على ذلك لزوال عقولهم بما يلحقهم من الدهشة من أهوال القيامة ثم ترجع عقولهم فيقرون ويعترفون ويجوز أن ينسوا إشراكهم في الدنيا بما يلحقهم من الدهشة عند مشاهدة تلك الأهوال ﴿ انظر ﴾ المعنى يقول الله تعالى عند حلف هؤلاء أنظروا يا محمد ﴿ كيف كذبوا على أنفسهم ﴾ وهذا وإن كان لفظه لفظ الاستفهام فالمراد به التنبيه على التعجب منهم ومعناه أنظر إلى إخباري عن افتراءهم كيف هو فإنه لا يمكن النظر إلى ما يوجد في الآخرة وإنما كذبهم الله سبحانه في قولهم وإن كانوا صادقين عند أنفسهم لأن الكذب هو الإخبار بالشيء لا على ما هو به علم المخبر بذلك أو لم يعلم فلما كان قولهم ما كنا مشركين كذباً في الحقيقة جاز أن يقال كذبوا على أنفسهم وقيل معناه أنظر كيف كذبوا على أنفسهم في دار الدنيا لا أنهم كذبوا في الآخرة لأنهم كانوا مشركين على الحقيقة وإن اعتقدوا أنهم على الحق عن الجبائي ﴿ وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ أي ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدونها ويفترون الكذب بقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله غداً فذهبت عنهم في الآخرة فلم يحدوها ولم ينتفعوا بها عن الحسن وقيل أنه عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى أنها تضل عن عابديها يوم القيامة ولا تغني عنهم شيئاً واختلف أهل العدل في أن أهل الآخرة هل يجوز أن يقع منهم الكذب فالأصح أنه لا يجوز على ما قلناه وقال بعضهم يجوز ذلك لما يلحقهم من الدهش والحيرة في القيامة فإذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فحينئذ لا يجوز أن يقع منهم القبيح والكذب ويكون جميعهم ملجئين إلى ترك القبيح وبه قال أبو بكر بن الأخشيد وأصحابه وقال بعضهم أنه يجوز وقوعه منهم على جميع الأحوال .

﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ
وَفِيْٓ أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ
يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾

[اللغة] الأكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئاً وستره مثل عنان وأعنة قال الليث كل شيء وقى شيئاً فهو كنانه وكنه والفعل منه كنتت وأكنتت والكنة امرأة الإبن أو الأخ لأنها في كنهه واستكن الرجل من الحر واكنن استتر والوقر الثقل في الأذن والوقر بكسر الواو الحمل قال أبو زيد وقرت أذنه توقر وقرأ وقال الكسائي وقرت أذنه فهي موقورة قال الشاعر :

وَكَلَامٍ سَيِّئٍ قَدْ وَقَرْتُ أُذُنِي مِنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ

وأساطير واحدتها اسطورة وأسطارة مأخوذ من سطر الكتاب وهو سطر وسطر فمن قال سطر جمعه أسطاراً ومن قال سطر فجمعه في القليل أسطر والكثير سطور وقال رؤبة :

إِنِّي وَأَسْطَارِ سَطْرُنْ سَطْرًا لِّقَائِلٍ يَا نَضْرُ نَضْرًا نَضْرًا

وجمع أسطار أساطير قال الزجاج وتأويل السطر في اللغة أن تجعل شيئاً ممتداً مؤلفاً وقال الأخفش أساطير جمع لا واحد له نحو أبابيل ومذاكير وقال بعضهم واحد الأبابيل إِبِيل بالتشديد وكسر الألف والجدال الخصومة سمي بذلك لشدة وقيل أنه مشتق من الجدالة وهي الأرض لأن أحدهما يلقي صاحبه على الأرض .

[الإعراب] أن يفقهوه موضعه نصب على أنه مفعول له المعنى لكراهة أن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة ولما حذفت الكراهة إنتقل نصبها إلى أن قاله الزجاج يريد أنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ويجاد لونك في موضع نصب على الحال .

[النزول] قيل أن نفراً من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وغيرهم جلسوا إلى رسول الله (ﷺ) وهو يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ثم وصف الله سبحانه حالهم عند استماع القرآن فقال ﴿ ومنهم ﴾ أي ومن الكفار الذين تقدّم ذكرهم ﴿ من يستمع إليك ﴾ يريد يستمعون إلى كلامك قال مجاهد يعني قريشاً ﴿ وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ﴾ قد ذكرنا الكلام فيه في سورة البقرة عند قوله ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ وقال القاضي أبو عاصم العامري أصح الأقوال فيه ما روي أن النبي (ﷺ) كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً رجاء أن يستمع إلى قراءته إنسان فيتدبر معانيه ويؤمن به فكان المشركون إذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم أو يجعل في قلوبهم أكنةً ليقطعهم عن مرادهم وذلك بعد ما بلغهم مما تقوم به الحجة وتنقطع به المexcuse وبعد ما علم الله سبحانه أنهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون به فشبه إلقاء النوم عليهم بجعل الغطاء على قلوبهم وبوقر آذانهم لأن ذلك كان يمنعهم من التدبر كالوقر والغطاء وهذا معنى قوله تعالى ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ﴾ وهو قول أبي علي الجبائي ويحتمل ذلك وجهاً آخر وهو أنه تعالى يعاقب هؤلاء الكفار الذين علم أنهم لا يؤمنون بعقوبات يجعلها في قلوبهم تكون موانع من أن يفهموا ما يسمعون ويحتمل أيضاً أن يكون سمي الكفر الذي في قلوبهم كنايةً تشبيهاً ومجازاً وأعراضهم عن تفهم القرآن وقرأ توسعاً لأن مع الكفر والإعراض لا يحصل الإيمان والفهم كما لا يحصلان مع الكن والوقر ونسب ذلك إلى نفسه لأنه الذي شبه أحدهما بالآخر كما يقول أحدهما لغيره إذا أثنى على إنسان وذكر مناقبه جعلته فاضلاً وبالعكس إذا ذكر مقابحه وفسقه يقول جعلته فاسقاً وكما يقال جعل القاضي فلاناً عدلاً وكل ذلك يراد به الحكم عليه بذلك والإبانة عن حاله كما قال الشاعر :

جَعَلْتَنِي بِاخِلًا كَلًّا وَرَبُّ مَنِي إِنِّي لَأَسْمَحُ كَفًّا مِنْكَ فِي اللَّزْبِ^(١)

ومعناه سميتني باخلاً ﴿ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ﴾ يريد وأن يروا كل عبرة لم يصدقوا بها عن ابن عباس وقيل معناه وأن يروا كل علامة ومعجزة دالة على نبوتك لا يؤمنوا بها لعنادهم عن الزجاج ولو أجرى معنى الآية على ظاهرها لم يكن لهذا معنى لأن من لا يمكنه أن يسمع ويفقه لا يجوز أن يوصف بذلك وكان لا يصح أن يصفهم بأنهم كذبوا بآياته وغفلوا عنها وهم ممنوعون عن ذلك والذي يُزيل الإشكال أنه تعالى قال في وصف بعض

(١) اللزب : الشدة والقحط .

الكفار ﴿وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ الآية ولو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله ﴿كَأَن فِي أذْنِهِ وَقْرًا﴾ ولكان لا يستحق المذمة لأنه لم يعط آلة السمع فكيف يذم على ترك السمع ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُكَ يَجَادِلُونَكَ﴾ يعني أنهم إذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادّين عليك قولك ولم يجيؤوا مجيء من يريد الرشاد والنظر في الدلالة الدالة على توحيد الله ونبوة نبيه ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَٰذَا إِلَّا مِثْلُ مَا كَانَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحّاك وقيل معنى الأساطير الترهات والبسّاس^(١) مثل حديث رستم واسفنديار وغيره مما لا فائدة فيه ولا طائل تحته وقال بعضهم أن جدالهم هذا القول منهم وقيل هو مثل قولهم أتأكلون ما تقتلونه بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله تعالى .

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾



[اللغة] النأي البعد يقال نأيت عنه نأياً ومنه أخذ النوى وهو الحاجز حول البيت لثلا يدخله الماء .

[المعنى] ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ﴾ أي ينهون الناس عن إتباع النبي (ﷺ) ويتباعدون عنه فراراً منه عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية والحسن والسدي وقيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لثلا يقع في قلوبهم صحته ويتباعدونهم عن استماعه عن قتادة ومجاهد واختاره الجبائي وقيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب ومعناه يمنعون الناس عن أذى النبي (ﷺ) ولا يتبعونه عن عطا ومقاتل وهذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها وكُلُّها في ذم الكفار المعاندين للنبي (ﷺ) هذا وقد ثبت إجماع أهل البيت (ع) على إيمان أبي طالب وإجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي (ﷺ) بالتمسك بهما بقوله إن تمسكتم بهما لن تضلوا ويدل على ذلك أيضاً ما رواه ابن عمر أن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة

(١) البسّاس : الأباطيل .

يوم الفتح إلى رسول الله (ﷺ) فأسلم فقال (ﷺ) ألا تركت الشيخ فأتيه وكان أعمى فقال أبو بكر أردت أن يأجره الله تعالى والذي بعثك بالحق لانا كنت بإسلام أبي طالب أشد فرحاً مني بإسلام أبي التمس بذلك قرة عينك فقال (ﷺ) صدقت وروى الطبري بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا ذبّ أبي طالب عن النبي (ﷺ) اجتمعوا عليه وقالوا جئناك بفتى قريش جملاً وجوداً وشهامة عمارة بن الوليد ندفعه إليك وتدفع إلينا ابن أخيك الذي فرق جماعتنا وسفه أعلامنا فقتله فقال أبو طالب ما انصفتُموني تعطونني ابنكم فأغذوه وأعطيكُم ابني فتقتلونه بل فليات كل امرئ منكم بولده فأقتله وقال :

مَنْعَنَا الرَّسُولَ رَسُولَ الْمَلِكِ بِبَيْضِ ثَلَاثِ كَلَمَعِ الْبُرُوقِ
أَذُودُ وَأَخْصِي رَسُولَ الْمَلِكِ حِمَايَةَ حَامٍ عَلَيْهِ شَفِيقِ

وأقواله وأشعاره المنبئة عن إسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى فمن ذلك قوله :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ
أَلَيْسَ أَبُونَا هَاشِمٌ شَدُّ أَرْزَةٍ وَأَوْصَى بَنِيهِ بِالطُّغَانِ وَبِالْحَرْبِ
وقوله من قصيدة :

وَقَالُوا لِأَحْمَدَ أَنْتَ أَمْرٌ خَلُوفُ اللِّسَانِ ضَعِيفُ السَّبَبِ
أَلَا إِنَّ أَحْمَدَ قَدْ جَاءَهُمْ بِحَقٍّ وَلَمْ يَأْتِهِمْ بِالْكَذِبِ

وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي (ﷺ)

وَقَدْ كَانَ فِي أَمْرِ الصَّحِيفَةِ عِبْرَةٌ مَتَى مَا يُخْبِرُ غَائِبُ الْقَوْمِ يَعْجَبُ
مَحَا اللَّهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعُقُوقَهُمْ وَمَا نَقَمُوا مِنْ نَاطِقِ الْحَقِّ مُعْرِبِ
وَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِينَا مَصْدَقًا عَلَى سَخَطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرِ مُعْتَبِ

وقوله في قصيدة يحض أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته

صَبْرًا أَبَا يَعْلَى عَلَى دِينِ أَحْمَدِ وَكُنْ مُظْهِرًا لِلدِّينِ وَفَقْتَ ضَاہِرًا
فَقَدْ سَرَّيْنِي إِذْ قُلْتَ أَنَّكَ مُؤْمِنٌ فَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي اللَّهِ نَاصِرًا

وقوله من قصيدة :

أَقِيمْ عَلَى نَصْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَقَاتِلْ عَنْهُ بِالقَنَا والقَنَابِلِ (١)

وقوله يحضّ النجاشي على نصر النبي :

تَعَلَّمْ مَلِيكَ الْحُبَشِ أَنْ مُحَمَّداً
أَتَى بِهَدْيٍ مِثْلُ الَّذِي أَتَى بِهِ
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ
فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدّاً وَاسْلُمُوا
وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة :

أَوْصِي بِنَصْرِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ مَشْهُدُهُ
وَحَمْزَةُ الْأَسَدِ الْخَامِي حَقِيقَتُهُ
كُونُوا قَدَى لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ
عَلِيّاً إِبْنِي وَشَيْخَ الْقَوْمِ عَبَّاساً
وَجَسَافَراً أَنْ يَذُودُوا دُونَهُ النَّاسُ
فِي نَصْرِ أَحْمَدَ دُونَ النَّاسِ أَتْرَاساً

في أمثال هذه الأبيات مما هو موجود في قصائده المشهورة ووصاياه وخطبه يطول بها الكتاب على أن أبا طالب لم يأت عن النبي (ﷺ) قط بل كان يقرب منه ويخالطه ويقوم بنصرته فكيف يكون المعنى بقوله ويناؤن عنه ﴿ وإن يهلكون إلا أنفسهم ﴾ معناه ما يهلكون بنهيهم عن قبوله وبعدهم عنه إلا أنفسهم ﴿ وما يشعرون ﴾ أي وما يعلمون إهلاكهم إياها بذلك .

﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِعَايِلَتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧) بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)

[القراءة] قرأ ولا نكذب ونكون بالنصب حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب وقرأ ابن عامر ونكون بالنصب وقرأ الباقر بالرفع فيهن .

(١) القنا جمع القناة : الرمح . والقنابل جمع القنبلة : الطائفة من الخيل أو الناس .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بالرفع جاز فيه وجهان (أحدهما) أن يكون معطوفاً على نرد فيكون قوله ولا نكذب ونكون داخلاً في التمني دخول نرد فيه فعلى هذا تمنى الرد وأن لا نكذب والكون من المؤمنين ويحتمل الرفع وجهاً آخر وهو أن تقطعه من الأول ويكون التقدير يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون وقال سيويه هو على قولك فإننا لا نكذب كما يقول القائل دعني ولا أعود أي فإني ممن لا يعود فإنما يسألك الترك وقد أوجب على نفسه أن لا يعود ترك أو لم يترك ولم يرد أن يسألك أن تجمع له الترك وأن لا يعود وحجة من نصب فقال ولا نكذب ونكون أنه أدخل ذلك في التمني غير موجب لأن التمني غير موجب فهو كالاستفهام والأمر والنهي في انتصاب ما بعد ذلك كله من الأفعال إذا دخلت عليها الفاء أو الواو على تقدير ذكر المصدر من الفعل الأول كأنه في التمثيل يا ليتنا يكون لنا رد وانتفاء التكذيب والكون من المؤمنين ومن رفع ولا نكذب ونصب ونكون فإن الفعل الذي هو لا نكذب يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون داخلاً في التمني فيكون في المعنى كالنصب (والآخر) أن يخبر على البتات أن لا نكذب رد أو لم يرد ومن نصبها جميعاً جعلهما داخليين في التمني .

مرکز تحقیقات کتب و تورات علوم اسلامی

[اللغة] يقال وثقت الدابة وقوفاً ووقف غيره يقفه وقفاً وحكي عن أبي عمرو أنه أجاز ما أوقفك هاهنا مع اخباره انه لم يسمعه من العرب وبدا يبدو وبدوا إذا ظهر وفلان ذو بدوات إذا بدا له الرأي بعد الرأي وبدا لي في هذا الأمر بداء والبداء لا يجوز على الله سبحانه لأنه العالم بجميع المعلومات لم يزل ولا يزال .

[الإعراب] ولو ترى جوابه محذوف وتقديره لرأيت أمراً هائلاً ونحوه قوله تعالى ﴿ولو ان قرآناً سيرت به الجبال﴾ يريد اسكان هذا القرآن وهذه الأجوبة إنما تحذف لتعظيم الأمر وتفخيمه ومثله قول امرئ القيس

وَجِئْتُكَ لَوْ شِئْتُ أَتَانَا رَسُولُهُ سَوَاكَ وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَذْفَعاً

وتقديره لو أتانا رسول غيرك لما جئنا ويسأل فيقال لم جاز ولو ترى إذ وقفوا واذ هي للماضي والجواب ان الخبر لصحته وصدق المخبر به صار بمنزلة ما وقع .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتمني الرجعة فقال ﴿ولو ترى﴾ يا محمد أو يا أيها السامع ﴿إذ وقفوا على النار﴾ فهذا يحتمل ثلاثة أوجه

جائز أن يكون المعنى عاينوا النار وجائز أن يكونوا عليها وهي تحتهم قال الزجاج والأجود أن يكون معناه ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها كما تقول في الكلام قد وقفت على ما عند فلان تريد قد فهمته وتبينته وهذا وإن كان بلفظ الماضي فالمراد به الاستقبال وإنما جاز ذلك لأن كل ما هو كائن يوماً مما لم يكن بعد فهو عند الله قد كان وأنشد في مثله :

سَتَدِمُ إِذْ يَأْتِي عَلَيْكَ رَعِيلُنَا بِسَارِعِنَ جَرَارٍ كَثِيرٍ صَوَاهِلُهُ^(١)

فوضع إذ موضع إذا وقد يوضع أيضاً إذا موضع إذ كما قال الشاعر :

وَنَذْمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيْباً سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتَ النُّجُومُ

﴿فقالوا﴾ أي فقال الكفار حين عاينوا العذاب وندموا على ما فعلوا ﴿يا ليتنا نرد﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا﴾ أي بكتب ربنا ورسله وجميع ما جاءنا من عنده ﴿ونكون من المؤمنين﴾ يعني من جملة المؤمنين بآيات الله ﴿بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ اختلف فيه على أقوال (أحدها) ان معناه بل بدا لبعضهم من بعض ما كان علمائهم يخفونه عن جهالهم وضعفائهم مما في كتبهم فبدا للضعفاء عنادهم (وثانيها) ان المراد بل بدا من أعمالهم ما كانوا يخفونه فأظهره الله وشهدت به جوارحهم عن أبي روق (وثالثها) إن المعنى ظهر للذين اتبعوا الغواية ما كان الغواية يخفونه عنهم من أمر البعث والنشور لأن المتصل بهذا وله ﴿وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا﴾ الآية عن الزجاج وهو قول الحسن (ورابعها) ان المراد بل بدا لهم وبال ما كانوا يخفونه من الكفر عن المبرد وكل هذه الأقوال بمعنى ظهرت فضيحتهم في الآخرة وتهتكت استارهم ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ أي لو ردوا إلى الدنيا وإلى حال التكليف كما طلبوه لعادوا إلى ما نهوا عنه من الكفر والتكذيب ﴿وانهم لكاذبون﴾ ويسأل على هذا فيقال ان التمني كيف يصح فيه الكذب وإنما يقع الكذب في الخبر والجواب أن من الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف الكذب الى غير الأمر الذي تمنوه وقال إن معناه هم كاذبون فيما يخبرون به عن أنفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق أو يكون المعنى إنهم كاذبون ان خبروا عن أنفسهم بأنهم متى ردوا آمنوا وان كان ما حكى عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أن يحمل على غير الكذب الحقيقي بأن

(١) الرعيل : القطعة من الخيل . وجيش ارعن : هو المضطرب لكثرته . الصواهل جمع الصاهل وهو الفرس .

يكون المراد أنهم تمنوا ما لا سبيل اليه فكذب املهم وتمينهم وهذا مشهور في كلام العرب يقولون كذبتك املك لمن تمنى ما لم يدرك وقال الشاعر :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتِ اللَّهُ لَا تَنْكِحُونَهَا بَنِي شَابٍ قَرْنَاهَا تَصُرُّ وَتَحْلُبُ^(١)

وقال آخر :

كَذَبْتُمْ وَبَيَّتِ اللَّهُ لَا تَأْخُذُونَهَا مُرَاغِمَةً مَا دَامَ لِلسَّيْفِ قَائِمٌ

والمراد ما ذكرناه من الخيبة في الأمل والتمني فإن قيل كيف يجوز ان يتمنوا الرد إلى الدنيا وقد علموا أنهم لا يردون فالجواب عنه من وجوه (أحدها) انا لا نعلم أن أهل الآخرة يعرفون جميع أحكام الآخرة وانما نقول انهم يعرفون الله معرفة لا يتخالجهم فيها الشك لما يشاهدونه من الآيات الملجئة لهم إلى المعارف وأما التوجع والتمني للخلاص والدعاء للفرج فيجوز أن يقع منهم ذلك عن البلخي (وثانيها) أن التمني قد يجوز فيما يعلم انه لا يكون ولهذا قد يقع التمني على أن لا يكون ما قد كان وان لا يكون فعل ما قد فعله وتقضي وقته (وثالثها) أنه لا مانع من أن يقع منهم التمني للرد ولأن يكونوا من المؤمنين عن الزجاج وفي الناس من جعل بعض الكلام تمنياً وبعضه اختياراً وعلقت تكذيبهم بالخبر دون ليتنا وهذا إنما ينساق في قراءة من رفع ولا نكذب ونكون على معنى فإننا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين فيكونون قد أخبروا بما علم الله أنهم فيه كاذبون وان لم يعلموا من أنفسهم مثل ذلك فلهذا كذبهم وذكر ان أبا عمرو بن العلاء استدل على قراءته بالرفع في الجميع بأن قوله وانهم لكاذبون فيه دلالة على أنهم أخبروا بذلك عن أنفسهم ولن يتمنوه لأن التمني لا يقع فيه الكذب .

﴿ وَقَالُوا إِنَّمَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾^(٢٩) وَلَوْ تَرَىٰ

إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا

قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

(١) القرن: ذؤابة المردة. الصر: جمع اللبن في الفرع. أي يا بني المردة التي شاب قرناها حالكونها تصر وتحلب .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن الكفار الذين ذكرهم قبل هذه الآية وانكارهم البعث والنشور والحشر والحساب فقال ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ عنوا بذلك أنه لا حياة لنا في الآخرة وإنما هي هذه التي حيينا بها في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ أي لسنا بمبعوثين بعد الموت ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ ليس يصح في هذه الآية شيء من الوجوه التي ذكرناها في قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار إلا وجهاً واحداً وهو أن المعنى عرفوا ربهم ضرورة كما يقال وقفته على كلام فلان أي عرفته إياه وقيل أيضاً أن المعنى وقفوا على ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار والشواب الذي يفعله بالمؤمنين في الآخرة وعرفوا صحة ما أخبرهم به من الحشر والحساب ويجوز أن يكون المعنى حبسوا على ربهم ينتظر بهم ما يأمرهم به وخرج الكلام مخرج ما جرت به العادة من وقوف العبد بين يدي سيده لما في ذلك من الفصاحة والإفصاح بالمعنى والتنبيه على عظم الأمر ﴿قَالَ﴾ أي يقول الله تعالى لهم وجاء على لفظ الماضي لأنه لتحقيقه كأنه واقع وقيل معناه تقول الملائكة لهم بأمر الله تعالى ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ كما قالت الرسل وهذا سؤال توبيخ وتقريع وقوله هذا إشارة إلى الجزء والحساب والبعث ﴿قَالُوا﴾ أي فيقول هؤلاء الكفار مقربين بذلك مدعين له ﴿بَلَىٰ﴾ هو حق ﴿وَرَبَّنَا﴾ قسم ذكروه وأكدوا اعترافهم به ﴿قَالَ﴾ الله تعالى أو الملك بأمره ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي بكفركم وإنما قال ذوقوا لأنهم في كل حال يجدون ذلك وجدان الذائق المذوق في شدة الإحساس من غير أن يصيروا إلى حال من يشم بالطعام في نقصان الإدراك.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً
قَالُوا يَحْسِرْتُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ
ظُهُورِهِمْ أَلَسَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٤١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ولد دار الآخرة بلام واحدة وجر الآخرة على الإضافة والباقون

بلامين ورفع الآخرة وقرأ أهل المدينة وابن ذكوان عن ابن عامر ويعقوب وسهل أفلا تعقلون بالتاء ههنا وفي الاعراف ويوسف وياسين ووافقهم حفص إلا في ياسين وحماد ويحيى عن أبي بكر في يوسف وقرأ الباقر جميع ذلك بالياء .

[الحجة] من قرأ وللدار الآخرة فلأن الآخرة صفة للدار يدل على ذلك قوله وللآخرة خير لك من الأولى وإن الدار الآخرة لهي الحيوان وتلك الدار الآخرة نجعلها ومن أضاف داراً إلى الآخرة لم يجعل الآخرة صفة للدار فإن الشيء لا يضاف إلى نفسه لكنه جعلها صفة للساعة فكأنه قال ولدار الساعة الآخرة وجاز وصف الساعة بالآخرة كما وصف اليوم بالآخر في قوله وارجوا اليوم الآخر قال أبو علي إنما حسن اضافة الدار إلى الآخرة ولم يقبح من حيث استقبح اقامة الصفة مقام الموصوف لأن الآخرة قد صارت كالأبطح والأبرق^(١) لا ترى أنه قد جاء وللآخرة خير لك من الأولى فاستعملت استعمال الاسماء ولم يكن مثل الصفات التي لم تستعمل استعمال الاسماء ومثل الآخرة في أنها استعملت الاسماء قولهم الدنيا لما استعملت استعمال الأسماء حسن أن لا يلحق لام التعريف في نحو قوله « في سعي دنيا طال ما قد مدت » وأما وجه القراءة بالياء في أفلا يعقلون فهو أنه قد تقدم ذكر الغيبة في قوله للذين يتقون ووجه القراءة بالتاء أنه يصلح أن يكون خطاباً مستوجهاً إليهم ويصلح أن يكون المراد الغيب والمخاطبون فيغلب الخطاب .

[اللغة] كل شيء أتى فجاءة فقد بغت يقال بغته الأمر يبعثه بغته قال الشاعر :

وَلَكِنَّهُمْ بَأْتُوا وَلَمْ أُخَشْ بَغْتَةً وَأَفْطَعُ شَيْءٍ حَيْنَ يَفْجَأُكَ الْبَغْتُ^(٢)

والحسرة شدة الندم حتى يحسر النادم كما يحسر الذي تقوم به دابته في السفر البعيد والتفريط التقصير وأصله التقديم والإفراط التقديم في مجاوزة الحد والتفريط التقديم في العجز والتقصير والوزر الثقل في اللغة واشتقاقه من الوزر وهو الجبل الذي يعتصم به ومنه قيل وزير كأنه يعتصم الملك به ومثله قوله تعالى ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي ﴾ ويزرون يفعلون من وزر يزر وزراً إذا أثم وقيل وزر فهو موزور إذا فعل به ذلك ومنه الحديث في النساء يتبعن جنازة قتيل لهن^(٣) ارجعن موزورات غير مأجورات والعامية تقول مأزورات

(١) لانهما في الأصل صفتان وصارا اسمين . (٢) وفي اللسان « ماتوا » . الأمر الفظيع : الشديد .

(٣) وفي بعض المخطوطة « قليل » بدل « قتيل » .

والعقل والنهي والحجى متقاربة المعنى فالعقل الإمساك عن القبيح وقصر النفس وحبسها عن الحسن قال الأصمعي وبالدنهاء خبراء^(١) يقال له معقلة قال وتراها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء والبطن والنهي لا يخلو ان يكون مصدراً كالهدي أو جمعاً كالظلم وهو في معنى ثبات وحبس ومنه النهي والتنهي للمكان الذي ينتهي اليه الماء فيستنقع فيه لتسفله ويمنع ارتفاع ما حوله من ان يسبح على وجه الأرض والحجى اصله من الحجو وهو احتباس وتمكث قال « فهن يعكفن به إذا حجا » وحجيت بالشيء وتحجيت به يهمز ولا يهمز أي تمسكت عن الأزهرى قال أبو علي فكان الحجى مصدر كالشبع ومن هذا الباب الحُجياً للفرز لتمكث الذي يلقي عليه حتى يستخرجه .

[الإعراب] يقال ما معنى الغاية في قوله حتى إذا جاءتهم الساعة وما عامل الإعراب فيها والجواب ان معناها منتهى تكذيبهم الحسرة يوم القيامة والعامل فيها كذبوا أي كذبوا الى أن ظهرت الساعة بغتة فندموا حيث لا ينفعهم الندامة ويقال ما معنى دعاء الحسرة وهي مما لا يعقل والجواب ان العرب إذا اجتهدت في المبالغة في الاخبار عن أمر عظيم تقع فيه جعلته نداء فلفظه لفظ ما ينبه والمنبه غيره مثل قوله يا حسرة على العباد وقوله يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله ويا ويلتي ألد وهذا أبلى من ألد تقول انا أتحسر على التفريط قاله الزجاج وقال سيويه انك إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت احضر وتعال يا عجب فإنه من أزهانك وتأويل يا حسرتاه انتبهوا على اننا قد حسرنا فخرج مخرج النداء للحسرة والمعنى على النداء لغيرها تنبيهاً على عظم شأنها وقيل انها بمنزلة الاستغاثة فكأنه قيل يا حبرتنا تعالي فهذا أو انك كما يقال يا للعجب وقوله ساء ما يزرون تقديره بشئ شيء يزرونه وقد ذكرنا عمل نعم وبشئ فيما مضى .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ﴿ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله ﴾ يعني بقاء ما وعد الله به من الثواب والعقاب وجعل لقائهم لذلك لقاء له تعالى مجازاً عن ابن عباس والحسن وقيل المراد بقاء جزاء الله كما يقال للميت لقي فلان عمله أي لقي جزاء عمله ونظيره إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ﴿ حتى إذا جاءتهم الساعة ﴾ أي القيامة ﴿ بغتة ﴾ أي فجأة من غير أن علموا وقتها ﴿ قالوا ﴾ عند معاينة ذلك اليوم وأهواله وتباين أحوال

(١) الدنهاء : اسم موضع . الخبراء : الصحراء .

أهل الثواب والعقاب ﴿يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ أي على ما تركنا وضيّعنا في الدنيا من تقديم اعمال الآخرة عن ابن عباس وقيل ان الهاء يعود إلى الساعة عن الحسن والمعنى على ما فرطنا في العمل للساعة والتقدمة لها وقيل ان الهاء يعود إلى الجنة أي في طلبها والعمل لها عن السدي يدل عليه ما رواه الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في هذه الآية قال يرى أهل النار منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقال محمد بن جرير الهاء يعود إلى الصفة لأنه لما ذكر الخسران دل على الصفة ويجوز ان يكون الهاء يعود إلى معنى ما في قوله ما فرطنا أي يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرطنا فيها فعلى هذا الوجه يكون ما موصولة بمعنى الذي وعلى الوجه المتقدم يكون ما بمعنى المصدر ويكون تقديره على تفريطنا ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ أي اثقال ذنوبهم ﴿على ظهورهم﴾ وقال ابن عباس يريد آثامهم وخطاياهم وقال قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شيء صورة وأطيبه ريحاً فيقول انا عم لك الصالح طال ما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً أي ركبنا وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله اقبح شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول انا عم لك السيئ طال ما ركبتني في الدنيا فانا أركبك اليوم وذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج هذا مثل جائز ان يكون جعل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يحمل لأن الثقل كما يستعمل في الوزن يستعمل في الحال أيضاً كما تقول ثقل علي خطاب فلان ومعناه كرهت خطابه كراهة اشتدت علي فعلى هذا يكون المعنى انهم يقاسون عذاب آثامهم مقاساة تثقل عليهم ولا تزايلهم وإلى هذا المعنى اشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم ﴿الا ساء ما يزرعون﴾ أي بشس الحمل حملهم عن ابن عباس وقيل معناه ساء ما ينالهم جزاء لذنوبهم وأعمالهم السيئة إذ كان ذلك عذاباً ونكالاً ثم رد عليهم قولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا وبين سبحانه ان ما يتمتع به من الدنيا يزول ويبعد فقال ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ أي باطل وغرور إذا لم يجعل ذلك طريقاً إلى الآخرة وإنما عني بالحياة الدنيا اعمال الدنيا لأن نفس الدنيا لا توصف باللعب وما فيه رضا الله من عمل الآخرة لا يوصف به أيضاً لأن اللعب ما لا يعقب نفعاً واللهو ما يصرف من الجذ إلى الهزل وهذا إنما يتصور في المعاصي وقيل المراد باللعب واللهو ان الحياة تنقضي وتفنى ولا تبقى فتكون لذة فانية عن قريب كاللعب واللهو ﴿وللدار الآخرة﴾ وما فيها من أنواع النعيم والجنات ﴿خير للذين يتقون﴾ معاصي الله لأنها باقية دائمة لا يزول عنهم نعيمها ولا يذهب عنهم سرورها ﴿أفلا تعقلون﴾ ان ذلك كما

وصف لهم فيزهدوا في شهوات الدنيا ويرغبوا في نعيم الآخرة ويفعلوا ما يؤدّبهم إلى ذلك من الأعمال الصالحة وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرّموا من متاع الدنيا وتقريع للأغنياء اذا ركنوا إلى حطامها ولم يعملوا لغيرها .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٣) وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنْتَهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْأُمُوسِيِّينَ (٣٤)

[القراءة] قرأ نافع ليحزنك بضم الياء وكسر الراء والباقون يحزنك بفتح الياء وضم الراء وقرأ نافع والكسائي والأعشى عن أبي بكر لا يكذبونك خفيف وهو قراءة علي (ع) والعمري عن جعفر الصادق (ع) والباقون يكذبونك بفتح الكاف والتشديد .

[الحجة] قال أبو علي قال سيبويه قالوا حزن الرجل وحزنه وزعم الخليل إنك حيث تقول حزنه لم ترد ان تقول جعلته حزناً كما أنك حيث قلت أدخلته أردت جعلته داخلاً ولكنك أردت أن تقول جعلت فيه حزناً كما تقول كحلته جعلت فيه كحلاً ودهنته جعلت فيه دهناً ولم ترد بفعلة هنا تعدي قوله حزن ولو أردت ذلك لقلت أحزنته وحجة نافع إنه أراد أن يعدي حزن فنقله بالهمزة والاستعمال في حزنه أكثر منه في أحزنته فإلى كثرة الاستعمال ذهب عامة القراء وأما قوله يكذبونك فمن ثقل فهو من فعلته اذا نسبته الى الفعل مثل زنيته وفسقته نسبته إلى الزنا والفسق وقد جاء في هذا المعنى أفعلة قالوا اسقيته أي قلت له سقاك الله قال ذو الرمة :

وَأَسْقِيهِ حَتَّىٰ كَادَ مِمَّا أُبْشُهُ (١) تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

فيجوز على هذا أن يكون معنى القراءتين واحداً ويجوز أن يكون لا يكذبونك أي لا

(١) قوله اسقيه أي اقول له سقاك الله وأبش فلاناً الخبر : اطلعه عليه .

يصادفونك كاذباً كما تقول أحمدته إذا أصبته محموداً ويدل على الوجه الأول قول الكميت :

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالَتْ مُسِيءٌ وَمُذْنِبٌ

أي نسبتني الى الكفر قال أحمد بن يحيى كان الكسائي يحكي عن العرب أكذبت الرجل اذا أخبرت أنه جاءك بكذب وكذبت إذا أخبرت أنه كذاب .

[المعنى] ثم سأل سبحانه نبيه ﷺ على تكذيبهم إياه بعد إقامة الحجة عليهم فقال ﴿قد نعلم﴾ نحن يا محمد ﴿إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ أي ما يقولون إنك شاعر أو مجنون وأشبه ذلك ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ دخلت الفاء في أنهم لأن الكلام الأول يقتضيه كأنه قيل إذا كان قد يحزنك قولهم فاعلم أنهم لا يكذبونك واختلف في معناه على وجوه (أحدها) ان معناه لا يكذبونك بقلوبهم اعتقاداً وان كانوا يظهرون بأفواههم التكذيب عناداً وهو قول أكثر المفسرين عن أبي صالح وقتادة والسدي وغيرهم قالوا يريد أنهم يعلمون أنك رسول الله ولكن يجحدون بعد المعرفة ويشهد لهذا الوجه ما روى سلام بن مسكين عن أبي يزيد المدني ان رسول الله ﷺ لقي أبا جهل فصافحه أبو جهل فقيل له في ذلك فقال والله اني لأعلم انه صادق ولكنما متي كنا تبعاً لعبد مناف فأنزل الله هذه الآية وقال السدي التقى الخنس ابن شريق وأبو جهل بن هشام فقال له يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس ههنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل ويحك والله ان محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابه والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش (وثانيها) ان المعنى لا يكذبونك بحجة ولا يتمكنون من ابطال ما جئت به ببرهان ويدل عليه ما روي عن علي (ع) إنه كان يقرأ لا يكذبونك ويقول ان المراد بها أنهم لا يأتون بحق هو أحق من حقك (وثالثها) ان المراد لا يصادفونك كاذباً تقول العرب قاتلناكم فما أجبناكم أي ما أصبناكم جبناء قال الأعشى :

أَثْوَى وَقْصَرٍ لَيْلَةٍ لِسُرُودَا فَمَضَى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةٍ مَوْعِدًا^(١)

أراد صادف منها خلف الوعد وقال ذو الرمة

(١) أثوى المكان : اقام ، وقتيلة : امرأة وقوله فمضى الضمير فيه يعود الى العاشق وفي اللسان « فمضت » اي مضت الليلة .

تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَّتِهَا وَوَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ افْتَسَقَ ثُمَّ زَالًا^(١)

أي وجد فتقاً من السحاب ولا يختص هذا الوجه بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت هو الأصل فيه ثم يشدد تأكيداً مثل أكرمت وكرّمت وأعظمت وعظّمت إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه (ورابعها) أن المراد لا ينسبونك إلى الكذب فيما أتيت به لأنك كنت عندهم أميناً صدوقاً وإنما يدفعون ما أتيت به ويقصدون التكذيب بآيات الله ويقوّي هذا الوجه قوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وما روي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ ما نتهمك ولا نكذبك ولكننا نتهم الذي جئت به ونكذبه (وخامسها) أن المراد أنهم لا يكذبونك بل يكذبونني فإن تكذيبك راجع إلي ولست مختصاً به لأنك رسول الله فمن ردّ عليك فقد ردّ علي ومن كذبك فقد كذّبني وذلك تسليّة منه سبحانه للنبي ﷺ وقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أي بالقرآن والمعجزات يجحدون بغير حجة سفهاً وجهلاً وعناداً ودخلت الباء في بآيات الله والجحد يتعدّى بغير الجار والمجرور لأن معناه هنا التكذيب أي يكذبون بآيات الله وقال أبو علي الباء تتعلق بالظالمين والمعنى ولكن الظالمين يرد آيات الله أو إنكار آيات الله يجحدون ما عرفوه من صدقك وأمانتك ومثله قوله سبحانه وآتينا ثمود الناقة مضرة فظلموا بها أي ظلموا بردها أو الكفر بها ثم زاد سبحانه في تسليّة نبيه ﷺ بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا أي صبروا على ما نالهم منهم من التكذيب والأذى في أداء الرسالة (حتى أتاهم) جاءهم (نصرنا) إياهم على المكذبين وهذا أمر منه سبحانه لنبيه ﷺ بالصبر على كفار قومه إلى أن يأتيه النصر كما صبرت الأنبياء (ولا مبدل لكلمات الله) معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ولا على إخلاف وعده وإن ما أخبر الله به أن يفعل بالكفار فلا بد من كونه لا محالة وما وعدك به من نصره فلا بد من حصوله لأنه لا يجوز الكذب في إخباره ولا الخلف في وعده وقال الكلبي وعكرمة يعني بكلمات الله الآيات التي وعد فيها نصر الأنبياء نحو قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقوله انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبي المرسلين) أي خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ونصرناهم على قومهم قال الأخفش من هاهنا صلة مزيدة كما تقول اصابنا من مطر أي مطر

(١) اللبة : موضع القلادة من الصدر . وقرن الشمس : أول ما يبدو منها .

وقال غيره من النحويين لا يجوز ذلك لأن من لا تزداد في الإيجاب وإنما تزداد في النفي ومن هنا للتبعيض وفاعل جاء مضمراً يدل المذكور عليه وتقديره ولقد جاءك من نبي المرسلين نبأ فيكون المعنى أنه أخبره عليه وآله السلام ببعض أخبارهم على حسب ما علم من المصالح ويؤيد ذلك قوله ومنهم من لم نقصص عليك .

﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ
 اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ
 بِغَايَةِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْجَاهِلِينَ ﴾ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى
 يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
 مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

[اللغة] النفق سرب في الأرض له مخلص إلى مكان آخر وأصله الخروج ومنه المنافق لخروجه من الإيمان إلى الكفر ومنه النفقة لخروجها من اليد والسلم الدرج وهو مأخوذ من السلامة قال الزجاج لأنه الذي يسلمك إلى مصعدك والاستجابة من الجوب وهو القطع وهل عندك جائبة خبر أي تجوب البلاد والفرق بين يستجيب ويجيب أن يستجيب فيه قبول لما دعي إليه وليس كذلك يجيب لأنه يجوز أن يجيب بالمخالفة كما أن السائل يقول أتوافق في هذا المذهب أم تخالف فيقول المجيب أخالف عن علي بن عيسى وقيل إن أجاب واستجاب بمعنى .

[الإعراب] جواب إن محذوف وتقديره إن استطعت ذلك فافعل قال الفراء وإنما تفعله العرب في كل موضع يعرف فيه معنى الجواب ألا ترى أنك تقول للرجل إن استطعت

أن تتصدق إن رأيت أن تقوم مَعَنَا فترك الجواب للمعرفة به فإذا قلت إن تقم تصب خيراً فلا بد من الجواب لأن معناه لا يعرف إذا طرح الجواب .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سبحانه أن هؤلاء الكفار لا يؤمنون فقال مخاطباً لَنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ وَإِنْ كَانَ كِبَرَ ﴾ أي عظم واشتد ﴿ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ وانصرافهم عن الإيمان وقبول دينك وامتناعهم من اتباعك وتصديقك ﴿ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ ﴾ أي قدرت وتعباً لك ﴿ أَنْ تَبْتَغِيَ ﴾ أي تطلب وتتخذ ﴿ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ ﴾ أي سرباً ومسكناً في جوف الأرض ﴿ أَوْ سُلماً ﴾ أي مصعداً ﴿ فِي السَّمَاءِ ﴾ ودرجاً ﴿ فَتَأْتِيهِمْ بَأْيَةً ﴾ أي حجة تلجئهم إلى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ذلك وقيل فتأتيهم بآية أفضل مما آتيناهم به فافعل عن ابن عباس يريد لا آية أفضل وأظهر من ذلك ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى ﴾ بالإلجاء وإنما أخبر عز اسمه عن كمال قدرته وأنه لو شاء لألجأهم إلى الإيمان ولم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض بالتكليف وليس في الآية أنه سبحانه لا يشاء منهم أن يؤمنوا مختارين أو لا يشاء أن يفعل ما يؤمنون عنده مختارين وإنما نفى المشيئة لما يلجئهم إلى الإيمان ليتبين أن الكفار لم يغلبوه بكفرهم فإنه لو أراد أن يحول بينهم وبين الكفر لفعل لكنه يريد أن يكون إيمانهم على الوجه الذي يستحق به الثواب ولا ينافي التكليف ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ قيل معناه فلا تجزع في مواطن الصبر فيقارب حالك حال الجاهلين بأن تسلك سبيلهم عن الجبائي وقيل إن هذا نفى للجهل عنه أي لا تكن جاهلاً بعد أن أُنَاكَ العلم بأحوالهم وأنهم لا يؤمنون والمراد فلا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان وغلظ الخطاب تبعيداً وزجراً عن هذه الحال ثُمَّ بَيَّنَّ سبحانه الوجه الذي لأجله لا يجتمع هؤلاء الكفار على الإيمان فقال ﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ ومعناه إنما يستجيب إلى الإيمان بالله وما أنزل إليك من يسمع كلامك ويُصغي إليك وإلى ما تقرأه عليه من القرآن ويتفكر في آياتك فإن من لم يتفكر ولم يستدل بالآيات بمنزلة من لم يسمع كما قيل :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

وقال الآخر « أَصَمَّ عَمَّا سَاءَ سَمِيعٌ » ﴿ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ﴾ يريد أن الذين لا يصغون إليك من هؤلاء الكفار ولا يتدبرون فيما تقرأ عليهم وتبينه لهم من الآيات والحجج بمنزلة الموتى فكما أُسْتُ أن تسمع الموتى كلامك إلى أن يبعثهم الله فكذلك فأيس من

هؤلاء أن يستجيبوا لك وتقديره إنما يستجيب المؤمن السامع للحق فأما الكافر فهو بمنزلة الميت فلا يجيب إلى أن يبعثه الله يوم القيامة فيلجئه إلى الإيمان وقيل معناه إنما يستجيب من كان قلبه حياً فأما من كان قلبه ميتاً فلا ثم وصف الموتى بأنه يبعثهم ويحكم فيهم ﴿ ثم إليه ﴾ أي إلى حكمه ﴿ يرجعون ﴾ وقيل معناه يبعثهم الله من القبور ثم يرجعون إلى موقف الحساب ثم عاد سبحانه إلى حكاية أقوال الكفار فقال عاطفاً على ما تقدم ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ﴾ هذا إخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا من معارضته فيما أتى به من القرآن اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسى وناقة ثمود فقال سبحانه في موضع آخر ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب ﴾ وقال ههنا ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إن الله قادر على أن ينزل آية ﴾ أي آية تجمعهم على هدى عن الزجاج وقيل آية كما يسألونها ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ ما في إنزالها من وجوب الاستئصال لهم إذا لم يؤمنوا عند نزولها وما في الاقتصار بهم على ما أوتوه من الآيات من المصلحة وقيل معناه ولكن أكثرهم لا يعلمون أن فيما أنزلنا من الآيات مقنعاً وكفاية لمن نظر وتدبر وقد اعترضت الملحدة على المسلمين بهذه الآية فقالوا أنها تدل على أن الله تعالى لم ينزل على محمد آية إذ لو نزلها لذكرها عند سؤال المشركين إياها فيقال لهم قد بينا أنهم التمسوا آية مخصوصة وتلك لم يؤتوها لأن المصلحة منعت عن إتيائها وقد أنزل الآيات الدالة على نبوته من القرآن وآياتهم من المعجزات الباهرة التي شاهدوها ما لو نظروا فيها أو في بعضها حق النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته وقد بين في آية أخرى أنه لو أنزل عليهم ما التمسوه لم يؤمنوا فقال ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة ﴾ إلى قوله ﴿ ما كانوا ليؤمنوا ﴾ وفي موضع آخر ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله ﴾ يعني في قدرة الله ينزل منها ما يشاء ويسقط ما اعترضوا به .

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْرٌ فِي
الْظُلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾

[اللغة] الدابة كل ما يدب من الحيوان وأصله الصفة من دب يدب ديباً إذا مشى مشياً فيه تقارب خطو والدبوب والدبب النمام وفي الحديث لا يدخل الجنة ديبوب ولا قلاع فالديبوب النمام لأنه يدب بالنميمة والقلاع الواشي بالرجل ليقتلعه قال الأزهري تصغير الدابة دويبة الباء مخففة وفيها اشمام الكسر وفي الحديث أبتكن صاحبة الجمل الأدب تنبأها كلاب الحواب^(١) أراد الأدب فأظهر التضعيف وهو الكثير الوبر وقد دب يدب ديباً والجناح إحدى ناحيتي الطير اللتين يتمكن بهما من الطيران في الهواء وأصله الميل إلى ناحية .

[الإعراب] من مزيدة وتأويله وما دابة ويجوز في غير القرآن ولا طائر بالرفع عطفاً على موضع من دابة وقوله ﴿ من شيء ﴾ من زائدة أيضاً وتفيد التعميم أي ما فرطنا شيئاً ما وصم وبكم كلاهما خبر الذين كقولهم هذا حلوا حامض ودخول الواو لا يمنع من ذلك فإنه بمنزلة قولك صم بكم .

+ [المعنى] لما بين سبحانه أنه قادر على أن ينزل آية عقبه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته فقال ﴿ وما من دابة في الأرض ﴾ أي ما من حيوان يمشي على وجه الأرض ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ جمع بهذين اللفظين جميع الحيوانات لأنها لا تخلو إما أن تكون مما يطير بجناحيه أو يدب ومما يسأل عنه أن يقال لم قال يطير بجناحيه وقد علم أن الطير لا يطير إلا بالجناح فالجواب أن هذا إنما جاء للتوكيد ورفع اللبس لأن القائل قد يقول طر في حاجتي أي أسرع فيها وقال الشاعر :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ طَارُوا إِلَيْهِ زُرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا^(٢)

وأنشد سيبويه :

فَطَرْتُ بِمُنْصُلِي فِي يَعْمَلَاتٍ وَدَوَامِي الْأَيْدِ يَخْبِطُنَ السَّرِيحَا^(٣)

وقيل إنما قال بجناحيه لأن السمك تطير في الماء ولا أجنحة لها وإنما خرج السمك

(١) الحواب : منزل بين مكة والبصرة وهو الذي نزلت فيه عائشة لما جاءت إلى البصرة في وقعة الجمل فنبحتها كلابه .

(٢) الزرافات : الجماعات .

(٣) المنصل : السيف . يعملات جمع اليعملة : الناقة النجيبة المطبوعة على العمل والدوامي جمع الدامية : التي تسيل دمها . والخبط في الدواب : الضرب بالأيدي دون الأرجل . والسريح : جلود تشدد على أخفاف النوق .

عن الطائر لأنه من دواب البحر وإنما أراد سبحانه ما في الأرض وما في الجو ﴿إلا أمم﴾ أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها يشتمل كل صنف على العدد الكثير عن مجاهد ﴿أمثالكم﴾ قيل أنه يريد أشباهكم في إبداع الله إياها وخلقه لها ودلالته على أن لها صناعاً وقيل إنما مثلت الأمم عن غير الناس بالناس في الحاجة إلى مدبر يدبرهم في أغذيتهم وأكلهم ولباسهم ونومهم ويقظتهم وهدايتهم إلى مرشدهم إلى ما لا يحصى كثرة من أحوالهم ومصالحهم وأنهم يموتون ويحشرون ويؤمن بهذه الآية أنه لا يجوز للعباد أن يتعدوا في ظلم شيء منها فإن الله خالقها والمنتصف لها ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ أي ما تركنا وقيل معناه ما قصرنا واختلف في معنى الكتاب على أقوال (أحدها) إنه يريد بالكتاب القرآن لأنه ذكر جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين والدنيا إما مجملاً وإما مفصلاً والمجمل قد بيّنه على لسان نبيه ﷺ وأمرنا باتباعه في قوله ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وهذا مثل قوله تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ ويروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال مالي لا ألعن من لعنه الله في كتابه يعني الواشمة والمستوشمة والواصلة والمستوصلة فقرأت المرأة التي سمعت ذلك منه جميع القرآن ثم أتته وقالت يا ابن أم عبد تلوت البارحة ما بين اندفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة فقال لو تلوتيه لوجدت فيه لعن الله تعالى ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وإن مما أتانا رسول الله أن قال لعن الله الواشمة والمستوشمة وهو قول أكثر المفسرين وهذا القول اختيار البلخي (وثانيها) أن المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو عند الله عز وجل المشتمل على ما كان ويكون وهو اللوح المحفوظ وفيه آجال الحيوان وأرزاقه وآثاره ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالإحصاء والاستقصاء عن الحسن (وثالثها) أن المراد بالكتاب الأجل أي ما تركنا شيئاً إلا وقد أوحينا له أجلاً ثم يحشرون جميعاً عن أبي مسلم وهذا الوجه بعيد ﴿ثم إلى ربهم يحشرون﴾ معناه يحشرون إلى الله بعد موتهم يوم القيامة كما يحشر العباد فيعوض الله تعالى ما يستحق العوض منها ويتنصف لبعضها من بعض وفيما رواه عن أبي هريرة أنه قال يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجماء^(١) من القرناء ثم يقول كوني تراباً فلذلك يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً وعن أبي ذر قال بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ انتطحت عنزان^(٢) فقال النبي ﷺ أتدرون فيما انتطحا فقالوا لا ندري قال لكن الله يدري

(١) الجماء : التي لا قرن لها .

(٢) انتطح الكباشان : نطح أحدهما الآخر أي أصابه بقرنه .

وسيقضي بينهما وعلى هذا فإنما جعلت أمثالنا في الحشر والاقتصاص واختاره الزجاج فقال
يعني أمثالكم في أنهم يبعثون ويؤيده قوله ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ ومعنى إلى ربهم إلى
حيث لا يملك النفع والضر إلا الله سبحانه إذ لم يمكن منه كما يمكن في الدنيا واستدلت
جماعة من أهل التناسخ بهذه الآية على أن البهائم والطيور مكلفة لقوله ﴿ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾
وهذا باطل لأننا قد بينا أنها من أي وجه تكون أمثالنا ولو وجب حمل ذلك على العموم لوجب
أن تكون أمثالنا في كونها على مثل صورنا وهيأتنا وخلقتنا وأخلاقنا وكيف يصح تكليف
البهائم وهي غير عاقلة والتكليف لا يصح إلا مع كمال العقل ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ أي
بالقرآن وقيل بسائر الحجج والبيّنات ﴿ صَمٌّ وَبُكْمٌ ﴾ قد بينا معناهما في سورة البقرة ﴿ فِي
الظُّلُمَاتِ ﴾ أي في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون إلى شيء من منافع الدين وقيل أراد
صم وبكم في الظلمات في الآخرة على الحقيقة عقاباً لهم على كفرهم لأنه ذكرهم عند ذكر
الحشر عن أبي علي الجبائي ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ ﴾ هذا مجمل قد بينه في قوله ﴿ وَمَا يُضِلُّ
بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مِنْ اتِّبَاعِ رِضْوَانِهِ
سَبِيلَ السَّلَامِ ﴾ والمعنى من يشأ الله يخذله بأن يمنعه الطافه وفوائده وذلك إذا واطر عليه الأدلة
وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينعم النظر فيها ويجوز أن يريد من يشأ الله اضلاله عن
طريق الجنة ونيل ثوابها يضلله عنه ﴿ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ أي ومن يشأ أن
يرحمه ويهديه إلى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون إلى الجنة .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ ﴾

أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ

مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة أرايتكم وأرايت وأشباه ذلك بتخفيف الهمزة كل
القرآن وقرأ الكسائي وحده أرايتكم وأرايت وأرايت كل القرآن بترك الهمزة وقرأ الباقون بالهمز
في الجميع كل القرآن .

[الحجة] قال أبو علي من حقق الهمزة فوجه قراءته بَيِّن لأنه فعلت من الرؤية فالهمزة

عين الفعل ومن قرأ باللف في كل القرآن من غير همز على مقدار ذوق الهمزة فإنه يجعل الهمزة بين بين أي بين الألف والهمزة وأما الكسائي فإنه حذف الهمزة حذفاً إلا ترى أن التخفيف القياسي فيها أن تجعل بين بين وهذا حذف الهمزة كما قالوا وَيَلْمِيهِ^(١) وكما أنشد أحمد بن يحيى (إِذْ لَمْ أَقَاتِلْ فَالْبُسُونِي بَرْقَعاً)^(٢) وكقول أبي الأسود «يَا بَا الْمُغْيِرَةِ رَبُّ أَمْرِ مُغْضَلٍ» ومما جاء على ذلك قول الآخر :

أُرَيْتَ إِنْ جِئْتَ بِهِ أُمْلُوداً مُرَجَّلاً وَيَلْسُ الْبُرُوداً^(٣)
ومما يقوي ذلك قول الشاعر :

وَمَنْ رَى مِثْلَ مَعْدَانِ بْنِ لَيْلَى إِذَا مَا النِّسْعُ طَالَ عَلَى الْمَطِيَّةِ^(٤)

[الإعراب] أرايتكم الكاف فيه للخطاب مجرداً ومعنى الإسم مخلوع عنه لأنه لو كان اسماً لوجب أن يكون الإسم الذي بعده في قوله أرايتكم هذا الذي كُرمت عليّ وأرايتكم زيدا ما صنع هو الكاف في المعنى لأن رأيت يتعدى إلى مفعولين يكون الأول منهما هو الثاني في المعنى وقد علمنا أنه ليس الكاف في المعنى وإذا لم يكن اسماً كان حرفاً للخطاب مجرداً من معنى الاسم كالکاف في ذلك وهتالك وكالتاء في أئت وإذا ثبت أنه للخطاب فالتاء في أرايت لا يجوز أن يكون للخطاب لأنه لا يجوز أن يلحق الكلمة علامتان للخطاب كما لا يلحقها علامتان للتأنيث ولا علامتان للاستفهام فلما لم يجز ذلك أفردت التاء في جميع الأحوال لما كان الفعل لا بد له من فاعل وجعل في جميع الأحوال على لفظ واحد لأن ما يلحق الكاف من معنى الخطاب يبين الفاعلين فيخصص التأنيث من التذكير والتثنية من الجمع ولو لحق علامة التأنيث والجمع التاء لاجتمعت علامتان للخطاب ما يلحق التاء وما يلحق الكاف فكان يؤدي إلى ما لا نظير له فرفض وهذا من كلام أبي علي الفارسي وجواب إن من قوله ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ الفعل الذي دخل عليه حرف الاستفهام كما نقول إن أتاك زيد أتكرمه وموضع إن وجوابه نصب لأنه في موضع مفعولي رأيت وقوله ﴿إِنْ كُنْتُمْ

(١) مخفف ويل أمه .

(٢) والشاهد في حذف همزة فالبسوني .

(٣) الأملود : الناعم اللين . والمرجل : الذي شعره بين الجعودة والبسطة . والبرود جمع البرد بالضم .

(٤) النسع بالكسر : سبر أو حبل عريض طويل تشد به الرحال .

صادقين ﴿ جوابه محذوف يدل عليه قوله ﴿ أرأيتم ﴾ لأنه في معنى أخبروا فكأنه قال إن كنتم صادقين فأخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيه بمحاجة الكفار فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ أرأيتم إن أتاكم عذاب الله ﴾ في الدنيا كما نزل بالأمم قبلكم مثل عاد وثمود ﴿ أو أتتكم الساعة ﴾ أي القيامة قال الزجاج الساعة اسم للوقت الذي يصعق فيه العباد واسم للوقت الذي يبعث فيه العباد والمعنى أو أتتكم الساعة التي وعدتم فيها بالبعث والفناء لأن قبل البعث يموت الخلق كلهم ﴿ أغير الله تدعون ﴾ أي أتدعون فيها لكشف ذلك عنكم هذه الأوثان التي تعلمون أنها لا تقدر أن تنفع أنفسها ولا غيرها أو تدعون الله الذي هو خالقكم ومالككم لكشف ذلك عنكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في أن هذه الأوثان آلهة لكم احتج سبحانه عليهم بما لا يدفعونه لأنهم كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله ثم قال ﴿ بل إياه تدعون ﴾ ويل استدراك وإيجاب بعد نفي أعلمهم الله تعالى أنهم إذا لحقتهم الشدائد في البحار والبراري والقفار يتضرعون إليه ويقبلون عليه والمعنى لا تدعون غيره بل تدعونه ﴿ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء ﴾ أي يكشف الضر الذي من أجله دعوتهم إن شاء أن يكشفه ﴿ وتنسون ما تشركون ﴾ أي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله لأنه ليس عندهم ضرر ولا نفع عن ابن عباس ويكون العائد إلى الموصول محذوفاً للعلم على تقدير ما تشركون به وقيل معناه إنكم في ترككم دعاءهم بمنزلة من قد نسيهم عن الزجاج وهو قول الحسن لأنه قال تعرضون عنه اعراض الناسي أي للناس في النجاة من مثله ويجوز أن يكون ما مع تشركون بمنزلة المصدر فيكون بمنزلة وتنسون شرككم .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ

أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ
يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا

أَخَذْنَهُمْ بِغْتَةٍ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه ابن عامر إلا قوله ولو فتحنا عليهم بابا وحتى إذا فتحنا عليهم باباً فإنه خففهما ووافقه يعقوب في القمر وقرأ الباقيون في جميع ذلك بالتخفيف إلا مواضع قد اختلفوا فيها سنذكرها إن شاء الله إذا بلغنا إلى مواضعها .

[الحجة] من ثقل أراد التكثير والمبالغة ومن خفف لم يرد ذلك .

[اللغة] البأساء من البأس والخوف والضراء من الضر وقد يكون البأساء من البؤس، والتضرع التذلل يقال ضرع فلان لفلان إذا بضع له وسأله أن يعطيه والمبلس الشديد الحسرة وقال الفراء المبلس المنقطع الحجة قال رؤية :

وَحَضَرَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوُجُوهِ صُفْرَةٌ وَإِلَاسٌ

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

دابِر القوم الذي يذبرهم ويذبرهم لغتان وهو الذي يتلوهم من خلفهم ويأتي على أعقابهم وأنشد :

أَلِ الْمُهَلَّبِ جَزَّ اللَّهُ دَابِرَهُمْ أَضْحَوْا رِمَاداً فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفَ

وقال الأصمعي الدابر الأصل يقال قطع الله دابره أي أصله وأنشد :

فَدَيْ لَكُمْ رَجُلِي وَرَجُلِي وَنَاقَتِي غَدَاةَ الْكِلَابِ إِذْ تُجَزُّ الدَّوَابِرُ

أي يقتل القوم فتذهب أصولهم فلا يبقى لهم أثر وقال غيره دابر الأمر آخره وروي عن عبد الله أنه قال من الناس من لا يأتي الصلاة ألا دبريا بضم الدال يعني في آخر الوقت كذا يقول أصحاب الحديث قال أبو زيد الصواب دبريا بفتح الدال والباء .

[الإعراب] لولا للتحضيض ولا يدخل إلا على الفعل ومعناه هلاً تضرعوا ولكن قست قلوبهم معطوف على تأويل الكلام الأول فإن في قوله ﴿ هلا تضرعوا ﴾ دلالة على أنهم لم يتضرعوا وقوله ﴿ بغتة ﴾ مصدر وقع موقع الحال أي أخذناهم مباغتتين .

[المعنى] ثُمَّ أَعْلَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهٗ حَالِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فِي مَخَالَفَةِ رِسْلِهِ وَبَيَّنَّ أَنَّ حَالِ هَؤُلَاءِ إِذَا سَلَكَوا طَرِيقَ الْمَخَالَفَةِ كَحَالِهِمْ فِي نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ فَقَالَ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ وَهَاهُنَا مَحْذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ رِسَالًا ﴿ إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ فَخَالَفُوهُمْ ﴿ فَأَخَذْنَاهُمْ ﴾ وَحَسَنَ الْحَذْفُ لِلْإِجْزَازِ بِهِ وَالِاخْتِصَارُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ لِدَلَالَةِ مَفْهُومِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ ﴿ بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ ﴾ يَرِيدُ بِهِ الْفَقْرَ وَالْبُؤْسَ وَالْإِسْقَامَ وَالْأَوْجَاعَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ وَمَعْنَاهُ لِكَيْ يَتَضَرَّعُوا وَقَالَ الزَّجَّاجُ لَعَلَّ تَرْجَ وَهَذَا التَّرْجِيُّ لِلْعِبَادِ ، الْمَعْنَى فَأَخَذْنَاهُمْ بِذَلِكَ لِيَكُونَ مَا يَرْجُوهُ الْعِبَادُ مِنْهُمْ مِنَ التَّضَرُّعِ كَمَا قَالَ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى قَالَ سَيَبُورِيهِ الْمَعْنَى إِذْ هَبَا أَنْتَمَا عَلَى رَجَائِكُمَا فَاللَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَ الرِّسْلَ إِلَى أَقْوَامٍ بَلَغُوا مِنَ الْقَسْوَةِ إِلَى أَنْ أَخَذُوا بِالشَّدَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لِيَخْضَعُوا وَيَذَلُّوا لِأَمْرِ اللَّهِ فَلَمْ يَخْضَعُوا وَلَمْ يَتَضَرَّعُوا وَهَذَا كَالْتَسْلِيَةِ لِلنَّبِيِّ (ﷺ) ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾ مَعْنَاهُ فَهَلَّا تَضَرَّعُوا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا ﴿ وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فَأَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ فَلَمْ تَنْجَعْ فِيهِمْ الْعِظَةُ ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ بِالْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْرَاءِ بِالْمَعْصِيَةِ لَمَّا فِيهَا مِنْ عَاجِلِ اللَّذَّةِ ﴿ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يَعْنِي أَعْمَالَهُمْ وَفِي هَذَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَرُدَّ مِنَ الْكَافِرِينَ الْإِيمَانَ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ لِيَتَضَرَّعُوا وَبَيَّنَّ أَنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ الَّذِي زَيْنَ الْكُفْرَ لِلْكَافِرِ بِخِلَافِ مَا قَالَتْهُ الْمَجْبُورَةُ مِنْ أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَزِينُ لَهُمْ ذَلِكَ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أَي تَرَكُوا مَا وَعَظُوا بِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَتَأْوِيلُهُ تَرَكُوا الْعَمَلَ بِذَلِكَ وَقِيلَ تَرَكُوا مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ الرِّسْلُ عَنْ مِقَاتِلٍ ﴿ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أَي كُلَّ نِعْمَةٍ وَبَرَكَةٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ أَبْوَابُ كُلِّ شَيْءٍ كَانَ مَغْلَقًا عَنْهُمْ مِنَ الْخَيْرِ عَنْ مِقَاتِلٍ وَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى امْتَحَنَهُمْ بِالشَّدَائِدِ لِكَيْ يَتَضَرَّعُوا وَيَتُوبُوا فَلَمَّا تَرَكُوا ذَلِكَ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ النِّعَمِ وَالتَّوَسُّعِ فِي الرِّزْقِ لِيَرْغَبُوا بِذَلِكَ فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ وَإِنْ كَانَ الْمَوْضِعُ مَوْضِعَ الْعُقُوبَةِ وَالْإِنْتِقَامِ دُونَ الْإِكْرَامِ وَالْإِنْعَامِ لِيَدْعُوهُمْ ذَلِكَ إِلَى الطَّاعَةِ فَإِنَّ الدَّعَاءَ إِلَى الطَّاعَةِ يَكُونُ تَارَةً بِالْعَنْفِ وَتَارَةً بِاللُّطْفِ أَوْ لِتَشْدِيدِ الْعُقُوبَةِ عَلَيْهِمْ بِالنَّقْلِ مِنَ النِّعَمِ إِلَى الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا ﴾ مِنَ النِّعَمِ وَاشْتَغَلُوا بِالتَّلَذُّذِ وَأَظْهَرُوا السُّرُورَ بِمَا أَعْطَوْهُ وَلَمْ يَرَوْهُ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَشْكُرُوهُ ﴿ أَخَذْنَاهُمْ ﴾ أَي أَحْلَلْنَا بِهِمُ الْعُقُوبَةَ ﴿ بَغْتَةً ﴾ أَي مَفَاجَأَةً مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ فَإِذَا هُمْ مَبْلسُونَ ﴾ أَي آيِسُونَ مِنَ النِّجَاةِ وَالرَّحْمَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ أَذَلَّةٌ خَاضِعُونَ عَنِ الْبُلْخِيِّ وَقِيلَ مَتَحِيرُونَ مَنْقَطَعُونَ الْحُجَّةَ ، وَالْمَعَانِي مُتَقَارِبَةٌ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﴿ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ التَّكْثِيرُ وَالتَّفْخِيمُ دُونَ

التعميم وهو مثل قوله وأوتيت من كل شيء والمراد فتحنا عليهم أبواب أشياء كثيرة وآتيناهم خيراً كثيراً وروى عن النبي (ﷺ) أنه قال إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك إستدراج منه ثم تلا هذه الآية، ونحوه ما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره ﴿فقطّع دابر القوم الذين ظلموا﴾ معناه فاستؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبق لهم عقب ولا نسل ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على أهلاك أعدائه وأعداء كلمة رسله ، حمد الله تعالى نفسه بأن استأصل شأفتهم^(١) وقطع دابرهم لأنه سبحانه أرسل إليهم وأنظرهم بعد كفرهم وأخذهم بالبأساء والضراء واختبرهم بالمحنة والبلاء ثم بالنعمة والرخاء وبألغ في الإنذار والإمهال والأنظار فهو المحمود على كل حال وفي هذا تعليم للمؤمنين ليحمدوا الله تعالى على كفايته إياهم شرّ الظالمين ودلالة على أن هلاكهم نعمة من الله تعالى يجب حمده عليها وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المقرئ عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله (ع) قال سألت عن الورع فقال الورع هو الذي يتورع عن محارم الله ويجتنب هؤلاء وإذا لم يتق الشبهات وقع في الحرام وهو لا يعرفه وإذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقدر عليه فقد أحب أن يعصى الله ومن أحب أن يعصى الله فقد بارز الله بالعداوة ومن أحب بقاء الظالمين فقد أحب أن يعصى الله وأن الله حمد نفسه على إهلاك الظالمين فقال فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ

(١) استأصل شأفته : أزاله من أصله .

فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

[اللغة] صدف عن الشيء صدوفاً إذا مال عنه والصدف والصدفة الجانب والناحية والصدف كل بناء مرتفع وفي الحديث كان (ﷺ) إذا مر بصدف مائل أسرع المشي .

[الإعراب] من إله مبتدأ وخبر وغير صفة إله وهذه الجملة في موضع مفعولي رأيتم ومن استفهام علق الفعل الذي هو رأيتم فلم يعمل في مفعولي لفظاً وقوله ﴿ إن أخذ الله سمعكم ﴾ جوابه محذوف وتقديره فمن يأتيكم به إلا أنه أغنى عنه قوله ﴿ من إله غير الله يأتيكم به ﴾ الذي هو مفعول رأيتم في المعنى وموضع الشرط وجوابه نصب على الحال كما تقول لأضربه إن ذهب أو مكث فإن قولك إن ذهب أو مكث وقع موقع ذاهباً أو ماكثاً وتقديره مقدراً ذهابه أو مكثه ويدل على أنه في موضع الحال مشابهته المفرد في أنه لا يستقل بنفسه كما تستقل الجمل وإن كان جملة في المعنى فإنه بدخول حرف الشرط قد صار بمنزلة المفرد في الحاجة إلى ما يستند إليه كما احتاج المفرد ويدل على قوة إتصاله بما قبله حاجته إلى ما قبله كما احتاج ما وقع موقعه إلى ما قبله وليس شيء من الفضلات يقع الجملة موقعه غير الحال فثبت أنه في موضع منصوب هو حال فإن قيل إن الجزء مقدّر والشرط المذكور في اللفظ مع الجزء كلام مستقل وإنما كان هذا الاستدلال يسوغ لو كان الجزء غير مقدّر قيل الجزء وإن كان مقدراً لا حكم له لأنه لا يجوز إظهاره وإنما هو شيء يثبت من جهة التقدير فضعف أمره ولو جاز إظهاره لكان في موضع الحال وهذا مأخوذ من كلام أبي علي الفارسي ذكره في القصریات مع كلام كثير في معناه قد دقق فيه ولم يسبق إليه وقوله ﴿ يأتيكم ﴾ به في موضع رفع بأنه صفة إله .

[المعنى] ثم زاد سبحانه في الاحتجاج عليهم فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ رأيتم أن أخذ الله سمعكم وأبصاركم ﴾ أي ذهب بهما فصيرتم صمّاً وعمياً ﴿ وختم على قلوبكم ﴾ أي طبع عليها وقيل ذهب بعقولكم وسلب عنكم التمييز حتى لا تفهمون شيئاً وإنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة ديناً ودنيا ﴿ من إله غير الله يأتيكم به ﴾ قال الزجاج هذه الهاء تعود إلى معنى الفعل ، المعنى من إله غير الله يأتيكم بما أخذ منكم قال

ويجوز أن يكون عائداً إلى السمع ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة معه إذا كان معطوفاً عليه قال ابن عباس يريد لا يقدر هؤلاء الذين يعبدون أن يجعلوا لكم أسماعاً وأبصاراً وقلوباً تعقلون بها وتفهمون أي إن أخذها الله منكم فمن ردّها عليكم بين سبحانه بهذا أنه كما لا يقدر على ذلك غير الله فكذلك يجب أن لا تعبدوا سواه ﴿ أنظر كيف نصرف الآيات ﴾ أي نبين لهم في القرآن الآيات عن الكلبي وقيل تصريف الآيات توجيهها في الجهات التي يظهرها أتم الإظهار ومرة في جهة النعمة ومرة في جهة الشدة وقيل تصريف الآيات إحداثها دالة على وجوه كما أن الآية المعجزة تدل على فاعلها وعلى قدرته وعلمه وعلى نبوة النبي (ﷺ) وصدقه ﴿ ثم هم ﴾ أي الكفار ﴿ يصدفون ﴾ أي يعرضون عن تأمل الآيات والفكر فيها وقيل أعراضهم عنها كفرهم بها وإنما قال أنظر لأنه تعالى عجب أولاً من تتابع نعمه عليهم وضروب دلائله من تصريف الآيات وأسباب الاعتبار ثم عجب ثانياً من أعراضهم عنها ثم زاد تعالى في الحجاج فقال ﴿ قل أرأيتم ﴾ أي أعلمتم ﴿ إن أتاكم عذاب الله ﴾ أي عذبكم الله بعد أعذاره عليكم وإرساله الرسل ﴿ بغتة ﴾ أي مفاجأة ﴿ أو جهرة ﴾ أي علانية وإنما قابل البغته بالجهرة لأن البغته تتضمن معنى الخفية لأنه يأتيهم من حيث لا يشعرون وقيل البغته أن يأتيهم ليلاً والجهرة أن يأتيهم نهاراً عن الحسن ﴿ هل يهلك ﴾ أي لا يهلك بهذا العذاب ﴿ إلا القوم الظالمون ﴾ أي الكافرون الذين يكفرون بالله ويفسدون في الأرض وقيل أنهم كانوا يستدعون العذاب فيبين أنه إذا نزل لا يهلك به إلا الكافرون فإن هلك فيه مؤمن أو طفل فإنما يهلك محنة ويعوّضه الله على ذلك أعواضاً كثيرة يصغر ذلك في جنبها والمراد بذلك عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة ثم بين سبحانه أنه لا يبعث الرسل أرباباً يقدرّون على كل شيء يسألون عنه من الآيات وإنما يرسلهم لما يعلمه من المصالح فقال ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ ثم ذكر ثواب من صدّقهم في باقي الآية وعقاب من كذبهم في الآية الثانية فقال ﴿ فمن آمن ﴾ أي صدّق الرسل ﴿ وأصلح ﴾ أي عمل صالحاً في الدنيا ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ في الآخرة ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ كما يحزن أهل النار وقيل لا يحزنون على ما خلفوا وراءهم في الدنيا ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي أدلتنا وحججنا وقيل بمحمد (ﷺ) ومعجزاته ﴿ يمسه العذاب ﴾ يصيبهم العذاب يوم القيامة ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ أي بفسقهم وخروجهم عن الإيمان .

﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي

خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ۖ إِنَّا نَزَّلْنَاهُ
 إِلَّا مَا يُوحَىٰ ۚ إِلَىٰ قُلُوبِ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ أَفَلَا
 تَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٥﴾

- [اللغة] الخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء وتخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الأيدي ومنه خزن اللحم خزنًا إذا تغير لأنه يخبأ حتى ينتن .
- [المعنى] ثم أمر النبي (ﷺ) أن يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه اني لا ادعي الربوبية وإنما ادعي النبوة فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لا أقول لكم ﴾ أيها الناس ﴿ عندي خزائن الله ﴾ يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس وقيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي وقيل أرزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعاً في المال ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ الذي يختص الله بعلمه وإنما أعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من أمر البعث والنشور والجنة والنار وغير ذلك وقيل عاقبة ما تصيرون إليه عن ابن عباس ﴿ ولا أقول لكم إِنِّي مَلَكٌ ﴾ لأنني إنسان تعرفون نسبي يريد لا أقدر على ما يقدر عليه الملك وقد استدلل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء وهذا بعيد لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له ههنا وإنما المراد لا أقول لكم أني ملك فأشاهد من أمر الله وغيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة ﴿ أن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ يريد ما أخبركم إلا بما أنزله الله إليّ عن ابن عباس وقال الزجاج أي ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى وفيما سيكون فهو بوحى من الله عز وجل ثم أمره سبحانه فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ هل يستوي الأعمى والبصير ﴾ أي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه والجاهل به وبدينه فجعل الأعمى مثلاً للجاهل والبصير مثلاً للعارف بالله وبنبيه وهذا قول الحسن واختاره الجبائي وفي تفسير أهل البيت هل يستوي من يعلم ومن لا يعلم وقيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه واعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة والعبودية لخالفه ومن ذهب عن البيان وعمي عن الحق عن البلخي ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ فتنصفوا من أنفسكم وتعملوا بالواجب عليكم من الإقرار بالتوحيد ونفي التشبيه وهذا استفهام يراد به الإخبار يعني إنهما لا يستويان .

﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا ۖ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ

لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

[الإعراب] الهاء في به يعود إلى ما من قوله ما يوحى إلي وليس مع اسمه وخبره في موضع نصب على الحال من يخافون كأنه قيل متخلين من ولي وشفيع .

[المعنى] ثم أمر سبحانه بعد تقديم البيّنات بالإنذار فقال ﴿ وانذر ﴾ أي عِظْ وَخَوْفٌ ﴿ به ﴾ أي بالقرآن عن ابن عباس وقيل بالله عن الضحاك ﴿ الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ يريد المؤمنين يخافون يوم القيامة وما فيها من شدة الأهوال عن ابن عباس والحسن وقيل معناه يعلمون عن الضحاك وقيل يخافون أن يحشروا علماً بأنه سيكون عن الفراء قال ولذلك فسره المفسرون يعلمون قال الزجاج المراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وإنما خص الذين يخافون الحشر دون غيرهم وهو ينذر جميع الخلق لأن الذين يخافون الحشر الحجة عليهم أوجب لاعترافهم بالمعاد وقال الصادق (ع) أنذر بالقرآن من يرجون الوصول إلى ربهم ترغيبهم فما عنده فإن القرآن شافعٌ مُشَفَّعٌ لهم ﴿ ليس لهم من دونه ﴾ أي غير الله ﴿ ولي ولا شفيع ﴾ عن الضحاك وقال الزجاج إن اليهود والنصارى ذكرت أنها أبناء الله وأحبّاءه فأعلم الله عز اسمه أن أهل الكفر ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وهذا الذي قاله ظاهر في أهل الكفر والمفسرون على أن الآية في المؤمنين ويكون معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع على أن شفاعَةَ الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون بإذن الله لقوله سبحانه من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه فذلك راجع إلى الله تعالى ﴿ لعلهم يتقون ﴾ كي يخافوا في الدنيا ويتنهدوا عما نهيتهم عنه عن ابن عباس .

﴿ وَلَا تَطْرُدْ

الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ

مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ

فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا

أَهْؤُلَاءِ مِمَّنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر بالغُدُوَّةِ والعَشِيِّ في كل القرآن بواو والباقون بالغداة بالالف .

[الحجة] قال أبو علي الوجه الغداة لأنها تستعمل نكرة وتتعرف باللام فأما غدوة فمعرفة لم تتنكر وهو عَلم صيغ له قال سيبويه غدوة وبكرة جعل كل واحد منهما اسماً للجنس كما جعلوا أم حُبَيْن اسماً لدابة معروفة قال وزعم يونس عن أبي عمرو وهو القياس إنك إذا قلت لقيته يوماً من الأيام غدوة أو بكرة وأنت تريد المعرفة لم تنون وهذا يقوي قراءة من قرأ بالغداة والعشي ووجه قراءة ابن عامر أن سيبويه قال زعم الخليل أنه يجوز أن تقول أتيتك اليوم غدوة وبكرة فجعلهما بمنزلة ضحوة ومن حجته أن بعض أسماء الزمان جاء معرفة بغير ألف ولام نحو ما حكاه أبو زيد من قولهم لقيته فَيَنَةً^(١) غير مصروف والفينة بعد الفينة فالحق لام المعرفة ما استعمل معرفة ووجه ذلك أنه يقدر فيه التنكير والشياع كما يقدر فيه ذلك إذا ثنى وذلك مستمر في جميع هذا الضرب من المعارف ومثل ذلك ما حكاه سيبويه من قول العرب هذا يوم إثنين مباركاً وأتيتك يوم إثنين مباركاً فجاء معرفة بلا ألف ولام كما جاء بالالف واللام ومن ثم انتصب الحال ومثل ذلك قولهم هذا ابن عرس مقبل أما أن يكون جعل عرساً نكرة وإن كان علماً وأما أن يكون أخير عنه بخبرين .

[الإعراب] فتطردهم جواب للنفي في قوله ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء وقوله ﴿ فكون ﴾ نصب لأنه جواب للنهي وهو قوله ﴿ ولا تطرد ﴾ أي لا تطردهم فتكون من الظالمين وقد بينا تقديره في مواضع .

[النزول] روى الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال مرّ الملا من قریش على رسول الله (ﷺ) وبجده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك أفنحن نكون تبعاً لهم هؤلاء الذين من الله عليهم أطردهم عنك فنعلك أن طردتهم تبعناك فأنزل الله تعالى ولا تطرد إلى آخره وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصين الفزاري وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي (ﷺ) قاعداً مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين فحقوقهم وقالوا يا رسول الله لو نحييت هؤلاء عنك حتى نخلو بك فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن يرونا مع هؤلاء إلا عبد ثم إذا إنصرفنا فإن شئت فأعدهم إلى مجلسك

(١) الفينة : الحين والساعة .

فاجابهم النبي (ﷺ) إلى ذلك فقالا له إكتب لنا بهذا على نفسك كتاباً فدعا بصحيفة واحضر عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبرائيل (ع) بقوله ﴿ولا تطرد الذين يدعون﴾ إلى قوله ﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ فنحى رسول الله (ﷺ) الصحيفة وأقبل علينا ودنونا منه وهو يقول كتب ربكم على نفسه الرحمة فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ الآية قال فكان رسول الله (ﷺ) يقعد معنا ويدنو حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات .

[المعنى] ثم نهى سبحانه رسوله عليه وآله السلام عن إجابة المشركين فيما اقترحوه عنه من طرد المؤمنين فقال ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ يريد يعبدون ربهم بالصلاة المكتوبة يعني صلاة الصبح والعصر عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل إن المراد بالدعاء ههنا الذكر أي يذكرون ربهم طرفي النهار عن إبراهيم وروي عنه أيضاً أن هذا في الصلوات الخمس ﴿يريدون وجهه﴾ يعني يطلبون ثواب الله ويعملون ابتغاء مرضاة الله لا يعدلون بالله شيئاً عن عطاء قال الزجاج شهد الله لهم بصدق النيات وأنهم مخلصون في ذلك له أي يقصدون الطريق الذي أمرهم بقصده فكأنه ذهب في معنى الوجه إلى الجهة والطريق ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يريد ما عليك من حساب المشركين شيء ولا عليهم من حسابك شيء إنما الله الذي يثيب أوليائه ويعذب أعداءه عن ابن عباس في رواية عطاء وأكثر المفسرين يردون الضمير إلى الذين يدعون ربهم وهو الأشبه وذكروا فيه وجهين (أحدهما) ما عليك من عملهم ومن حساب عملهم من شيء عن الحسن وابن عباس وهذا كقوله تعالى في قصة نوح إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون وهذا لأن المشركين أزدروهم لفقركم وحاجتهم إلى الأعمال الدينية وهم برفع المشركين عليهم في المجلس فقيل له ما عليك من حسابهم من شيء أي لا يلزمك عار بعملهم ﴿فتطردهم﴾ ثم قال وما من حسابك عليهم من شيء تأكيداً لمطابقة الكلام وإن كان مستغنى عنه بالأول (الوجه الثاني) ما عليك من حساب رزقهم من شيء فتملهم وتطردهم أي ليس رزقهم عليك ولا رزقك عليهم وإنما يرزقك وإياهم الله الرازق فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ لهم بطردهم عن ابن زيد وقيل فتكون من

الضَّارِينَ لِنَفْسِكَ بِالْمَعْصِيَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ عَظُمَ الْأَمْرُ فِي هَذَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَوْفُ الدُّخُولِ فِي جَمَلَةِ الظَّالِمِينَ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ هَمَّ بِتَقْدِيمِ الرُّؤَسَاءِ وَأُولَى الْأَمْوَالِ عَلَى الضَّعْفَاءِ مُقَدَّرًا أَنَّهُ يَسْتَجِرُّ بِإِسْلَامِهِمْ إِسْلَامَ قَوْمِهِمْ وَمَنْ لَفَّ لَفًّا لَهُمْ وَكَانَ (سَلَامًا) لَمْ يَقْصِدْ فِي ذَلِكَ إِلَّا قَصْدَ الْخَيْرِ وَلَمْ يَنْوِبْهُ إِزْدِرَاءُ بِالْفُقَرَاءِ فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ إِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ يَمْتَحِنُ الْفُقَرَاءَ بِالْأَغْنِيَاءِ وَالْأَغْنِيَاءَ بِالْفُقَرَاءِ فَقَالَ ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ﴾ أَيِ كَمَا ابْتَلَيْنَا قَبْلَكَ الْغَنِيَّ بِالْفَقِيرِ وَالشَّرِيفَ بِالْوَضِيعِ ابْتَلَيْنَا هَؤُلَاءِ الرُّؤَسَاءَ مِنْ قَرِيشٍ بِالْمَوَالِي فَإِذَا نَظَرَ الشَّرِيفُ إِلَى الْوَضِيعِ قَدْ آمَنَ قَبْلَهُ حِمِيَّ أَنْفًا أَنْ يَسْلَمَ وَيَقُولَ سَبَقَنِي هَذَا بِالْإِسْلَامِ فَلَا يَسْلَمُ وَإِنَّمَا قَالَ سَبْحَانَهُ ﴿ فَتَنَّا ﴾ وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِخْتِبَارِ لِأَنَّهُ عَامِلُهُمْ مَعَامِلَةَ الْمُخْتَبَرِ ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ هَذِهِ لَمْ الْعَاقِبَةُ الْمَعْنَى فَعَلْنَا هَذَا لِيَصْبِرُوا وَيَشْكُرُوا فَآلَ أَمْرُهُمْ إِلَى هَذِهِ الْعَاقِبَةِ ﴿ أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ وَالِاسْتِفْهَامُ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ كَأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَكُونُوا سَبَقُوهُمْ بِفَضِيلَةٍ أَوْ خَصُّوا بِمَنَّةٍ وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْجَبَائِيُّ الْمَعْنَى فِي فَتْنَا شَدَدْنَا التَّكْلِيفَ عَلَى إِشْرَافِ الْعَرَبِ بِأَنْ أَمَرْنَاهُمْ بِالْإِيمَانِ وَبِتَقْدِيمِهِمْ هَؤُلَاءِ الضَّعْفَاءَ عَلَى نَفْسِهِمْ لِتَقْدَمَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي الْإِيمَانِ وَهَذَا أَمْرٌ كَانَ شَاقًّا عَلَيْهِمْ فَلِذَلِكَ سَمَّاهُ اللَّهُ فَتْنَةً وَقَوْلُهُ ﴿ لِيَقُولُوا ﴾ أَيِ فَعَلْنَا هَذَا بِهِمْ لِيَقُولَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِفْهَامِ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ إِذَا رَأَوْا النَّبِيَّ يَقْدُمُ هَؤُلَاءِ عَلَيْهِمْ وَلِيَرْضَوْا بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَمْ يَجْعَلْ هَذِهِ الْفِتْنَةَ وَالشَّدَّةَ فِي التَّكْلِيفِ لِيَقُولُوا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الْإِنْكَارِ لِأَنَّ إِنْكَارَهُمْ لِذَلِكَ كُفْرٌ بِاللَّهِ وَمَعْصِيَةٌ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ لَا يَرِيدُ ذَلِكَ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَئِنْ لَوْ أَرَادَ ذَلِكَ وَفَعَلُوهُ كَانُوا مُطِيعِينَ لَهُ لَا عَاصِينَ وَقَدْ ثَبَتَ خِلَافُهُ وَقَوْلُهُ ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ هَذَا إِسْتِفْهَامٌ تَقْرِيرٌ أَيِ أَنَّهُ كَذَلِكَ كَقَوْلِ جَرِيرٍ :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحٌ (١)

وهذا دليل واضح على أن فقراء المؤمنين وضعفاءهم أولى بالتقريب والتقديم والتعظيم من أغنيائهم ولقد قال أمير المؤمنين علي (ع) من أتى غنيًّا فتواضع لغنائه ذهب ثلثا دينه .

﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

(١) المطايا كسجايا جمع مطية : الدابة السريعة . وأندى أفعل تفضيل من الندى : المطر والمراد السخاء والراح جمع الراحة بمعنى الكف .

رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ ۖ أَنَّهُ مِّنْ عَمَلٍ مُّنْكَرٍ سُوِّءٍ أَجْهَلَةٌ ثُمَّ
تَابَ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة أَنَّهُ من عمل بالفتح فَإِنَّهُ بالكسر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب أَنَّهُ فأنَّ بفتح الألف فيهما وقرأ الباقون إِنَّهُ فأنَّ بالكسر فيهما .

[الحجة] قال أبو علي من كسر فقال إِنَّهُ من عمل جعله تفسيراً للرحمة كما أن قوله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تفسير للوعد وأما كسر فَإِنَّهُ غفور رحيم فلأن ما بعد الفاء حكمه الابتداء ومن ثُمَّ حمل قوله فينتقم الله منه على إرادة المبتدأ بعد الفاء وحذفه وأما من فتح أَنَّ في قوله أَنَّهُ فأنَّ جعل أَنَّ الأولى بدلاً من الرحمة كأنه قال كتب ربكم على نفسه أَنَّهُ من عمل وأما فتحها بعد الفاء فعلى أَنَّهُ اضمر له خبراً وتقديره فله أَنَّهُ غفور رحيم أي فله غفرانه أو اضمر مبتدأ يكون أَنَّهُ خبراً له أي فأمره أَنَّهُ غفور رحيم وعلى هذا التقدير يكون الفتح في قول من فتح ألم يعلموا أَنَّهُ من يحادِد الله ورسوله فَأَنَّ لَهُ نار جهنم تقديره فله أَنَّ لَهُ نار جهنم إلا أَنَّ اضماره هنا أحسن لأن ذكره قد جرى في قوله أَنَّهُ لَهُ وان شئت قُدرت فأمره أن له نار جهنم فيكون خبر هذا المبتدأ المضمر وأما قراءة كتب ربكم إِنَّهُ فأنَّه فالحقول فيها أَنَّهُ أبدل من الرحمة ثم استأنف ما بعد الفاء .

[اللغة] قال المبرد السلام في اللغة أربعة أشياء مصدر سلمت سلاماً وجمع سلامة واسم من أسماء الله عز وجل وشجر في قوله «إِلَّا سَلَامٌ وَحَرَمٌ» ^(١) ومعنى السلام الذي هو مصدر أَنَّهُ دعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات والسلام اسم الله تأويله ذو السلام أي الذي يملك السلام الذي هو التخلص من المكروه وأما السلام الشجر فهو شجر قوي سمي بذلك لسلامته من الآفات والسلام الحجارة سمي بذلك لسلامتها من الرخاوة والصلح يسمى السلام والسلم لأن معناه السلامة من الشر والسلم الدلو التي لها عروة واحدة لأنها اسلم الدلاء من الآفات .

[النزول] اختلف في من نزلت فيه هذه الآية ف قيل نزلت في الذين نهى الله عز وجل

(١) وحرم أيضاً نبات يقال له بالفارسية « اسفند » .

نبيّه عن طردهم وكان النبي إذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في أمّتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام عن عكرمة وقيل نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم عن عطاء وقيل ان جماعة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا إنا أصبنا ذنوباً كثيرة فسكت عنهم رسول الله ﷺ فنزلت الآية عن أنس بن مالك وقيل نزلت في التائبين وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيّه بتعظيم المؤمنين فقال ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ ﴾ يا محمد ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ أي يصدّقون ﴿ بآيَاتِنَا ﴾ أي بحججنا وبراهيننا ﴿ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) أنه أمر نبيّه ﷺ أن يسلم عليهم من الله تعالى فهو تحية من الله على لسان نبيّه ﷺ عن الحسن (وثانيها) ان الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يسلم عليهم تكريماً لهم عن الجبائي (وثالثها) ان معناه أقبل عذرهم واعترفهم وبشرهم بالسلامة مما اعتذروا منه عن ابن عباس ﴿ كُتِبَ رَبِّكُمْ ﴾ أي أوجب ربكم ﴿ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ إيجاباً مؤكداً عن الزجاج قال انما خطوب الخلق بما يعقلون وهم يعقلون ان الشيء المؤخر انما يحفظ بالكتاب وقيل معناه كتبه في اللوح المحفوظ وقد سبق بيان هذا في أول السورة ﴿ إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءٌ بِجَهَالَةٍ ﴾ قال الزجاج يحتمل الجهالة ههنا وجهين (أحدهما) أنه عمله وهو جاهل بمقدار المكروه فيه أي لم يعرف ان فيه مكروهاً (والآخر) انه علم ان عاقبته مكروهة ولكنه أثر العاجل فجعل جاهلاً بأنه أثر النفع القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة وهذا أقوى ومثله قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ﴾ الآية وقد ذكرنا ما فيه هناك ﴿ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ أي رجع عن ذنبه ولم يصر على ما فعل وأصلح عمله ﴿ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَيْسَ بِسَبِيلِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة ولتستبين بالتاء سبيل بالنصب وقرأ أهل الكوفة غير حفص ولتستبين بالياء سبيل بالرفع وقرأ زيد عن يعقوب ولتستبين بالياء سبيل بالنصب وقرأ الباقون ولتستبين بالتاء سبيل بالرفع .

[الحجة] من قرأ لتستبين بالتاء سبيل رفعاً جعل السبيل فاعلاً وإنّ الله كما في قوله قل هذه سبيلي قال سيبيوه استبان الشيء واستبينته ومن قرأ ولتستبين بالتاء سبيل نصباً ففي الفعل

ضمير المخاطب وسبيل مفعوله وهو على قولك استنبت الشيء ومن قرأ بالياء سبيل رفعاً فالفعل مسند إلى السبيل إلا أنه ذكر كما في قوله سبحانه يتخذوه سبيلاً والمعنى وليستين سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين فحذف لأن ذكر إحدى السبيلين يدل على الآخر ومثله سرايل تقيكم الحر ولم يذكر البرد لدلالة الحر عليه ومن قرأ بالياء ونصب اللام فتقديره وليستين السائل سبيل المجرمين .

[الإعراب] كذلك الكاف في موضع نصب بأنه مفعول تفضل وذلك مجرور الموضع بإضافة الكاف إليه ويسأل ما المشبه وما المشبه به في قوله وكذلك وفيه جوابان (أحدهما) التفصيل الذي تقدم في صفة المهتدين وصفة الضالين شبه بتفصيل الدلائل على الحق من الباطل في صفة غيرهم من كل مخالف للحق (والثاني) ان المعنى كما فصلنا ما تقدم من الآيات لكم فصله لغيركم .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على الآيات التي احتج بها على مشركي مكة وغيرهم فقال ﴿ وكذلك ﴾ أي كما قدّمناه من الدلالات على التوحيد والنبوة والقضاء ﴿ تفصل الآيات ﴾ وهي الحجج والدلالات أي نميزها ونبينها ونشرحها على صحة قولكم وبطلان ما يقوله هؤلاء الكفار ﴿ ولتستبين سبيل المجرمين ﴾ بالرفع أي ليظهر طريق من عاند بعد البيان اذا ذهب عن فهم ذلك بالإعراض عنه لمن أراد التفهم لذلك من المؤمنين ليجانبوها ويسلكوا غيرها وبالنصب ليعرف السامع أو السائل أو التعرف أنت يا محمد سبيلهم وسبيلهم يريد به ما هم عليه من الكفر والعناد والإقدام على المعاصي والجرائم المؤذية الى النار وقيل ان المراد بسبيلهم ما عاجلهم الله به من الإذلال واللعن والبراءة منهم والأمر بالقتل والسبي ونحو ذلك والواو في ولتستبين على مضمّر محذوف والتقدير لتفهموا ولتستبين سبيل المجرمين والمؤمنين وجاز الحذف لأن فيما أبقى دليلاً على ما ألقى .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا
اتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (٥٦)

[القراءة] روى في الشواذ عن يحيى بن وثاب ضللت بكسر اللام والقراء كلهم على فتحها .

[الحجة] وهما لغتان ضللت تضلّ وضللت تضلّ قال أبو عبيدة واللغة الغالبة الفتح .

[الإعراب] معنى مِنْ فِي قَوْلِهِ مَنْ دُونَ اللَّهِ إِضَافَةُ الدَّعَاءِ إِلَى دُونَ بِمَعْنَى ابْتِدَاءِ الْغَايَةِ وَمَعْنَى إِذَا الْجُزْءُ وَالْمَعْنَى قَدْ ضَلَلْتَ أَنْ عَبَدْتَهَا .

[المعنى] ثم أمر الله سبحانه نبيه بأن يظهر البراءة مما يعبدونه فقال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ يعني الأصنام التي تعبدونها وتدعونها آلهة ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ لَا اتَّبِعْ أَهْوَاءَكُمْ ﴾ في عبادتها أي إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البينة والبرهان عن الزجاج وقيل معناه لا اتبع أهواءكم في طرد المؤمنين ﴿ قَدْ ضَلَلْتَ إِذَا ﴾ أي إنّ أنا فعلت ذلك عن ابن عباس ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ الذين سلكوا سبيل الدين وقيل معناه وما أنا من المهتدين النبيين الذين سلكوا طريق الهدى .

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ ﴿ ٥٧ ﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿ ٥٨ ﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وعاصم يقصّ الحق بالصاد والباقون يقضي الحق .

[الحجة] حجة من قرأ يقضي قوله والله يقضي بالحق وحكي عن أبي عمرو أنه استدلل بقوله وهو خير الفاصلين في أن الفصل في الحكم ليس في القصص وحجة من قرأ يقصّ قوله والله يقول الحق وقالوا قد جاء الفصل في القول أيضاً في نحو قوله أنه لقول فصل وأما قوله الحق فيحتمل امرين يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف تقديره يقضي القضاء الحق أو يقص القصص الحق ويجوز أن يكون مفعولاً به مثل يفعل الحق كقوله .

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ذَاوُدُ أَوْ صَنَعَ السَّوَابِغُ تَبَعُ^(١)

[اللغة] البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل هو العلم الحادث والاستعجال طلب الشيء في غير وقته والحكم فصل الأمر على التمام .

[الإعراب] يقال لم قال كذبتُم به والبينة مؤنثة قيل لأن البينة بمعنى البيان فالحاء كناية عن البيان عن الزجاج وقيل كناية عن الرب في قوله ربي وقوله كذبتُم قد مضى معه لأنه في موضع الحال والحال لا يكون بالفعل الماضي إلا ومعه قدماً مظهرة أو مضمرة .

[المعنى] لما أمر النبي ﷺ بأن يتبرأ مما يعبدونه عقب ذلك سبحانه بالبيان أنه على حجة من ذلك وبينه وأنه لا بينة لهم فقال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ اني على بينة من ربي ﴾ أي على أمر بين لا متبع لهوى عن الزجاج وقال الحسن البينة النبوة أي على نبوة من جهة ربي وقيل على حجة من معجزة دالة على نبوتي وهي القرآن عن الجبائي وقيل على يقين من ربي عن ابن عباس ﴿ وكذبتُم به ﴾ أي بما أتيتكم به من البيان يعني القرآن ﴿ ما عندي ﴾ أي ليس عندي ﴿ ما تستعجلون به ﴾ قيل معناه الذي تطلبونه من العذاب كانوا يقولونه يا محمد آتنا بالذي تعدنا وهذا كقولك ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ عن ابن عباس والحسن وقيل هي الآية التي اقترحوها عليه استعجلوه بها فاعلم الله تعالى أن ذلك عنده فقال ﴿ ان الحكم إلا لله ﴾ يريد أن ذلك عند ربي وعن ابن عباس يعني ليس الحكم في الفصل بين الحق والباطل وفي انزال الآيات إلا لله ﴿ يقص الحق ﴾ أي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق أي يقوله ويخبر به ﴿ وهو خير الفاصلين ﴾ لأنه لا يظلم في قضاياه ولا يجوز عن الحق وهذا يدل على بطلان قول من يزعم أن الظلم والقبائح بقضائه لأن من المعلوم أن ذلك كله ليس بحق ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ لو ان عندي ﴾ أي برأيي وإرادتي ﴿ ما تستعجلون به ﴾ من انزال العذاب بكم ﴿ لقضي الأمر بيني وبينكم ﴾ أي لفرغ من الأمر بأن أهلكم فاستريح منكم غير أن الأمر فيه الى الله تعالى ﴿ والله أعلم بالظالمين ﴾ وبوقت عذابهم وما يصلحهم وفي هذا دلالة على أنه سبحانه إنما يؤخر العقوبة لضرب من المصلحة أما لأن يؤمنوا أو لغير ذلك من المصالح فهو يدبر ذلك على حسب ما تقتضيه الحكمة .

(١) المسرودة: الدرع المثقوبة. وصنع محركة بمعنى الصانع. والسابغة: الدرع الواسعة وقوله تبع عطف بيان لقوله صنع السوابغ.

﴿ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا
وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ
يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِبُقْضَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

[اللغة] المفاتيح جمع مَفْتَحٍ فالمفتاح بالكسر المفتاح الذي يفتح به والمفتاح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف من الأشياء فهو مفتاح قال الفراء في قوله : إن مفاتيحه لتنوء بالعصبة يعني خزائنه والتوفي قبض الشيء على التمام يقال توفيت الشيء واستوفيته بمعنى والجرح العمل بالجراحة والاجتراح الاكتساب .

[الإعراب] ولا حبة تقديره ولا تسقط من حبة ثابتة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس وقوله إلا في كتاب مبين الجار والمجرور في موضع الرفع لأنه خبر الابتداء تقديره ألا هو في كتاب مبين ولا بد من هذا التقدير لأنه لو لم يكن محمولاً على هذا لوجب أن لا يعلمها في كتاب مبين وهو سبحانه يعلم ذلك في كتاب مبين والاستثناء منقطع .

[المعنى] لما ذكر سبحانه أنه أعلم بالظالمين بين عقبيه أنه لا يخفى عليه شيء من الغيب ويعلم أسرار العالمين فقال ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ معناه وعنده خزائن الغيب الذي فيه علم العذاب المستعجل به وغير ذلك لا يعلمها أحد إلا هو أو من أعلمه به وعلمه إياه وقيل معناه وعنده مقدرات الغيب يفتح بها على من يشاء من عباده بإعلامه به وتعليمه إياه وتيسيره السبل إليه ونصبه الأدلة له ويغلق عن من يشاء بأن لا ينصب الأدلة له وقال الزجاج يريد عنده الوصول إلى علم الغيب وكل ما لا يعلم إذا استعلم يقال فيه افتح عليّ وقال ابن عمر مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ أن الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس معناه

وعنده خزائن الغيب من الارزاق والاعمار وتأويل الآية ان الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الامور وعواقبها فهو يعجل ما تعجيله اصوب واصلاح ويؤخر ما تأخيره اصوب واصلاح وانه الذي يفتح باب العلم لمن يريد من الانبياء والاولياء لانه لا يعلم الغيب سواه ولا يقدر أحد ان يفتح باب العلم به للعباد الا الله ﴿ويعلم ما في البر والبحر﴾ من حيوان وغيره وقال مجاهد البر القفار والبحر كل قرية فيها ماء ﴿وما تسقط من ورقة الا يعلمها﴾ قال الزجاج المعنى انه يعلمها ساقطة وثابتة وانت تقول ما يجيئك أحد الا وأنا اعرفه فليس تأويله الا وانا اعرفه في حال مجيئه فقط وقيل يعلم ما سقط من ورق الاشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهراً لبطن عند سقوطها ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ معناه وما تسقط من حبة من باطن الأرض الا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الأرض لانه لا تدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة في اسفل الارضين السبع أو تحت حجر أو شيء ﴿ولا رطب ولا يابس﴾ قد جمع الاشياء كلها في قوله ولا رطب ولا يابس لأن الاجسام كلها لا تخلو من أحد هذين وهو بمنزلة قولك ولا مجتمع ولا مفترق لأن الاجسام لا تخلو من ان تكون مجتمعة أو متفرقة وقيل يريد ما ينبت ما لا ينبت عن ابن عباس وعنه ايضاً ان الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الرطب واليابس الميت وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الورقة السقط الحبة الولد وظلمات الأرض الارحام والرطب ما يحيا واليابس ما يغيض ﴿الا في كتاب﴾ معناه وهو مكتوب في كتاب ﴿مبين﴾ أي في اللوح المحفوظ ولم يكتبها في اللوح المحفوظ ليحفظها ويدرسها فإنه كان عالماً بها قبل ان كتبها ولكن ليعارض الملائكة الحوادث على ممر الأيام بالمكتوب فيه فيجدونها موافقة للمكتوب فيه فيزدادون علماً و يقيناً بصفات الله تعالى وايضاً فإن المكلف إذا علم ان اعماله مكتوبة في اللوح المحفوظ تطالعها الملائكة قويت دواعيه إلى الافعال الحسنة وترك القبائح وقال الحسن هذا توكيد في الزجر عن المعاصي والحث على البر لأن هذه الأشياء التي لا ثواب فيها ولا عقاب إذا كانت مُحَصَّاةً عنده محفوظة فالاعمال التي فيها الثواب والعقاب أولى بالحفظ وقيل ان قوله في كتاب مبين معناه انه محفوظ غير منسي ولا مغفول عنه كما يقول القائل لغيره ما تصنعه عندي مسطور مكتوب وإنما يريد بذلك انه حافظ له يريد مكافاته عليه وانشد (إِنَّ لِسَلْمَى عِنْدَنَا دِيْوَانًا) عن البلخي قال الجرجاني صاحب النظم تم الكلام عند قوله ولا يابس ثم استأنف خبراً آخر بقوله الا في كتاب مبين يعني وهو في كتاب مبين ايضاً لأنك لو جعلت قوله الا في كتاب مبين متصلاً بالكلام الأول لفسد المعنى ولما نبه سبحانه بهذه الآية على انه عالم لذاته من حيث

انه لو كان عالماً بعلم لوجب أحد ثلاثة أشياء كلها فاسدة. أما ان يكون له علوم غير متناهية واما أن يكون معلوماته متناهية أو يتعلق علم واحد بمعلومات غير متناهية وكلها باطل بالدليل نبه^(١) في الآية التي تليها على أنه قادر لذاته من حيث أنه قادر على الإحياء والإماتة فقال ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ أي يقبض ارواحكم عن التصرف عن ابن عباس وغيره واختاره علي بن عيسى وقيل معناه يقبضكم بالنوم كما يقبضكم بالموت فيكون كقوله ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾ الآية عن الزجاج والجبائي ﴿ويعلم ما جرحتم بالنهار﴾ أي ما كسبتم من الاعمال على التفصيل بالنهار على كثرته وكثرتكم وفيه اشارة إلى رحمته حيث يعلم مخالفتهم إياه ثم لا يعاجلهم بعقوبة ولا يمنعهم فضله ورحمته ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ أي يُنبهكم من نومكم في النهار عن الزجاج والجبائي جعل انتباههم من النوم بعثاً ﴿ليقضي أجل مسمى﴾ معناه لتستوفوا آجالكم وترتيب الآية وهو الذي يتوفاكم بالليل ثم يبعثكم في النهار على علم بما تجترحون بالنهار ليقضي أجل مسمى فاللام تتصل بقوله ثم يبعثكم فيه إلا أنه قدم ما من أجله بعثنا بالنهار لأنه أهم والعناية به اشد عن علي بن عيسى ومعنى القضاء فصل الأمر على تمام ومعنى قضاء الأجل فصل مدة العمر من غيرها بالموت وفي هذا حجة على النشأة الثانية لأن منزلتها بعد الأولى كمنزلة اليقظة بعد النوم في ان من قدر على احدهما فهو قادر على الآخر ﴿ثم إليه مرجعكم﴾ يريد إذا تمت المدة المضروبة لكل نفس نقله إلى الدار الآخرة ومعنى إليه إلى حكمه وجزائه وإلى موضع ليس لاحد سواه فيه أمر ﴿ثم ينبئكم﴾ يخبركم ﴿بما كنتم تعملون﴾ أي بما غفلتم عنه من اعمالكم وفي هذه الآية دلالة على البعث والإعادة نبه الله سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة فإن كلا منهما لا يقدر عليه غيره تعالى فأما ما يصح اعادته من الأشياء فالصحيح من مذهب أهل العدل فيه أن يكون الشيء من فعل القديم سبحانه القادر لذاته وان يكون مما يبقى وأن لا يكون مما يتولد عن سبب.

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۚ ثُمَّ رُدُّوا إِلَىٰ

اللَّهُ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده توفاه والباقون بالتاء وقرأ الاعرج يُفَرِّطُونَ في الشواذ.

[الحجة] حجة من قرأ بالتاء قوله فقد كذبت رسل وقالت رسلهم وحجة حمزة أنه فعل متقدم مسند إلى مؤنث غير حقيقي وإنما التأنيث للجمع فهو مثل وقال نسوة وإن كانت الكتابة في المصحف بالياء فليس ذلك بخلاف لأن الألف الممالة قد كتبت بياء وقراءة الاعرج من افراط في الأمر إذا زاد فيه وقراءة العامة من فرط في الأمر إذا قصر فيه فهو بمعنى لا يُقَصِّرُونَ فيما يؤمرون به من توفي من تحضره منيته وذلك بمعنى لا يزيدون على ذلك ولا يتوفون إلا من أمروا بتوقيه ونظيره قوله وكل شيء عنده بمقدار.

[المعنى] ثم زاد سبحانه في بيان كمال قدرته فقال ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ معناه والله المقتدر المستعلي على عباده الذي هو فوقهم لا بمعنى أنه في مكان مرتفع فوقهم وفوق مكانهم لأن ذلك من صفة الاجسام والله تعالى منزّه عن ذلك ومثله في اللغة أمر فلان فوق أمر فلان أي هو أعلى أمراً. وأنفذ حكماً ومثله قوله يد الله فوق أيديهم فالمراد به أنه أقوى وأقدر منهم وأنه القاهر لهم ويقال هو فوقه في العلم أي أعلم منه وفوقه في الجود أي أجود فعبّر عن تلك الزيادة بهذه العبارة للبيان عنها ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ عطف على صلة الألف واللام في القاهر وتقديره وهو الذي يقهر عباده ويرسل عليكم حفظة أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحفظونها عليكم ويكتبونها وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي إذا علموا أن عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته﴾ أي تقبض روحه ﴿رسلنا﴾ يعني اعوان ملك الموت عن ابن عباس والحسن وقتادة قالوا وإنما يقبضون الارواح بأمره ولذلك اضاف التوفي اليه في قوله قل يتوفاكم ملك الموت وقال الزجاج يريد بالرسل هؤلاء الحفظة فيكون المعنى يرسلهم للحفظ في الحياة والتوفية عند مجيء الممات وحتى هذه هي التي تقع بعدها الجملة ﴿وهم لا يفراطون﴾ أي لا يضيعون عن ابن عباس والسدي وقيل لا يغفلون ولا يتوانون عن الزجاج وقال معنى التفريط تقدم العجز فالمعنى انهم لا يعجزون ثم بين سبحانه ان هؤلاء الذين تتوفاهم رسله يرجعون إليه فقال ﴿ثم ردوا إلى الله﴾ أي إلى الموضع الذي لا يملك الحكم فيه الا هو ﴿مولاهم الحق﴾ قد مر معناه عند قوله أنت مولانا والحق اسم من اسماء الله تعالى واختلف في معناه فقيل

المعنى ان أمره كله حق لا يشوبه باطل ، وجدُّ لا يجاوره هزل فيكون مصدراً وصف به نحو قولهم رجل عدل وفي قول زهير .

مَتَى يَشْجَرُ قَوْمٌ يَقُلُّ سَرَوَاتُهُمْ هُمْ يَتَنَّا فَهُمْ رِضاً وَهُمْ عَذْلٌ^(١)

وقيل ان الحق بمعنى المحق كما قيل غياث بمعنى مغيث وقيل إن معناه الثابت الباقي الذي لا فناء له وقيل معناه ذو الحق يريد أن أفعاله وأقواله حق ﴿ألا له الحكم﴾ أي القضاء فيهم يوم القيامة لا يملك الحكم في ذلك اليوم سواه كما قد يملك الحكم في الدنيا غيره بتمليكه إياه ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ أي إذا حاسب فحسابه سريع وقد مضى معناه في سورة البقرة عند قوله سريع الحساب وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه سأل كيف يحاسب الله الخلق ولا يرويه قال كما يرزقهم ولا يرويه وروي أنه سبحانه يحاسب جميع عباده على مقدار حلب شاة وهذا يدل على أنه لا يشغله محاسبة أحد عن محاسبة غيره ويدل على أنه سبحانه يتكلم بلا لسان ولهوات ليصح أن يحاسب الجميع في وقت واحد .

﴿ قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً
لَئِنْ أَنْجَلْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ١٣ قُلْ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ
مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ ١٤

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء هنا وفي الأعراف والباقون خفية بالضم وقرأ قل من يُنجيكم خفيفة يعقوب وسهل وقرأ الباقر يُنجيكم وقرأ أهل الكوفة لئن أنجانا من هذه بالألف إلا أن عاصماً قرأ بالتخفيف والباقر بالإمالة وقرأ غيرهم من القراء لئن أنجيتنا وقرأ أهل الكوفة وأبو جعفر وهشام عن ابن عامر قل الله يُنجيكم بالتشديد والباقر يُنجيكم بالتخفيف .

[الحجة] أما خفية فإن أبا عبيدة قال خفية أي تخفون في أنفسكم وحكى غيره خفية

(١) اشجر القوم : تشاجروا . سروات القوم : ساداتهم ورؤسائهم .

وخفية لغتان وأما خيفة^(١) ففعله من الخوف انقلبت الياء عن الواو للكسرة قال .

فَلَا تَقْعُدَنَّ عَلَى رَحْمَةٍ وَتُضْمِرَ فِي الْقَلْبِ وَجْداً وَخِيفاً^(٢)

وهو جمع خيفة وأما قوله ينجيكم فإنهم قالوا نجا زيد فإذا نقل الفعل حسن نقله بالهمزة كما حسن نقله بالتضعيف وفي التنزيل فأنجاه الله من النار فأنجيناه والذين آمنوا وفيه ونَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا فاستَوَى القراءتان في الحسن فأما من قرأ أنجانا فإنه حمله على الغيبة لأن ما قبله تدعونه وما بعده قل الله ينجيكم وكلاهما للغيبة ومن قرأ لئن أنجيتنا فإنه واجه بالخطاب ولم يراع من المشاكلة ما راعاه الكوفيون .

[الإعراب] تدعونه في موضع نصب على الحال تقديره قل من ينجيكم داعين وقائلين لئن أنجيتنا، تضرعاً نصب بأنه حال أيضاً من تدعونه وكذلك خفية والمعنى تدعونه مظهرين الضراعة ومضمرين الحاجة اليه أو مُعلنين ومُسرِّين .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى حجاج الكفار فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ من ينجيكم ﴾ أي يخلصكم ويسلمكم ﴿ من ظلمات البر والبحر ﴾ أي من شدائد هما واهوالهما عن ابن عباس قال الزجاج العرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شدة يوم مظلم حتى أنهم يقولون يوم ذو كواكب أي قد اشتدت ظلمته حتى صار كالليل وأنشد :

بَنِي أَسَدٍ هَلْ تَعْلَمُونَ بَلَاءَنَا إِذَا كَانَ يَوْمٌ ذُو كَوَاكِبٍ أَشْهَبُ
وقال آخر :

قَدِئْ لِبَنِي ذَهَلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي إِذَا كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ أَشْنَعَا

وقال غيره اراد ظلمة الليل وظلمة الغيم وظلمة التيه والحيرة في البر والبحر فجمع لفظه ليدل على معنى الجمع ﴿ تدعونه ﴾ أي تدعون الله عند معاينة هذه الأهوال ﴿ تضرعاً وخفية ﴾ أي علانية وسراً عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تدعونه مخلصين متضرعين تضرعاً بالسنتكم وخفية في انفسكم وهذا اظهر ﴿ لئن أنجيتنا ﴾ أي في أي شدة وقعتم قلتم

(١) هذه أعنى قراءة « خيفة » بتقديم المشاة التحتانية على الفاء قراءة ثالثة، وكان على المصنف أن يذكرها اجمالاً قبل التفصيل كما فعل في القراءتين الأخريين، ويحتمل سقوطه من النسخ .

(٢) الرخة : الحقد والغبط والغضب وقيل أنه لم يسمع الرخة التي هي الحقد والغبط والغضب إلا في هذا البيت .

لئن انجيتنا ﴿من هذه لنكونن من الشاكرين﴾ لإنعامك علينا وهذا يدل على ان السنة في الدعاء التضرع والإخفاء وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي ومراً بقوم رفعوا اصواتهم بالدعاء فقال انكم لا تدعون أصم ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً ﴿قل﴾ يا محمد ﴿الله ينجيكم﴾ اي ينعم عليكم بالنجاة والفرج ويخلصكم (منها) أي من هذه الظلمات ﴿من كل كرب﴾ اي ويخلصكم الله من كل غم ﴿ثم أنتم تشركون﴾ بالله تعالى بعد قيام الحجة عليكم ما لا يقدر على الإنجاء من كل كرب وان خف.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ أَنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾

مرکز تحقیقات کتب و ترویج علوم اسلامی

[اللغة] لَبَسْتُ عليهم الأمر الَبَسَ إذا لم أبتنه وخلطت بعضه ببعض ولَبَسْتُ الثوب الَبَسَ واللَبْس اختلاط الأمر واختلاط الكلام ولا بست الأمر خالطته والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة وشِيعَت فلاناً أتبعته والتشيع هو الاتباع على وجه التدين والولاء للمتبع والشيعه صارت في الغرف اسماً لمتبعي أمير المؤمنين علي (ع) على سبيل الاعتقاد لإمامته بعد النبي ﷺ بلا فصل من الإمامية والزيدية وغيرهم ولا يقع اطلاق هذه اللفظة على غيرهم من المتبعين سواء كان متبوعهم محققاً أو مبطلاً الا ان يسقط عنه لام التعريف ويضاف بلفظ من للتبعيض فيقال هؤلاء شيعة بني العباس او شيعة بني فلان.

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الحجج التي حاج به الكافرين ونبه على الأعذار والانذار فقال ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿هو القادر على ان يبعث﴾ اي يرسل ﴿عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت ارجلكم﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) ان عذاباً من فوقكم عنى به الصيحة والحجارة والظوفان والريح كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط او من

تحت أرجلكم عنى به الخسف كما فعل بقارون عن سعيد بن جبير ومجاهد (وثانيها) ان المراد بقوله من فوقكم اي من قبل كباركم أو من تحت أرجلكم من سفلكم عن الضحاك (وثالثها) ان من فوقكم السلاطين الظلمة ومن تحت أرجلكم العبيد السوء ومن لا خير فيه عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ أي يخلطكم فرقاً مختلفي الاهواء لا تكونون شيعة واحدة وقيل هو ان يكلهم الى انفسهم فلا يلفظ لهم اللطف الذي يؤمنون عنده ويخليهم من الطافة بذنوبهم السالفة وقيل عنى به يضرب بعضهم ببعض بما يلقه بينهم من العداوة والعصبية وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي قتال بعض وحرب بعض ومعناه يقتل بعضهم بعضاً حتى يُفني بعضهم بعضاً كما قال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون وقيل هو سواء الجوار عن أبي عبد الله (ع) وقال الحسن التهديد بانزال العذاب والخسف يتناول الكفار وقوله أو يلبسكم شيعاً يتناول اهل الصلاة وقال قال رسول الله ﷺ سألت ربي ان لا يظهر على أمتي اهل دين غيرهم فأعطاني وسألته ان لا يهلكهم جوعاً فأعطاني وسألته ان لا يجمعهم على ضلالة فأعطاني وسألته ان لا يلبسهم شيعاً فمَنَعني وفي تفسير الكلبي انه لما نزلت هذه الآية قام النبي ﷺ فتوحاً واسبغ وضوءاً ثم قام وصلى فأحسن صلاته ثم سأل الله سبحانه ان لا يبعث على أمته عذاباً من فوقهم ولا من تحت أرجلهم ولا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض فنزل جبرائيل (ع) فقال يا محمد ان الله تعالى سمع مقالتك وإنه قد أجارهم من خصلتين ولم يُجرهم من خصلتين أجارهم من ان يبعث عليهم عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم ولم يجرمهم من الخصلتين الآخرين فقال ﷺ يا جبرائيل ما بقاء أمتي مع قتل بعضهم بعضاً فقام وعاد إلى الدعاء فنزل ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون الآيتين فقال لا بد من فتنة تبلي بها الأمة بعد نبيها ليتين الصادق من الكاذب لأن الوحي انقطع وبقي السيف وافتراق الكلمة الى يوم القيامة وفي الخبر انه صلى الله عليه وآله قال إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة وقال أبي بن كعب سيكون في هذه الأمة بين يدي الساعة خسف وقذف ومسح ثم أكد سبحانه الاحتجاج عليهم بقوله ﴿انظر كيف نصرف الآيات﴾ اي انظر يا محمد كيف نردد الآيات ونظهرها مرة بعد أخرى بوجوه ادلتها حتى تزول الشبهة ﴿لعلهم يفقهون﴾ أي لكي يعلموا الحق فيتبعوه والباطل فيجتنبوه وإذا كان البعث في الآية محمولاً على التسليط فالمراد به التمكين ورفع الحيلولة

دون ان يفعل سبحانه ذلك أو يأمر به تعالى الله عن ذلك وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه قادر على ما المعلوم انه لا يفعله .

﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

[المعنى] لما ذكر سبحانه تصرف الآيات قال عقيب ذلك ﴿ وكذب به ﴾ أي بما نصرف من الآيات عن الجبائي والبلخي وقال الأزهري الهاء يعود إلى القرآن وهو قول الحسن وجماعة ﴿ قومك ﴾ يعني قريشاً والعرب ﴿ وهو الحق ﴾ أي القرآن أو تصرف الآيات حق بمعنى أنه يدل على الحق وإن ما فيه حق ثم بين سبحانه ان عاقبة تكذيبهم يعود عليهم فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لست عليكم بوكيل ﴾ أي لم أؤمر بمنعكم من التكذيب بآيات الله وإن احفظكم من ذلك واحول بينكم وبينه لأن الوكيل على الشيء هو القائم بحفظه والذي يدفع الضرر عنه عن الجبائي وقيل معناه لست بحافظ لأعمالكم لأجازيكم بها إنما أنا منذر والله سبحانه هو المجازي عن الحسن وقيل معناه لم أؤمر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يأخذ الموكل بالشيء الذي يلزم بلوغ آخره عن الزجاج ﴿ لكل نبأ مستقر ﴾ أي لكل خبر من اخبار الله ورسوله حقيقة كائنة إما في الدنيا وإما في الآخرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لكل خبر قرار على غاية ينتهي إليها ويظهر عندها قال السدي استقر يوم بدر ما كان يعدهم من العقاب وسمي الوقت مستقراً لأنه ظرف للفعل الواقع فيه وقيل معناه لكل عمل مستقر عند الله حتى يجازي به يوم القيامة عن الحسن ﴿ وسوف تعلمون ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم أما بعذاب الآخرة وإما بالحرب واخذهم بالإيمان شاءوا أو أبوا وتقديره وسوف تعلمون ما يحل بكم من العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ

حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده يُنَسِّنُكَ بالتشديد والباقون يُنَسِّنُكَ بالتخفيف .

[الحجة] حجة من خفف قوله وما انسانيه إلا الشيطان وحجة ابن عامر انه يجوز نقل الفعل بتضعيف العين كما يجوز نقله بالهمزة كما يقال عزمته واعزمته .

[الاعراب] ذكرى يجوز أن يكون في موضع نصب على معنى ولكن ذكروهم ذكرى ويجوز أن يكون في موضع رفع على أحد وجهين إما أن يكون على معنى ولكن الذي تأمروهم به ذكرى فيكون خبر المبتدأ واما أن يكون عليكم ذكرى أي عليكم أن تذكروهم كما قال إن عليك إلا البلاغ وعلى هذا فيكون ذكرى مبتدأ .

[النزول] قال أبو جعفر (ع) لما نزلت فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين قال المسلمون كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذا المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام فانزل الله سبحانه ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء أمرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا﴾ .

[المعنى] ثم أمر سبحانه بترك مجالستهم عند استهزائهم بالقرآن فقال ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ خاطب النبي ﷺ أي إذا رأيت هؤلاء الكفار وقيل الخطاب له والمراد غيره ومعنى يخوضون يكذبون بآياتنا وديننا عن الحسن وسعيد بن جبير والخوض التخليط في المفاوضة على سبيل العبث واللعب وترك التفهم والتبيين ﴿فاعرض عنهم﴾ أي فاتركهم ولا تجالسهم ﴿حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ أي يدخلوا في حديث غير الاستهزاء بالقرآن وإنما أمره ﷺ بالاعراض عنهم لأن من حاج من هذه حاله فقد وضع الشيء غير موضعه وخط من قدر البيان والحجاج ﴿وأما ينسينك الشيطان﴾ المعنى وان انسأك الشيطان نهينا إياك عن الجلوس معهم ويسأل على هذا فيقال كيف اضاف النسيان إلى الشيطان وهو فعل الله تعالى والجواب إنما اضافة إلى الشيطان لانه تعالى أجرى العادة بفعل النسيان عند الاعراض عن الفكر وتراكم الخواطر الردية والوساوس الفاسدة من الشيطان فجاز اضافة النسيان إليه لما حصل عند فعله كما أن من ألقى غيره في البرد حتى مات فإنه يضاف الموت إليه لأنه عرضه لذلك وكان كالسبب فيه ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ أي بعد

ذكرك نهينا وما يجب عليك من الاعراض عن الجبائي وقيل معناه بعد ان تذكرهم بدعائك اياهم إلى الدين عن أبي مسلم فكانه قال اعرض في حال اليأس وذکر في حال الطمع ﴿مع القوم الظالمين﴾ يعني في مجالس الكفار والفساق الذي يظهرون التكذيب بالقرآن والآيات والاستهزاء بذلك وبه قال سعيد بن جبیر والسدي واختاره البلخي وقال كان ذلك في اول الإسلام وكان يختص النبي ﷺ ورخص للمؤمنين في ذلك لما عز الإسلام وكثر المسلمون نهوا عن مجالستهم ونسخت هذه الآية بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم قال الجبائي وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء والأئمة وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء وهذا القول غير صحيح ولا مستقيم لأن الإمامية إنما تجوز التقية على الإمام فيما تكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ويكون المكلف مراح العلة في تكليفه ذلك فأما ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الاحكام ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته فلا يجوز عليه التقية فيه وهذا كما إذا تقدم من النبي بيان في شيء من الأشياء الشرعية فإنه يجوز منه ان لا يبين في حال أخرى لأتمه ذلك الشيء إذا اقتضته المصلحة الا ترى إلى ما روي ان عمر بن الخطاب سأله عن الكلالة فقال يكفيك آية السيف وأما النسيان والسهو فلم يجزواهما عليهم فيما يؤذونه عن الله تعالى فأما ما سواه فقد جوزوا عليهم ان ينسوه أو يسهوا عنه ما لم يؤذ ذلك إلى اخلال بالعقل وكيف لا يكون كذلك وقد جوزوا عليهم النوم والاعماء وهما من قبيل السهو فهذا ظن منه فاسد وان بعض الظن اثم ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾ أي ليس على المؤمنين الذين اتقوا معاصي الله سبحانه من حساب الكفرة شيء بحضورهم مجلس الخوض ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ أي نهوا عن مجالستهم ليزدادوا تقى وامروا ان يذكروهم وينبهوهم على خطاياهم لكي يتقي المشركون إذا رأوا اعراض هؤلاء المؤمنين عنهم وتركهم مجالستهم فلا يعودون لذلك عن اكثر المفسرين وقيل معناه ليس على المتقين من الحساب يوم القيامة مكروه ولا تبعة ولكنه اعلمهم انهم محاسبون وحكم بذلك عليهم لكي يعلموا ان الله يحاسبهم فيتقوا عن البلخي قالها والميم على الوجه الاول يعود إلى الكفار وفي الثاني إلى المؤمنين .

﴿وَذَرِ الَّذِينَ

اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَلَهُمْ وَأَغْرَتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ

تُبْسَلُ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
وَأَنْ تَعْدِلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا
كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[اللغة] يقال ابسلته بجريته اي اسلمته بها والمستبسل المستسلم الذي يعلم انه لا
يقدر على التخلص قال الشاعر:

وَإِبْسَالِي بَنِي بَغِيرِ جُرْمٍ بَعُونَاهُ وَلَا يَدُمُ مُرَاقٍ

أي اسلامي اياهم والبعو الجناية قال الاخفش تبسل أي تجازي وقيل تبسل أي ترهن
والمعاني متقاربة وهذا بسل عليك أي حرام عليك وجائز أن يكون اسد باسل من هذا أي انه
لا يقدر عليه وجائز ان يكون من الأول بمعنى ان معه من الاقدام ما يستبسل له قرنه ويقال
اعط الرامي بسلته أي اجرته وتأويله انه عمل في الشيء الذي قد استبسل صاحبه معه والعدل
الفداء وأصله المثل والحميم الماء الحار احم حتى انتهى غليانه ومنه الحمام .

[الإعراب] ان تبسل في موضع نصب بأنه مفعول وهو من باب حذف المضاف
تقديره كراهية أن تبسل وقوله ليس لها من دون الله صفة لنفس والتقدير نفس عادمة ولياً
وشفيها يكسبها اولئك الذين ابسلوا متبداً وخبر وقوله لهم شراب من حميم يجوز أن يكون
خبراً ثانياً لا أولئك ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً .

[المعنى] ثم عاد تعالى إلى وصف من تقدم ذكرهم من الكفار فقال ﴿وذُرِّ الَّذِينَ
اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً﴾ أي دعهم واعرض عنهم وإنما أراد به اعراض انكار لأنه قال بعد
ذلك وذكر يريد دع ملاطفتهم ومجالستهم ولا تدع مذاكرتهم ودعوتهم ونظيره في سورة النساء
فأعرض عنهم وعظهم ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ يعني به اغتروا بحياتهم ﴿وذكر به﴾ أي عظ
بالقرآن وقيل بيوم الدين وقيل بالحساب ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ أي لكي لا تسلم نفس
للهلكة بما كسبت أي بما عملت عن الحسن ومجاهد والسدي واختاره الجبائي والفراء وقيل

ان معنى تبسل تهلك عن ابن عباس وقيل تحبس عن قتادة وقيل تؤخذ عن ابن زيد وقيل تسلم إلى خزنة جهنم عن عطية العوفي وقيل تجازى عن الأخفش ﴿ليس لها من دون الله ولي﴾ أي ناصر ينجيها من العذاب ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها ﴿وأن تعدل كل عدل﴾ وإن تفد كل فداء ﴿لا يؤخذ منها﴾ وقيل معناه وإن تقسط كل قسط في ذلك اليوم لا يقبل منها لأن التوبة هناك غير مقبولة وإنما تقبل في الدنيا ﴿اولئك الذين ابسلوا﴾ أي اهلكوا وقيل اسلموا للهلكة فلا مخلص لهم وقيل ارتهنوا وقيل جوزوا ﴿بما كسبوا﴾ أي بكسبهم وعملهم ﴿لهم شراب من حميم﴾ أي ماء مغلي حار ﴿وعذاب أليم﴾ مؤلم ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي بكفرهم يريد جزاء على كفرهم واختلف في الآية فقيل هي منسوخة بآية السيف عن قتادة وقيل ليست بمنسوخة وإنما هي تهديد ووعيد عن مجاهد وغيره وفيها دلالة على الوعيد العظيم لمن كانت هذه سبيله من الاستهزاء بالقرآن وبآيات الله وتحذير عن سلوك طريقته وقال الفراء ما من أمة إلا ولهم عيد يلعبون فيه ويلهون إلا أمة محمد ﷺ فإن اعيادهم صلاة ودعاء وعبادة.

﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا
وَنُزِدْ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَيْنَمَا نَقُلْ
إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده استهويه باللف ممالة والباقون استهوته بالتاء المعجمة من

فوق.

[الحجة] قال أبو علي كلا المذهبين حسن قال الشاعر:

وَكُنَّا وَرِثْنَاهُ عَلَىٰ عَهْدٍ تَبِعَ طَوِيلًا سَوَارِيهِ شَدِيدًا دَغَائِمُهُ

[اللغة] استهواه من قولهم هوى من حالق^(١) إذا تردى منه ويشبه به الذي زلَّ عن

(١) الحالق: الجبل المرتفع.

الطريق المستقيم كما ان قوله زل إنما هو في المكان قال (قَامَ عَلَى مُنْزَعَةٍ زُلْجٍ فَزَلَّ)^(١) ثم يشبه به المخطيء في طريقته في مثل قوله فأزلهما الشيطان فكذلك هو وأهواه غيره فيقال أهوته واستهوته بمعنى كما يقال أزله الشيطان واستزله بمعنى وكذلك استجابه بمعنى أجابه قال ﴿ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ﴾ والحيوان المتردد في أمر لا يهتدي إلى المخرج منه والفعل منه حار يحار حيرة ورجل حائر وحيوان وقوم حيارى .

[الاعراب] كالذي استهوته في موضع نصب صفة لمصدر محذوف تقديره اندعو من دون الله دعاء مثل دعاء الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران، وحيران نصب على الحال من مفعول استهوته، له اصحاب وصف لحيران ويدعونه صفة لاصحاب أي اصحاب داعون له إلى الهدى قائلون له إئتنا وهاهنا منتهى الكلام وقوله امرنا لنسلم تقول العرب امرتك لتفعل وأمرتك أن تفعل وأمرتك بأن تفعل فمن قال أمرتك بأن تفعل فالباء للإلصاق والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل ومن قال أمرتك أن تفعل حذف الجار ومن قال أمرتك لتفعل المعنى أمرتك للفعل وقال الزجاج التقدير أمرنا كي نسلم قال الشاعر:

أريدُ لأُنسى ذِكْرَهَا فَكَلِّمْهُ تَمَثَّلْ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
أي كي أنسى :

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين بخطاب الكفار فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار الذين يدعون إلى عبادة الأصنام أو قل أيها الإنسان أو أيها السامع ﴿ اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ﴾ ان عبدناه ﴿ ولا يضرنا ﴾ إن تركنا عبادته ﴿ ونردُّ على أعقابنا ﴾ هذا مثل يقولون لكل خائب لم يظفر بحاجته ردُّ على عقبيه ونكص على عقبيه وتقديره انرجع القهقري في مشيتنا والمعنى انرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان ﴿ بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ﴾ لا يهتدي إلى طريق وقيل معناه استغوته الغيلان في المهامه^(٢) عن ابن عباس وقيل معناه دعت الشياطين إلى إتباع الهوى وقيل اهلكته وقيل ذهبت به عن نطقه وقيل أضلته عن أبي مسلم ﴿ له اصحاب يدعونه إلى الهدى إئتنا ﴾ أي إلى الطريق الواضح يقولون له إئتنا ولا يقبل منهم ولا يصير إليهم لانه قد تحير لاستيلاء الشيطان عليه

(١) المنزعة : الشجرة التي يقوم عليها الساقى من البئر ومكان زلج : ملس منزلة .

(٢) أي في البادية .

يهوى ولا يهتدي ثم أمره الله سبحانه فقال ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾ أي دلالة الله لنا على توحيده وأمر دينه هو الهدى الذي يؤدّي المستدل به إلى الصلاح والرشاد في دينه وهو الذي يجب أن نعمل عليه ونستدلّ به فلا نترك ذلك إلى ما تدعون إليه ﴿وَأَمَرْنَا لِنَسْلَمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ معناه وأمرنا أن نسلم وقيل معناه أن نسلّم أمورنا ونفوضها إلى الله ونتوكّل عليه فيها.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٢) وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)



[الاعراب] [يحتمل أول الآية وجهين (أحدهما) أن يكون التقدير أمرنا لأن نسلم ولأن نقيم الصلاة (والثاني) أن يكون محمولاً على المعنى لأن معناه أمرنا بالإسلام وبإقامة الصلاة وموضع أن نصب لأن الباء لما سقطت افضى الفعل فنصب عالم الغيب رفع لانه نعت الذي في قوله وهو الذي خلق السماوات والأرض ويحتمل أن يكون فاعل فعل يدل عليه الفعل المبني للمفعول به وهو قوله ينفخ في الصور وهذا كما يقولون أَكَلَّ طَعَامُكَ عَبْدَ اللَّهِ وَالتَّقْدِيرُ أَكَلَهُ عَبْدُ اللَّهِ قَالَ الشَّاعِرُ.

لِيُبْنِيَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُونَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيعُ الطَّوَائِفُ (١)
كَأَنَّ قِيلَ مِنْ يَبْكِيهِ قَالَ يَبْكِيهِ ضَارِعٌ وَالْأَوَّلُ أَجُودٌ.

[المعنى] ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ هذا موصول بما قبله أي وقيل لنا اقيموا الصلاة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي واتقوا رب العالمين أي تجنبوا معاصية فتنقوا عقابه ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ

(١) الضارع : فاعل من ضرع فلان أي خضع وذل . المختبط : اسم فاعل من اختبطه إذا ساله المعروف . أطاح : ملك .

تَحْشَرُونَ ﴿١﴾ أَي تَجْمَعُونَ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَجَازِي كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ﴿٢﴾ فِيهِ قَوْلَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنَّ مَعْنَاهُ خَلَقَهُمَا لِلْحَقِّ لَا لِلْبَاطِلِ عَنِ الْحَسَنِ وَالزَّجَاجِ وَغَيْرِهِمَا وَمَعْنَاهُ خَلَقَهُمَا حَقًّا وَصَوَابًا لَا بَاطِلًا وَخَطَأً كَمَا قَالَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا وَادْخَلْتَ الْبَاءَ وَالْأَلِفَ وَاللَّامَ كَمَا ادْخَلْتَ فِي نَظَائِرِهَا يَقُولُونَ فَلَا يُقُولُ بِالْحَقِّ بِمَعْنَى أَنَّهُ يَقُولُ حَقًّا لَا أَنَّ الْحَقَّ مَعْنَى غَيْرِ الْقَوْلِ بَلْ تَقْدِيرُهُ إِنَّ خَلْقَهُمَا حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ مِنْ حَكَمِ اللَّهِ وَهُوَ مَوْصُوفٌ بِالْحِكْمَةِ فِي خَلْقِهِمَا وَخَلَقَ مَا سِوَاهُمَا مِنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ لَا أَنَّ هُنَاكَ حَقًّا سِوَى خَلْقِهِمَا خَلَقَهُمَا بِهِ وَالْقَوْلُ الْآخَرُ مَا قَالَهُ قَوْمٌ أَنَّ مَعْنَاهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِكَلَامِهِ الْحَقِّ وَهُوَ قَوْلُهُ إِثْنَا طَرَعًا أَوْ كَرِهًا فَالْحَقُّ صِفَةُ قَوْلِهِ وَكَلَامُهُ وَالْأَوَّلُ هُوَ الصَّحِيحُ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ذَكَرَ فِي نَصْبِ يَوْمٍ وَجْوهَ (أَحَدُهَا) أَنَّ يَكُونُ عَطْفًا عَلَى الْهَاءِ فِي قَوْلِهِ وَاتَّقُوهُ أَي وَاتَّقُوا يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَنْجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا (وَالثَّانِي) أَنَّ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى وَإِذْكَرَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ لِأَنَّ بَعْدَهُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ أَرْزُ عَطْفًا عَلَى ذَلِكَ قَالَ الزَّجَاجُ وَهُوَ الْأَجُودُ (الثَّالِثُ) أَنَّ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْمَعْنَى وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَخَلَقَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَأْتِ بَعْدَ فَجَوَابِهِ أَنَّ مَا أَنْبَأَ اللَّهُ بِكَوْنِهِ فَحَقِيقَةٌ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةٌ وَأَمَّا قَوْلُهُ كُنْ فَيَكُونُ فَقَدْ قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ خَطَابٌ لِلصُّورِ وَالْمَعْنَى يَوْمَ يَقُولُ لِلصُّورِ كُنْ فَيَكُونُ وَمَا ذَكَرَ مِنَ الصُّورِ يَدُلُّ عَلَيْهِ وَقِيلَ أَنَّ قَوْلَهُ كُنْ فَيَكُونُ فِيهِ اضْمَارُ جَمِيعِ مَا يَخْلُقُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، الْمَعْنَى وَيَوْمَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ وَهَذَا إِنَّمَا ذَكَرَ لِيَدُلَّ عَلَى سُرْعَةِ أَمْرِ الْبَعْثِ وَالسَّاعَةِ فَكَانَ يَقُولُ وَيَوْمَ يَقُولُ لِلْمَخْلُوقِ مَوْتُوا فَيَمُوتُونَ وَانْتَشَرُوا فَيَنْتَشِرُونَ أَي لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْ وَقْتِ إِرَادَتِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ أَي يَأْمُرُ فَيَقَعُ أَمْرُهُ أَي مَا وَعَدُوا بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَحَذَرُوا بِهِ مِنَ الْعِقَابِ وَالْحَقُّ مِنْ صِفَةِ قَوْلِهِ وَقَوْلُهُ فَاعِلٌ يَكُونُ كَمَا تَقُولُ قَدْ قُلْتَ فَكَانَ قَوْلُكَ وَلَيْسَ الْمَعْنَى إِنَّكَ قُلْتَ فَكَانَ الْكَلَامُ إِنَّمَا الْمَعْنَى إِنَّهُ كَانَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ الْمَتَقَدِّمِ فَيَكُونُ قَوْلُهُ مَبْتَدَأٌ وَالْحَقُّ خَبَرُهُ وَقَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ قَوْلِهِ كُنْ فَيَكُونُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ مُسْتَقْصًى ﴿وَلَهُ الْمَلِكُ يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ قِيلَ فِي نَصْبِ يَوْمٍ هُنَا وَجْوهَ (أَحَدُهَا) أَنَّ يَكُونُ مُتَعَلِّقًا بِلَهُ الْمَلِكُ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ وَجِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَقَدْ خَصَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّ الْمَلِكَ لَهُ فِيهِ كَمَا خَصَّهُ فِي قَوْلِهِ لِمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ وَالْوَجْهُ فِيهِ أَنَّهُ لَا يَبْقَى مُلْكٌ مِّنْ مُلْكِهِ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ تَغْلِبَ عَلَيْهِ بَلْ يَتَفَرَّدُ سُبْحَانَهُ بِالْمَلِكِ

(والثاني) ان يكون يوم ينفخ في الصور مبنياً عن قوله يوم يقول كن فيكون (والثالث) ان يكون منصوباً بقوله الحق والمعنى قوله الحق يوم ينفخ في الصور والوجه في اختصاصه بذلك اليوم وإن كان قوله حقاً في كل وقت ما بيّناه في الوجه الأول وهو مثل قوله والأمر يومئذ لله ولا شك أن الأمر في كل وقت لله تعالى والمراد أن ذلك اليوم يوم لا يخالف الله في أوامره لأنها محتومة ليس فيها تخيير ولا يقدر أحد على معصيته وأما الصور فقليل فيه قرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام نفختين فتفنى الخلائق كلهم بالنفخة الاولى ويحيون بالنفخة الثانية فتكون النفخة الاولى لانتهاء الدنيا والثانية لابتداء الآخرة وقال الحسن هو جمع صورة كما ان السور جمع سورة وعلى هذا فيكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور ويؤيد القول الأول ما رواه ابو سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنا جبينه واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ قالوا فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل والعرب تقول نفخ الصور ونفخ في الصور قال الشاعر.

لَوْلَا أَبْنُ جَعْدَةَ لَمْ يُفْتَحْ قَهَنْدَزُكُمْ وَلَا حُرَّاسَانُ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ^(١)

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي يعلم ما لا يشاهده الخلق وما يشاهدونه وما لا يعلمه الخلق وما يعلمونه لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿وهو الحكيم﴾ في أفعاله ﴿الخبير﴾ العالم بعباده وأفعاله.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ۖ إِلَٰهَةٌ ۚ إِنِّي أَرَدُّكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۖ ﴾^(١٧) وَكَذَٰلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۖ ﴾^(١٨)

[القراءة] القراءة الظاهرة آزر بالفتح وقرأ يعقوب الحضرمي آزر بضم الراء وهو قراءة الحسن وابن عباس ومجاهد والضحاك.

(١) قهندز هو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة وهو في مواضع كثيرة منها قهندز نيسابور وقهندز مرو وغيرهما.

[الحجة] من قرأ بالفتح جعل آزر في موضع جر بدلاً من أبيه أو عطف بيان ومن قرأ بالضم جعله منادى مفرداً وتقديره يا آزر .

[اللغة] الاصنام جمع صنم والصنم ما كان صورة والوثن ما كان غير مَصُور والآلهة جمع إله مثل إزار وآزرة والمبين هو البين الظاهر والملكوت بمنزلة الملك غير أن هذا اللفظ ابلغ لأن الواو والتاء تزدان للمبالغة ومثله الرغبوت والرهبوت ووزنه فعلوت وفي المثل رَهَبُوتٌ خَيْرٌ من رَحْمُوتٍ أي لأن تُرهب خيراً من أن تُرحم^(١) .

[الإعراب] العامل في إذ محذوف وتقديره واذكر إذ قال وقيل أنه يتصل بقوله بعد إذ هذان الله أي وبعد إذ قال إبراهيم والكاف في كذلك كاف التشبيه والمعنى كما أرينا إبراهيم قبح ما كان عليه أبوه وقومه من المذهب كذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض للاعتبار وقيل شبه رؤية إبراهيم برؤية محمد ﷺ والمعنى كما أريناك يا محمد أرينا إبراهيم وقوله وليكون عطف على محذوف وتقديره نريه الملكوت ليستدل به وليكون من الموقنين وقيل انه جملة مستأنفة أي وليكون من الموقنين أريناه قاللام يتعلق بأريناه المحذوف وقيل إن الواو زائدة ومعناه ليكون وهذا بعيد .

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

[المعنى] ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ أي واذكر إذ قال ﴿لأبيه آزر﴾ فيه أقوال (أحدها) أنه اسم أبي إبراهيم عن الحسن والسدي والضحاك (وثانيها) ان اسم أبي إبراهيم تاريخ قال الزجاج ليس بين النسابين اختلاف أن اسم أبي إبراهيم تاريخ والذي في القرآن يدل على ان اسمه آزر وقيل آزر عندهم ذم في لغتهم كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه يا مخطيء فإذا كان كذلك فالاختيار الرفع وجائز ان يكون وصفاً له كأنه قال لأبيه المخطيء وقيل آزر اسم صنم عن سعيد بن المسيب ومجاهد قال الزجاج فإذا كان كذلك فموضعه نصب على اضممار الفعل كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أتخذ آزر وجعل اصناماً بدلاً من آزر واشباهه فقال بعد أن قال اتخذ آزر إلهاً أتخذ اصناماً آلهة وهذا الذي قال الزجاج يقوي ما قاله اصحابنا أن آزر كان جد إبراهيم لأمه أو كان عمه من حيث صح عندهم ان آباء النبي إلى آدم كلهم كانوا موحدين واجتمعت الطائفة على ذلك وروي عن النبي ﷺ أنه قال لم يزل ينقلني الله من اصلاّب الطاهرين إلى ارحام المطهرات حتى اخرجني في عالمكم هذا لم يدنسني بدنس الجاهلية

(١) لأن الذي يخافه الناس يقتضي أن يكون عزيزاً والذي يشفقون عليه يقتضي أن يكون ذليلاً .

ولو كان في آياته كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله تعالى إنما المشركون نجس ولهم في ذلك أدلة ليس هنا موضع ذكرها وقوله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ استفهام المراد به الإنكار أي لا تفعل ذلك ﴿إني أراك وقومك في ضلال﴾ عن الصواب ﴿مبين﴾ ظاهر وفي الآية حث للنبي على محاجة قومه الذين دعوه إلى عبادة الأصنام والاقتراء بأبيه إبراهيم فيه وتسلية له بذلك ﴿وكذلك نري إبراهيم﴾ أي مثل ما وصفناه من قصة إبراهيم وقوله لابيه ما قال نريه ﴿ملكوت السماوات والأرض﴾ أي القدرة التي تقوى بها دلالة على توحيد الله تعالى وقيل معناه كما أريناك يا محمد أريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض من البحار والمياه والرياح ليستدل بها وهذا معنى قول ابن عباس وقتادة وقيل يعني بالملكوت آيات السماوات والأرض عن مجاهد وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ملكهما بالنبطية عن مجاهد أيضاً وقيل أن ملكوت السماوات والأرض ما نشاهده من الحوادث الدالة على أن الله سبحانه مالك لهما والله المالك لهما ولكل شيء بنفسه لا يملكه سواه فأجرى الملكوت على المملوك الذي هو في السماوات والأرض مجازاً عن أبي الجبائي وقال أبو جعفر (ع) كشط الله له عن الأرضين حتى رآهن وما تحتهن وعن السماوات حتى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش وروى أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض رأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات ثم رأى آخر فدعا عليه فمات ثم رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا فأوحى الله تعالى يا إبراهيم إن دعوتك مستجابة فلا تدع على عبادي فإني لو شئت أن أميتهم بدعائك ما خلقتهم إني خلقت خلقي على ثلاثة أصناف صنف يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه وصنف يعبد غيري فليس يفوتني وصنف يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني ﴿وليكون من الموقنين﴾ أي من المتيقنين بأن الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له.

[النظم] وجه اتصال الآية بما قبلها أنه لما عاب دينهم وذم آلهتهم واحتج عليهم بما سلف ذكره بين أنه دين إبراهيم وللناس الف بدين الآباء لا سيما إذا كان الأب ذا قدر وقيل أنها تتصل بقوله ﴿أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا﴾ إلى قوله ﴿بعد إذ هدانا﴾ ثم قال وبعد أن قال إبراهيم كذا وكذا عن أبي مسلم .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾

فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفْلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ
الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ
فَلَمَّا أَفْلَتْ قَالَ يُقَوْمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلذِّى فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو وورش من طريق البخاري رأى كوكباً بفتح الراء وكسر الهمزة
حيث كان وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ونحلف ويحيى عن أبي بكر رأى بكسر الراء
والهمزة وقرأ الباقون بفتح الراء والهمزة.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامی

[الحجة] ذكر أبو علي الوجه في قراءة من لم يمل وقراءة من أمال وأورد في ذلك كلاماً
كثيراً تركنا ذكره خوفاً الإطالة .

[اللغة] يقال جنّ عليه الليل وجنه الليل إذا أظلم حتى يستر بظلمته ويقال
لكل ما ستر قد جنّ وأجن ومنه اشتقاق الجن لأنهم استجنوا عن أعين الناس وقال الهذلي .

وَمَاءٍ وَرَدْتُ قُبَيْلَ الْكَرَى وَقَدْ جَنَّهُ السَّدْفُ الْأَذْهَمُ^(١)

ويقال اجننت الميت وجننته إذا واريته في اللحد وأفل يأفل أفولاً إذا غاب قال ذو

الرمة :

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللُّوَاتِي يَقُودُهَا نُجُومٌ وَلَا بِالْأَفِلَاتِ الدُّوَالِكِ^(٢)

(١) الكرى على ما قيل اسم موضع . السدف هنا : الظلمة . الأذهم : الأسود .

(٢) الدوالك من الدلوك وهو الغروب .

والبزوغ الطلوع يقال بزغت الشمس إذا طلعت ويسمى ثلاث ليال من أول الشهر الهلال ثم يسمى قمراً إلى آخر الشهر وإنما يسمى قمراً لبياضه وحمار أقمر أبيض والحنيف المائل إلى الحق .

[الإعراب] السؤال يقال لم قال هذا ربي ولم يقل هذه كما قال بازغة والجواب أن التقدير هذا النور الطالع ربي ليكون الخبر والمخبر عنه جميعاً على التذكير كما كان جميعاً على التأنيث في رأى الشمس بازغة وقال ابن فضال المجاشعي قوله ﴿ رأى الشمس بازغة ﴾ اخبار من الله تعالى وقوله ﴿ هذا ربي ﴾ من كلام إبراهيم والشمس مؤنثة في كلام العرب وأما في كلام ما سواهم فيجوز أن لا تكون مؤنثة وإبراهيم (ع) لم يكن عربياً فحكى الله تعالى كلامه على ما كان في لغته ويقال لم أنث الشمس وذكر القمر والجواب أن تأنيثها تفخيم لها لكثرة ضيائها على حد قولهم نسبة وعلاوة وليس القمر كذلك لأنه دونها في الضياء ويقال لم دخلت الألف واللام فيها وهي واجدة ولم تدخل في زيد وعمرو قيل لأن شعاع الشمس يقع عليه اسم الشمس فاحتيج إلى التعريف إذا قصد إلى جرم الشمس أو إلى الشعاع على طريق الجنس أو الواحد من الجنس وليس زيد ونحوه كذلك .

[المعنى] لما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى إبراهيم (ع) بين سبحانه كيف استدلل بها وكيف عرف الحق من جهتها فقال ﴿ فلما جن عليه الليل ﴾ أي أظلم عليه وستر بظلامه كل ضياء ﴿ رأى كوكباً ﴾ واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة وقيل هو المشتري ﴿ قال هذا ربي فلما أفل ﴾ أي غرب ﴿ قال لا أحب الأفلين ﴾ واختلف في تفسير هذه الآيات على أقوال (أحدها) أن إبراهيم (ع) إنما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر وخطور الخاطر الموجب عليه النظر بقلبه لأنه (ع) لما أكمل الله عقله وحرك دواعيه على الفكر والتأمل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال هذا ربي على سبيل الفكر فلما أفل علم أن الأفول لا يجوز على الإله فاستدل بذلك على أنه محدث مخلوق وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس فإنه لما رأى أفولهما قطع على حدوثهما واستحالة إلهيتهما وقال في آخر كلامه ﴿ يا قوم إني بريء مما تشركون إن وجهي وجهي للذي فطر السماوات والأرض ﴾ إلى آخره وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأن صفات المحدثين لا تجوز عليه وهذا اختيار أبي القاسم البلخي وغيره قال وزمان مهلة النظر هي أكثر من ساعة وأقل من شهر ولا يعلم ما بينهما إلا

الله تعالى (وثانيها) أنه إنما قال ذلك قبل بلوغه ولما قارب كمال العقل حرّكته الخواطر فيما شاهده من هذه الحوادث فلما رأى الكوكب ونوره وإشراقه وزهوره ظنّ أنه ربه فلما أفل وانتقل من حال إلى حال قال لا أحب الأفلين ﴿ فلما رأى القمر بازغاً ﴾ عند طلوعه ورأى كبره وإشراقه وانبساط نوره وضيائه في الدنيا ﴿ قال هذا ربي فلما أفل ﴾ وصار مثل الكوكب في الأفول والغيوبة وعلم أنه لا يجوز أن يكون ذلك صفة الإله ﴿ قال لئن لم يهديني ربي ﴾ إلى رشدي ولم يوفقني ويلطف بي في إصابة الحق من توحيده ﴿ لأكونن من القوم الضالين ﴾ بعبادة هذه الحوادث ﴿ فلما رأى الشمس بازغة ﴾ أي طالعة وقد ملأت الدنيا نوراً ورأى عظمها وكبرها ﴿ قال هذا ربي هذا أكبر ﴾ من الكوكب والقمر ﴿ فلما أفلت قال ﴾ حينئذ لقومه ﴿ يا قوم إني بريء مما تشركون ﴾ مع الله الذي خلقتني وخلقكم في عبادته من آلهتكم فلما أكمل الله عقله وضبط بفكره النظر في حدوث الأجسام بأن وجدها غير منفكة من المعاني المحدثه وأنه لا بدّ لها من محدث قال حينئذ لقومه ﴿ إني وجهت وجهي ﴾ أي نفسي ﴿ للذي فطر السماوات والأرض خنيئاً ﴾ أي مخلصاً مائلاً عن الشرك إلى الإخلاص ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ وهذا اختيار أبي علي الجبائي ويسأل عن القول الأول كيف قال (ع) هذا ربي مخبراً وهو مخبرٌ عالم بما يخبر به والإخبار بما لا يأمن المخبر أن يكون فيه كاذباً قبيح والجواب عنه من وجهين (أحدهما) أنه لم يقل ذلك مخبراً وإنما قاله فارضاً ومُقَدِّراً على سبيل التأمل كما يفرض أحدنا إذا نظر في حدوث الأجسام كونها قديمة لئيبين ما يؤدّي إليه الفرض من الفساد ولا يكون بذلك مخبراً في الحقيقة (والآخر) أنه أخبر عن ظنّه وقد يجوز أن يظنّ المتفكر في حال فكره ونظره مالا أصل له ثم يرجع عنه بالأدلة .

(سؤال آخر) كيف تعجّب إبراهيم (ع) من رؤية هذه الأشياء تعجّب من لم يكن رآها وكيف يجوز أن يكون مع كمال عقله لم يشاهد السماء والكواكب والجواب أنه لا يمتنع أن يكون (ع) ما رأى السماء إلا في ذلك الوقت لأنه قد روي أن أمه كانت ولدت في مغارة خوفاً من أن يقتله نمرود ومَنْ يكون في المغارة لا يرى السماء فلما قارب البلوغ وبلغ حدّ التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وقد يجوز أيضاً أن يكون قد رأى السماء قبل ذلك إلا أنه لم يفكر في أعلامها لأن الفكر لم يكن واجباً عليه وحين كمل عقله فكّر في ذلك (وثالثها) أن إبراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالماً موقناً أن ربه سبحانه لا يجوز أن يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه والتنبية لهم على أن

يكون إلهاً معبوداً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ويكون قوله ﴿هذا ربي﴾ محمولاً على أحد الوجهين إما على أنه كذلك عندكم وفي مذاهبكم كما يقول أحدنا للمشبه هذا ربه جسم يتحرك ويسكن وإما على أن يكون قال ذلك مستفهماً وأسقط حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد كثر مجيء ذلك في كلام العرب قال أوس بن حجر :

لَعَمْرُكَ لَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا شُعَيْبُ بْنُ سَهْمٍ أَمْ شُعَيْبُ بْنُ مَنَقَرٍ
وقال الأخطل :

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بِوَاسِطٍ غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالاً^(١)
وقال عمرو بن أبي ربيعة :

ثُمَّ شَقَالُوا تُجِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا^(٢) عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْتِرَابِ
أي أتجيبها ؟ وقال آخر :

رَفَوْنِي وَقَالُوا يَا خَوِيلِدُ لَا تُسْرِعْ فَقُلْتُ وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ هُمْ هُمْ^(٣)
أي أتهم هُمْ وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ معناه أفلا اقتحم فحذف حرف الاستفهام (ورابعها) أنه (ع) إنما قال استخداعاً للقوم يريهم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق جارٍ عليه اعراض الحوادث فإنهم كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب وبعضهم يعبدون النيران وبعضهم يعبدون الأوثان فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه قال لهم هذا ربي في زعمكم كما قال ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ فأضافه إلى نفسه حكاية لقولهم فكأنه قال لهم هذا ربي في قولكم وقيل أنه نوى في قلبه الشرط أي إن كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون فهذا الكوكب وهذا القمر والشمس ربي ولم يكن الحجر ربهم ولا الكوكب ربه وفي هذه الآيات دلالة على حدوث الاجسام واثبات الصانع وإنما استدل إبراهيم بالأفول على حدوثها لأن حركتها بالأفول أظهر ومن الشبهة أبعد

(١) الواسط: بئد بالعراق. الغلس كغرس: ظلمة آخر الليل. والظلام: ذهاب النور وأراد به هنا الليل. والرباب: كسحاب: اسم امرأة. والخيال: الظن.

(٢) قوله بهراً مفعول مطلق لفعل محذوف أي بهرني بهراً بمعنى غلبني غلبة.

(٣) رفوني أي سكنوني من الرعب اعتبر بمشاهدة الوجوه وجعلها دليلاً على ما في النفوس.

وإذا جازت عليها الحركة والسكون فلا بُدُّ أن تكون مخلوقة محدثة وإذا كانت محدثة فلا بُدُّ لها من محدث والمحدث لا بد أن يكون قادراً ليصحَّ منه الإحداث وإذا أحدثها على غاية الانتظام والإحكام فلا بُدُّ أن يكون عالماً وإذا كان قادراً عالماً وجب أن يكون حياً موجوداً وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجر لهم عن عبادة الأصنام وحثُّ لهم على سلوك طريق أبيهم إبراهيم (ع) في النظر والتفكير لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه أن اتباع الحق من دين إبراهيم الذي يُقرُّون بفضلِهِ أوجب عليهم .

[القصة] ذكر أهل التفسير والتاريخ أن إبراهيم (ع) ولد في زمن نمرود بن كنعان وزعم بعضهم أن نمرود كان من ولاية كيكائوس وبعضهم قال كان ملكاً برأسه وقيل لنمرود أنه يولد في بلده هذه السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ثم اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهن وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الأنبياء وقال آخرون رأى نمرود كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر فسأل عنه فعبر بأنه يولد غلام يذهب ملكه على يده عن السدي فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء وبأن يتفحص عن أحوال النساء فمن وجدت حُبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاماً قتل وإن كانت جارية خلعت حتى حبلت أم إبراهيم فلما دنت ولادة إبراهيم خرجت أمه هاربة فذهبت به إلى غارٍ ولقته في خرقه ثم جعلت على باب الغار صخرة ثم انصرفت عنه فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمسحها فتشخب لبناً وجعل يشبُّ في اليوم كما يشبُّ غيره في الجمعة ويشبُّ في الجمعة كما يشبُّ غيره في الشهر ويشبُّ في الشهر كما يشبُّ غيره في السنة فمكث ما شاء الله أن يمكث وقيل كانت تختلف إليه أمه فكان يمسح أصابعه فوجدته يمسح من أصبع ماء ومن أصبع لبناً ومن أصبع عسلاً ومن أصبع تمرأً ومن أصبع سمناً عن أبي روق ومحمد بن إسحاق ولما خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثم رأى القمر ثم رأى الشمس فقال ما قال ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشا أمره وجرت المناظرات .

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ

هَدَنِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا

وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ
مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر في رواية ابن ذكوان أتحتاجوني خفيفة النون والباقون بالتشديد .

[الحجة] قال أبو علي لا نظير في قول من شدد فأما وجه التخفيف فإنه حذفت النون الثانية لالتقاء النونين والتضعيف يكره فيتوصل إلى إزالته تارة بالحذف نحو علماء بنو^(١) فلان وتارة بالإبدال نحو لا أملاه حتى تفارقا نحو ديوان وقيراط فحذفوا النون الثانية كراهة التضعيف ولا يجوز أن تكون المحذوفة الأولى لأن الاستثقال يقع بالتكرير في الأمر الأعم وفي الأولى أيضاً أنها دلالة الإعراب وإنما حذفت الثانية كما حذفتها في ليتى في نحو قوله « إذ قال ليتى أصادفه ويذهب بعض مالي »^(٢) وقوله :

تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلِّمُكَ مَسْكَاً يَسُوءُ الْفَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي^(٣)

فالمحذوفة المصاحبة للياء ليسلم سكون لام الفعل وما يجري مجراها أو حركتها ولا يجوز أن يكون المحذوفة الأولى لأن الفعل يبقى بلا فاعل كما لا تحذف الأولى في أتحتاجوني لأنها للإعراب ويدل على أن المحذوفة الثانية أنها حذفت مع الجار أيضاً في نحو قوله « قَدْ نِي مِنْ نَصْرِ الْخُبَيَّيْنِ قَدْ نِي »^(٤) وقد جاء حذف هذه النون في كلامهم قال الشاعر :

أَبِالْمَوْتِ الَّذِي لَا بُدَّ أُنِّي مُلَاقٍ لَا أَبَاكَ تُخَوِّفِينِي

وقال :

(١) أصله « بنو » بواوين فسقطت أحديهما . وأملاه أصله « أملة » بلامين .

(٢) هو من بيت لزيد الخيل الذي سماه النبي صلى الله عليه وآله زيد الخير وهو : كدنية جابر إذ قال ليتى الخ .

(٣) الثغام : شجر أبيض الزهر والثمر كأن جماعتها هامة شيخ . قوله عل مسكاً من عل الأديم إذا أشبعه الصباغ .

الفاليات جمع الفالية من الفلى وهو أخذ الفعل والشاهد في قوله « فليني » فإن أصله فليئني بالنونين .

(٤) ونعامة : ليس الإمام بالشحيح الملهد .

تَذْكُرُونَا إِذْ نُفَاتِلُكُمْ لَا يَضُرُّ مُعْدِمًا عَدْمُهُ

[الإعراب] موضع أن يشاء نصب أي لا أخاف إلا مشيئة الله وهذا استثناء منقطع وقيل متصل وتقديره لا أخافهم إلا أن يشاء ربي إحياءهم واقدارهم وعِلْماً منصوب على التمييز .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه حاجة إبراهيم مع قومه فقال ﴿ وحاجه قومه ﴾ أي خاصموه وجادلوه في الدين وخوفوه من ترك عبادة آلهتهم ﴿ قال ﴾ أي إبراهيم لهم ﴿ أتحتاجوني في الله وقد هذان ﴾ أي وفقني لمعرفة ولفظ بي في العلم بتوحيده وترك الشرك وإخلاص العبادة له ﴿ ولا أخاف ما تشركون به ﴾ أي لا أخاف منه ضرراً إن كفرت به ولا أرجو نفعاً إن عبدته لأنه بين صنم قد كسر فلم يدفع عن نفسه ونجم دل أفوله على حدوثه فكيف تحتاجوني وتدعونني إلى عبادة من لا يخاف ضرره ولا يرجى نفعه ﴿ إلا أن يشاء ربي شيئاً ﴾ فيه قولان (أحدهما) أن معناه إلا أن يغلب الله هذه الأصنام التي تخوفوني بها فيحييها ويقدرها فتضر وتنفع فيكون ضررها ونفعها إذ ذاك دليلاً على حدوثها أيضاً وعلى توحيد الله وعلى أنه المستحق للعبادة دون غيره وأنه لا شريك له في ملكه ثم أثنى على الله سبحانه فقال ﴿ وسع ربي كل شيء علماً ﴾ أي هو عالم بكل شيء ثم أمرهم بالتذكر والتدبر فقال ﴿ أفلا تتذكرون ﴾ والثاني قول الحسن معناه لا أخاف الأوثان إلا أن يشاء ربي أن يعذبني ببعض ذنوبي أو يشاء الاضرار بي ابتداءً والاول أجود ثم احتج (ع) عليهم وأكد الحجاج بقوله ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم ﴾ أي كيف تلزمونني أن أخاف ما أشركتم به من الأوثان المخلوقة وقد تبين حالهم في أنهم لا يضرون ولا ينفعون ﴿ ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ﴾ أي ولا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تجرؤون عليه بأن أشركتم أي جعلتم له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه وقيل معناه كيف أخاف شرككم وأنا منه بريء والله تعالى لا يعاقبني بفعلكم وأنتم لا تخافون وقد أشركتم به فيكون على هذا ما في قوله ﴿ ما أشركتم ﴾ مصدرية ﴿ ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ﴾ أي حجة على صحته وهذا يدل على أن كل من قال قولاً أو اعتقد مذهباً بغير حجة فهو مبطل ﴿ فأي الفريقين أحق بالأمن ﴾ أنحن وقد عرفنا الله بأدلتنا ووجهنا العبادة نحوه أم أنتم وقد أشركتم بعبادة غيره من الأصنام ولو أطرحتهم العصبية والحمية لما وجدتم لهذا الحجاج مدفعاً ﴿ إن كنتم تعلمون ﴾ أي تستعملون عقولكم وعلومكم فتميزون الحق من الباطل والدليل من الشبهة .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ^ط وَهُمْ

مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

[اللغة] قال الأصمعي الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه قال الشاعر يمدح قوماً « هُرْتُ الشَّقَاشِقِ ظَلَامُونَ لِلْجُزُرِ »^(١) يريد أنهم عرقبوا فوضعوا النحر غير موضعه وقال النابغة « وَالنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلْدِ »^(٢) يريد الأرض التي صرف عنها المطر وإنما سماها مظلومة لأنهم يتحوضون فيها حوضاً لم يحكموا صنعه ولم يضعوه في موضعه لكونهم مسافرين .

[المعنى] لما تقدم قوله سبحانه أي الفريقين أحق بالآمن أي بأن يأمن من العذاب الموحّد أم المشرك عَقَّبَهُ ببيان من هو أحق به فقال ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ معناه الذين عرفوا الله تعالى وصدقوا به وبما أوجبه عليهم ولم يخلطوا ذلك بظلم والظلم هو الشرك عن ابن عباس وسعيد بن المسيب وقتادة ومجاهد وأكثر المفسرين وروي عن أبي بن كعب أنه قال ألم تسمع قوله سبحانه ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ وهو المروي عن سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وروي عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق على الناس وقالوا يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه فقال ﷺ أنه ليس الذي تعنون ألم تستمعوا إلى ما قال العبد الصالح يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم وقال الجبائي والبلخي يدخل في الظلم كل كبيرة تحبط ثواب الطاعة وقال البلخي ولو اختص الشرك على ما قالوه لوجب أن يكون مرتكب الكبيرة إذا كان مؤمناً كان آمناً وذلك خلاف القول بالإرجاء وهذا لا يلزم لأنه قول بدليل الخطاب ومرتكب الكبيرة غير آمن وإن كان ذلك معلوماً بدليل آخر ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ ﴾ من الله بحصول الثواب والأمان من العقاب ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ أي محكوم لهم بالاهتداء إلى الحق والدين وقيل إلى الجنة واختلف في هذه الآية فقيل أنه من تمام قول

(١) من هرت توبه هرتاً إذا شقه ويقال للخطيب من الرجال أهرت الشقشقة . الشقشقة : شيء كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج وفلان شقشقة قومه أي شريفهم ونصيحتهم الجزر جمع الجزور .

(٢) هو من شعر للنابغة يصف سيلاً وقيل : إلا الأوارى لا ياما أيئنها . النؤى : الحاجز حول البيت من تراب . الجلد : الأرض الصلبة .

إبراهيم (ع) وقيل ان هذا القول من الله تعالى على جهة فصل القضاء بذلك بين إبراهيم (ع) وقومه عن محمد بن إسحاق وابن زيد والجبائي .

﴿وَتِلْكَ جُجُنَاءُ اتَّبَعَهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ۚ نَزَعُ
 دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّسَاءٍ ۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
 وَسُلَيْمَانَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا
 فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمُ الْمُرْتَدِينَ ۚ وَإِبْرَاهِيمَ
 وَآجُتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ويعقوب درجات منوناً والباقون درجات من نشاء بالإضافة
 وقرأ أهل الكوفة غير عاصم والليث بتشديد اللام وفتحها وسكون الياء ههنا وفي ص والباقون
 والليث بسكون اللام وفتح الياء .

[الحجة] من أضاف درجات ذهب إلى أن المرفوعة هي الدرجات لمن يشاء ومن
 نون ذهب إلى أن المرفوع صاحب الدرجات ويقوي قراءة من أضاف قوله تلك الرسل فضلنا
 بعضهم على بعض فمن فضل على غيره فقد رفعت درجته عليه ويدل على قراءة من نون قوله
 ﴿ورفع بعضهم درجات﴾ لأنه في ذكر الرسل فأما قوله ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض
 درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ فإنه في الرتب وارتفاع الأحوال في الدنيا واتضاعها
 لأن قبله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وأما من قرأ الليث باللام فإن هذه اللام

زائدة قال أبو علي اعلم أن لام المعرفة يدخل الأسماء على ضربين (أحدهما) للتعريف والآخر زيادة زيدت كمل تزداد الحروف والتعريف على ضروب منها أن يكون إشارة إلى معهود بينك وبين المخاطب نحو الرجل إذا أردت به رجلاً عرفتماه بعهد كان بينكما (والآخر) أن يكون إشارة إلى ما في نفوس الناس من علمهم للجنس فهذا الضرب وإن كان معرفة كالأول فهو مخالف له من حيث كان الأول قد علمه حساً وهذا لم يعلمه كذلك إنما يعلمه معقولاً وأما نحو مررت بهذا الرجل فإنما أشير به إلى الشاهد الحاضر لا إلى غائب معلوم بعهد ألا ترى أنك تقول ذلك فيما لا عهد بينك فيه وبين مخاطبك ويدلّك على ذلك قولك في النداء يا أيها الرجل فتشير به إلى المخاطب الحاضر فأما نحو العباس والحارث والحسن فإنما دخلت الألف واللام فيها على تنزيل أنها صفات جارية على موصوفين وهذا، يعني الخليل بقوله جعلوه الشيء بعينه فإذا لم ينزل هذا التنزيل لم يلحقوها الألف واللام فقالوا حارث وعباس وعلى كلا المذهبين جاء ذلك في كلامهم قال الفرزدق :

يُقَعِّدُهُمْ أَغْرَاقُ حِذْيَمٍ بَعْدَ مَا رَجَا الْهَيْتُمْ إِذْ رَأَى الْعَلَى وَالْمَكَارِمَ (١)

وقال :

ثَلَاثٌ مِثْلِينَ لِلْمُلُوكِ وَفِي بَهَا رِذَائِي وَجَلْتُ عَنْ وُجُوهِ الْأَهَائِمِ (٢)

فجعل له مرة اسماً بمنزلة اضحاة وأضاح ومرة صفة بمنزلة أحمر وحمرة وجمع الأعشى بين الأمرين في قوله :

أَتَانِي وَعِيدُ الْخُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ قِيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتُ الْأَخَاوِصَا (٣)

وأما قوله :

وَالْتَيْمُ الْأُمِّ مَنْ يَمْشِي وَالْأُمُّهُمُ ذَهْلُ ذَيْنِ تَيْمٍ بَنُو السُّودِ الْمَدَانِيسِ (٤)

فإنه يحتمل أمرين يجوز أن يكون بمنزلة العباس لأن التيم مصدر والمصادر قد أجريت مجرى

(١) الخوص والاحوص جمع الخوص . اريد بهما بني الخوص بن جعفر بن كلاب واسمه ربيعة وكان صغير العينين .

(٢) المدانيس : جمع الدنس ككفف .

(٣) الركائب جمع الركاب : الابل .

(٤) الاعباء : الاتقال .

أسماء الفاعلين فوصف بها كما وصف بأسماء الفاعلين وجمع جمعها في نحو نور وأنوار وسيل وسوائل وعلى هذا قالوا الفضل في اسم رجل كأنهم جعلوه الشيء الذي هو خلاف النقص والآخر أن يكون تيمي وتيم كزنجي وزنج فأما الألف واللام في الليسع فلا يخلو أن تكون زائدة أو غير زائدة فإن كانت غير زائدة فلا يخلو أن يكون على حد الرجل إذا أردت به المعهود أو الجنس نحو إن الإنسان لفي خسر أو على دخولهما في العباس فلا يجوز أن يكون على واحد من ذلك فثبت أنه زيادة ومما جاءت اللام فيه زائدة ما أنشده أحمد بن يحيى :

يَسَا لَيْتَ أُمُّ الْعَمَسِرِ وَكَانَتْ ضَاجِبِي مَكَانَ مَنْ أَنْشَأَ عَلَى الرِّكَائِبِ^(١)

ومما جاءت الألف واللام فيه زائدة الخمسة العشر درهماً حكاه أبو الحسن الأخفش ألا ترى أنهما إسم واحد ولا يجوز أن يُعرَفَ إسم واحد بتعريفين كما لا يجوز أن يتعرف بعض الإسم دون بعض وذهب أبو الحسن إلى أن اللام في اللات زائدة لأن اللات معرفة فأما العزى فيمنزلة العباس وقياس قول أبي الحسن هذا أن يكون اللام في اليسع أيضاً زائدة لأنه علم مثل اللات وليس صفة ومما جاءت اللام فيه زائدة قول الشاعر :

وَجَدْنَا الْوَلِيدَ ابْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا تَحْتَ كَفِّهِ شَدِيدًا دُرِّي بَاغِبَاءِ الْخِلَافَةِ كَاهِلُهُ^(٢)

فأما من قال الليسع فإنه يكون اللام على حد ما في الحرث ألا ترى أنه على وزن الصفات إلا أنه وإن كان كذلك فليس له مزية على القول الآخر ألا ترى أنه لم يجيء في الأسماء الأعجمية المنقولة في حال التعريف نحو إسماعيل وإسحاق شيء على هذا النحو كما لم يجيء فيها شيء فيه لام التعريف فإذا كان كذلك كان الليسع بمنزلة اليسع في أنه خارج عما عليه الأسماء الأعجمية المختصة المعربة .

[الإعراب] وتلك حجتنا تلك مبتدأ وحجتنا خبره والظاهر أن قوله على قومه من صلة حجتنا أي وتلك حجتنا على قومه وإذا جعلت أتيانها من صفة حجتنا كان فصلاً بين الصلة والموصول وذلك لا يجوز فينبغي أن يكون متعلقاً بمحذوف هذا الظاهر تفسير له كذا نقل عن أبي علي الجبائي .

(٢) الأعباء : الأنقال .

(١) الركائب جمع الركاب : الأبل .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْحَجَجَ الَّتِي ذَكَرَهَا إِبْرَاهِيمَ (ع) لِقَوْمِهِ آتَاهُ إِيَّاهَا وَأَعْطَاهَا إِيَّاهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ هَدَاهُ لَهَا وَأَنَّهُ إِحْتَجَّ بِهَا بِأَمْرِهِ فَقَالَ ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ﴾ أَيِ أَدَلَّتْنَا ﴿ آتَيْنَاهَا ﴾ أَيِ أَعْطَيْنَاهَا ﴿ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وَأَخْطَرْنَاهَا بِبَالِهِ وَجَعَلْنَاهَا حُجْجاً ﴿ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ مِنَ الْكُفَّارِ حَتَّى تُمْكِنَ مِنْ إِيْرَادِهَا عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْمَحَاجَةِ ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَصْدَقُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَطِيعُونَهُ وَنَفْضِلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِحَسَبِ أَحْوَالِهِمْ فِي الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ ﴿ إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ يَجْعَلُ التَّفَاوُتَ بَيْنَهُمْ عَلَى مَا تَوَجَّهَ حِكْمَتُهُ وَيَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِنْ نَشَاءٍ عَلَى الْخَلْقِ بِالْإِصْطِفَاءِ لِلرَّسَالَةِ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ ﴾ أَيِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿ إِسْحَاقَ ﴾ وَهُوَ ابْنُهُ مِنْ سَارَةَ ﴿ وَيَعْقُوبَ ﴾ ابْنَ إِسْحَاقَ ﴿ كَلَّا هَدَيْنَا ﴾ أَيِ كُلَّ الثَّلَاثَةِ فَضَّلْنَا بِالنَّبُوَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴾ أَيِ ذَاهِبًا عَنِ النَّبُوَّةِ فَهَذَاكَ إِلَيْهَا وَقِيلَ مَعْنَاهُ كَلَّا هَدَيْنَا بَنِيْلَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَاتِ عَنِ الْجَبَائِثِ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ بِأَنَ رَزَقَهُ الْوَلَدَ وَوَلَدَ الْوَلَدَ فَإِنْ مِنْ أَفْضَلِ النِّعَمِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَرْزُقَهُ اللَّهُ وَلَدًا يَدْعُو لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ فَكَيْفَ إِذَا رَزَقَ الْوَلَدَ وَوَلَدَ الْوَلَدَ وَهُمَا نَبِيَّانِ مَرْسَلَانِ ﴿ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أَيِ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ أَيِ مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ وَلَآنَ فِيمَنْ عَدَدَهُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ لُوطٌ وَإِلْيَاسُ وَقِيلَ أَرَادَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ دَاوُدَ ﴾ وَهُوَ دَاوُدُ بْنُ إِسْحَاقَ ﴿ وَسُلَيْمَانَ ﴾ ابْنَهُ ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ وَهُوَ أَيُّوبُ بْنُ أُمُوصَ بْنِ رَازِجَ بْنِ رُومَ بْنِ عِيصَا بْنِ إِسْحَاقَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَيُوسُفَ ﴾ بَنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَمُوسَى ﴾ بَنَ عِمْرَانَ بْنِ يَصْهَرَ بْنِ قَاهْثَ بْنِ لَآوِي بْنِ يَعْقُوبَ ﴿ وَهَارُونَ ﴾ أَخَاهُ وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ بِسَنَةِ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ بَنِيْلَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَاتِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِهِ كَمَا تَفَضَّلْنَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ بِالنَّبُوَّةِ فَكَذَلِكَ نَتَفَضَّلُ عَلَى الْمُحْسِنِينَ بَنِيْلَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَاتِ ﴿ وَزَكَرِيَّا ﴾ وَهُوَ زَكَرِيَّا بْنُ أَدْنَ بْنِ بَرْكِيَا ﴿ وَيَحْيَى ﴾ وَهُوَ ابْنُهُ ﴿ وَعِيسَى ﴾ وَهُوَ ابْنُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ بْنِ يَاشَهُمْ بْنِ أُمُونَ ابْنِ حَزْقِيَا ﴿ وَالْيَاسَ ﴾ وَاخْتَلَفَ فِيهِ فَقِيلَ أَنَّهُ إِدْرِيسُ كَمَا قِيلَ لِيَعْقُوبَ إِسْرَائِيلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَقِيلَ هُوَ إِيلَاسُ بْنُ بَسْتَرَ بْنِ فَنْحَاصَ بْنِ الْعِيزَارَ بْنِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ نَبِيٍّ اللَّهُ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ وَقِيلَ هُوَ الْخَضِرُ عَنْ كَعْبٍ ﴿ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ أَيِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ﴿ وَاسْمَاعِيلَ ﴾ وَهُوَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ ﴿ وَالْيَسَعَ ﴾ بَنَ أَخْطُوبَ ابْنَ الْعَجُوزِ ﴿ وَيُونُسَ ﴾ بَنَ مَتَّى ﴿ وَلُوطًا ﴾ وَهُوَ لُوطُ بْنُ هَارَانَ بْنِ أَخِي إِبْرَاهِيمَ وَقِيلَ هُوَ ابْنُ أُخْتِهِ ﴿ وَكَلَّا ﴾ أَيِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ﴿ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ أَيِ عَالَمِي زَمَانِهِ وَمَنْ قَالَ أَنَّ الْهَاءَ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ كُنَايَةٌ ﴾ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ أَنَّهُ سَمَّى ذُرِّيَّتَهُ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

المحسنين ﴿ ثم عطف قوله ﴿ وزكريا ويحيى ﴾ على قوله ﴿ ونوحاً هدينا ﴾ ولا يمتنع أيضاً أن يكون غلب الأكثر الذين هم من نسل إبراهيم على أن الرواية التي جاءت عن ابن مسعود أن الياس إدريس هو جد نوح إذا لم تضعف قول من قال إن الهاء كناية عن نوح فكذلك إذا لم يكن لوط من ذرية إبراهيم لم يضعف قول من قال إن الهاء كناية عن إبراهيم وقال الزجاج يجوز أن يكون من ذريته من ذرية نوح ويجوز أن يكون من ذرية إبراهيم لأن ذكرهما جميعاً قد جرى وأسماء الأنبياء التي جاءت بعد قوله ﴿ ونوحاً ﴾ نسق على نوح وإذا جعل الله سبحانه عيسى من ذرية إبراهيم (ع) أو نوح ففي ذلك دلالة واضحة وحجة قاطعة على أن أولاد الحسن والحسين (ع) ذرية رسول الله (ﷺ) على الإطلاق وإنهما ابنا رسول الله (ﷺ) وقد صح في الحديث أنه قال لهما عليهما السلام إبنائي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال للحسن (ع) أن إبنني هذا سيد وإن الصحابة كانت تقول لكل منهما ومن أولادهما يا ابن رسول الله ﴿ ومن آبائهم ﴾ يعني ومن آباء هؤلاء الأنبياء ﴿ وذرياتهم وإخوانهم ﴾ جماعة فضلناهم وقال الزجاج معناه هدينا هؤلاء وهدينا بعض آبائهم وإخوانهم ﴿ واجتبيناهم ﴾ أي إصطفيناهم واخترناهم للرسالة وهو مأخوذ من جيت الماء في الحوض إذا جمعته ﴿ وهديناهم ﴾ أي سددناهم وأرشدناهم فاهتدوا ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ أي طريق بين لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق .

﴿ ذَلِكْ هَدَىٰ اللَّهُ

يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوَّةَ ۖ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا
بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْنَدُهُ
قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده اقتده بكسر الهاء مشبعة والباقون اقتده ساكنة الهاء إلا

أن حمزة والكسائي ويعقوب وخلفا يحذفون الهاء في الوصل ويشبتونها في الوقف والباقون يشبتونها في الوصل والوقف .

[الحجة] قال أبو علي الوجه الوقوف على الهاء لاجتماع الجمهور على إثباته ولا ينبغي أن يوصل والهاء ثابتة لأن هذه الهاء في السكت بمنزلة همزة الوصل في الابتداء في أن الهاء للوقف كما أن همزة الوصل للابتداء بالساكن فكما لا تثبت الهمزة في الوصل كذلك ينبغي أن لا تثبت الهاء ووجه قراءة ابن عامر أن يجعل الهاء كناية عن المصدر لا التي تلحق الوقف وحسن إضماره لذكر الفعل الدال عليه ومثل ذلك قول الشاعر :

فَجَالَ عَلَى وَحْشِيَّهِ وَتَخَالَهُ عَلَى ظَهْرِهِ سَبًّا جَدِيداً يَمَانِيَا^(١)

كانه قال وتخال خيلاً على ظهره سباً فعلى متعلق بمحذوف والتقدير ثابتاً على ظهره ومثله قول الشاعر :

هَذَا سُرَاقَةٌ لِّلْقُرْآنِ يَذْرُسُهُ وَالْمَرْءُ عِنْدَ الرُّشَى إِنْ يَلْقَاهَا ذَيْبٌ^(٢)

فالهاء كناية عن المصدر ودل يدرسه على الدرس ولا يجوز أن يكون ضمير القرآن لأن الفعل قد تعدى إليه باللام فلا يجوز أن يتعدى إليه وإلى ضميره .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ إِكْرَامَهُ لِأَنْبِيَائِهِ (ع) ثُمَّ أَمَرَ مِنْ بَعْدِ بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ فَقَالَ ﴿ ذَلِكَ ﴾ وهو إشارة إلى ما تقدم ذكره من التفضيل والاجتباء والهداية والاصطفاء ﴿ هُدَى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْهُدَايَةِ هُنَا هِيَ الْإِرْشَادُ إِلَى الثَّوَابِ دُونَ الْهُدَايَةِ الَّتِي هِيَ نَصَبُ الْأَدْلَةِ أَلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ وَذَلِكَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالثَّوَابِ الَّذِي يَخْتَصُّ الْمُحْسِنِينَ دُونَ الدَّلَالَةِ الَّتِي يَشْرِكُ بِهَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَقَوْلُهُ ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ يَدُلُّ أَيْضاً عَلَى ذَلِكَ

(١) وحشي كل دابة : شقه الأيمن وأنسيه شقه الأيسر لأن الدابة لا تؤتى من جانبها الأيمن وإنما تؤتى في الاحتلاب والركوب من جانبها الأيسر فإنما خوفه منه والخائف إنما يفر من موضع المخافة إلى موضع الأمن . السب : ثوب .

(٢) الرشى جمع الرشوة أي وهذا المرء ذنب عند الرشى وفي جامع الشواهد الرشا بالكسر بمعنى الحبل . وذنب بالنون بدل ذنب .

ومعناه أنهم لو أشركوا لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقعونها على خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيهها إلى غير الله تعالى وليس في ذلك دلالة على أن الثواب الذي استحقوه على طاعتهم المتقدمة يحبط إذ ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ذلك على أنا قد علمنا بالدليل أن المشرك لا يكون له ثواب أصلاً واجتمعت الأمة على ذلك ﴿ أولئك ﴾ يعني به من تقدّم ذكرهم من الأنبياء ﴿ الذين آتيناهم ﴾ أي أعطيناهم ﴿ الكتاب ﴾ أراد الكتب ووحد لأنه عنى به الجنس ﴿ والحكم ﴾ معناه والحكم بين الناس وقيل الحكمة ﴿ والنبوة ﴾ أي الرسالة ﴿ فإن يكفر بها ﴾ أي بالكتاب والحكم والنبوة ﴿ هؤلاء ﴾ يعني الكفار الذين جحدوا نبوة النبي (ﷺ) في ذلك الوقت ﴿ فقد وكلنا بها ﴾ أي بمراعاة أمر النبوة وتعظيمها والأخذ بهدى الأنبياء ﴿ قوماً ليسوا بها بكافرين ﴾ واختلف في المعنيين بذلك فقيل عنى به الأنبياء الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أتى به النبي (ﷺ) قبل وقت مبعثه عن الحسن واختاره الزجاج والطبري والجبائي وقيل عنى به الملائكة عن أبي رجاء العطاردي وقيل عنى به من آمن من أصحاب النبي (ﷺ) في وقت مبعثه وقيل عنى بقوله ﴿ فإن يكفر بها كفار قريش وبقوله ﴾ قوماً ليسوا بها بكافرين ﴿ أهل المدينة عن الصحاح واختاره الفراء وإنما قال وكلنا بها ولم يقل فقد قام بها قوم تشريفاً لهم بالإضافة إلى نفسه وقيل معناه فقد ألزمتها قوماً فقاموا بها وفي هذا ضمان من الله تعالى أن ينصر نبيه ﷺ ويحفظ دينه ﴿ أولئك الذين هدى الله ﴾ أي هداهم الله إلى الصبر ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ معناه اقتد بهم في الصبر على أذى قومك وإصبر كما صبروا حتى تستحق من الثواب ما استحقوه وقيل معناه أولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم فاقتد بطريقتهم في التوحيد والأدلة وتبليغ الرسالة والإشارة بأولئك إلى الأنبياء الذين تقدّم ذكرهم عن ابن عباس والسدي وابن زيد وقيل إلى المؤمنين الموكلين بحفظ دين الله لأنه في ذكرهم عن الحسن وقتادة وعلى هذا فلم يتكرر لفظ الهداية وفي القول الأول أعاد ذكر الهداية لطول الكلام ويكون معنى قوله ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ اقتد بصبر أيوب وسخاء إبراهيم وصلابة موسى وزهد عيسى ثم فسّر بعض ما يقتدى بهم فيه بقوله ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لا أسئلكم عليه أجراً ﴾ أي لا أطلب منكم على تبليغ الوحي وأداء الرسالة جُعلاً كما لم يسأل ذلك الأنبياء قبلي فإن أخذ الأجر عليه ينفر الناس عن القبول ﴿ إن هو ﴾ أي ما هو ﴿ إلا ذكرى ﴾ أي تذكيراً ﴿ للعالمين ﴾ بما يلزمهم إتيانه واجتنابه وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إما نبي أو إمام لقوله ﴿ فقد وكلنا بها قوماً ﴾ وأسند

التوكيل إلى نفسه وقد استدل قوم بالآية على أن النبي (ﷺ) وأمة كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم إلا ما قام الدليل على نسخه وهذا لا يصح لأن الآية قد وردت فيما اتفقوا عليه على ما تقدم ذكره وذلك لا يليق إلا بالتوحيد ومكارم الأخلاق فأما الشرائع فإنها تختلف فلا يصح الاقتداء بجميع الأنبياء فيها وتدل الآية على أن نبينا مبعوث إلى كافة العالمين وإن النبوة مختومة به ولذلك قال إن هو إلا ذكرى للعالمين .

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (٩١)

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون بالياء فيها والباقون بالتاء في الجميع .

[الحجة] من قرأ بالياء فلأن ما قبله ما قدروا الله على الغيبة ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب من قوله ﴿ قُل ﴾ من أنزل الكتاب وقوله (فيما بعد) ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا ﴾ .

[الإعراب] حق قدره منصوب على المصدر تبدونها وتخفون كثيراً يجوز أن يكون صفة لقراطيس لأن النكرات توصف بالجمل ويجوز أن يكون حالاً من ضمير الكتاب في تجعلونه على أن تجعل القراطيس الكتاب في المعنى لأنه مكتوب فيها وإنما رفع قوله ينصبون لأنه لم يجعله جواباً لقوله ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ ولو جعله جواباً لجزمه كما قال سبحانه ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا ﴾ وموضع يلعبون نصب على الحال والتقدير ذرهم لاعبين في خوضهم .

[النزول] جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الضيف يخاصم النبي (ﷺ) فقال له النبي (ﷺ) أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة إن الله سبحانه يفض

الحبر السمين وكان سميناً فغضب وقال^(١) ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه ويحك ولا موسى فنزلت الآية عن سعيد بن جبير وقيل إن الرجل كان فنحاص بن عازورا وهو قائل هذه المقالة عن السدي وقيل أن اليهود قالت يا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم قالوا والله ما أنزل الله من السماء كتاباً فنزلت الآية عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أنها نزلت في الكفار أنكروا قدرة الله عليهم فمن أقر أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره وقيل نزلت في مشركي قريش عن مجاهد .

[المعنى] لَمَّا تقدم ذكر الأنبياء والنبوة عقبه سبحانه بالتهجين لمن أنكر النبوة فقال ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره ﴾ أي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به ﴿ إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ أي ما أرسل الله رسولاً ولم ينزل على بشر شيئاً مع أن المصلحة والحكمة تقتضيان ذلك والمعجزات الباهرة تدلُّ على بعثة كثير منهم ثم أمر سبحانه نبيه (ﷺ) فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ يعني التوراة وإنما احتج بذلك عليهم لأن القائل لذلك من اليهود ومن قال أن المعنى بالآية مشركو العرب قال احتج عليهم بالأمر الظاهر ثم بين أن منزلة محمد في ذلك كمنزلة موسى ﴿ تورا ﴾ أي يستضاء به في الدين كما يستضاء بالنور في الدنيا ﴿ وهدى للناس ﴾ أي دلالة يهتدون به ﴿ تجعلونه قراطيس ﴾ أي كتباً وصحفاً متفرقة وقال أبو علي الفارسي معناه تجعلونه ذا قراطيس أي تودعونه إياها ﴿ تبدونها وتخفون كثيراً ﴾ أي تبدون بعضها وتكتُمون بعضها وهو ما في الكتب من صفات النبي (ﷺ) والإشارة إليه والبشارة به ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾ قيل إنه خطاب للمسلمين يذكرهم ما أنعم به عليهم عن مجاهد وقيل هو خطاب لليهود أي علمتم التوراة فضيَعتموه ولم تنتفعوا به وقيل معناه علمتم بالقرآن ما لم تعلموا عن الحسن ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ الله ﴾ أي الله أنزل ذلك وهذا كما إن الإنسان إذا أراد البيان والاحتجاج بما يعلم أن الخصم مُقرُّ به ولا يستطيع دفعه ذكر ذلك ثم تولى الجواب عنه بما قد علم أنه لا جواب له غيره ﴿ ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ﴾ أي دعهم وما يختارونه من العناد وما خاضوا فيه من الباطل واللعب وليس هذا على إباحة ترك الدعاء والانذار بل على ضرب من التوعد والتهديد كأنه قال دعهم فسيعلمون عاقبة أمرهم .

(١) [والله] .

﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ
 أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ
 عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم لينذر بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] من قرأ بالتاء يؤيد قراءة قوله ﴿ وَأُنْذِرَ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ وإنما أنت منذر من يخشاها ﴿ ومن قرأ بالياء جعل المنذر هو الكتاب ويؤيده قوله ولينذروا به وإنما أنذركم بالوحي فلا يمتنع اسناد الانذار اليه على وجه التوسع .

[الإعراب] أنزلناه جملة مرفوعة الموضع صفة لكتاب ومبارك أيضاً صفة له .

[المعنى] لَمَّا احتجَّ سبحانه بإنزال التوراة على موسى عليه السلام بين أن سبيل القرآن سبيلها فقال ﴿ وهذا كتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ أنزلناه ﴾ من السماء إلى الأرض لأن جبرائيل (ع) أتى به من السماء ﴿ مبارك ﴾ وإنما سماه مباركاً لأنه ممدوح مستسعد به فكل من تمسك به نال الفوز عن أبي مسلم وقيل ان البركة ثبوت الخير على النماء والزيادة ومنه تبارك الله أي ثبت له ما يستحق به التعظيم لم يزل ولا يزال فالقرآن مبارك لأن قراءته خير والعمل به خير وفيه علم الأولين والآخرين وفيه مغفرة للذنوب وفيه الحلال والحرام وقيل البركة الزيادة فالقرآن مبارك لما فيه من زيادة البيان على ما في الكتب المتقدمة لأنه ناسخ لا يرد عليه نسخ لبقائه الى آخر التكليف ﴿ مصدق الذي بين يديه ﴾ من الكتب ^(١) كالتوراة والانجيل وغيرهما عن الحسن وتصديقه للكتب على وجهين (أحدهما) أنه يشهد بأنها حق (والثاني) أنه ورد بالصفة التي نطقت بها الكتب المتقدمة ﴿ ولتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ يعني بأم القرى مكة ومن حولها أهل الأرض كلهم عن ابن عباس وهو من باب حذف المضاف يريد لتنذر أهل أم القرى وإنما سميت مكة أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها فكانت الأرض نشأت منها وقيل لأن أول بيت وضع في الدنيا وضع بمكة فكانت القرى تنشأت

(١) [المتقدمة] .

منها عن السدي وقيل لأن على جميع الناس ان يستقبلوها ويعظموها لأنها قبلتهم كما يجب تعظيم الأم عن الزجاج والجبائي ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ أي بالقرآن ويحتمل أن يكون كناية عن محمد ﷺ لدلالة الكلام عليه ﴿وهم على صلاتهم﴾ أي على أوقات صلواتهم ﴿يحافظون﴾ أي يراعونها ليؤدوها فيها ويقوموا بإتمام ركوعها وسجودها وجميع أركانها وفي هذا دلالة على أن المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمناً ببعض ما أوجبه الله دون بعض وفيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها لأنه سبحانه خصها بالذكر من بين الفرائض ونبه على أن من كان مصداقاً بالقيامة وبالنبي ﷺ لا يخل بها ولا يتركها .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ
مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ
بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ
تَسْكِبُونَ﴾ (٩٣)

[اللغة] أصل الافتراء القطع من فريت الأديم أفریه فرياً فكان الافتراء هو القطع على خبر لا حقيقة له والفترة الغشية وغمرة كل شيء معظمه وغمرات الموت شدائده قال الشاعر :

الْغَمَرَاتُ ثُمَّ يَنْجَلِينَا وَثُمَّ يَذْهَبْنَ فَلَا يَجِينَا

وأصله الشيء يغمر الأشياء فيغطيها والهون بضم الهاء الهوان قال ذو الاصبع

العدواني :

إِذْهَبْ إِلَيْكَ فَمَا آتَىٰ بِرَاعِيَةٍ تَرعى المَخَاضَ وَلَا أُغْضِي عَلَى الْهُونِ^(١)

والهون بفتح الهاء الدعة والرفق ومنه يمشون على الأرض هونا قال :

هَوْنًا كَمَا لَا يَرُدُّ الدَّهْرُ مَا فَنَا لَا تَهْلِكَا أَشْفَا فِي أَثَرِ مَنْ فَنَا

[الإعراب] من قال سأنزل في موضع الجر على العطف كأنه قال ومن أظلم ممن قال

ذلك وجواب لو من قوله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت محذوف أي، لرأيت عذاباً عظيماً .

[النزول] اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقبل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة إلى

قوله ﴿وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وقوله سأنزل مثل ما أنزل الله في عبد الله بن سعد بن أبي سرح فإنه كان يكتب الوحي للنبي ﷺ فكان إذا قال له اكتب عليمًا حكيمًا كتب غفوراً رحيمًا وإذا قال له اكتب غفوراً رحيمًا كتب عليمًا حكيمًا وارتد ولحق بمكة وقال إني أنزل مثل ما أنزل الله عن عكرمة وابن عباس ومجاهد والسدي وإليه ذهب الفراء والزجاج والجبائي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقال قوم نزلت في ابن أبي سرح خاصة وقال قوم نزلت في مسيلمة خاصة .

[المعنى] لما تقدّم ذكر نبوة النبي ﷺ وإنزال الكتاب عليه عقبه سبحانه بذكر تهجين

الكفار الذين كذبوه أو ادّعوا أنهم يأتون بمثل ما أتى به فقال ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ هذا استفهام في معنى الإنكار أي لا أحد أظلم ممن كذب على الله فادّعى أنه نبيّ وليس بنبي ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ أي يدّعي الوحي ولا يأتيه ولا يجوز في حكمة الله سبحانه أن يبعث كذاباً وهذا وإن كان داخلاً في الافتراء فإنما أفرد بالذكر تعظيماً ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ قال الزجاج هذا جواب لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فادّعوا ثم لم يفعلوا وبذلوا النفوس والأموال واستعملوا سائر الجيل في إطفاء نور الله وأبى الله ألا أن يتمّ نوره وقيل المراد به عبد الله بن سعد بن أبي سرح أملى عليه رسول الله ﷺ ذات يوم ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فجرى على لسان ابن أبي سرح فتبارك الله أحسن الخالقين فأملأه عليه وقال هيكذا أنزل فارتدّ عدوّ الله

(١) المَخَاضُ : الحوامل من النوق .

وقال لئن كان محمد صادقاً فلقد أوحى إليّ كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال وارتدّ عن الإسلام وهدر رسول الله ﷺ دمه فلما كان يوم الفتح جاء به عثمان وقد أخذ بيده ورسول الله ﷺ في المسجد فقال يا رسول الله اعف عنه فسكت رسول الله ﷺ ثم أعاد فسكت ثم أعاد فسكت فقال هو لك فلما مرّ قال رسول الله ﷺ لأصحابه ألم أقل من رآه فليقتله فقال عباد بن بشر كانت عيني إليك يا رسول الله أن تشير إليّ فاقتله فقال ﷺ الأنبياء لا يقتلون بالإشارة ثم أخبر سبحانه عن حال هؤلاء فقال ﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت﴾ أي في شدائد الموت عند النزاع وقيل في أشدّ العذاب في النار ﴿والملائكة﴾ الذين يقبضون الأرواح وقيل يريد ملائكة العذاب ﴿باسطو أيديهم﴾ لقبض أرواحهم وقيل يسطون إليهم أيديهم بالعذاب يضربون وجوههم وأدبارهم ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي يقولون أخرجوا أنفسكم من سكرات الموت إن استطعتم وصدقتم فيما قلتم وادّعيتم وقيل أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت إرهاقاً لهم وتغليظاً عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم وقيل على التأويل الأول يقولون لهم يوم القيامة أخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم أي خلّصوها منه ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي عذاباً تلقون فيه الهوان ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ أي في الدنيا ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ أي تأنفون من اتباع آياته .

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة والكسائي وحفص بينكم بالنصب والباقون بالرفع .

[الحجة] قال أبو علي استعمل هذا الاسم على ضربين (أحدهما) أن يكون اسماً متصرفاً كالافتراق (والآخر) أن يكون ظرفاً والمرفوع في قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم هو الذي كان ظرفاً ثم استعمل اسماً والدليل على جواز كونه اسماً قوله ومن بيننا وبينك حجاب

وهذا فراق بيني وبينك فلما استعمل اسماً في هذه المواضع جاز أن يسند إليه الفعل الذي هو تقطع في قول من رفع والذي يدل على أن هذا المرفوع هو الذي استعمل ظرفاً أنه لا يخلو من أن يكون الذي كان ظرفاً اتسع فيه أو يكون الذي هو مصدر فلا يجوز أن يكون المصدر لأن تقديره يكون لقد تقطع افتراقكم وهذا خلاف المعنى المراد لأن المراد لقد تقطع وصلكم وما كنتم تتألفون عليه فإن قلت كيف جاز أن يكون بمعنى الوصل وأصله الافتراق والتمايز قيل إنه لما استعمل مع الشيئين المتلابيين في نحو بيني وبينه شركة وبيني وبينه رحم وصداقة صارت لاستعمالها في هذه المواضع بمنزلة الوصلة وعلى خلاف الفرقة فلهذا قد جاء لقد تقطع بينكم بمعنى تقطع وصلكم فأما من نصب بينكم ففيه مذهبان (أحدهما) أنه أضمر الفاعل في الفعل ودل عليه ما تقدم من قوله وما نرى معكم شفعاءكم لأن هذا يدل على التقاطع وذلك المضمر هو الوصل فكأنه قال لقد تقطع وصلكم بينكم وقد حكى سيويه أنهم قالوا إذا كان غداً فأتني وأضمر ما كانوا فيه من رخاء وبلاء لدلالة الحال عليه والمذهب الآخر أنه انتصب على شيء يراه أبو الحسن فإنه يذهب إلى أن معناه معنى المرفوع فلما جرى في كلامهم منصوباً ظرفاً تركوه على ما يكون عليه في أكثر الكلام وكذلك يقول في قوله يوم القيامة يفصل بينكم وقوله وإنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ودون في موضع رفع عنده وإن كان منصوب اللفظ كما يقال منا الصالح ومنا الطالح .

[اللغة] فرادى جمع فرد وفريد وفرد والعرب تقول فرادى وفراد فلا يصرفونها تشبيهاً بثلاث ورباع قال الشاعر

تَرى النُّعْرَاتِ البَيْضَ تَحْتَ لَبَانِهِ فَرَادٍ وَمُشَى أَصْعَقَتْهَا صَوَاهِلُهُ^(١)

وقال النابغة :

مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ مَوْشَى أَكَارِعُهُ طَاوِي المَصِيرِ كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرْدِ^(٢)

ومثل الفرادى الرُدافى والقُرأى والتخويل الاعطاء وأصله تملك الخول^(٣) كما أن

(١) مضى البيت بمعناه في ص ١٠ .

(٢) وجرة : موضع بين مكة والبصرة أربعون ميلاً ليس فيها منزل فهي مغارة للوحش . الموشى : المنقش . الأكراع جمع الأكرع وهو جمع الكراع : مستدق الساق . طاوي المصير : ضامر المعى . يصفه نور الوحش بضمور البطن وتخطيط الساق ويريق الجلد .

(٣) الخول : جمع الخولى : ما أعطاك الله من النعم والعبيد والاماء .

التمويل هو تملك الأموال وخوله الله أعطاه مالا وفلان خولي مالٍ وخالٍ مالٍ وخائلٌ مالٍ إذ كان يصلح المال وهم خول فلانٍ أي أتباعه الواحد خائل والزعم قد يكون حقاً وقد يكون باطلاً قال الشاعر:

يَقُولُ هَلَكْنَا إِنْ هَلَكْتَ وَإِنَّمَا عَلَى اللَّهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمَ

والبين مصدر بان يبين إذا فارق قال الشاعر:

بَانَ الْخَلِيطُ بِرَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كُئِمَّا ظَعَنُوا لِبَيْنٍ تَجَزَعُ^(١)

قال أبو زيد بأن الحي بينونة وبيناً إذا ظعنوا وتباينوا أي تفرقوا بعد أن كانوا جميعاً .

[الإعراب] فرادى نصب على الحال وما خولناكم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تركتم .

[النزول] نزلت في النضر بن الحرث بن كلفة حين قال سوف يشفع لي اللات والعزى عن عكرمة .



[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ تَعَالَى مَا يَقَالُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ فَقَالَ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ قِيلَ هَذَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى يَخَاطَبُ بِهِ عِبَادَهُ إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ عِنْدَ الْبَعْثِ وَقِيلَ هُوَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ يُؤَدُّونَهُ عَنِ اللَّهِ إِلَى الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ ﴿فِرَادَى﴾ أَيِ وَحْدَانًا لَا مَالَ لَكُمْ وَلَا خَوْلَ وَلَا وَلَدَ وَلَا حِشْمَ عَنِ الْجِبَائِيِّ وَقِيلَ وَاحِدًا وَاحِدًا عَلَى حِدَةٍ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُتَفَرِّدًا مِنْ شَرِيكِهِ فِي الْغِيِّ وَشَقِيقِهِ عَنِ الزَّجَاجِ ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أَيِ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ فِي بَطْنِ أُمِّهِاتِكُمْ فَلَا نَاصِرَ لَكُمْ وَلَا مُعِينَ عَنِ الْجِبَائِيِّ وَقِيلَ مَعْنَاهُ مَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ تَحْشَرُونَ حِفَاةَ عِرَاةٍ غَرْلًا وَالْغُرْلُ هُمُ الْقُلْفُ^(٢) وَرَوَى أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعْتَ ذَلِكَ وَاسْوَأَاتَهُ أَيْنَظَرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سُوءِ بَعْضٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَقَالَ ﷺ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمٌ شَأْنٌ يَغْنِيهِ وَيَشْغُلُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَقَالَ الزَّجَاجُ مَعْنَاهُ كَمَا بَدَأْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَيِ يَكُونُ بَعْثُكُمْ كَخَلْقِكُمْ ﴿وَتَرْكُكُمْ مَا خَوْلْنَاكُمْ﴾ مَعْنَاهُ مَلَكْنَاكُمْ فِي الدُّنْيَا مِمَّا كُنْتُمْ تَتَبَاهَوْنَ بِهِ مِنَ الْأَمْوَالِ ﴿وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أَيِ خَلْفَ ظُهُورِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْمَرَادُ

(١) الخليط القوم الذين أمرهم واحد . رامتين : موضع .

(٢) القلف جمع الأقف : من لم يختن .

تركتكم الأموال وحملتكم من الذنوب الأحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيا لها من حسرة ﴿وما نرى معكم شفعاءكم﴾ أي ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم عند الله يوم القيامة وهي الأصنام ﴿الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء﴾ معناه زعمتم أنهم شركاؤنا فيكم وشفعاؤكم يريد وما نفعكم عبادة الأوثان التي كنتم تقولون إنها فيكم شركاء وإنها تشفع لكم عند الله تعالى وهذا عام في كل من عبد غير الله واعتمد غيره يرجو خيره ويخاف ضيره في مخالفة الله تعالى ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي وصلكم وجمعكم ومن قرأ بالنصب فمعناه لقد تقطع الأمر بينكم أو تقطع وصلكم بينكم ﴿ووصل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أي ضاع وتلاشى ولا تدرون أين ذهب من جعلتم شفعاءكم من آلهتكم ولم تنفعكم عبادتها وقيل معناه ما تزعمون من عدم البعث والجزاء قد حُثَّ الله سبحانه في هذه الآية على اقتناء الطاعات التي بها ينال الفوز وتترك النجاة دون اقتناء المال الذي لا شك في تركه وعدم الانتفاع به بعد الممات .

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ

الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى

تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة وجعل الليل سكوناً والباقون وجاعل بالالف والرفع الليل

بالجر .

[الحجة] وجه قول من قرأ وجاعل الليل ان قبله اسم فاعل وهو فالق الحب وفالق

الإصباح ليكون فاعل المعطوف مثل فاعل المعطوف عليه الا ترى ان حكم الاسم ان يعطف على اسم مثله لأن الاسم بالاسم أشبه من الفعل بالاسم ويقوي ذلك قولهم :

لُبْسُ عِبَاةٍ وَثِقَرُ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

فنصب وتقر ليكون في تقدير اسم باضممار ان فيكون قد عطف اسماً على اسم وقوله
وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامٍ وَمَازِنٍ وَأَلٍ سَبِيعٍ أَوْ أَسْوَكُ عُلُقَمًا^(١)

ومن قرأ أو جعل فلأن اسم الفاعل الذي قبله بمعنى الماضي فلما كان فاعل بمعنى
فعل عطف عليه فعل لموافقته في المعنى وبذلك على أنه بمنزلة فعل انه نزل منزلته فيما
عطف عليه وهو قوله والشمس والقمر حساباً الا ترى انه لما كان المعنى فعل حمل
المعطوف على ذلك فنصب الشمس والقمر على فَعَلْ لما كان فاعل كفعل ويقوي ذلك قولهم
هذا معطي زيد درهماً أمس فالدرهم محمول على اعطى لأن اسم الفاعل إذا كان لما مضى
لم يعمل عمل الفعل فإذا كان معط بمنزلة اعطى كذلك جعل فالتق بمنزلة فلق لأن اسم
الفاعل لما مضى فعطف عليه فَعَلْ لما كان بمنزلة .

[اللغة] الفلق الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفلق
المطمئن من الأرض كأنه منشق عنها والحب جمع حبة وهو كل ما لا يكون له نوى كالبُرِّ
والشعير والنوى جمع نواة والإصباح والصبح واحد وهو مصدر أصبحنا إصباحاً وقد روي عن
الحسن أنه قرأ فالتق الإصباح بالفتح يريد صبح كل يوم وما قرأ به غيره والسكن الذي يسكن
إليه والحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان وقيل هو مصدر حسبت الحساب أحسبه
حساباً وحسباناً وحكي عن بعض العرب على الله حسابان فلان وحسبته أي حسابه والحسبان
بكسر الحاء جمع حسابانة وهي وسادة صغيرة والحسبان والمَحْسَبَة مصدر حسبت فلاناً عاقلاً
أحسبه وأحسبه .

[الإعراب] نصب في الشمس والقمر مفعول فعل يدل عليه قوله وجاعل الليل سكناً
وتقديره وجعل الشمس والقمر حساباً وحسباناً المفعول الثاني منه ولا يجوز وجاعل الليل
سكناً لأن اسم الفاعل إذا كان واقعاً لم يعمل عمل الفعل وأضيف الى ما بعده لا غير تقول
هذا ضارب زيد أمس لا غير .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف
التدبير فقال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ أي شاق الحبة اليابسة الميتة فيخرج منها

(١) قاله حصين بن حمام . رزام ومازن وسبيع : قبائل . العلقم : الحنظل وكل شيء مر .

النبات وشاق النواة اليابسة فيخرج منها النخل والشجر عن الحسن وقتادة والسدي وقيل معناه خالق الحب والنوى ومنشئهما ومبدئهما عن ابن عباس والضحاك وقيل المراد به ما في الحبة والنوى من الشق وهو من عجيب قدرة الله تعالى في استوائه عن مجاهد وأبي مالك ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ أي يخرج النبات الغضّ الطري الخضر من الحب اليابس ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي عن الزجاج والعرب تسمي الشجر ما دام غضاً قائماً بأنه حي فإذا يبس أو قطع أو قلع سمّوه ميتاً وقيل معناه يخلق الحي من النطفة وهي موات ويخلق النطفة وهي موات من الحي عن الحسن وقتادة وابن زيد وغيرهم وهذا أصح وقيل معناه يخرج الطير من البيض والبيض من الطير عن الجبائي وقيل معناه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ أي فاعل ذلك كله الله ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ أي تصرفون عن الحق ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة إلى الباطل أفلا تدبرون فتعلمون أنه لا ينبغي أن يجعل لمن أنعم عليكم بخلق الحب والنوى وإخراج الزرع من الحب والشجر من النوى شريك في عبادته ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده عن أكثر المفسرين وقيل معناه خالق الصبح عن ابن عباس ﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكْنًا﴾ تسكون فيه وتتودعون فيه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين نبّه الله سبحانه على عظيم نعمته بأن جعل الليل للسكون والنهار للتصرف ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته ثم قال ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ أي جعلهما تجريان في أفلاكهما بحساب لا يتجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما فتقطع الشمس جميع البروج الإثني عشر في ثلاثمائة وخمس وستين يوماً وربع القمر في ثمانية وعشرين يوماً وبني عليهما الليالي والأيام والشهور والأعوام كما قال سبحانه والشمس والقمر بحسبان وقال كل في فلك يسبحون عن ابن عباس والسدي وقتادة ومجاهد أشار سبحانه بذلك إلى ما في حسابهما من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أمورهم الدينية والدنيوية ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما وصفه سبحانه من فلق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حساباً ﴿تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ﴾ الذي عز سلطانه فلا يقدر أحد على الامتناع منه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بمصالح خلقه وتديبرهم .

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ﴾

وَالْبَحْرَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب برواية روح وزيد فمستقر بكسر القاف
والباقون بفتح القاف .

[الحجة] قال أبو علي من كسر القاف كان المستقر بمعنى القار فإذا كان كذلك وجب
خبره أن يكون المضممر منكم أي فمنكم مستقر كقولك بعضكم مستقر أي مستقر في الأرحام
ومن فتح فليس على أنه مفعول ألا ترى أن استقر لا يتعدى وإذا لم يتعد لم يثن منه اسم
مفعول به وإذا لم يكن مفعولاً به كان اسم مكان فالمستقر بمنزلة المقر كما كان المستقر
بمعنى القار وإذا كان كذلك جعلت الخبر المضممر لكم والتقدير فمستقر لكم وأما المستودع
فإن استودع فعل يتعدى إلى مفعولين تقول استودعت زيداً ألفاً وأودعت زيدا ألفاً فاستودع
مثل أودع كما أن استجاب مثل أجاب فالمستودع يجوز أن يكون الإنسان الذي استودع ذلك
المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه ومن قرأ فمستقر بفتح القاف جعل المستودع مكاناً
ليكون مثل المعطوف عليه أي فلکم مكان استقرار واستيداع ومن قرأ فمستقر فالمعنى منكم
مستقر في الأرحام ومنكم مستودع في الاصلاب فالمستودع اسم المفعول به فيكون مثل
المستقر في أنه اسم لغير المكان .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما يقارب في المعنى الآية المتقدمة فيما يدل على وحدانيته
وعظيم قدرته فقال ﴿ وهو الذي جعل ﴾ أي خلق ﴿ لكم ﴾ أي لنفعكم ﴿ النجوم لتهتدوا بها ﴾
أي بضوئها وطلوعها ومواضعها ﴿ في ظلمات البر والبحر ﴾ لأن من النجوم ما يكون بين يدي
الإنسان ومنها ما يكون خلفه ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في
الأسفار وفي البلاد وفي القبله وأوقات الليل وإلى الطرق في مسالك البراري والبحار وقال
البلخي ليس في قوله ﴿ لتهتدوا بها ﴾ ما يدل على أنه لم يخلقها لغير ذلك بل خلقها سبحانه
لأمور جليلة عظيمة ومن فكر في صغر الصغير منها وكبر الكبير واختلاف مواقعها ومجاريها

واتصالاتها وسيرها وظهور منافع الشمس والقمر في نشوء الحيوان والنبات علم ان الامر كذلك ولو لم يخلقها إلا للاهداء لما كان لخلقها صغاراً وكباراً واختلافاتها في المسير معنى وفي تفسير علي بن ابراهيم بن هاشم ان النجوم آل محمد (ع) ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي بينا الحجج والبيّنات ﴿لقوم يعلمون﴾ أي يتفكرون فيعلمون ﴿وهو الذي أنشأكم﴾ أي أبدعكم وخلقكم ﴿من نفس واحدة﴾ أي من آدم (ع) لأن الله تعالى خلقنا جميعاً منه وخلق أمنا حواء، من ضلع من أضلاعه ومنّ علينا بهذا لأن الناس إذا رجعوا إلى أصل واحد كانوا أقرب إلى التواد والتعاطف والتآلف ﴿فمستقر ومستودع﴾ قد مرّ ذكرهما في الحجة واختلف في معناهما ف قيل مستقر في الرحم إلى أن يولد ومستودع في القبر إلى أن يبعث عن عبد الله بن مسعود وقيل مستقر في بطون الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وقيل مستقر على ظهر الأرض في الدنيا ومستودع عند الله في الآخرة عن مجاهد وقيل مستقرها أيام حياتها ومستودعها حيث يموت وحيث يبعث عن أبي العالية وقيل مستقر في القبر ومستودع في الدنيا عن الحسن وكان يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدِيْعَتُهُمْ يَوْمَ بَدَأَ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ

وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى

فَجَعِ الْأَجِبَةَ بِالْأَجِبَةِ قَبْلَنَا فَالنَّاسُ مَفْجُوعٌ بِهِ وَمَفْجَعُ
مُسْتَوْدَعٌ أَوْ مُسْتَقَرٌّ مَدْخَلًا فَالْمُسْتَقَرُّ يَزُورُهُ الْمُسْتَوْدَعُ

﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي بينا الحجج وميّزنا الأدلة ﴿لقوم يفقهون﴾ مواقع الحجة ومواضع العبرة وإنما خصّ الذين يعلمون ويفقهون لأنهم المنتفعون بها كما قال هدى للمتقين وكرّر قوله قد فصلنا الآيات حثاً على النظر وتنبيهاً على ان كلاً مما ذكر آية ودلالة تدلّ على توحيده وصفاته العلى .

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْحَرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَنْحَرَجْنَا

مِنْهُ خَضِرًا مُخْرِجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قَنَاطٌ دَانِيَةٌ

وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
 أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم برواية أبي يوسف الأعشى والبرجمي وجنات بالرفع وهو قراءة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وعبد الله بن مسعود الأعمش ويحيى بن يعمر وقرأ الباقر وجنات على النصب وقرأ حمزة والكسائي وخلف ثمره بضمين وكذلك كلوا من ثمره وفي سورة ياسين ليأكلوا من ثمره وقرأ الباقر ثمره بفتحين في الجميع .

[المحبة] من قرأ وجنات فإنه عطفها على قوله خصرأ أي فأخرجنا من الماء خصرأ وجنات من أعناب ومن قرأ وجنات بالرفع فإنه عطفها على قنوان لفظاً وإن لم يكن من جنسها كقول الشاعر (متقلداً سيفاً ورمحاً) ومن قرأ إلى ثمره فالثمر جمع ثمرة مثل بقره وبقر وشجرة وشجر ومن قرأ ثمره بضمين فيحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون على ثمرة وثمر مثل خشبة وخشب وأكمة وأكهم قال الشاعر :

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ دَيْسَفَةِ الْمَغْدِ شُرُوكُ الْكُمَاةِ غَوَارِبَ الْأَكْمِ (١)

ونظيره من المعتل قارة وقور وناقة ونوق وساحة وسوح قال الشاعر :

وَكُنَّ سَيَّانٍ إِلَّا يَسْرَحُوا نَعْمًا أَوْ يَسْرَحُوهُ بِهَا وَاغْبَرَّتِ الشُّوْحُ

(والآخر) ان يكون جمع ثمار على ثمر فيكون ثمر جمع الجمع .

[اللغة] خضر بمعنى أخضر يقال أخضر فهو خضر وأخضر وأغور فهو غور وأغور وفي الحديث ان الدنيا حلوة خضرة أي غضة ناعمة وذهب دمه خضرأ مضراً أي باطلاً وأخذ الشيء خضرأ مضراً أي مجاناً بغير ثمن وقيل غصاً طرياً وفلان أخضر الجلد وأخضر المنكب أي ذو سعة وخصب وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

(١) يوم ديسفة : يوم من أيام العرب مشهور وكأنه اسم موضع والكماة جمع الكمي : الشجاع أو لابس السلاح .

وَأَنَا الْأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجَلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَا جِدَا يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ^(١)
بِرَسُولِ اللَّهِ وَابْنِي بِنْتِهِ وَيَعْبَاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

وكتيبة خضراء اذا كان عليها سواد الحديد والعرب تسمى الأسود اخضر ويسمى سواد العراق سواداً لكثرة خضرته ومتراكب متفاعل من الركوب وطلع النخل اول ما يبدو من ثمره وقد اطلع النخل والقنوان جمع قنو وهو العذق بكسر العين اي الكباسة والعذق بفتح العين النخلة وقنوان وقنوان بكسر القاف وضمها لغتان وقنيان بالياء لغة تميم ودانية قرية المتناول والينع والنضج يقال ينع الثمر ينعا وينعا وأينع إذا أدرك قال الشاعر:

فِي قِنَابٍ وَسَطَ دَسْكَرَةٍ^(٢) حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

وقيل ان الينع جمع يانع مثل صاحب وضئب وتاجر وتجر .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء ﴾ يريد من السحاب والعرب تقول كل ما علاك فاطللك فهو سماء ﴿ فأخرجنا به نبات كل شيء ﴾ والمعنى فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الانعام والطيور والرحش وأرزاق بني آدم ما يتغذون به ويأكلونه فينبتون عليه وينمون ويريد بنبات كل شيء ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويحتمل أن يكون المراد أخرجنا به جميع أنواع النبات ليكون كل شيء هو أصناف النبات كقوله ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ ﴾ عن الفراء والاول أحسن وإنما قال به لأنه سبحانه جعله سبباً مؤدياً إلى النبات لا مولداً له وقد كان يمكنه الانبات بغيره فلا يقال أنه فعله بسبب مولد ﴿ فأخرجنا منه ﴾ أي من الماء وقيل من النبات ﴿ خضراً ﴾ أي زرعاً رطباً أخضر وهو ساق السنبله ﴿ نخرج منه ﴾ أي من ذلك الزرع الأخضر ﴿ حباً متراكباً ﴾ قد تركب بعضه على بعض مثل سنبله الحنطة والسمسم وغير ذلك ﴿ ومن النخل ﴾ أي ونخرج من النخل ﴿ من طلعمها قنوان ﴾ أي أعذاق الرطب ﴿ دانية ﴾ أي قريبة المتناول ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لأن في الكلام دليلاً على البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة

(١) ساجله : باراه وفاخره . والكرب : الحبل يفقد على رأس الدلو .

(٢) الدسكرة . بناء كالفصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي .

فاجتزأ بذكر القرينة عن ذكر السحيفة كما قال سراييل تقيكم الحرّ ولم يقل وسراييل تقيكم البرد لأن في الكلام دليل على أنها تقي البرد لأن ما يستر عن الحرّ يستر عن البرد عن الزجاج وقيل دانية دنت من الأرض لكثرة ثمرها وثقل حملها وتقديره ومن النخل من طلعتها ما قنوانه دانية وإنما خصّ الطلع بالذكر لما فيه من المنافع والأغذية الشريفة التي ليست في أكمّام الثمار ﴿وجنات من أعناب﴾ يعني وأخرجنا به أيضاً جنات من أعناب أي بساتين من أعناب ومن رفعه فتقديره ونخرج به جنات من أعناب ﴿والزيتون والرمّان﴾ أي فأخرجنا به الزيتون والرمّان أي شجر الزيتون والرمّان وقرن الزيتون والرمّان لأنهما شجرتان تعرف العرب أن ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره قال الشاعر:

بُورِكَ الْمَيْتُ الْغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ نَضْجُ الرُّمَّانِ وَالزَّيْتُونِ

ومعناه أن ورقهما يشتمل على العود كله ﴿مشتبهاً وغير متشابه﴾ أي مشتبهاً شجره يشبه بعضه بعضاً وغير متشابه في الطعم وقيل مشتبهاً ورقه مختلفاً ثمره عن قتادة وقيل مشتبهاً في الخلق مختلفاً في الطعم وقيل مشتبهاً ما كان من جنس واحد وغير متشابه إذا اختلف جنسه عن الجبائي والأولى أن يقال أن جميع ذلك مشتبه من وجوه مختلف من وجوه فيدخل فيه جميع ما تقدم ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ أي انظروا إلى خروج الثمار نظراً الاعتبار ﴿وينعه﴾ أي نضجه ومعناه انظروا من ابتداء خروجه إذا أثمر إلى انتهائه إذا أينع وأدرك كيف تنتقل عليه الأحوال في الطعم واللون والرائحة والصغر والكبر ليستدلوا بذلك على أن له صناعاً مدبراً ﴿إن في ذلكم لآيات﴾ أي إن في خلق هذه الثمار والزروع مع اتفاق جواهرها أجناساً مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً لدلالات على أن لها خالقاً قصد إلى التمييز بينها قبل خلقها على علم بها وإنها تكونت بخلقه وتديره ﴿لقوم يؤمنون﴾ لأنهم بها يستدلون وبمعرفة مدلولاتها ينتفعون .

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ

وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ

وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦١﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وخرقوا بالتشديد والباقون وخرقوا بالتخفيف .

[الحجة] قال أحمد بن يحيى خرق واخترق بمعنى وقال أبو الحسن الخفيفة أعجب إليّ لأنها أكثر والمعنى في القراءتين كذبوا وقد روي في الشواذ عن ابن عباس وحرفوا بالحاء والفاء وهذا شاهد يكذبهم أيضاً ومثله يحرفون الكلم عن مواضعه .

[اللغة] البديع بمعنى المبدع والفرق بين الإبداع والاختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق إلى مثله والاختراع فعل ما لم يوجد سبب له ولذلك يقال البدعة لما خالف السنة لأنه أحداث ما لم يسبق إليه ولا يقدر أحد على الاختراع غير الله تعالى لأن حده ما ابتدئ في غير محل القدرة عليه والقادر بقدرة إما أن يفعل مباشراً وهو ما ابتدئ في محل القدرة أو متولداً وهو ما يوقع بحسب غيره ولا يقدر على الإختراع أصلاً .

[الإعراب] انتصاب الجن من وجهين (أحدهما) أن يكون مفعولاً أي جعلوا الجن لله شركاء ويكون شركاء مفعولاً ثانياً كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً (والآخر) أن يكون الجن بدلاً من شركاء ومفسراً له سبحانه نصب على المصدر كأنه قال تسبيحاً له وبديع خبر مبتدأ محذوف تقديره هو بديع السماوات ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره أنى يكون له ولد وإنما تعذبى بديع وهو فاعل لأنه معدول عن مُفعل والصفة تعمل عيىل ما عدلت منه فإذا لم تكن معدولة لم تتعد نحو طويل وقصير .

[المعنى] ثم رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيّنات فقال ﴿ وجعلوا ﴾ يعني المشركين ﴿ لله شركاء الجن ﴾ أخبر الله سبحانه أنهم اتخذوا معه آلهة جعلوهم له أنداداً كما قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً وأراد بالجن الملائكة وإنما سمّاهم جنّاً لاستتارهم عن الأعين وهذا كما قال ﴿ جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ﴾ عن قتادة والسدي وقيل أن قريشاً كانوا يقولون أن الله تعالى قد صاهر الجن فحدث بينهما الملائكة فيكون على هذا القول المراد به الجن المعروف وقيل أراد بالجن الشياطين لأنهم أطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان عن الحسن ﴿ وخلقهم ﴾ الهاء والميم عائدة إليهم أي جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون ويجوز أن يكون الهاء والميم

عائدة على الجن فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكونون شركاء له ويجوز أن يكون المعنى وخلق الجن والإنس جميعاً وروي أن يحيى بن يعمر قرأ وخلقهم بسكون اللام أي وخلق الجن يعني ما يخلقونه ويأفكون فيه ويكذبونه كأنه قال جعلوا الجن شركاءه وأفعالهم شركاء أفعاله أو شركاء له إذا عني بذلك الأصنام ونحوها وقيل إن المعنى بالآية المجوس إذ قالوا يزدان واهر من وهو الشيطان عندهم فنسبوا خلق المؤذيات والشُرور والأشياء الضارة إلى أهرمن وجعلوه بذلك شريكاً له ومثلهم الثنوية القائلون بالنور والظلمة ﴿ وخرقوا له بنين وبنات ﴾ أي اختلقوا ومَوَّهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات إلى الله فإن المشركين قالوا الملائكة بنات الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله واليهود قالوا عزيز ابن الله ﴿ بغير علم ﴾ أي بغير حجة ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما عليهم عاجلاً وآجلاً ويجوز أن يكون معناه بغير علم منهم بما قالوه على حقيقة لكن جهلاً منهم بالله وبِعَظْمَتِهِ تعالى ﴿ سبحانه ﴾ أي تنزيهاً له عما يقولون ﴿ وتعالى عما يصفون ﴾ من ادعائهم له شركاء واختراقهم له بنين وبنات أي هو يجل من أن يوصف بما وصفوه به وإنما صار اتخاذ الولد نقصاً لأنه لا يخلو من أن يكون ولادة أو تسبياً وكلاهما يوجب التشبيه ومن أشبه المحدث كان على صفة نقص ﴿ بذيع السماوات والأرض ﴾ أي مدعهما ومُنشئهما بعلمه ابتداءً لا من شيء ولا على مثال سبق وهو المروي عن أبي جعفر (ع) ﴿ أنى يكون له ولد ﴾ أي كيف يكون له ولد ومن أين يكون له ولد ﴿ ولم تكن له صاحبة ﴾ أي زوجة وإنما يكون الولد من النساء فيما يتعارفونه ﴿ وخلق كل شيء ﴾ في هذا نفى للصاحبة والولد فإن من خلق الأشياء لا يكون شيء من خلقه صاحبة له ولا ولداً ولأن الأشياء كلها مخلوقة له فكيف يتعزز بالولد ويتكثر به ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ يعلم الأشياء كلها موجودها ومعدومها لا يخفى عليه خافية ومن قال أن في قوله ﴿ وخلق كل شيء ﴾ دلالة على خلق أفعال العباد فجوابه أن المفهوم منه أنه أراد المخلوقات كما يفهم المأكولات من قول من قال أكلت كل شيء والمخلوقات كلها بما فيها من التقدير العجيب يضاف خلقها إليه سبحانه على أنه سبحانه قد نَزَّه نفسه عن إفك العباد وكذبهم فلو كان خلقاً له لما تنزه عنه .

﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ

الْأَبْصَرُ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

[اللغة] الوكيل على الشيء هو الحافظ له الذي يحوطه ويدفع الضرر عنه وإنما وصف سبحانه نفسه بأنه وكيل مع أنه مالك الأشياء لأنه لما كانت منافعها لغيره لاستحالة المنافع عليه والمضار صحت هذه الصفة له وقيل الوكيل من يوكل إليه الأمور يقال وكلت إليه هذا الأمر أي وليته تدبيره والمؤمن يتوكل على الله أي يفوض أمره إليه والإدراك اللحاق يقال أدرك قتادة الحسن أي لحقه وأدرك الطعام نضج وأدرك الزرع بلغ منتهاه وأدرك الغلام بلغ ولحق حال الرجولية وأدركته ببصري لحفته ببصري وتدارك القوم تلاحقوا ولا يكون الإدراك بمعنى الإحاطة لأن الجدار محيط بالدار وليس بمدرك لها والبصر الحاسة التي تقع بها الرؤية .

[الإعراب] خالق كل شيء خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون صفة ربكم وكان يجوز نصبه على الحال لأنه نكرة اتصل بمعرفة بعد التمام .

[المعنى] لما قدم سبحانه ذكر الأدلة على وحدانيته عَقَّبَهُ بتنبية عباده على أنه الإله المستحق للطاعة والعبادة وتعليمهم الاستدلال بأفعاله عليه فقال ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي ذلك الذي خلق هذه الأشياء ودبر هذه التدابير لكم أيها الناس هو ﴿ الله ربكم ﴾ أي خالقكم ومالككم ومدبركم وسيدكم ﴿ لا إله إلا هو خالق كل شيء ﴾ أي كل مخلوق من الأجسام والاعراض التي لا يقدر عليها غيره ﴿ فاعبدوه ﴾ لأنه المستحق للعبادة ﴿ وهو على كل شيء وكيل ﴾ أي حافظ ومدبر وحفيظ على خلقه فهو وكيل على الخلق ولا يقال وكيل لهم ﴿ لا تدركه الأبصار ﴾ أي لا تراه العيون لأن الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية كما أنه إذا قرن بآلة السمع فقبل أدركت بأذني لم يفهم منه إلا السماع وكذلك إذا أضيف إلى كل واحد من الحواس أفاد ما تلك الحاسة آلة فيه فقولهم أدركته بفمي معناه وجدت طعمه وأدركته بأنفي معناه وجدت رائحته ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾ تقديره لا تدركه ذوو الأبصار وهو يدرك ذوي الأبصار أي المبصرين ومعناه أنه يرى ولا يرى وبهذا خالف سبحانه جميع الموجودات لأن منها ما يرى ويرى كالأحياء ومنها ما يرى ولا يرى كالجمادات والاعراض المدركة ومنها ما لا يرى ولا يرى كالأعراض غير المدركة فالله تعالى خالف جميعها وتفرد بأن يرى ولا يرى وتمدح في الآية بمجموع الأمرين كما تمدح في الآية الأخرى بقوله ﴿ وهو يطعم ولا

يطعم ﴿ وروى العياشي بالأسناد المتصل أن الفضل بن سهل ذا الرياستين سأل أبا الحسن علي بن موسى الرضا (ع) فقال أخبرني عما اختلف الناس فيه من الرؤية فقال من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقال أعظم الفرية على الله لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو ﴿ وهو اللطيف ﴿ قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه اللاطف بعباده بسبوغ الإنعام غير أنه عدل عن وزن فاعل إلى فيل للمبالغة (والثاني) أن معناه لطيف التدبير إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه - (والثالث) أن اللطيف الذي يستقل الكثير من نعمه ويستكثر القليل من طاعة عباده (والرابع) أن اللطيف الذي إذا دعوته لَبَّاكَ وإن قصدته آواك وإن أحبيته أدناك وإن أطعته كافاك وإن عصيته عافاك وإن أعرضت عنه دعاك وإن أقبلت إليه هداك (والخامس) اللطيف من يكافي الوافي ويعفو عن الجافي (والسادس) اللطيف من يعز المفتخر به ويغني المفتقر إليه (والسابع) اللطيف من يكون عطاؤه خيرة ومنعه ذخيرة ﴿ الخبير ﴿ العليم بكل شيء من مصالح عباده فيدبرهم عليها ويأفعالهم فيجازيهم عليها .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلَِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ
نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء والباقون درست وفي قراءة عبد الله وأبي درس أي ليقولوا درس محمد وروي عن ابن عباس والحسن درست .

[الحجة] من قرأ دارست فمعناه أنك دارست أهل الكتاب وذاكرتهم ويقويه قوله وأعانه عليه قوم آخرون ومن قرأ درست فحجته أن ابن مسعود قرأ درس فأسند الفعل فيه إلى الغيبة كما أسند إلى الخطاب ومن قرأ درست فهو من الدروس الذي هو تعفي الأثر أي انمحت ويكون اللام في ليقولوا على هذا بمعنى لكراهية أن يقولوا ولأن لا يقولوا أنها أخبار قد تقدمت فطال العهد بها وباد من كان يعرفها لأن تلك الأخبار لا تخلو من خلل فإذا سلم

الكتاب منه لم يكن لطاعن فيه مطعن وأما على القراءتين الأوليين فاللام في ليقولوا كالتي في قوله ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ ولم يلتقطوه لذلك كما لم يصرف الآيات ليقولوا درست ودارست ولكن لما قالوا ذلك أطلق على هذا للاتساع وأما قراءة ابن عباس درست ففيه ضمير الآيات ومعناه درستها أنت يا محمد ويجوز أن يكون معناه عفت وتنوسيت فيكون كقوله إن هذا إلا أساطير الأولين .

[اللغة] البصيرة البينة والدلالة التي يبصر بها الشيء على ما هو به والبصائر جمعها والبصيرة مقدار الدرهم من الدم والبصرة الترس والبصيرة الثار والدية قال الشاعر :

جَاءُوا بِضَائِرُهُمْ عَلَى أَكْتَفِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَغْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَي^(١)

أي أخذوا الديارات فصارت عاراً وبصيرتي على فرسي أطلب بها ثأري وقيل أراد ثقل دمائهم على أكتافهم لم يثأروا بها قال الأزهري البصيرة ما اعتقد في القلب من تحقيق الشيء والشقة تكون على الجنا والابصار الإدراك بحاسة البصر والدرس أصله استمرار التلاوة ودرس الأثر دروساً إذا تمحى لاستمرار التمرن به ودرست الريح الأثر دروساً محته باستمرارها عليه .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

[الإعراب] كذلك موضع الكاف نصب منه بكونه صفة للمصدر أي تصريحاً مثل ذلك التصريف واللام في ليقولوا معطوف على محذوف تقديره ليحذوا وليقولوا درست واللام لام العاقبة .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سبحانه أنه بعد هذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين فقال ﴿قد جاءكم﴾ أيها الناس ﴿بصائر﴾ بينات ودلالات ﴿من ربكم﴾ تبصرون بها الهدى من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ووصف البينة بأنها جاءت تفخيماً لشأنها كما يقال جاءت العافية وانصرف المرض وأقبل السعد ﴿فمن أبصر فلنفسه﴾ أي من تبين هذه الحجج بأن نظر فيها حتى أوجبت له العلم فممنفعة ذلك تعود إليه ولنفسه نَظَرَ ﴿ومن عمي﴾ فلم ينظر فيها وصدف عنها^(٢) ﴿فعليها﴾ أي على نفسه وباله وبها أضر وإياها ضر فسَمِي

(١) فرس عند: شديد تام الخلق معد للحري ليس فيه اضطراب ولا رخاوة. الوأي: الفرس السريع المقدر الخلق .

(٢) [حتى جهل] .

العلم والتبيين ابصاراً والجهل عمى مجازاً وتوسعاً وفي هذا دلالة على أن المكلفين مخيرون في أفعالهم غير مجبرين ثم أمر سبحانه نبيه بأن يقول لهم ﴿ وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ أي لست أنا الرقيب على أعمالكم قال الزجاج معناه لست أخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ عليكم والوكيل وهذا قبل الأمر بالقتال فلما أمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطرأ على كل من تولى ﴿ وكذلك ﴾ أي وكما صرفنا الآيات قبل ﴿ نصرف ﴾ هذه ﴿ الآيات ﴾ قال علي بن عيسى والتصريف إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة لتجتمع فيه وجوه الفائدة ﴿ وليقولوا درست ﴾ ذلك يا محمد أي تعلمته من اليهود قال الزجاج وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة أي أن السبب الذي أذاهم إلى أن قالوا درست هو تلاوة الآيات وكذلك دارست أي دارست أهل الكتابين وقارأتهم وذاكرتهم عن الحسن ومجاهد والسدي وابن عباس ﴿ ولنبينه لقوم يعلمون ﴾ معناه لنبين الذي هذه الآيات دالة عليه للعلماء الذين يعقلون ما نوره عليهم وإنما خصهم بذلك لأنهم انتفعوا به دون غيرهم .

﴿ أَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٦٧﴾

[اللغة] الاتباع أن يتصرف الثاني بتصرف الأول والنبي كان يتصرف في الدين بتصرف الوحي فلذلك كان متبعاً وكذلك كل متدبر بتدبير غيره فهو متبع له والإيحاء هو إلقاء المعنى إلى النفس على وجه يخفى والإعراض أصله الانصراف بالوجه إلى جهة العرض ومنه :

وَأَعْرِضَتْ الْيَمَامَةُ وَاشْمَخَرْتُ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُضْلِتَيْنَا^(١)

أي ظهرت كالظهور بالعرض ومنه المعارضة لظهور المساواة بها كالظهور بالعرض

(١) اشمخر الشيء : طال .

والاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضاً ومنه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث وُحْدُ أيضاً بأنه ما يظهر في الوجود ولا يكون له لبث كلبث الجواهر .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ باتِّباع الوحي فقال ﴿ اتبع ﴾ أيها الرسول ﴿ ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو ﴾ إنما أعاد سبحانه هذا القول لأن المراد أدعُهم إلى أنه لا إله إلا هو عن الحسن وقيل معناه ما أوحى إليك من أنه لا إله إلا هو ﴿ واعرض عن المشركين ﴾ قال ابن عباس نسخت آية القتال وقيل معناه أخرجهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم ولم يرد به الاعتراض عن دعائهم إلى الله تعالى وحكمه ثابت ﴿ ولو شاء الله ما أشركوا ﴾ أي لو شاء الله أن يتركوا الشرك قهراً واجباراً لاضطرهم إلى ذلك إلا أنه لم يضطرهم إليه بما ينافي أمر التكليف وأمرهم بتركه اختياراً ليستحقوا الثواب والمدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم وفي تفسير أهل البيت (ع) لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى حجة ولا إلى نار ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ماله به عليهم الحجة من الآلة والاستطاعة ليستحقوا الثواب والعقاب ﴿ وما جعلناك عليهم حفيظاً ﴾ مراقباً لأعمالهم ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ أي ولست بموكل عليهم بذلك وإنما أنت رسول عليك البلاغ وعليك الحساب وجمع بين حفيظ ووكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره والوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير إليه .

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ

دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ

عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

[القراءة] قرأ يعقوب عُدُوًّا بضم العين والداد وتشديد الواو وهو قراءة الحسن وأبي رجاء وقتادة وقرأ الباقون عَدُوًّا بفتح العين وسكون الدال .

[الحجة] العُدُوُّ والعَدُو جميعاً الظلم والتعدي للحق ومثلهما العدوان والعداء وإنما انتصب عدوًّا لأنه مصدر في موضع الحال .

[اللغّة] السبُّ الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم وأصله السبب كأنه يتسبب إلى ذكره بالقبيح وسبُّك الذي يسألك قال :

لَا تُسَبِّنِي فَلَسْتُ بِسَبِّي إِنَّ مَبِيَّ مِنَ الرُّجَالِ الْكَرِيمِ
وقيل أصل السب القطع .

[النزول] قال ابن عباس لما نزلت ﴿أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ الآية قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنزلت الآية وقال قتادة كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة .

[المعنى] ثم نهى الله المؤمنين أن يسبوا الأصنام لما في ذلك من المفسدة فقال ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ أي لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم إلى أن تسبوا ما يعبدونه من دون الله فإن ذلك ليس من الحجاج في شيء ﴿فيسبوا الله عدوا﴾ أي ظلماً ﴿بغير علم﴾ وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقون لأن الدار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال وإنما قال من دون الله لأن المعنى يدعونه إلهاً وفي هذا دلالة على أنه لا ينبغي لأحد أن يفعل أو يقول ما يؤدي إلى معصية غيره وسئل أبو عبد الله (ع) عن قول النبي ﷺ **إِنْ شَرَكْتَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ عَلَى صَفْوَانَةِ سُودَاءٍ فِي لَيْلَةٍ ظَلَمَاءٍ** فقال كان المؤمنون يسبون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبون ما يعبد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار إله المؤمنين فكان المؤمنون قد أشركوا من حيث لا يعلمون ﴿كذلك زيننا لكل أمة عملهم﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن المراد كما زيننا لكم أعمالكم زيننا لكل أمة ممن قبلكم أعمالهم من حسن الدعاء إلى الله تعالى وترك السب للأصنام ونهيناهم أن يأتوا من الأفعال ما ينفر الكفار عن قبول الحق عن الحسن والجبائي ويسمي ما يجب على الإنسان أن يعمل به بأنه عمله كما تقول لولدك أو غلامك اعمل عملك أي ما ينبغي لك أن تفعله (وثانيها) أن معناه وكذلك زيننا لكل أمة عملهم بميل الطباع إليه ولكن قد عرفناهم الحق مع ذلك ليأتوا الحق ويجتنبوا الباطل (وثالثها) أن المراد زيننا عملهم بذكر ثوابه فهو كقوله ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ يريد حبب إليكم الإيمان بذكر ثوابه ومدح فاعليه على فعله وكره الكفر بذكر عقابه وذم فاعليه على فعله ولم يرد سبحانه بذلك أنه زين عمل الكافرين لأن ذلك

يقتضي الدعاء إليه والله تعالى ما دعا أحداً إلى معصيته لكنه نهى عنها وذم فاعليها وقد قال سبحانه ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ ولا خلاف إن المراد بذلك الكفر والمعاصي وفي ذلك دلالة على أن المراد به في الآية تزيين أعمال الطاعة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ أي مصيرهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي بأعمالهم من الخير والشر نهى الله سبحانه في هذه الآية عن سب الأصنام لئلا يؤدي ذلك إلى سبه فإذا كان سبحانه لا يريد ما ربما يكون سباً إلى سبه فلأن لا يريد سب نفسه أولى وأجدر وأيضاً إذا لم يرد سب الأصنام إذا كان زيادة في كفر الكافرين فلأن لا يريد كفرهم أخرى فبطل قول المجبرة .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا
الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنَقَلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم ونصير عن الكسائي وخلف أنها بكسر الألف وقرأ الباقون أنها بفتح الألف وقرأ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالتاء والباقيون لا يؤمنون بالياء وفي الشواذ ويذرهم بالياء والجزم قراءة الأعمش .

[الحجة] قال أبو علي وما يشعركم ما فيه استفهام وفاعل يشعركم ضمير ما ولا يجوز أن يكون نفيًا لأن الفعل فيه يبقى بلا فاعل فإن قلت يكون ما نفيًا ويكون فاعل يشعركم ضمير اسم الله تعالى قيل ذلك لا يصح لأن التقدير يصير وما يشعركم الله انتفاء إيمانهم وهذا لا يستقيم لأن الله قد أعلمنا أنهم لا يؤمنون بقوله ﴿ولو إننا نزلنا﴾ الآية وإذا فسد أن يكون ما للنفي ثبت أنها للاستفهام فيكون اسماً فيصير في الفعل ضميره ويكون المعنى وما يدرىكم إيمانهم إذا جاءت فحذف المفعول وحذف المفعول كثير ثم قال أنهم لا يؤمنون مع مجيء الآية فمن كسر الهمزة فإنه استأنف على القطع بأنهم لا يؤمنون ومن فتح الهمزة جاز أن يكون يشعركم منقولاً من شعرت الشيء وشعرت به مثل دريته ودريت به في أنه يتعدى مرة بحرف

ومرة بلا حرف فإذا عدّيته بالحرف جاز أن يكون أن في قول من لم يجعلها بمعنى لعل في موضع جر لأن الكلام لما طال صار كالبدل منه وجاز أن يكون في موضع نصب والوجه في هذه القراءة على تأويلين (أحدهما) أن يكون بمعنى لعل كقول الشاعر وهو دريد بن الصمة :

ذريني أطوف في البلاد لأنني أرى ما ترين أو بخيلاً مخلداً

وقال :

هل أنتم غائجون^(١) بنا لأننا نرى العرصات أو أثر الخيام

وقال عدي بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

أي لعل منيتي المعنى وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا ما فسره الخليل بقوله انت السوق إنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك وقد جاء في التنزيل لعل بعد العلم قال سبحانه ﴿وما يدريك لعله يزكى وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ والتأويل الآخر الذي لم يذهب إليه الخليل وسيبويه أن يكون لا في قوله لا يؤمنون زائدة والتقدير وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون ومثل لا هذه في كونها في تأويل زائدة وفي آخر غير زائدة قول الشاعر

أبى جودة لا البخل واستعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله^(٢)

يريد لا يمنع الجائع الخبز وينشد أبي جودة لا البخل ولا البخل فمن نصب البخل جعلها زائدة كأنه قال أبى جوده البخل ومن قال لا البخل أضاف لا إلى البخل^(٣) ووجه القراءة بالياء في يؤمنون أن المراد بهم قوم مخصوصون بدلالة قوله ﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ الآية وليس كل الكفار بهذه الصفة أي لا يؤمن هؤلاء المقسمون ووجه القراءة بالتاء أنه انصراف من الغيبة إلى الخطاب والمراد بالمخاطبين هم الغيب المقسمون الذين أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون ومن قرأ ويذرهم فإنه أسكن المرفوع تخفيفاً .

(١) أي هل مائلون بنا عن الطريق .

(٢) ويروى « لا يمنع الجود قاتله » وقوله نعم أي لفظة « نعم » التي هي حرف الجواب وهي فاعل « استعجلت » .

(٣) والمعنى على هذا أبى جوده لفظة « لا » التي تقال عند البخل .

[اللغة] الجهد بالفتح المشقة والجهد بالضم الطاقة وقيل الجهد بالفتح المبالغة فقوله ﴿جهد إيمانهم﴾ أي بالغوا في اليمين واجتهدوا فيه وهو منصوب على المصدر لأنه مضاف إلى المصدر والمضاف إلى المصدر مصدر فإن الإيمان جمع اليمين واليمين هي القسم والتقدير وأقسموا بالله جهد أقسامهم .

[النزول] قالت قريش يا محمد تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة فأتنا بآية من الآيات حتى نصدّقك فقال رسول الله ﷺ أي شيء تحبّون أن آتيكم به قالوا اجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً فقال رسول الله ﷺ فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله ﷺ أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله ﷺ يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له ان شئت أصبح الصفا ذهباً ولكن ان لم يصدقوا عذبتهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ﷺ بل يتوب تائبهم فأنزل الله تعالى هذه الآية عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي .

[المعنى] ثم بين سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات فقال ﴿وأقسموا﴾ أي حلفوا ﴿بالله جهد إيمانهم﴾ أي مجدين مجتهدين مظهرين الوفاء به ﴿لئن جاءتهم آية﴾ مما سألوه ﴿ليؤمننَّ بها قل﴾ يا محمد ﴿إنما الآيات﴾ أي الاعلام والمعجزات ﴿عند الله﴾ والله تعالى مالكها والقادر عليها فلو علم صلاحكم في انزالها لأنزلها ﴿وما يشعركم﴾ الخطاب متوجه إلى المشركين عن مجاهد وابن زيد وقيل هو متوجه إلى المؤمنين عن الفراء وغيره لأنهم ظنوا أنهم لو أجيئوا إلى الآيات لآمنوا ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ قد مرّ معناه ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أخبر سبحانه أنه يقلب أفئدة هؤلاء الكفار وأبصارهم عقوبة لهم وفي كيفية تقلبيهما قولان (أحدهما) أنه يقلبهما في جهنم على لهب النار وحرّ الجمر ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ في الدنيا عن الجبائي قال وجمع بين صفتهم في الدنيا وصفتهم في الآخرة كما قال وجوه يومئذ خاشعة يعني في الآخرة عاملة ناصبة يعني في الدنيا (والآخر) ان المعنى نقلب أفئدتهم وأبصارهم بالحيرة التي تغم وترعج النفس وقوله ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ قيل انه متصل بما قبله وتقديره وأقسموا بالله ليؤمننَّ بالآيات والله

تعالى قد قلب قلوبهم وأبصارهم وعلم أن فيها خلاف ما يقولون يقال فلان قد قلب هذه المسألة وقلب هذا الأمر إذا عرف حقيقته ووقف عليه ﴿وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ كما لم يؤمنوا بما أنزل الله من الآيات أول مرة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لو أعيدوا إلى الدنيا ثانية لم يؤمنوا به كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا كما قال ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه عن ابن عباس في رواية أخرى وقيل معناه يجازيهم في الآخرة كما لم يؤمنوا به في الدنيا عن الجبائي والهاء في به يحتمل أن يكون عائدة على القرآن وما أنزل من الآيات ويحتمل أن تكون عائدة على النبي ﷺ ﴿ونذرهم في طغيانهم﴾ أي نخليهم وما اختاروه من الطغيان فلا نحول بينه وبينهم ﴿يعمّهون﴾ يتردّون في الحيرة قال الحسين بن علي المغربي قوله ونقلب أفئدتهم وأبصارهم حشو بين الجملتين ومعناه أنا نحيط علماً بذات الصدور وخائنة الأعين أي نخبر قلوبهم فنجد باطنها بخلاف ظاهرها .

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا إِلَىٰ آلِهَمُ الْمَلَكَةِ
وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب قُبُلًا بضمّتين هاهنا وفي الكهف قَبِلًا بكسر القاف وفتح الباء وقرأ أبو جعفر ههنا بكسر القاف وفي الكهف بالضم وقرأ نافع وابن عامر قَبِلًا بكسر القاف في موضعين وقرأ أهل الكوفة بضم القاف في السورتين .

[الحجة] قبلا يحتمل أن يكون جمع قبيل بمعنى الكفيل ويجوز أن يكون بمعنى الصنف كما فسّر أبو عبيدة ويجوز أن يكون بمعنى قَبِل أي مواجهة كما فسّر أبو زيد في قوله لقيت فلاناً قَبِلًا وقَبِلًا ومقابلة وقبيلًا كله واحد وهو المواجهة فالمعنى في القراءتين على قوله واحد وإن اختلف اللفظان .

[اللغة] الحشر الجمع مع سوق وكل جمع حشر .

[المعنى] ثُمَّ يَبَيِّنُ سبحانه حالهم في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم فقال

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة﴾ حتى يروههم عياناً يشهدون لنبينا بالرسالة ﴿وكلمهم الموتى﴾ أي وحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد وشهدوا لمحمد بالرسالة ﴿وحشرنا﴾ أي جمعنا ﴿عليهم كل شيء﴾ أي كل آية وقيل كل ما سأله ﴿قبلاً﴾ أي معاناة ومقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس وقتادة ومعناه أنهم من شدة عنادهم وتركهم الانقياد والاذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يُشكَّ فيها ومثله قوله ﴿وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾ وقبل أي قبلاً قبلاً يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا إذا حملت قبلاً على جمع القبيل الذي هو الصنف وإنما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في العرف ان يجتمع جميع الأشياء وتنحسر إلى موضع وقيل كفلاء عن الفراء وهذا الوجه فيه بعد لأنهم إذا لم يؤمنوا عند انزال الملائكة اليهم وكلام الموتى فأن لا يؤمنوا بالكفالة أجدر إلا أن يكون المراد حشر كل شيء وفي الأشياء المحشورة ما لا ينطق فإذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقاً للعادة ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ عند هذه الآيات ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أن يجبرهم على الإيمان عن الحسن وهو المروي عن أهل البيت (ع) والمعنى أنهم فقط لا يؤمنون مختارين إلا أن يكرهوا ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ ان الله قادر على ذلك وقيل معناه يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعاً وقيل معناه يجهلون مواضع التسلية فيسئلون ما لا فائدة فيه وفي الآية دلالة على أن الله سبحانه لو علم أنه إذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى وفيها أيضاً دلالة على أن إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك إذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء ولم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يعلم الله وإلا أن يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل ومتى قيل فلم لا يقال أنهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم انه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الإيمان منهم موقوفاً على المشيئة سواء كانت الآيات ام لم تكن وفي هذا ابطال للآيات .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَبَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
زُحْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا

يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

[القراءة] في الشواذ عن الحسن وتصغي اليه وليرضوه وليقترفوا بسكون اللام في الجميع والقراءة الظاهرة بكسر اللام في سائرهما .

[الحجة] قال أبو الفتح هذه اللام هي الجارة اعني لام كي وهي معطوفة على الغرور من قوله يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً أي للغرور ولأن تصغى إليه أفعدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا إلا أن إسكان هذه اللام شاذ في الاستعمال على قوته في القياس لأن هذا الإسكان إنما كثر عنهم في لام الأمر نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا

نَفْسَهُمْ وَلِيُوْفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا﴾ وإنما أسكنت تخفيفاً لثقل الكسرة فيها وفرقوا بينها وبين لام كي بأن لم يسكنوها وكأنهم إنما اختاروا السكون للام الأمر والتحريك للام كي من حيث كانت لام كي نائبة في أكثر الأمر عن أن وهي أيضاً في جواب كان سيفعل اذا قلت ما كان ليفعل محذوفة مع اللام البتة فلما ثبتت عنها قوتها باقرا أن حركتها فيها لأن الحرف المتحرك اقوى من الساكن والاقوى اشبه بأن ينوب عن غيره من الأضعف .

[اللغة] الزخرف المزين يقال زخرفه زخرفة إذا زينّه والزخرف كمال حسن الشيء وفي الحديث أنه ﷺ لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي قيل كانت نقوش وتصاوير زينت الكعبة بها وقيل أراد بالزخرف الذهب والغرور ماله ظاهر تحبّه وفيه باطن مكروه والشيطان غرور لأنه يحمل على محاب النفس ووراءه سوء العاقبة وبيع الغرر ما لا يكون على ثقة وصغوت اليه اصغى صَغَوْاً وَصُغَوْاً وَصَغُوتاً وَصَغُوتاً أصغى بالياء أيضاً وأصغيت اليه اصغاء بمعنى قال الشاعر :

تَرَى السُّفِيهَ بِهِ عَنْ كُلِّ مُحْكَمَةٍ زَيْنٌ وَفِيهِ إِلَى التَّشْبِيهِ إِصْغَاءٌ^(١)

ويقال أصغيت الإناء إذا أملتّه ليجتمع ما فيه ومنه الحديث كان رسول الله ﷺ يصغى الإناء للهراً والأصل فيه الميل إلى الشيء لغرض من الأغراض والاقتراف اكتساب الإثم ويقال

(١) قوله التشبيه أي المتشابه .

خرج يقترب لأهله أي يكتسب لهم وقارف فلان هذا الأمر إذا واقع وعمله وقرف الذنب واقتربه عمله وقرفه بما ادعاه عليه أي رماه بالريبة وقرف القرحة أي قشر منها واقترب كذباً .

[الإعراب] نصب عَدُوًّا على أحد وجهين إما أن يكون مفعول جعلنا وشياطين بدل منه ومفسر له وعدوا في معنى اعداء واما ان يكون أصله خبراً ويكون هنا مفعولاً ثانياً لجعلنا على تقدير جعلنا شياطين الإنس والجن عدوًّا أي اعداء وقوله غروراً نصب على المصدر من معنى الفعل المتقدم لأن معنى ابحاء الزخرف من القول معنى الغرور فكأنه قال يغرون غروراً عن الزجاج وقيل أنه مفعول له عن ابن جني وقيل نصب على البدل من زخرف عن أبي مسلم .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ حَالُ الْأَنْبِيَاءِ (ع) مع أعدائهم تسلياً لنبيه ﷺ فقال ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴾ أي وكما جعلنا لك شياطين الإنس والجن اعداء كذلك جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء وأممهم وقيل في معنى قوله وجعلنا هنا وجوه (أحدها) ان المراد كما أمرناك بعبادة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجن والإنس وسمى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم اعداء له وقد يقول الأمير للمبارز من عسكره جعلت فلاناً قرنك في المبارزة وإنما يعني بذلك أنه أمره بمبارزته لأنه إذا أمره بمبارزته فقد جعل من يبارزه قرناً له (وثانيها) ان معناه حكمنا بأنهم أعداء وأخبرنا بذلك لتعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم والاستعداد لدفع شرهم وهذا كما يقال جعل القاضي فلاناً عدلاً وفلاناً فاسقاً إذا حكم بعدالة هذا وفسق ذلك (وثالثها) ان المراد خليتنا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمنعهم عن ذلك كرهاً ولا جبراً لأن ذلك يزيل التكليف (ورابعها) أنه سبحانه إنما أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه لما أرسل إليهم الرسل وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام والإيمان وخلع ما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه (ع) ومثله قوله سبحانه مخبراً عن نوح (ع) ﴿ فَلَمَّ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا قِرَارًا ﴾ والمراد بشياطين الإنس والجن مرادة الكفار من الفريقين عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل إن شياطين الإنس الذين يغوونهم وشياطين الجن الذين هم من ولد إبليس عن السدي وعكرمة وفي تفسير الكلبي عن ابن عباس ان إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس وفريقاً إلى الجن فشياطين الإنس والجن أعداء الرسل والمؤمنين فيلتقي شياطين الإنس وشياطين الجن في كل حين فيقول بعضهم لبعض أضللتُ صاحبي

بكذا فاضل صاحبك بمثلها فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض وروي عن أبي جعفر (ع) أيضاً أنه قال ان الشياطين يلقي بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض ﴿يُوحِي﴾ أي يوسوس ويلقي خفية ﴿بعضهم إلى بعض زخرف القول﴾ أي الممّوه المزّين الذي يستحسن ظاهره لا حقيقة له ولا أصل ﴿غروراً﴾ أي يغرونهم بذلك غروراً أو ليغروهم بذلك ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أخبر سبحانه أنه لو شاء أن يمنعهم من ذلك جبراً ويحول بينهم وبينه لقدر على ذلك ولو حال بينهم وبينه لما فعلوه ولكنه خلّى بينهم وبين أفعالهم ابقاءاً للتكليف وامتحاناً للمكلفين وقيل معناه ولو شاء ربك ما فعلوه بأن ينزل عليهم عذاباً أو آية فتظل اعناقهم لها خاضعين ﴿فذرهم وما يفترون﴾ أي دعهم وافتراءهم الكذب فإنني أجازيهم وأعاقبهم أمر سبحانه نبيه ﷺ بأن يُخلّي بينهم وبين ما اختاروه ولا يمنعهم منه بالقهر تهديداً لهم كما قال اعملوا ما شئتم دون أن يكون أمراً واجباً أو نذراً ﴿ولتصني إليه﴾ أي ولتميل إلى هذا الوحي مزخرف القول أو إلى هذا القول المزخرف ﴿أفئدة﴾ أي قلوب ﴿الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ والعامل في قوله ولتصني قوله يوحي ولا يجوز أن يكون العامل فيه جعلنا لأن الله سبحانه لا يجوز أن يريد اصفاء القلوب إلى الكفر ووحي الشياطين إلا أن تجعلها لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً على أنه غير معلوم أن كل من أرادوا منه الصغوق صغى إلى كلامهم ولم يصح ذلك أيضاً في قوله ﴿وليرضوه وليقتروا ما هم مقترفون﴾ لأنه غير معلوم حصول ذلك وعلى ما قلناه يكون جميع ذلك معطوفاً بعبءه على بعض والمراد بالأفئدة أصحاب الأفئدة ولكن لما كان الاعتقاد في القلب وكذلك الشهوة اسند الصغوق إلى القلب ﴿وليرضوه﴾ أي وليرضوا ما أوحى إليهم من القول المزخرف ﴿وليقتروا﴾ أي وليكتسبوا من الإثم والمعاصي ﴿ما هم مقترفون﴾ أي مكتسبون في عداوة النبي ﷺ والمؤمنين عن ابن عباس والسدي وقال أبو علي الجبائي إن اللام في قوله ولتصني وما بعده لام الأمر والمراد بها التهديد كما قال سبحانه ﴿اعملوا ما شئتم﴾ واستفزز من استطعت وهذا غلط فاحش لأنه لو كان كذلك لقال ولتصغ فحذف الألف وقال البلخي اللام في ولتصغى لام العاقبة وما بعده لام الأمر الذي يراد به التهديد وهذا جائز إلا أن فيه تعسفاً فالأصح ما ذكرناه .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ

مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ
رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١١﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحفص منزلاً بالتشديد والباقون بالتخفيف .

[الحجة] حجة التشديد قوله سبحانه تنزيل الكتاب من الله وما أشبهه وحجة التخفيف إنا أنزلنا إليك وما أشبهه .

[المعنى] ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يقول لهؤلاء الكفار الذين مضى ذكرهم ﴿أفغير الله ابتغي حكماً﴾ أي اطلب سوى الله حاكماً والحكم والحاكم بمعنى واحد ألا أن الحكم أمدح لأن معناه من يستحق أن يتحاكم إليه فهو لا يقضي إلا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير حق والمعنى هل يجوز لأحد أن يعدل عن حكم الله رغبة عنه أو هل يجوز أن يكون حكم سوى الله يساويه في حكمه ﴿وهو الذي﴾ يعني والله الذي ﴿أنزل اليكم الكتاب﴾ أي القرآن ﴿مفصلاً﴾ فصل فيه جميع ما يحتاج إليه وقيل فصل فيه بين الصادق والكاذب في الدين وقيل فصل بين الحلال والحرام والكفر والإيمان عن الحسن ومعنى التفصيل تبين المعاني بما ينفي التخليط المعمي للمعنى وينفي أيضاً التداخل الذي يوجب نقصان البيان عن المراد ﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني بهم مؤمني أهل الكتاب والكتاب هو التوراة والإنجيل وقيل يعني بهم كبراء الصحابة وأصحاب بدر والكتاب هو القرآن عن عطا ﴿يعلمون أنه﴾ أي أن القرآن ﴿منزل من ربك بالحق﴾ يعني ببيان الحق أي يعلمون أن كل ما فيه بيان عن الشيء على ما هو به فترغيبه وترهيبه ووعدته ووعيده وقصصه وأمثاله وغير ذلك جميعه بهذه الصفة وقيل أن معنى بالحق بالبرهان الذي تقدم لهم حتى علموه به ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ أي من الشاكين في ذلك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به للأمة وقيل الخطاب لغيره أي فلا تكن أيها الإنسان أو أيها السامع وقيل الخطاب له ﷺ والمراد به الزيادة في شرح صدره ويقينه وطمأنينة قلبه وتسكينه كقوله تعالى فلا يكن في صدرك حرج منه عن أبي مسلم .

﴿ وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدًّا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾

[القراءة] كلمة ربك بالتوحيد عراقي غير أبي عمرو والباقون كلمات ربك .

[الحجة] من قرأ كلمة ربك قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك اغنى عن الجمع قالوا ان زهيراً قال في كلمته يعنون قصيدته وقال قس في كلمته يعنون خطبته ومن قرأ بالجمع فلأنه لما كان جمعاً في المعنى جمَعُوا .

[اللغة] التبديل وضع الشيء مكان غيره والصدق الخبر الذي مخبره على وفق ما أخبر به والعدل ضد الجور وقيل ان أفعال الله تعالى كلها عدل لأنها كلها على الاستقامة وقيل إنما يوصف بذلك فيما يعامل به عباده .

[الإعراب] صدقاً وعدلاً نصب على التمييز وقيل إنهما مصدران انتصبا على الحال من الكلمة وتقدير ذلك صادقة وعادلة عن أبي علي الفارسي وقد تقدم مثل هذا فيما مضى .

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ صِفَةَ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ فَقَالَ ﴿ وَتَمَّتْ ﴾ أي كملت على وجه لا يمكن احداً الزيادة فيه والنقصان منه ﴿ كَلِمَةً رَبِّكَ ﴾ أي القرآن عن قتادة وغيره وقيل معناه أنزلت شيئاً بعد شيء حتى كملت على ما تقتضيه الحكمة وقيل ان المراد بالكلمة دين الله كما في قوله وكلمة الله هي العليا عن أبي مسلم وقيل المراد بها حجة الله على الخلق ﴿ صَدَقًا وَعَدْلًا ﴾ ما كان في القرآن من الأخبار فهو صدق لا يشوبه كذب وما فيه من الأمر والنهي والحكم والإباحة والحظر فهو عدل ﴿ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ أي لا مغير لأحكامه عن قتادة لأنه وان امكن التغيير والتبديل في اللفظ كما بدّل اهل الكتاب التوراة والإنجيل فإنه لا يعتد بذلك قال وقد تطلق الكلمة بمعنى الحكم قال سبحانه ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ أي حكم ربك ويقال عقوبة ربك وقال النبي ﷺ في صفة النساء انهن هوان عندكم استحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى وقيل معناه ان القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا مغير لشيء منه وذلك أن الله تعالى ضمن حفظه في قوله ﴿ وَانَالَهُ لِحَافِظُونَ ﴾ ولا يجوز أن يعني بالكلمات الشرائع كما عني بقوله ﴿ وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ لأن الشرائع قد يجوز فيها النسخ والتبديل وهو السميع ﴿ لَا قَوْلَ الْكَمِ ﴾ العليم ﴿ بَضْمَا ثَرْكَمِ ﴾ .

﴿ وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^ج إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ^ط وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

[اللغة] الفرق بين الأكثر والاعظم ان الأعظم قد يوصف به واحد ولا يوصف بالاكتر واحد بحال ولهذا يقال في صفة الله تعالى عظيم وأعظم ولا يوصف باكثر وإنما يقال أكبر بمعنى أعظم والخرص الكذب يقال خرص يخرص خرصاً وتخرص واخترص واصله القطع قال الشاعر:

تَرَى قِصْدَ الْمُرَانِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بِأَيْدِي الشَّوَاطِبِ ^(١)
يعني جريداً يقطع طولاً ويتخذ منه الحصر وهو جمع الخرص ومنه خرص النخل يخرص خرصاً إذا احرزه والخرص حبة القرط إذا كانت منفردة والخرص العود لانقطاعه عن نظائره بطيب ريحه ولفظة أعلم إذا لم يذكر معها من فله معنيان (أحدهما) اعلم من الكل واجتزىء عن ذكر من كقولهم الله أكبر أي من كل شيء (والثاني) بمعنى فعمل كقول الفرزدق.

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
أي عزيز وطويل :

[الإعراب] موضع مَنْ يُضِلُّ عن سبيله فيه وجوه (أحدها) أنه نصب على حذف الباء حتى يكون مقابلاً لقوله وهو أعلم بالمهتدين (والثاني) ان موضع مَنْ رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والمعنى ان ربك هو أعلم أي الناس يضل عن سبيله وهذا مثل قوله تعالى لنعلم أي الحزبين احصى عن الزجاج وفي هذه المسألة خلاف وسيأتي شرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى (والثالث) ان موضعها نصب بفعل مضمر يدل عليه قوله أعلم فكأنه

(١) قائله قيس بن الخطيم. القصد جمع القصد: القطعة مما يكسر ومران - كرمان - الرماح الصلبة اللدنة. والتذرع: تقدير الشيء بذراع اليد. والشواطب جمع الشاطبة: المرثة التي تشق الجريد لتعمل منه الحصر.

قال ان ربك هو اعلم يعلم من يضلُّ عن سبيله وصيغة افعل من كذا لا تتعدى لأنها غير جارية على الفعل ولا معدولة عن الجارية على الفعل كما عدل ضروب عن ضارب ومتجار عن تاجر عن أبي علي الفارسي وزعم قوم ان أُعْلِمُ ههنا بمعنى يعلم كما قال حاتم الطائي .

فَحَالَفْتُ طَيْيًّا مِنْ دُونِنَا حَلْفًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا كُنَّا لَهُمْ خَذَلًا

وقالت الخنساء :

الْقَوْمُ أَعْلَمُ أَنَّ جَفَنَتَهُ تَغْدُو غَدَاةَ الرِّيحِ أَوْ تُسْرِي^(١)

وهذا فاسد لأنه لا يطابق قوله وهو أهلم بالمهتدين ولا يجوز ان يكون مَنْ في موضع جرّ باضافة اعلم إليه لأن افعل لا يضاف الا إلى ما هو بعضه وجلّ ربنا وتقدّس عن ان يكون بعض الضالّين ولا بعض المضلين .

[المعنى] لما تقدّم ذكر الكتاب بين سبحانه في هذه الآية ان من تبع غير الكتاب ضلّ وأضلّ فقال ﴿وان تطع﴾ يا محمد خاطبه ﷺ والمراد غيره وقيل المراد هو وغيره والطاعة هي امتثال الأمر وموافقة المطيع المطاع فيما يريد منه إذا كان المرید فوقه والفرق بينها وبين الإجابة ان الإجابة عامّة في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة ولا يراعى فيها الرتبة ﴿اكثر من في الأرض﴾ يعني الكفار وأهل الضلالة وإنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن منهم من يؤمن ويدعو إلى الحق ويذبّ عن الدين ولكن هم الأقل والأكثر الضلالّ ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ أي عن دينه وفي هذا دلالة على أنه لا عبرة في دين الله ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز ان يكون الحق مع الأقل وإنما الاعتبار فيه بالحجة دون القلة والكثرة ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ أي ما يتبع هؤلاء المشركون فيما يعتقدونه ويدعون إليه الا الظنّ ﴿وان هم يخرصون﴾ أي ما هم الا يكذبون وقيل معناه أنهم لا يقولون عن علم ولكن عن خرص وتخمين وقال ابن عباس كانوا يدعون النبي ﷺ والمؤمنين إلى أكل الميتة ويقولون تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فهذا ضلالهم ﴿ان ربك هو اعلم من يضلّ عن سبيله﴾ خاطب سبحانه نبيه ﷺ وان عني به جميع الأمة ويسأل فيقال كيف جاز في صفة القديم سبحانه أعلم مع أنه سبحانه لا يخلو من ان يكون اعلم بالمعنى ممّن يعلمه أو ممّن لا يعلمه وكلاهما لا

(١) الجفنة : القصعة الكبيرة وقوله تسري أي تسير عامة الليل .

يصح فيه أفعال والجواب ان المعنى هو أعلم به ممن يعلمه لأنه يعلمه من وجوه لا يخفى على غيره وذلك أنه يعلم ما يكون منه وما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة على جميع الوجوه التي يصح ان يعلم الأشياء عليها وليس كذلك غيره لأن غيره لا يعلم جميع الأشياء وما يعلمه لا يعلمه من جميع وجوهها واما من هو غير عالم اصلاً فلا يقال الله سبحانه اعلم منه لأن لفظة اعلم يقتضي الاشتراك في العلم وزيادة لمن وصف بأنه اعلم وهذا لا يصح فيمن ليس بعالم اصلاً إلا مجازاً ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ المعنى أنه سبحانه اعلم بمن يسلك سبيل الضلال المؤدي إلى الهلاك والعقاب ومن يسلك سبيل الهدى المفضي به إلى النجاة والثواب وفي هذا دلالة على ان الضلال والإضلال من فعل العبد خلاف ما يقوله اهل الجبر وعلى أنه لا يجوز التقليد واتباع الظن في الدين والأغترار بالكثرة وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) حيث قال للحرث الهمداني يا حار الحق لا يُعرف بالرجال يُعرف الحق تعرف اهله .

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِحَايَتِهِ مُؤْمِنِينَ ١١٨ ﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ١١٩ وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ١٢٠

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص فُصِّلَ لكم بالفتح ما حُرِّمَ بالضم وقرأ أهل المدينة وحفص ويعقوب وسهل فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ كليهما بالفتح وقرأ الباقر فُصِّلَ لكم ما حُرِّمَ بالضم فيهما وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لِيُضِلُّوا بفتح الياء هنا وفي يونس لِيُضِلُّوا عن سبيلك وفي إبراهيم لِيُضِلُّوا عن سبيله وفي الحج لِيُضِلَّ عن سبيل الله وفي لقمان والزمر

في المواضع الستة وقرأ أهل الكوفة بضم الياء في هذه المواضع وقرأ الباقون هنا وفي سورة يونس بفتح الياء وفي الأربعة بعد هذين الموضعين بضم الياء .

[الحجة] حجة من ضم الفاء من فصل والحاء من حرم قوله حُرِّمَتْ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير فهذا تفصيل هذا العام المجمل بقوله حُرِّمَ^(١) وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً فمفصلاً يدل على فصل وحجة من قرأ فصل وحرم بفتح الفاء والحاء وقوله قد فصلنا الآيات وقوله اتل ما حرم ربكم وقوله الذين يشهدون ان الله حرم هذا وحجة من ضم الياء من يضلون ويضلوا أنه يدل على ان الموصوف بذلك في الضلالة اذهب ومن الهدى أبعد ألا ترى ان كل مضل ضال وليس كل ضال مضل لأن الضلال قد يكون مقصوراً على نفسه لا يتعداه الى سواه ومن قرأ بفتح الياء فإنه يريد أنهم يضلون في أنفسهم من غير أن يضلوا غيرهم من اتباعهم بامتناعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه وغير ذلك أي يضلون باتباع أهوائهم .

[الإعراب واللغة] وذروا الواو للعطف وإنما استعمل منه الأمر والمستقبل ولا يستعمل وذَرَّ ولا واذَرَّ اشعروا بذلك كراهية الابتداء بالواو حتى لم يزيدها هناك اصلاً مع زيادتهم اخواتها واستغنوا فيها بترك وتبارك وهذا كما استعملوا الماضي دون المستقبل واسم الفاعل في عسى والظاهر الكائن على وجه يمكن ادراكه والباطن هو الكائن على وجه يتعذر إدراكه والكسب ما يفعل لاجتلاب النفع أو دفع الضرر وإنما يوصف به العبد دون الله تعالى لاستحالة النفع والضرر عليه سبحانه والكواسب الجوارح من الطير لأنها تكسب ما تنتفع به وقد بينا ان معنى الاقتراف الاكتساب .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الكلام فقال ﴿فَكُلُوا﴾ ثم اختلف في ذلك فقيل انه لما ذكر المهتدين فكأنه قال ومن الهداية ان تحلوا ما أحل الله وتحرموا ما حرم الله فكلوا وقيل ان المشركين لما قالوا للمسلمين اتأكلون ما قتلتم انتم ولا تأكلوا ما قتل ربكم فكأنه قال سبحانه لهم اعرضوا عن جهلكم فكلوا والمراد به الإباحة وان كانت الصيغة صيغة الأمر ﴿مما ذكر اسم الله عليه﴾ يعني ذكر اسم الله عند ذبحه دون الميتة وما ذكر عليه اسم الاصنام والذكر هو قول بسم الله وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به أو صفة تختصه كقول

(١) [وقوله] .

باسم الرحمان أو باسم القديم أو باسم القادر لنفسه أو العالم لنفسه وما يجري مجراه والأول مُجْمَعٌ على جوازه والظاهر يقتضي جواز غيره لقوله سبحانه ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ بأن عرفتم ورسوله وصحة ما اتاكم به من عند الله فكلوا ما أحلّ دون ما حرّم وفي هذه الآية دلالة على وجوب التسمية على الذبيحة وعلى أن ذبائح الكفار لا يجوز أكلها لأنهم لا يُسَمُّون الله تعالى عليها ومن سَمَّى منهم لا يعتقد وجوب ذلك حقيقة ولأنه يعتقد أن الذي يسميه وهو الذي أبدى شرع موسى أو عيسى فإذا لا يذكرون الله تعالى حقيقة ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ قد ذكرنا أعرابه في سورة البقرة عند قوله وما لنا إلا نقاتل في سبيل الله وتقديره أي شيء لكم في أن لا تأكلوا فيكون ما للاستفهام وهو اختيار الزجاج وغيره من البصريين ومعناه ما الذي يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عند ذبحه وقيل معناه ليس لكم أن لا تأكلوا فيكون ما للنفي ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ أي بين لكم ﴿وَمَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ قيل هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ الآية واعترض على هذا بأن سورة المائدة نزلت بعد الأنعام بمدة فلا يصح أن يقال أنه فصل إلا أن يحمل على أنه بين على لسان الرسول ﷺ وبعد ذلك نزل به القرآن وقيل إنه ما فصل في هذه السورة في قوله قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً الآية ﴿إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ معناه إلا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع إذا تركتم تناول منه فحينئذ يجوز لكم تناوله وإن كان مما حرمه الله واختلف في مقدار ما يسوغ تناوله عند الاضطرار فعندنا لا يجوز أن يتناول إلا ما يمسك به الرمي وقال قوم يجوز أن يشبع المضطر منها وإن يحمل منها معه حتى يجد ما يأكل وقال الجبائي في هذه الآية دلالة على أن ما يكره على أكله من هذه الاجناس يجوز أكله لأن المكروه يخاف على نفسه مثل المضطر ﴿وَأَنْ كَثِيرًا لَيُضْلِلُونَ بِأَهْوَائِهِمْ﴾ أي باتباع أهوائهم ومن قرأ بالضم أراد أنهم يضلون أشباعهم فحذف المفعول به وفي أمثاله كثرة وإنما جعل النكرة اسماً لأن الكلام إذا طال احتمل ذلك ودلّ بعضه على بعض ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ أَنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْأَثَمِ وَبَاطِنَهُ﴾ أمر سبحانه بترك الإثم مع قيام الدلالة على كونه إثماً ونهى عن ارتكابه سرّاً وعلانية وهو قول قتادة ومجاهد والربيع بن انس وقيل أراد بالظاهر أفعال الجوارح وبالباطن أفعال القلوب عن الجبائي وقيل الظاهر من الإثم هو الزنا والباطن هو اتخاذ الأخدان عن السدي والضحاك وقيل ظاهر الإثم امرأة الأب وباطنه الزنا عن سعيد بن جبير وقيل إن أهل الجاهلية كانت ترى أن الزنا إذا أظهر كان فيه إثم وإذا استتر

به صاحبه لم يكن إثمًا ذكره الضحاك والأصحح القول الاول لأنه يُعْمَ الجميع ﴿ان الذين يكسبون الأثم﴾ اي يعملون المعاصي التي فيها الآثام ويرتكبون القبائح ﴿سيجزون﴾ اي سيعاقبون ﴿بما كانوا يقتربون﴾ بما كانوا يكسبون ويرتكبون .

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ
وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

[المعنى] ثم أكد سبحانه ما تقدم بقوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ يعني عند الذبح من الذبائح وهذا تصريح في وجوب التسمية على الذبيحة لأنه لو لم يكن كذلك لكان ترك التسمية غير محرّم لها ﴿وإنه لفسق﴾ يعني وان اكل ما لم يذكر اسم الله عليه لفسق وفي هذا دلالة على تحريم اكل ذبائح الكفار كلهم اهل الكتاب وغيرهم من سمي منهم ومن لم يسم لأنهم لا يعرفون الله تعالى على ما ذكرناه من قبل فلا يصحّ منهم القصد إلى ذكر اسمه فأما ذبيحة المسلم إذا لم يسم الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقل لا يحل أكلها سواء ترك التسمية عمداً أو نسياناً عن مالك وداود وروي ذلك عن الحسن وابن سيرين وبه قال الجبائي وقيل يحل أكلها في الحالين عن الشافعي وقيل يحل أكلها إذا ترك التسمية ناسياً بعد ان يكون معتقداً لوجوبها ويحرم أكلها إذا تركها متعمداً عن أبي حنيفة واصحابه وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام ﴿وان الشياطين﴾ يعني علماء الكافرين ورؤساءهم المتمردين في كفرهم ﴿ليوحون﴾ اي يؤمون ويشيرون ﴿إلى اوليائهم﴾ الذين اتبعوهم من الكفار ﴿ليجادلوكم﴾ في استحلال الميتة قال الحسن كان مشركو العرب يجادلون المسلمين فيقولون لهم كيف تأكلون مما تقتلونهم انتم ولا تأكلون مما قتله الله وقتل الله أولى بالاكل من قتلكم فهذه مجادلتهم وقال عكرمة ان قوماً من مجوس فارس كتبوا إلى مشركي قريش وكانوا اولياء هم في الجاهلية ان محمداً واصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون ان ما ذبحوه حلال وما قتله الله حرام فوق ذلك في نفوسهم فذلك ايحاؤهم إليهم وقال ابن عباس معناه وان الشياطين من الجن وهم ابليس وجنوده ليوحون إلى اوليائهم من الانس والوحي

القاء المعنى إلى النفس من وجه خفيّ وهم يلقون الوسوسة إلى قلوب اهل الشرك ثم قال سبحانه ﴿وَأَن أٰطَعْتُمُوهُم﴾ أيها المؤمنون فيما يقولون من استحلال الميتة وغيره ﴿أَنكُم﴾ إذا ﴿لَمَشْرِكُونَ﴾ لأن من استحل الميتة فهو كافر بالاجماع ومن أكلها محرماً لها مختاراً فهو فاسق وهو قول الحسن وجماعة المفسرين وقال عطا أنه مختص بذبائح العرب التي كانت تذبحها لثلاثان .

﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا

فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِينَ لِيَمْكُرُوا

فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة ويعقوب ميّتاً بالتشديد والباقيون بالتخفيف .

[الحجة] قال أبو عبيدة الميتة تخفيف ميّنة ومعناها واحد قال أبو الرعلاء^(١)

الغساني :

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاخَ بِمَيِّتٍ إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَيِّتٌ الْأَحْيَاءُ
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ يَعِيشُ كَثِيبًا كَاسِيفًا بِأَلِهِ قَلِيلُ الرَّجَاءِ

والمحذوف من الياءين الثانية المنقلبة عن الواو وأعلت بالحذف كما أعلت بالقلب .

[اللغة] الأكابر جمع الأكبر وقد قالوا الأكابرة والأصاغرة كما قالوا الاساورة والأحامرة

قال الشاعر :

(١) في لسان العرب عدي بن الرعلاء .

إِنَّ الْأَخَامِرَةَ الثَّلَاثَةُ أَهْلَكْتُ مَالِي وَكُنْتُ بِهِنُ قِذْمًا مُوَلَعًا
الْخَمْرَ وَاللَّحْمَ السَّمِينَ أَحْبَبَهُ وَالزُّعْفَرَانَ وَقَدْ أُبَيْتُ مَرَدَّعًا^(١)

وأصل المكر الفتل ومنه جارية ممكورة أي مفتلة البدن فكان المكر معناه الفتل إلى خلاف الرشد .

[الإعراب] أَوْمن هذه همزة الاستفهام دخلت على واو العطف وهو استفهام يراد به التقرير وموضع الكاف في قوله ﴿ وكذلك جعلنا ﴾ نصب معطوفة على ما قبلها وهو قوله ﴿ كذلك زين للكافرين ﴾ مجرميها يجوز أن يكون منصوباً على التقديم والتأخير تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ويجوز أن يكون منصوباً بإضافة أكابر إليه .

[النزول] الآية الأولى قيل أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب وأبي جهل بن هشام وذلك أن أبا جهل آذى رسول الله ﷺ فأخبر بذلك حمزة وهو على دين قومه فغضب وجاء معه قوس فضرب بها رأس أبي جهل وآمن عن ابن عباس وقيل إنها نزلت في عمار بن ياسر حين آمن وأبي جهل عن عكرمة وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل نزلت في عمر بن الخطاب عن الضحاك وقيل أنها عامة في كل مؤمن وكافر عن الحسن وجماعة وهذا أولى لأنه أعم فائدة فيدخل فيه جميع الأقوال المذكورة .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه مثل الفريقين فقال ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه ﴾ أي كافراً فأحييناه بأن هديناه إلى الإيمان عن ابن عباس والحسن ومجاهد شبه سبحانه الكفر بالموت والإيمان بالحياة وقيل معناه من كان نطفة فأحييناه كقوله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴿ وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن المراد بالنور العلم والحكمة سمي سبحانه ذلك نوراً والجهل ظلمة لأن العلم يهتدى به إلى الرشاد كما يهتدى بالنور في الطرقات (وثانيها) أن المراد بالنور هنا القرآن عن مجاهد (وثالثها) أن المراد به الإيمان عن ابن عباس ﴿ كمن مثله في الظلمات ﴾ لم يقل سبحانه كمن هو في الظلمات^(٢) تقديره كمن مثله مثل من هو في الظلمات يعني به الكافر الذي هو في ظلمة الكفر وقيل معناه كمن هو في ظلمات الكفر ﴿ ليس بخارج منها ﴾ لكنه ذكره بلفظ المثل ليبين أنه بلغ في الكفر والحيرة

(٢) [لان] .

(١) ثوب مردع أي المطلخ بالزعران .

غاية يضرب به المثل فيها وإنما سمي الله تعالى الكافر ميتاً لأنه لا ينتفع بحياته ولا ينتفع غيره بحياته فهو أسوأ حالاً من الميت إذ لا يوجد من الميت ما يعاقب عليه ولا يتضرر غيره به وسمى المؤمن حياً لأن له ولغيره المصلحة والمنفعة في حياته وكذلك سمي الكافر ميتاً والمؤمن حياً في عدة مواضع مثل قوله ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلِيَنْذَرُ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ وقوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ وسمى القرآن والإيمان والعلم نوراً لأن الناس يبصرون بذلك ويهتدون به من ظلمات الكفر وحيرة الضلالة كما يهتدى بسائر الأنوار وسمى الكفر ظلمة لأن الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر أمر رشده وهذا كما سمي الكافر أعمى في قوله ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ إِنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ وقوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون ﴿وَجِهَ التَّشْبِيهِ بِالْكَافِرِ أَنْ مَعْنَاهُ زَيْنُ لَهُوَ لَا الْكَفَرُ فَعَمَلُوهُ مِثْلَ مَا زَيْنُ لِأَوْلَئِكَ الْإِيمَانُ فَعَمَلُوهُ فَشَبَّهَ حَالَهُ هَؤُلَاءِ فِي التَّزْيِينِ بِحَالِ أَوْلَئِكَ فِيهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ زَيْنُهُ وَاللَّهُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ وَأَنْفُسُهُمْ وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ وقوله ﴿زَيْنٌ﴾ لا يقتضي مزينا غيرهم لأنه بمنزلة قوله تعالى ﴿أَنَّى يَصْرَفُونَ وَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وقول العرب أعجب فلان بنفسه وأولع بكذا ومثله كثير ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا﴾ أي مثل ذلك الذي قصصنا عليك زين للكافرين عملهم ومثل ذلك جعلنا في كل قرية أكابر ﴿مُجْرِمِيهَا﴾ وجعلنا ذا المكر من المجرمين كما جعلنا ذا النور من المؤمنين فكل ما فعلنا بهؤلاء فعلنا بأولئك إلا أن أولئك اهتدوا بحسن اختيارهم وهؤلاء ضلوا بسوء اختيارهم لأن في كل واحد منهما الجعل بمعنى الصيرورة إلا أن الأول باللطف والثاني بالتمكين من المكر وإنما خص أكابر المجرمين بذلك دون الأصاغر لأنه أليق بالاعتدال على الجميع لأن الأكابر إذا كانوا في قبضة القادر فالأصاغر بذلك أجدر واللام في قوله ﴿لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ لام العاقبة ويسمى لام الصيرورة كما في قوله سبحانه ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ وكما قال الشاعر :

فَأَقْسِمُ لَوْ قَتَلُوا مَالِكًا لَكُنْتُ لَهُمْ حَيَّةً رَاصِدَةً
وَأُمُّ سَيْمَكٍ فَلَا تَجْرَعِي فَلْيَلْمُوتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ

﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ لأن عقاب ذلك يحل بهم ولا يصح أن يمكر الإنسان بنفسه على الحقيقة لأنه لا يصح أن يخفي عن نفسه معنى ما يحتال به عليها ويصح أن يخفي ذلك عن غيره وفائدة الآية أن أكابر مجرميها لم يمكروا بالمؤمنين على وجه

المغالبة لله إذ هم كأنه سبحانه جعلهم ليمكروا وهذه مبالغة في انتفاء صفة المغالبة .

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ
 اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
 صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ١٢٤ ﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وحفص رسالته على التوحيد ونصب التاء والباقون رسالاته على الجمع .

[الحجة] مَنْ وَحَّدَ فَلَانَ الرسالة تدل على القلة والكثرة لكونها مصدراً ومن جمع فلماً تكرر من رسالات الله سبحانه مرة بعد أخرى .

[اللغة] الإجماع الإقدام على القبيح بالانقطاع إليه لأن أصل الجرم القطع فكأنه قطع ما يجب أن يوصل من العمل ومنه قيل للثوب الجرم والجريمة والصغار الذل الذي يصغر إلى المرء نفسه يقال صَغُرَ الإنسانُ يَصْغُرُ صَغَاراً وَصُغُرَا .

[الإعراب] الله أعلم حيث يجعل رسالاته لا يخلو حيث هنا من أن يكون ظرفاً متضمناً لحرفه أو غير ظرف فإن كان ظرفاً فلا يجوز أن يعمل فيه أعلم لأنه يصير المعنى أعلم في هذا الموضع أو في هذا الوقت ولا يوصف تعالى بأنه أعلم في مواضع أو في أوقات كما يقال زيد أعلم في مكان كذا أو أعلم في زمان كذا وإذا كان الأمر كذلك لم يجز أن يكون حيث هنا ظرفاً وإذا لم يكن ظرفاً كان اسماً وكان انتصابه انتصاب المفعول به على الاتساع ويقوي ذلك دخول الجار عليها فكان الأصل الله أعلم بمواضع رسالاته ثم حذف الجار كما قال سبحانه أعلم بمن ضل عن سبيله وفي موضع آخر أعلم من يضل عن سبيله فمن يضل معمول فعل مضمّر دل عليه أعلم ولا يجوز أن يكون معمول أعلم لأن المعاني لا تعمل في مواضع الاستفهام ونحوه إنما تعمل فيها الأفعال التي تلغى فتعلق كما تلغى ومثل ذلك في أنه لا يكون إلا محمولاً على فعل قوله (وَأَضْرَبُ بِهَا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَ)^(١) فالقوانس منصوب

(١) القوانس جمع القونس: أعلى الراس .

بفعل مضمر دل عليه قوله اضرب لأن المعاني لا تعمل في المفعول به ومما جعل حيث فيه اسماً متمكناً غير ظرف متضمن لمعنى في قول الشاعر :

كَأَنَّ مِنْهَا حَيْثُ تَلَوِي الْمِنْطَقَا حَقَقَا نَقَا مَا لَا عَلَى حَقَّقِي نَقَا^(١)

ألا ترى أن حيث هنا في موضع نصب بكأن وحققانقا مرفوع بأنه خبره وقال القاضي أبو سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه أن من العرب من يضيف حيث إلى المفرد فيجر ما بعدها وأنشد ابن الأعرابي بيتاً آخره (حيث لي العمائم) وأنشد أيضاً أبو سعيد وأبو علي في إخراج حيث من حد الظرفية بالإضافة إليها إلى حد الأسماء المحضة قول الشاعر يصف شيخاً يقتل القمل :

يَهْزُ الْهَرَائِجَ عَقْدُهُ عِنْدَ الْخَصَى بِأَذَلِّ حَيْثُ يَكُونُ مَنْ يَتَذَلَّلُ^(٢)

ومن ذلك قول الفرزدق :

فَمَحَنَ بِهِ عَذْباً رُضَاباً غُرُوبُهُ رُقَاباً وَأَعْلَى حَيْثُ رُكِبْنَ أَعْجَفُ^(٣)

وقوله ﴿ صغار عند الله ﴾ قال الزجاج عند متصلة بسبب أي سيصيبهم عند الله صغار وجاز أن يكون عند متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أجزموا صغار ثابت لهم عند الله ولا يصلح أن يكون من محذوفة من عند إنما المحذوف من عند في إذا قلت زيد عند عمرو فالمعنى زيد في حضرة عمرو وقال أبو علي إذا قلت أن عند معمول لصغار لم تحتج إلى تقدير محذوف في الكلام لكن نفس المصدر يتناوله ويعمل فيه ويكون التقدير ان يصغروا عند الله فلا وجه لتقدير ثابت في الكلام فإن قدرت صغاراً موصوفاً بعند لم يكن عند معمولاً لصغار ولكن يكون متعلقاً بمحذوف فلا بد على هذا من تقدير ثابت ونحوه ما يكون في الأصل صفة ثم حذف وأقيم الظرف مقامه للدلالة عليه وهذا كقولك وأنت تريد الصفة هذا رجل عندك فالمعنى ثابت عندك أو مستقر عندك وكلا الوجهين جائز .

(١) المنطق : كلما شددت به وسطك . الحققان تشية الحقف : ما اعرج من الرمل واستطال . النقا مقصوراً : الكتيب من الرمل . قوله مالا من الميل .

(٢) وهز القملة بين أصابعه : قصعها أي قتلها . الهرائج جمع الهرنج : القمل الكبير .

(٣) ماح الريق من فيه بالسواك : استخرجه به . والرضاب بمعنى العذب أيضاً والعيزوب جمع عزب : ماء الفم . والأعجب : المهزول . يصف جوارى اشتغلن بالسواك وقوله : أعلى حيث ركب أي الاسنان يعني لشهن قليلة اللحم .

[النزول] نزلت في الوليد بن المغيرة قال والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأنني أكبر منك سنأ وأكثر منك مالاً وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه عن مقاتل .

[المعنى] ثم حكى سبحانه عن الأكابر الذين تقدم ذكرهم اقتراحاتهم الباطلة فقال ﴿ إذا جاءتهم آية ﴾ أي دلالة معجزة من عند الله تعالى تدل على توحيده وصدق نبيه ﷺ ﴿ قالوا لن نؤمن ﴾ أي لن نصدق بها ﴿ حتى نؤتي ﴾ أي نعطي آية معجزة ﴿ مثل ما أوتي ﴾ أي أعطي ﴿ رسل الله ﴾ حسداً منهم للنبي ﷺ ثم أخبر سبحانه على وجه الإنكار عليهم بقوله ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ أنه أعلم منهم ومن جميع الخلق بمن يصلح لرسالاته ويتعلق مصالح الخلق ببعثه وأنه يعلم من يقوم بأعباء الرسالة ومن لا يقوم بها فيجعلها عند من يقوم بأدائها ويحتمل ما يلحقه من المشقة والأذى على تبليغها ثم توعدهم سبحانه فقال ﴿ سيصيب ﴾ أي سينال ﴿ الذين أجرموا ﴾ أي انقطعوا إلى الكفر وأقدموا عليه يعني بهم المشركين من أكابر القرى الذين سبق ذكرهم ﴿ صغار عند الله ﴾ أي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وإن كانوا أكابر في الدنيا ^{عن الزجاج} ويجوز أن يكون المعنى سيصيبهم صغار معد لهم عند الله أو سيصيبهم أن يصغروا عند الله ﴿ وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ﴾ في الدنيا أي جزاء على مكرهم .

﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغَيِّرْ صَدْرَهُ، ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ١٢٥ ﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير ضيقاً بتخفيف الياء وسكونها ههنا وفي الفرقان والباقون بتشديدها وكسرها وقرأ أهل المدينة وأبو بكر وسهل حرجاً بكسر الراء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير يصعد بتخفيف الصاد والعين وسكون الصاد وقرأ أبو بكر يصاعد بتشديد الصاد وألف بعدها وتخفيف العين والباقون يصعد بتشديد الصاد والعين وفتح الصاد .

[الحجة] الضيق والضيق بمعنى مثل الميت والميت ومن فتح الراء من حرج فقد وصف بالمصدر كما قيل في قَمَنَ وَذَنَفَ ونحوهما من المصادر التي يوصف بها ومن كسر الراء من حرج فهو مثل دَنَفَ وَقَمِنَ وقراءة ابن كثير يَصْعَدُ من الصعود ومن قرأ يَصْعَدُ أراد يتصعد فادغم ومعنى يتصعد أنه يثقل الإسلام عليه فكأنه يتكلف ما يثقل عليه شيئاً بعد شيء كقولهم يتعفف ويتحرج ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء ويصاعد مثل يصعد في المعنى فهو مثل ضاعف وضعف وناعم ونعم وهما من المشقة وصعوبة الشيء ومن ذلك قوله ﴿ يسلكه عذاباً صعداً ﴾ وقوله ﴿ سارقه صعوداً ﴾ أي سأغشيه عذاباً صعوداً وعقبة صعود أي شاقة ومن ذلك قول عمر بن الخطاب ما تصعد في شيء كما تصعد في خطبة النكاح أي ما شق عليّ شيء مشقتها .

[اللغة] الحرج والحرج أضيق الضيق قال أبو زيد حرج عليه السحر يحرج حرجاً إذ أصبح قبل أن يتسحر وحرم عليه حرماً وهما بمعنى واحد وحرجت على المرأة الصلاة وحرمت بمعنى واحد وحرج فلان إذا هاب أن يتقدم على الأمر وقاتل فصبر وهو كاره وقد ذكرنا معاني الهداية والهدى والضلال والإضلال في سورة البقرة وما يجوز إسناده إلى الله تعالى من كلا الأمرين وما لا يجوز عند قوله ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ .

[المعنى] لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين عقبه ما يفعله سبحانه بكل من القبيلتين فقال ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ قد ذكر في تأويل الآية وجوه (أحدها) أن معناه ﴿ فمن يرد الله أن يهديه ﴾ إلى الثواب وطريق الجنة ﴿ يشرح صدره ﴾ في الدنيا ﴿ للإسلام ﴾ بأن يثبت عزمه عليه ويقوّي دواعيه على التمسك به ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وما يعرض في القلوب من الخواطر الفاسدة وإنما يفعل ذلك لطفاً له ومناً عليه وثواباً على اهتدائه بهدى الله وقبوله إياه ونظيره قوله سبحانه ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴾ ﴿ ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ يعني ومن يرد أن يضلّه عن ثوابه وكرامته يجعل صدره في كفره ضيقاً حرجاً عقوبة له على ترك الإيمان من غير أن يكون سبحانه مانعاً له عن الإيمان وسالباً إياه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له إلى الإيمان فإن من ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً له إلى تركه والدليل على أن شرح الصدر قد يكون ثواباً قوله سبحانه ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ الآيات ومعلوم أن وضع الوزر ورفع الذكر يكون ثواباً على تحمل أعباء الرسالة وكُلّفها فكذلك ما قرن به من شرح الصدر

والدليل على أن الهدى قد يكون إلى الثواب قوله ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم﴾ ومعلوم أن الهداية بعد القتل لا تكون إلا إلى الثواب فليس بعد الموت تكليف وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله ﷺ عن شرح الصدر ما هو فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فيشرح له صدره وينفسح قالوا فهل لذلك من إمامة يعرف بها قال ﷺ نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (وثانيها) أن معنى الآية فمن يرد الله أن يثبتته على الهدى يشرح صدره من الوجه الذي ذكرناه جزاء له على إيمانه واهتدائه وقد يطلق لفظ الهدى والمراد به الإستقامة كما قلناه في قوله ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ومن يرد أن يضلّه أي يخذله ويخلي بينه وبين ما يريد لا يختاره الكفر وتركه الإيمان ﴿يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ بأن يمنعه الألفاف التي يشرح لها صدره لخروجه من قبولها بإقامته على كفره فإن قيل إنا نجد الكافر غير ضيق الصدر لما هو فيه ونراه طيب القلب على كفره فكيف يصح الخلف في خبره سبحانه قلنا أنه سبحانه بين أنه يجعل صدره ضيقاً ولم يقل في كل حال ومعلوم من حاله في أحوال كثيرة أنه يضيق صدره بما هو فيه من ورود الشبه والشكوك عليه وعندما يجازي الله تعالى المؤمن على استعمال الأدلة الموصلة إلى الإيمان وهذا القدر هو الذي يقتضيه الظاهر (وثالثها) أن معنى الآية من يرد الله أن يهديه زيادة الهدى التي وعدّها المؤمن ﴿يشرح صدره﴾ لتلك الزيادة لأن من حققها أن تزيد المؤمن بصيرة ومن يرد أن يضلّه عن تلك الزيادة بمعنى يذهب عنها من حيث أخرج هو نفسه من أن يصح عليه ﴿يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ لمكان فقد تلك الزيادة لأنها إذا اقتضت في المؤمن ما قلناه أوجب في الكافر ما يضاده ويكون الفائدة في ذلك الترغيب في الإيمان والزجر عن الكفر وهذا التأويل قريب مما تقدمه وقد روي عن ابن عباس أنه قال إنما سمى الله قلب الكافر حرجاً لأنه لا يصل الخير إلى قلبه وفي رواية أخرى لا تصل الحكمة إلى قلبه ولا يجوز أن يكون المراد بالاضلال في الآية الدعاء إلى الضلال ولا الأمر به ولا الإيجاب عليه لإجماع الأمة على أن الله تعالى لا يأمر بالاضلال ولا يدعو إليه فكيف يجبر عليه والدعاء إليه أهون من الإيجاب عليه وقد ذم الله تعالى فرعون والسامري على اضلالهما عن دين الهدى في قوله ﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ وقوله ﴿فأضلهم السامري﴾ ولا خلاف في أن اضلالهما إضلال أمر وإيجاب ودعاء وقد ذمهما الله تعالى عليه مطلقاً فكيف يتمدح بما ذم عليه غيره قوله ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ فيه وجوه (أحدها) أن معناه كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعي إلى الإسلام من ضيق

صدره عنه أو كأن قلبه يصعد في السماء نبؤاً^(١) عن الإسلام والحكمة عن الزجاج (وثانيها) أن معنى يصعد كأنه يتكلف مشقة في ارتقاء صعود وعلى هذا قيل عقبة عنوت وكؤود عن أبي علي الفارسي قال ولا يكون السماء في هذا القول المظلة للأرض ولكن كما قال سيويه القيدود الطويل في غير سماء أي في غير ارتفاع صُعُدا وقريب منه ما روي عن سعيد بن جبير أن معناه كأنه لا يجد مسلكاً إلا صُعُدا (وثالثها) أن معناه كأنما ينزع قلبه إلى السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه ﴿ كذلك يجعل الله الرجس ﴾ أي العذاب عن ابن زيد وغيره من أهل اللغة وقيل هو مالا خير فيه عن مجاهد ﴿ على الذين لا يؤمنون ﴾ وفي هذا دلالة على صحة التأويل الأول لأنه تعالى بين أن الإضلال المذكور في الآية كان على وجه العقوبة على الكفر ولو كان المراد به الاجبار على الكفر لقال كذلك لا يؤمن من جعل الله الرجس على قلبه ووجه التشبيه في قوله ﴿ كذلك يجعل الله الرجس ﴾ أنه يجعل الرجس على هؤلاء كما يجعل ضيق الصدر في قلوب أولئك وأن كل ذلك على وجه الاستحقاق وروى العياشي بإسناده عن أبي بصير عن خيثمة قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول أن القلب يتقلب من لدن موضعه إلى حنجرته ما لم يصب الحق فإذا أصاب الحق قرئ ثم قرأ هذه الآية .

مرکز تحقیقات کامیاب علوم اسلامی
﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٢٦)
﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٧)

[المعنى] ثم أشار تعالى إلى ما تقدم من البيان فقال ﴿ وهذا صِرَاطُ رَبِّكَ ﴾ أي طريق ربك وهو القرآن عن ابن مسعود والإسلام عن ابن عباس وإنما أضافه إلى نفسه لأنه تعالى هو الذي دل عليه وأرشد إليه ﴿ مستقيماً ﴾ لا اعوجاج فيه وإنما انتصب على الحال وإنما وصف الصراط الذي هو أدلة الحق بالاستقامة مع اختلاف وجوه الأدلة لأنها مع اختلافها تؤدي إلى الحق فكانها طريق واحد لسلامة جميعها من التناقض والفساد ﴿ قد فصلنا الآيات ﴾ أي بيناها وميزناها ﴿ لقوم يذكرون ﴾ وأصله يتذكرون خص المتذكرين بذلك لأنهم المنتفعون بالحجج كما قال هدى للمتقين ﴿ لهم دار السلام ﴾ أي للذين تذكروا

(١) نبا نبؤاً : نجافى وتباعد .

وَتَذَبَّرُوا وَعَرَفُوا الْحَقَّ وَتَبْعُوا دَارَ السَّلَامَةِ الدَّائِمَةَ الْخَالِصَةَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَبَلِيَّةٍ مِمَّا يَلْقَاهُ أَهْلُ النَّارِ عَنْ الزَّجَاجِ وَالْجَبَائِثِ وَقِيلَ أَنَّ السَّلَامَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى وَدَارُ الْجَنَّةِ عَنْ الْحَسَنِ وَالسَّيِّدِي ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَيُ هِيَ مَضْمُونَةٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْصِلُهُمْ إِلَيْهَا لَا مُحَالَةَ كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لغيره لَكَ عِنْدِي هَذَا الْمَالُ أَيُ فِي ضِمَانِي وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ فِي الْآخِرَةِ يُعْطِيهِمْ إِيَّاهَا ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ يَعْنِي اللَّهُ يَتَوَلَّى إِيصَالَ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ وَدَفْعَ الْمَضَارِّ عَنْهُمْ وَقِيلَ وَلِيُّهُمْ نَاصِرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَقِيلَ يَتَوَلَّاهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالتَّوْفِيقِ وَفِي الْآخِرَةِ بِالْجَزَاءِ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الْمُرَادُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ فَحُذِفَ لظَهْرُ الْمَعْنَى فَإِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَا لَا يَكُونُ طَاعَةً مِنَ الْأَعْمَالِ فَلَا ثَوَابَ عَلَيْهِ .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ ﴾

بِمَعْنَى يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْتَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

[القراءة] قرأ حفص وروح ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون .

[المحجة] من قرأ بالياء فلقوله عند ربهم والنون كالياء في المعنى ويقوي النون قوله ﴿وحشرناهم ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ .

[الإعراب] قال الزجاج خالدين فيها منصوب على الحال والمعنى النار مقامكم في حال خلود دائم قال أبو علي المثنى عندي في الآية اسم للمصدر دون المكان لحصول الحال في الكلام معملاً فيها ألا ترى أنه لا يخلو من أن يكون موضعاً أو مصدراً فلا يجوز أن يكون موضعاً لأن اسم الموضع لا يعمل عمل الفعل لأنه لا معنى للفعل فيه وإذا لم يكن موضعاً ثبت أنه مصدر والمعنى النار ذات اقامتكم فيها خالدين أي أهل أن تقيموا أو تثبوا خالدين فيها فالكاف والميم في المعنى فاعلون وإن كان في اللفظ خفض بالإضافة .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ أي يجمعهم يريد جميع الخلق وقيل الإنس والجن لأنه يتعقبه حديثهم وقيل يريد الكفار وانتصب اليوم بالقول المضمر لأن المعنى ويوم يحشرهم جميعاً يقول ﴿يا معشر الجن﴾ أي يا جماعة الجن ﴿قد استكثرتم من الإنس﴾ أي قد استكثرتم ممن أضللتموه من الإنس عن الزجاج وهو مأخوذ من قول ابن عباس معناه من اغواء الإنس واضلالهم ﴿وقال أولياؤهم﴾ أي متبعوهم ﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ أي انتفع بعضنا ببعض وقد قيل فيه أقوال (أحدها) ان استمتع الجن بالإنس ان اتخذهم الإنس قادة ورؤساء فاتبعوا أهواءهم واستمتع الإنس بالجن انتفاعهم في الدنيا بما زين لهم الجن من اللذات ودعواهم إليه من الشهوات (وثانيها) ان استمتع الإنس بالجن ان الرجل كان إذا سافر وخاف الجن في سلوك طريق قال أعوذ بسيد هذا الوادي ثم يسلك فلا يخاف وكانوا يرون ذلك استجارة بالجن وإن الجن تجيرهم كما قال الله تعالى وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً واستمتع الجن بالإنس ان الجن إذا اعتقدوا أن الإنس يتعوذون بهم ويعتقدون أنهم ينفعونهم ويضرونهم كان في ذلك لهم سرور ونفع عن الحسن وابن جريج والزجاج وغيرهم (وثالثها) ان المراد بالاستمتاع طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضاً عن محمد بن كعب قال البلخي ويحتمل أن يكون الاستمتاع مقصوراً عن الإنس فيكون الإنس استمتع بعضهم ببعض دون الجن وقوله ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ يعني بالأجل الموت عن الحسن والسدي وقيل البعث والحشر لأن الحشر أجل الجزاء كما أن الموت أجل استدراك ما مضى قال الجبائي وفي هذا دلالة على أنه لا أجل إلا واحد لأنه لو كان أجلاً لكان الرجل اذا اقتطع دون الموت بأن يقتل لم يكن بلغ أجله والآية تتضمن أنهم أجمع قالوا بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا وقال علي بن عيسى وغيره من البغداديين لا دلالة في الآية على ذلك بل لا يمتنع ان يكون للإنسان أجلاً (أحدهما) ما يقع فيه الموت (والآخر) ما يقع فيه الحشر أو ما كان يجوز أن يعيش إليه ﴿قال﴾ الله تعالى لهم ﴿النار مثواكم﴾ أي مقامكم والثواء الإقامة ﴿خالدين فيها﴾ أي دائمين مؤبدين فيها معذبين ﴿إلا ما شاء الله﴾ وقيل في معنى هذا الاستثناء أقوال (أحدها) ما روي عن ابن عباس أنه قال كان وعيد الكفار مبهماً غير مقطوع به ثم قطع به لقوله تعالى ﴿إن الله لا يغفر ان يشرك به﴾ (وثانيها) ان الاستثناء إنما هو من يوم القيامة لأن قوله ﴿ويوم يحشرهم جميعاً﴾ هو يوم القيامة فقال خالدين فيها مذ يوم يبعثون إلا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم عن الزجاج قال

وجائز أن يكون المراد إلا ما شاء الله أن يعذبهم به من أضعاف العذاب (وثالثها) ان الاستثناء راجع إلى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم بذنوبهم بقدر استحقاقهم عدلاً وان شاء عفا عنهم فضلاً (ورابعها) إن معناه إلا ما شاء الله ممن آمن منهم عن عطاء ﴿إن ربك حكيم عليم﴾ أي محكم لأفعاله عليم بكل شيء وقيل حكيم في عقاب من يختار أن يعاقبه والعفو عمن يختار أن يعفو عنه عليم بمن يستحق الثواب وبمقدار ما يستحقه وبمن يستحق العقاب وبمقدار ما يستحقه ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ الكاف للتشبيه أي كذلك المَهْل بتخية بعضهم عن بعض للامتحان الذي معه يصح الجزاء على الأعمال توليتنا بعض الظالمين بعضاً بأن نجعل بعضهم يتولى أمر بعض للعقاب الذي يجري على الاستحقاق عن علي بن عيسى وقيل معناه أنا كما وكلنا هؤلاء الظالمين من الجن والإنس بعضهم إلى بعض يوم القيامة وتبرأنا منهم فكذلك نكل الظالمين بعضهم إلى بعض يوم القيامة ونكل الاتباع إلى المتبوعين ونقلوا للاتباع قولوا للمتبوعين حتى يخلصوكم من العذاب عن أبي علي الجبائي قال والغرض بذلك اعلامهم أنه ليس لهم يوم القيامة ولي يدفع عنهم شيئاً من العذاب وقال غيره لما حكى الله تعالى ما يجري بين الجن والإنس من الخصام والجدال في الآخرة قال وكذلك أي وكما فعلنا بهؤلاء من الجمع بينهم في النار وتولية بعضهم بعضاً نفعل مثله بالظالمين جزاء على أعمالهم وقال ابن عباس إذا رضي الله عن قوم ولي أمرهم خيارهم وإذا سخط على قوم ولي أمرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من المعاصي أي جزاء على أعمالهم القبيحة وذلك معنى قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومثله ما رواه الكلبي عن مالك بن دينار قال قرأت في بعض كتب الحكمة أن الله تعالى يقول إني أنا الله مالك الملوك ، قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا إلي اعطفهم عليكم وقيل معنى قوله نولي بعضهم بعضاً نخلي بينهم وبين ما يختارونه من غير نصرة لهم وقيل معناه نتابع بعضهم بعضاً في النار من الموالاة التي هي المتابعة أي يدخل بعضهم النار عقيب بعض عن قتادة .

﴿يَمَعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمُ
ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا

وَعَرَّيْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا
غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ
عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر عما تعملون بالتاء والباء بالياء .

[اللغة] الغفلة عن المعنى والسهو عنه والعزوب عنه نظائر وضد الغفلة اليقظة وضد
السهو الذكر وضد العزوب الحضور .

[الإعراب] موضع ذلك يحتمل أن يكون رفعاً على تقدير الأمر ذلك ويحتمل أن
يكون نصباً على تقدير فعلنا ذلك وان لم يكن أن هذه هي المخففة من الثقيلة وتقديره لأنه لم
يكن كما في قول الشاعر :

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَخْفَى وَيَسْتَعِلُّ

وأن المفتوحة لا بد لها من اضممار الهاء لأنه لا معنى لها في الابتداء وإنما هي بمعنى
المصدر المبني على غيره والمكسورة لا تحتاج إلى الهاء لأنها تصح أن تكون حرفاً من
حروف الابتداء فلا يحتاج إلى اضممار وإنما لم يبن كل إذا حذف منه المضاف إليه كما بني
قبل وبعد لأن ما حذف منه المضاف إليه مثل قبل وبعد لم يكن في حال الاعراب على
التمكن التام فإنه لا يدخله الرفع في تلك الحال فلما انضاف إلى ذلك نقصان التمكن
بحذف المضاف إليه أخرج إلى البناء وليس كذلك كل لأنه متمكن على كل حال فلذلك لم
يبن .

[المعنى] ثم بين عز وجل تمام ما يخاطب به الجن والإنس يوم القيامة بأن يقول ﴿يا
معشر الجن والإنس﴾ والمعشر الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف
ومنه العرة لأنها تمام العقد ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ هذا احتجاج عليهم بأن بعث إليهم
الرسل اعداراً وانذاراً وتأكيذاً للحجة عليهم وأما قوله منكم وان كان خطاباً لجميعهم والرسل

من الإنس خاصة فإنه يحتمل أن يكون لتغليب أحدهما على الآخر كما قال تعالى ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْثُ وَالْمَرْجَانُ﴾ وإن كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب وكما يقال أكلت الخبز واللبن وإنما يؤكل الخبز ويشرب اللبن وهو قول أكثر المفسرين والزجاج والرماني وقيل انه أرسل رسل إلى الجن كما أرسل إلى الإنس عن الضحاك وقال الكلبي كان الرسل يرسلون إلى الإنس ثم بُعث محمد ﷺ إلى الإنس والجن وقال ابن عباس إنما بعث الرسول من الإنس ثم كان يرسل هو إلى الجن رسولاً من الجن وقال مجاهد الرسل من الإنس والنذر من الجن ﴿يُقْضُونَ﴾ أي يتلون ويقرأون ﴿عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ أي حججي ودلائلي وبيِّنَاتِي ﴿وَيَنْذِرُونَكُمْ﴾ أي يخوفونكم ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي لقاء ما تستحقونه من العقاب في هذا اليوم وحصولكم فيه يعني يوم القيامة ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ بالكفر والعصيان في حال التكليف ولزوم الحجة وانقطاع المعذرة واعترافنا بذلك ﴿وَعُرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي تزينت لهم بظواهرها حتى اغتروا بها ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ في الآخرة ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ في الدنيا أي أقرؤا بذلك وشهدوا باستحقاقهم العقاب ﴿ذَلِكَ﴾ حكم الله تعالى ﴿أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ﴾ أي لأنه لم يكن ربك ﴿مَهْلِكُ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ وهذا يجري مجرى التعليل أي لأجل أنه لم يكن الله تعالى ليهلك أهل القرى بظلم يكون منهم حتى يبعث إليهم رسلاً ينبّهونهم على حجج الله تعالى ويزجرونهم ويذكرونهم ولا يؤاخذهم بغتة وهذا إنما يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون أن يكون ذلك واجباً لأن ما فعلوه من الظلم قد استحقوا به العقاب وقيل معناه أنه تعالى لا يهلكهم بظلم منه على غفلة منهم من غير تنبيه وتذكير عن الفراء والجبائي ومثله قوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ وفي هذا دلالة واضحة على أنه تعالى منزّه عن الظلم ولو كان الظلم من خلقه لما صحّ تنزّهه تعالى عنه ﴿وَلِكُلٍّ﴾ أي ولكل عامل طاعة أو معصية ﴿دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ أي مراتب في عمله على حسب ما يستحقه فيجازى عليه ان كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر وإنما سميت درجات لتفاضلها كتفاضل الدرج في الارتفاع والانحطاط وإنما يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدرج وعن تفاضل أهل النار بالدرك إلا أنه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليياً لصفة أهل الجنة ﴿وَمَا رَبُّكَ﴾ يا محمد أو أيها السامع ﴿بِغَافِلٍ﴾ أي ساهٍ ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي لا يشدّ شيء من ذلك عن عمله فيجازيهم على حسب ما يستحقونه من الجزاء وفي هذا تنبيه وتذكير للمخلق في كل أمورهم .

﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ (١٣٣) إِنْ مَا تُوعِدُونَ لِآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَنْقُومَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم مكاناتكم على الجمع والباقون مكانتكم على التوحيد وقرأ حمزة والكسائي من يكون بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] وجه قراءة مكانتكم على التوحيد أنه مصدر والمصادر في أكثر الأمور مفردة ووجه الجمع أنه قد يجمع المصدر كقولهم الحلوم والاحلام قال :

فَأَمَّا إِذَا جَلَسُوا فِي الْمَنَادَى فَخَالَجُوا غَادٍ وَأَيْدٍ هُضْمٍ

ومن قرأ من يكون بالياء فلأن العاقبة مصدر كالعافية وتأنثه غير حقيقي فمن أنث فهو كقوله ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ ومن ذكر فكقوله وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكلا الأمرين جائز .

[اللغة] الإنشاء الإبتداء أنشأ الله الخلق إذا خلقهم وابتدأهم ومنه قولهم أنشأ فلان قصيدة والنشأ الاحداث من الاولاد قال نُصِيبُ

وَلَوْلَا أَنْ يُفَالَ ضَبًا نُصِيبُ لَقُلْتُ بِنَفْسِي النِّشَاءُ الصِّغَارُ

وتوعدون من الابعاد ويحتمل أن يكون من الوعد والوعد في الخير والإبعاد في الشر وقال أبو زيد المكانة المنزلة يقال رجل مكين عند السلطان من قوم مكناة وقد مكن مكانة .

[الإعراب] الكاف في قوله كما أنشأكم في موضع نصب أي مثل ما أنشأكم ومن في قوله ويستخلف من بعدكم للبدل كقولهم أعطيتك من دينارك ثوباً أي مكان دينارك وبدله ومن في قوله من ذرية قوم آخرين لا ابتداء الغاية وما في قوله ان ما توعدون بمعنى الذي ومن في قوله

مَنْ تكون له عاقبة الدار في موضع رفع بالابتداء وخبره تكون له عاقبة الدار وتقديره أينما تكون له عاقبة الدار ويكون تعليقاً ويحتمل أن يكون موضعه نصباً بتعلمون ويكون في معنى الذي .

[المعنى] لما أمر سبحانه بطاعته وحث عليها ورغب فيها بين أنه لم يأمر بها لحاجة لأنه يتعالى عن النفع والضرر فقال ﴿وَرَبُّكَ﴾ أي خالقك وسيدك ﴿الغني﴾ عن أعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم لأن الغني عن الشيء هو الذي يكون وجود الشيء وعدمه وصحته وفساده عنده بمنزلة ﴿ذو الرحمة﴾ أي صاحب النعمة على عباده بين سبحانه أنه مع غناه عن عباده ينعم عليهم وإن انعمه وإن كثر لا ينقص من ملكه ولا من غناه ثم أخبر سبحانه عن قدرته فقال ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أي يهلككم وتقديره يذهبكم بالإهلاك ﴿ويستخلف من بعدكم ما يشاء﴾ أي وينشئ بعد هلاككم خلقاً غيركم يكون خلفاً لكم ﴿كما أنشأكم﴾ في الأول ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ تقدمكم وهذا خطاب لمن سبق ذكره من الجن والإنس ويحتمل أن يكون معناه ويستخلف جنساً آخر أي كما قدر على اخراج الجن من الجن والإنس من الأنس فهو قادر على أن يخرج قوماً آخر لا من الجن ولا من الإنس وفي هذه الآية دلالة على أن خلاف المعلوم يجوز أن يكون مقدوراً لأنه سبحانه بين أنه قادر على أن ينشئ خلقاً خلاف الجن والإنس ولم يفعل ذلك ﴿إِنْ مَا تَوَعَّدُونَ﴾ من القيامة والحساب والجنة والنار والشواب والعقاب وتفاوت أهل الجنة في الدرجات وتفاوت أهل النار في الدرجات ﴿لَات﴾ لا محالة ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين ويقال بسابقين ويقال بخارجين من ملكه وقدرته والإعجاز أن يأتي الإنسان بشيء يعجز خصمه عنه ويقصر دونه فيكون قد جعله عاجزاً عنه فعلى هذا يكون المعنى لستم بمعجزين الله سبحانه عن الاتيان بالبعث والعقاب ﴿قل﴾ يا محمد لهم ﴿يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي على قدر منزلتكم وتمكنكم من الدنيا ومعناه اثبتوا على ما أنتم عليه من الكفر وهذا تهديد ووعيد بصيغة الأمر وقيل على مكانتكم على طريقتهكم وقيل على حالتكم عن الجبائي أي أقيموا على حالتكم التي أنتم عليها فإني مجازيكم ﴿إني عامل﴾ اخبار عن النبي ﷺ أي عامل بما أمرني الله تعالى به وقيل اخبار عن الله تعالى أي عامل ما وعدتكم به من البعث والجزاء عن أبي مسلم والأول الصحيح ﴿فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ أي فستعلمون أينما تكون له العاقبة المحسودة في دار السلام عند الله تعالى وقيل المراد عاقبة دار الدنيا في النصر عليكم ﴿إنه لا

يفلح الظالمون ﴿ أي لا يظفر الظالمون بمطلوبهم وإنما لم يقل الكافرون وان كان الكلام في ذكرهم لأنه سبحانه قال في موضع آخر والكافرون هم الظالمون وقال ان الشرك لظلم عظيم .

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا ۚ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦١﴾

[القراءة] قرأ الكسائي بزعمهم بضم الزاي وهي قراءة يحيى بن ثابت والأعمش وقرأ الباقون بفتح الزاي .

[الحجة] القول فيه أنهما لغتان اوقيل ان الكسر أيضاً لغة ومثله الفتك والفتك والفتك والود والود والود .

[اللغة] الذرة الخلق على وجه الاختراع وأصله الظهور ومنه ملح ذرآني وذَرَاني لظهور بياضه والذرة ظهور الشيب قال (وَقَدْ عَلَّتْنِي ذُرَّةُ بَادِي بَدِي)^(١) وذرت لحينه إذا شابت والحرث الزرع والحرث الأرض التي تثار للزرع والانعام جمع النعم مأخوذ من نعمة الوطاء ولا يقال لذوات الحافر انعام .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى حجاج المشركين وبيان اعتقاداتهم الفاسدة فقال سبحانه ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ ﴾ أي كفار مكة ومن تقدّمهم من المشركين والجعل هنا بمعنى الوصف والحكم ﴿ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ ﴾ أي مما خلق من الزرع ﴿ وَالْأَنْعَامِ ﴾ أي المواشي من الإبل والبقر والغنم ﴿ نَصِيبًا ﴾ أي حظاً وهنا حذف يدلُّ الكلام عليه وهو جعلوا للأوثان منه نصيباً ﴿ فَقَالُوا ﴾ هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا يعني الأوثان وإنما جعلوا الأوثان شركاءهم لأنهم جعلوا لها

(١) قاله أبو نخيلة السعدي وبعده « ورثية تنهض بالتشدد » وقوله بادي بدي . أي أول كل شيء من بدأ فترك الهمز لكثرة الاستعمال وطلب التخفيف وقد يجوز أن يكون من بدأ يبدو إذا ظهر .

نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها في نعمهم ﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلَ إِلَى اللَّهِ﴾ وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ﴿قِيلَ فِي مَعْنَاهُ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا) أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْرَعُونَ لِلَّهِ زَرْعاً وَلِلْأَصْنَامِ زَرْعاً فَكَانَ إِذَا زَكَ الزَّرْعُ الَّذِي زَرَعُوهُ لِلَّهِ وَلَمْ يَزْكُ الزَّرْعُ الَّذِي زَرَعُوهُ لِلْأَصْنَامِ جَعَلُوا بَعْضَهُ لِلْأَصْنَامِ وَصَرَفُوهُ إِلَيْهَا وَيَقُولُونَ إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ وَالْأَصْنَامُ أَحْوَجُ وَإِنْ زَكَ الزَّرْعُ الَّذِي جَعَلُوهُ لِلْأَصْنَامِ وَلَمْ يَزْكُ الزَّرْعُ الَّذِي زَرَعُوهُ لِلَّهِ لَمْ يَجْعَلُوا مِنْهُ شَيْئاً لِلَّهِ وَقَالُوا هُوَ غَنِيٌّ وَكَانُوا يَقْسِمُونَ النِّعَمَ فَيَجْعَلُونَ بَعْضَهُ لِلَّهِ وَبَعْضَهُ لِلْأَصْنَامِ فَمَا كَانَ لِلَّهِ الطَّعْمُ الضَّيْفَانِ وَمَا كَانَ لِلصُّنَمِ أَنْفَقُوهُ عَلَى الصُّنَمِ عَنِ الزَّجَاجِ وَغَيْرِهِ (وِثَائِيهَا) أَنَّهُ كَانَ إِذَا اخْتَلَطَ مَا جُعِلَ لِلْأَصْنَامِ بِمَا جُعِلَ لِلَّهِ تَعَالَى رَدُّهُوَ وَإِذَا اخْتَلَطَ مَا جُعِلَ لِلَّهِ بِمَا جُعِلَ لِلْأَصْنَامِ تَرَكَهُ وَقَالُوا اللَّهُ أَغْنَى وَإِذَا تَخَرَّقَ الْمَاءُ مِنَ الَّذِي فِيهِ اللَّهُ فِي الَّذِي لِلْأَصْنَامِ لَمْ يَسُدُّهُوَ وَإِذَا تَخَرَّقَ مِنَ الَّذِي لِلْأَصْنَامِ فِي الَّذِي لِلَّهِ سُدُّهُوَ وَقَالُوا اللَّهُ أَغْنَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَثَمَتَا (ع) (وِثَائِيهَا) أَنَّهُ كَانَ إِذَا هَلَكَ مَا جُعِلَ لِلْأَصْنَامِ بِدَلُّهُوَ مِمَّا جُعِلَ لِلَّهِ وَإِذَا هَلَكَ مَا جُعِلَ لِلَّهِ لَمْ يَبْدُلُوهُ مِمَّا جُعِلَ لِلْأَصْنَامِ عَنِ الْحَسَنِ وَالسَّيِّدِي ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَيُّ سَاءَ الْحُكْمِ حُكْمُهُمْ هَذَا .

﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده زَيْنَ بضم الزاي قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر والباقون زين بالفتح قتل بالنصب أولادهم بالجر وشركاؤهم بالرفع .

[الحجة] شركاؤهم في قراءة الأكثرين فاعل زَيْنَ وقتل أولادهم مفعوله ولا يجوز أن يكون شركاء فاعل المصدر الذي هو قتل أولادهم لأن زَيْنَ حينئذ يبقى بلا فاعل ولأن الشركاء ليسوا قاتلين إنما هم مزيّنون القتل لهم وأضيف المصدر الذي هو قتل إلى المفعولين الذين هم الأولاد وحذف الفاعل وتقديره قتلهم أولادهم كما حذف ضمير الإنسان في قوله لا يسأم الإنسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه الخير وأما قراءة ابن عامر وكذلك زَيْنَ فإنه أسند

زُينَ إِلَى قَتْلِ وَاعْمَلِ الْمَصْدَرَ عَمَلَ الْفَعْلِ وَأَضَافَهُ إِلَى الْفَاعِلِ وَنَظِيرَ ذَلِكَ قَوْلُهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَاسْمُ اللَّهِ هُنَا فَاعِلٌ كَمَا أَنَّ الشُّرَكَاءَ فِي الْآيَةِ فَاعِلُونَ وَالْمَصْدَرُ مَضَافٌ إِلَى الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ هُمْ فَاعِلُونَ وَالتَّمَعْنَى قَتَلَ شُرَكَائِهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَتَقْدِيرُهُ أَنَّ قَتَلَ شُرَكَائِهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَفُصِّلَ بَيْنَ الْمَضَافِ وَالْمَضَافِ إِلَيْهِ بِمَفْعُولٍ بِهِ وَالْمَفْعُولُ مَفْعُولُ الْمَصْدَرِ وَهَذَا قَبِيحٌ فِي الِاسْتِعْمَالِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ وَوَجْهَ ذَلِكَ عَلَى ضَعْفِهِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصْلُ قَالَ الطَّرْمَاحُ

يَطْفَنَ بِحُوزِي الْمَرَائِعِ لَمْ تَرُعْ بِوَادِيهِ مِنْ قَرَعِ الْقِسِيِّ الْكَنَائِنِ^(١)

وَزَعَمُوا أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ أَنْشَدَ «رَجُّ الْقُلُوصِ أَبِي مَزَادَةَ»^(٢) فَهُوَ شَاذٌ مِثْلُ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ وَذَكَرَ سَيَّبِيهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قِرَاءَةً أُخْرَى وَهُوَ قَوْلُهُ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ وَهُوَ قِرَاءَةُ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ فَحَمَلَ الشُّرَكَاءَ فِيهَا عَلَى فَعْلٍ مُضْمَرٍ غَيْرِ هَذَا الظَّاهِرِ كَأَنَّهُ لَمَّا قِيلَ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ قِيلَ مَنْ زَيْنُهُ فَقَالَ زَيْنُهُ شُرَكَائِهِمْ وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ

لَيْبِكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِحُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ^(٣)

كَأَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَيْبِكَ يَزِيدُ قِيلَ مَنْ يَبْكِيهِ فَقَالَ يَبْكِيهِ ضَارِعٌ .

[اللُّغَةُ] الْإِرْدَاءُ الْإِهْلَاكُ وَرَدَى يَرْدِي رَدًى إِذَا هَلَكَ وَتَرْدَى تَرْدًى وَالْمِرَادَةُ الْحَجَرُ يَتَرْدَى مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ .

[الْمَعْنَى] ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ خَصْلَةً أُخْرَى مِنْ خَصَالِهِمُ الذَّمِيمَةِ فَقَالَ «وَكَذَلِكَ» أَيُّ وَكَمَا جَعَلَ أَوْلَئِكَ فِي الْحَرْثِ وَالْإِنْعَامِ مَا لَا يَجُوزُ كَذَلِكَ «زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أَيُّ مُشْرِكِي الْعَرَبِ «قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ» يَعْنِي الشَّيَاطِينَ الَّذِينَ زَيْنُوا لَهُمْ قَتَلَ الْبَنَاتِ وَوَأَذْهَنُ أَحْيَاءُ خَيْفَةِ الْعَيْلَةِ وَالْفَقْرِ وَالْعَارِ عَنِ الْحَسَنِ وَمُجَاهِدٌ وَالسَّيْدِيُّ وَقِيلَ أَنَّ الْمَزِينِينَ لَهُمْ ذَلِكَ قَوْمٌ كَانُوا يَخْدُمُونَ الْأَوْثَانَ عَنِ الْفِرَاءِ وَالزَّجَاجِ وَقِيلَ هُمُ الْغَوَاةُ مِنَ النَّاسِ وَقِيلَ كَانَ السَّبَبُ فِي تَزْيِينِ قَتْلِ الْبَنَاتِ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِغَارِ

(١) الْحُوزِيُّ : الْفَحْلُ مِنَ النَّوْقِ . وَالْقِسِيُّ - بِكسْرِ الْقَافِ - جَمْعُ الْقُوسِ وَالْكَنَائِنُ جَمْعُ الْكَنَانَةِ جَعْبَةُ السَّهْمِ وَالشَّاهِدُ فِي فَصْلِ الْقِسِيِّ بَيْنَ الْمَضَافِ وَهُوَ الْقَرَعُ وَالْمَضَافِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْكَنَائِنُ .

(٢) وَقَبْلَهُ «فَرَجَجْتُهَا بِمَزْجَةٍ» وَالزَّجْجُ : الطَّعْنُ وَالْمَزْجَةُ : الرَّمْحُ . وَالْقُلُوصُ مِنَ الْإِبِلِ : الْإِشَابَةُ . وَتَقْدِيرُ الشَّعْرِ كَرَجَجْتُ أَبِي مَزَادَةَ الْقُلُوصُ فَفَصَّلَ الْقُلُوصَ بَيْنَ الْمَضَافِ وَالْمَضَافِ إِلَيْهِ .

(٣) الضَّارِعُ : الذَّلِيلُ الْخَاشِعُ . وَالْمُخْتَبِطُ الَّذِي يَسْأَلُكَ بِلا وَسِيلَةٍ وَلا قَرَابَةٍ وَلا مَعْرِفَةٍ وَأَطَاحَهُ : أَهْلَكَهُ .

على قوم فسبى نساءهم وكان فيهن بنت قيس بن عاصم ثم اصطللحوا فأرادت كل امرأة منهن عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت من سبها فحلف قيس لا يولد له بنت الا وأدّها فصار ذلك سنة فيما بينهم ﴿ليردوهم﴾ أي يهلكوهم واللام لام العاقبة لأنهم لم يكونوا معاندين لهم فيقصّدوا ان يردوهم عن أبي علي الجبائي وقال غيره يجوز ان يكون فيهم المعاند فيكون ذلك على التغليب ﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾ أي يحلّطوا عليهم ويدخلوا عليهم الشبهات فيه ﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾ معناه ولو شاء ان يمنعهم من ذلك أو يضطرهم إلى تركه لفعل ولو فعل المنع والحيلولة لما فعلوه ولكن كان يكون ذلك منافياً للتكليف ﴿فذرهم وما يفترون﴾ أي اتركهم ودعهم وافتراءهم أي كذبهم على الله تعالى فإنه يجازيهم وفي هذا غاية الزجر والتهديد كما يقول القائل دعه وما اختار وفي هذه الآية دلالة واضحة على ان تزوين القتل والقتل فعلهم وانهم في اضافة ذلك إلى الله سبحانه كاذبون.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ حُرَّتٌ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَسَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرَّتٌ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

[القراءة] قرئ في الشواذ جرج روي ذلك عن أبي بن كعب وابن مسعود وابن الزبير والاعمش وعكرمة وعمرو بن دينار.

[الحجة] الجرج يمكن ان يؤول معناه إلى الحجر فإنهما يرجعان في الأصل إلى معنى الضيق فإن الحرام سمي حجراً لضيقه والحرج أيضاً الضيق فعلى هذا يكون لغة في حجر مثل جذب وجبذ فهو من المقلوب.

[اللغة] الحجر الحرام والحجر العقل وفلان في حجر القاضي من حجرت حجراً أي في منع القاضي أياء من الحكم في ماله وحجر المرأة وحجرها بالفتح والكسر حضنها.

[الإعراب] افتراء منصوب بقوله لا يذكرون وهو مفعول له ويجوز ان يكون لا يذكرون بمعنى يفترون فكانه قال يفترون افتراء.

[المعنى] ثم حكى سبحانه عنهم عقيدة أخرى من عقائدهم الفاسدة فقال ﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿هذه انعام﴾ أي مواش وهي الإبل والبقر والغنم ﴿وحرث﴾ زرع ﴿حجر﴾ أي حرام عني بذلك الأنعام والزرع الذين جعلوهم لآلهتهم وأوثانهم ﴿لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم﴾ أي لا يأكلها الا من نشاء ان نأذن له في أكلها وأعلم سبحانه ان هذا التحريم زعم منهم لا حجة لهم فيه ولا برهان وكانوا لا يحلون ذلك الا لمن قام بخدمة اصنامهم من الرجال دون النساء ﴿وانعام حرمت ظهورها﴾ يعني الانعام التي حرّموا الركوب عليها وهي السائبة والبحيرة والحام عن الحسن ومجاهد وقيل هي الحامي الذي حمى ظهره إذا ركب ولد ولده عندهم فلا يركب ولا يحمل عليه ﴿وانعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾ قيل كانت لهم من انعامهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها عن مجاهد وقيل انهم كانوا لا يحجون عليها عن ابي وائل وقيل هي التي إذا ذكروها أهّلوا عليها بأصنامهم فلا يذكرون اسم الله عليها عن الضحاك ﴿افتراء عليه﴾ أي كذباً على الله تعالى لأنهم كانوا يقولون ان الله أمرهم بذلك وكانوا كاذبين به عليه سبحانه ﴿سيجزّيهم بما كانوا يفترون﴾ ظاهر المعنى .



﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلَيْنَا
أُزُوجِنَا وَإِن يَكُن مِّمَّةٌ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٣٩﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وان يكن بالياء ميتة رفع وقرأ ابن عامر وأبو جعفر تكن بالتاء ميتة رفع وقرأ أبو بكر عن عاصم تكن بالتاء ميتة نصب والباقون يكن بالياء ميتة نصب وفي الشواذ قراءة ابن عباس بخلاف وقتادة والاعرج خالصة بالنصب وقراءة سعيد بن جبير خالصاً وقراءة ابن عباس بخلاف والزهري والاعمش خالص بالرفع وقراءة ابن عباس وابن مسعود والاعمش بخلاف خالصة مرفوع مضاف .

[الحجة] وجه قراءة الاكثر ان يحمل على ما فيكون تقديره ان يكن ما في بطون الانعام ميتة ووجه قراءة ابن كثير انه لما لم يكن تأنيث الميتة تأنيث ذوات الفروج جاز تذكر

الفعل كقوله فمن جاءه موعظة من ربه ويكون كان تامة وتقديره ان وقع ميتة ومن أنث الفعل فكقوله سبحانه قد جاءكم موعظة ووجه قراءة ابي بكر ان ما في بطون الانعام من الانعام فلذلك أنثها واما خالصة بالرفع على القراءة المشهورة فتقديره ما في بطون الانعام من الأنعام خالصة لنا أي خالص فأنت للمبالغة في الخلوص كما يقال فلان خالصة فلان أي صفية والمبالغ في الصفاء والثقة عنده والتاء فيه للمبالغة وليكون ايضاً بلفظ المصدر نحو العافية والعاقبة والمصدر إلى الجنسية فيكون أعم وأؤكد ويدل على ذلك قراءة من قرأ خالص وأما من نصب خالصة وخالصة ففيه وجهان - (أحدهما) ان يكون حالاً من المضمر في الظرف الذي جرى صلة على ما فيكون كقولهم الذي في الدار قائماً زيد فيكون قوله لذكورنا خبر المبتدأ الموصول (والآخر) ان يكون حالاً من ما على مذهب أبي الحسن في اجازته تقديم الحال على العامل فيها إذا كان معنى بعد ان يتقدم صاحب الحال عليها كقولنا زيد قائماً في الدار واحتج بقوله سبحانه والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة .

[المعنى] ثم حكى الله سبحانه عنهم مقالة أخرى فقال ﴿وقالوا﴾ يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم ﴿ما في بطون هذه الأنعام﴾ يعني البان البحائر والسَّيِّب عن ابن عباس والشعبي وقتادة وقيل أجنة البحائر والسَّيِّب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون النساء وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء عن مجاهد والسدي وقيل المراد به كليهما ﴿خالصة لذكورنا﴾ لا يشركهم فيها أحد من الإناث من قولهم فلان يُخلص العمل لله ومنه اخلاص التوحيد وسمي الذكور من الذكر الذي هو الشرف والذكر أشبه وأذكر من الأنثى ﴿ومحرم على ازواجنا﴾ أي نسائنا ﴿وان يكن ميتة﴾ معناه وان يكن جنين الانعام ميتة ﴿فهم فيه شركاء﴾ أي الذكور والإناث فيه سواء ثم قال سبحانه ﴿سيجزئهم وصفهم﴾ أي سيجزيهم العقاب بوصفهم فلما اسقط الباء نصب وصفهم وقيل تقديره سيجزيهم جزاء وصفهم فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه عن الزجاج ﴿أنه حكيم﴾ فيما يفعل بهم من العقاب أجلاً وفي امهالهم عاجلاً ﴿عليهم﴾ بما يفعلونه لا يخفى عليه شيء منها وقد عاب الله سبحانه الكفار في هذه الآية من وجوه اربعة (أحدها) ذبحهم الأنعام بغير إذن الله (وثانيها) أكلهم على ادعاء التذكية افتراء على الله (وثالثها) تحليلهم للذكور وتحريمهم على الإناث تفرقة بين ما لا يفترق إلا بحكم من الله (ورابعها) تسويتهم بينهم في الميتة من غير رجوع إلى سمع موثوق به .

﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (١٤٠)

[القراءة] قرأ ابن كثير وابن عامر قتلوا بتشديد التاء والباقون بالتخفيف.

[المحجة] التشديد للتكثير والتخفيف يدل على القلة والكثرة وقد تقدم بيان ذلك.

[الإعراب] قوله سفها وافتراء على الله نصب على الوجهين اللذين ذكرناهما في قوله افترأ عليه.

[المعنى] ثم جمع سبحانه بين الفريقين الذين قتلوا اولادهم والذين حرّموا الحلال فقال ﴿ قد خسر الذين قتلوا اولادهم ﴾ خوفاً من الفقر وهرباً من العار ومعناه هلكت نفوسهم باستحقاقهم على ذلك عقاب الأبد والخسران هلاك رأس المال ﴿ سفها ﴾ أي جهلاً وتقديره سفهوا بما فعلوه سفهاً والفرق بين السفه والترفق ان السفه عجلة يدعو إليها الهوى والترق عجلة من جهة حدة الطبع والغيط ﴿ بغير علم ﴾ وهذا تأكيد لجهلهم وذهابهم عن الثواب ﴿ وحرّموا ما رزقهم الله ﴾ يعني الأنعام والحرث الذين زعموا انها حجر عن الحسن واعترض علي بن عيسى على هذا فقال الأنعام كانت محرمة حتى ورد السمع فما قاله غير صحيح وهذا الاعتراض يفسد من حيث ان الركوب لا يحتاج إلى السمع وان احتاج الذبح إليه لأن الركوب مباح إذا قام بمصالحها ولأن أكلها أيضاً بعد الذبح مباح ﴿ افترأ ﴾ أي كذباً ﴿ على الله ﴾ سبحانه ﴿ قد ضلّوا ﴾ أي ذهبوا عن طريق الحق بما فعلوه وحكموا بحكم الشياطين فيما حكموا فيه ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ إلى شيء من الدين والخير والرشاد وفي هذه الآيات دلالات على بطلان مذهب المجبرة لأنه سبحانه أضاف القتل والافتراء والتحريم اليهم ونزّه نفسه عن ذلك وذمهم على قتل الاطفال بغير جرم فكيف يعاقبهم سبحانه عقاب الأبد على غير جرم.

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ
وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١١﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة والشام وعاصم حصاده بالفتح والباقون حصاده بالكسر .

[الحجة] هما لغتان قال سيبويه جاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال فعال وذلك الصرام والجداد والجرام والجزاز والقطاع والحصاد وربما دخلت اللغتان في بعض هذا فكان فيه فعال وفعال .

[اللغة] الإنشاء أحداث الفعل ابتداء لا على مثال سبق وهو كالاتداع . والاختراع هو أحداث الأفعال في الغير من غير سبب . والخلق هو التقدير والترتيب والجنات والبساتين التي يجنّها الشجر من النخل وغيره والروضة الخضراء بالنبات والزهر المشرقة باختلاف الألوان الحسنة والعرش أصله الرفع ومنه سمي السرير عرشاً لارتفاعه والعرش السقف والملك وعرش الكرم رفع بعض اغصانها على بعض والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة والاسراف مجاوزة الحد وقد يكون بالمجازة إلى الزيادة وقد يكون بالتقصير وهو ان يجاوز حد الحق والعدل قال الشاعر:

أَعْطُوا هُنَيْدَةً يَخْذُوهَا ثِمَانِيَةً مَا فِي غَنَائِهِمْ مَنْ وَلَا سَرْفٌ^(١)

اي ولا تقصير وقيل معناه ولا افراط .

[الإعراب] مختلفاً أكله نصب على الحال من انشأ وإنما انتصب على الحال وان كان يؤكل بعد ذلك بزمان لأمرين (أحدهما) ان المعنى مقدر اختلاف أكله كما في قوله مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي مقدراً الصيد به غداً (والثاني) ان يكون معنى أكله ثمرة الذي يصلح ان يؤكل منه .

[المعنى] لما حكى سبحانه عن المشركين انهم جعلوا بعض الأشياء للاوثان عقب ذلك البيان بأنه الخالق لجميع الاشياء فلا يجوز اضافة شيء منها إلى الاوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه إلا بإذنه فقال ﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي خلق وابتدع لا على مثال ﴿جنات﴾ أي بساتين فيها الأشجار المختلفة ﴿معروشات﴾ مرفوعات بالدعائم قيل هو ما عرشه الناس من

(١) هنيذة: اسم لكل مائة من الإبل . حدى الإبل . ساقها وغنى لها .

الكروم ونحوها عن ابن عباس والسدي وقيل عرشها ان يجعل لها حظائر كالحيطان عن ابي علي قال وأصله الرفع ومنه قوله تعالى ﴿خاوية على عروشها﴾ يعني على أعاليها وما ارتفع منها ما لم تندك فتسوى بالارض ﴿وغير معروشات﴾ يعني ما خرج من قبل نفسه في البراري والجبال من انواع الأشجار عن ابن عباس وقيل معناه غير مرفوعات بل قائمة على أصولها مستغنية عن التعریش عن أبي مسلم ﴿والنخل والزرع﴾ أي وأنشأ النخل والزرع ﴿مختلفاً أكله﴾ أي طعمه وقيل ثمرة وقيل هذا وصف للنخل والزرع جميعاً فخلق سبحانه بعضها مختلف اللون والطعم والرائحة والصورة وبعضها مختلفاً في الصورة متفقاً في الطعم وبعضها مختلفاً في الطعم متفقاً في الصورة وكل ذلك يدل على توحيده وعلى أنه قادر على ما يشاء عالم بكل شيء ﴿والزيتون والرمان﴾ أي وأنشأ الزيتون والرمان ﴿متشابهاً﴾ في الطعم واللون والصورة ﴿وغير متشابه﴾ فيها وإنما قرن الزيتون إلى الرمان لأنهما متشابهان باكتناز الأوراق في أغصانها ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ المراد به الإباحة وإن كان بلفظ الأمر قال الجبائي وجماعة هذا يدل على جواز الأكل من الثمر وإن كان فيه حق الفقراء ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ هذا أمر بإيتاء الحق يوم الحصاد على الجملة والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد فيه قولان (أحدهما) أنه الزكاة العشر أو نصف العشر عن ابن عباس ومحمد بن الحنفية وزيد بن اسلم والحسن وسعيد بن المسيب وقتادة والضحاك وطاوس (والثاني) أنه ما تيسر مما يعطي المساكين عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه (ع) وعطا ومجاهد وابن عمر وسعيد بن جبیر والربيع بن انس وروي اصحابنا أنه الضغث بعد الضغث والحفنة بعد الحفنة^(١) وقال إبراهيم والسدي الآية منسوخة بفرض العشر ونصف العشر لأن هذه الآية مكية وفرض الزكاة إنما أنزل بالمدينة ولما روي ان الزكاة نسخ كل صدقة قالوا ولأن الزكاة لا تخرج يوم الحصاد قال علي بن عيسى وهذا غلط لأن يوم حصاده ظرف لحقه وليس للإيتاء المأمور به ﴿ولا تسرفوا﴾ أي لا تجاوزوا الحد وفيه أقوال (أحدها) أنه خطاب لأرباب الأموال لا تسرفوا بأن تصدقوا بالجميع ولا تبقوا للعيال شيئاً كما فعل ثابت بن قيس بن شماس فإنه صرم خمسين نخلاً وتصدق بالجميع ولم يدخل منه شيئاً في داره لأهله عن ابي العالية وابن جريج (وثانيها) ان معناه ولا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب والتقصير سرف عن سعيد بن المسيب (وثالثها) ان المعنى لا تسرفوا في الأكل قبل الحصاد كيلاً يؤدي إلى

(١) الضغث : قبضة حشيش يختلط فيها الرطب باليابس . الحفنة بالمهمله : ملاء الكفين .

بخس حق الفقراء عن أبي مسلم (ورابعها) ان معناه لا تنفقوه في المعصية ولا تضعوه في غير موضعه وفي جميع هذه الأقوال الخطاب لأرباب الأموال (وخامسها) ان الخطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الاموال ولا تأخذوا فوق الحق عن ابن زيد (وسادسها) ان الخطاب للجميع بأن لا يسرف رب المال في الإعطاء ولا الإمام في الأخذ وصرف ذلك الى غير مصارفه وهذا أعم فائدة ﴿أنه لا يحب المسرفين﴾ ظاهر المعنى .

﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ١٤٢ ﴿ثُمَّ نَبِّئِ الْأَزْوَاجَ مِنَ الضَّانِّ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٤٣ ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَثْنَيْنِ قُلْ ءَالِدَاكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأَنْثَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأَنْثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ١٤٤

[القراءة] قرأ ابن كثير وابن فليح وابن عامر واهل البصرة المعز بفتح العين والباقون بسكونها .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ المعز فإنه جمع ماعز مثل خادم وخادم وحارس وحرس وطالب وطلب وقال أبو الحسن هو جمع على غير واحد وكذلك المعزى وحكى أبو زيد

الْأَمْغُوزَ وَقَالُوا الْمَعْيِزَ كَالْكَلِيبِ وَالضَّيْنِ وَمَنْ قَرَأَ الْمَغْزِ فَإِنَّهُ جَمْعٌ أَيْضاً مِثْلُ صَاحِبٍ وَصَحْبٍ وَتَاجِرٍ وَتَجَرٍ وَرَاكِبٍ وَرَكَبٍ وَأَبُو الْحَسَنِ يَرَى هَذَا الْجَمْعَ مُسْتَمِراً وَيُرَدُّ فِي التَّصْغِيرِ إِلَى الْوَاحِدِ فَيَقُولُ فِي تَحْقِيرِ رَكَبٍ رَوَيْكِبُونَ وَفِي تَجَرٍ تَوَيْجِرُونَ وَسَيَبُويهِ يَرَاهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الْجَمْعِ وَانْشَدَ أَبُو عَثْمَانَ فِي الْاِحْتِجَاجِ لِسَيَبُويهِ (أَخْشَى رُكْبِيّاً أَوْ رُجَيْلاً عَادِيّاً) فَتَحْقِيرُهُ لَهُ عَلَى لَفْظِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ اسْمٌ لِلْجَمْعِ وَانْشَدَ (وَأَيْنَ رُكْبِيبٍ وَاضْعُونَ رِحَالَهُمْ) .

[اللغة] الحمولة الإبل يحمل عليه الاثقال ولا واحد لها من لفظها كالركوبة والجزورة والحمولة بضم الحاء هي الاحمال وهي الحمول أيضاً وإنما قيل للصغار فرش لأمرين (أحدهما) لاستواء أسنانها في الصغر والانحطاط كاستواء ما يفرش (والثاني) أنه من الفرش وهو الأرض المستوية التي يتوطأها الناس والزوج يقع على الواحد الذي يكون معه آخر وعلى الاثنين كما يقال للواحد والاثنين خصم وعدل والاشتمال أصله الشمول يقال شملهم الأمر يشملهم وشملهم الأمر يشملهم شمولاً إذا عظم ومنه الشمال لشمولها على ظاهر الشيء وباطنه بقوتها ولطفها ومن ذلك الشمول للشمول لاشتمالها على العقل وقيل لأن لها عصفة كعصفة الشمال .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

[الإعراب] حمولة عطف على جنات أي وأنشأ من الأنعام حمولة واثنين محمول على أنشأ أيضاً أي ثمانية أزواج اثنين من كذا واثنين من كذا فثمانية أزواج بدل من حمولة وفرشاً واثنين من كذا واثنين من كذا بدل من ثمانية أو عطف بيان وقوله الذكركين حرم دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل وفصل بينهما بالألف ولم تسقط همزة الوصل لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر ولو اسقطت لجاز لأن أم تدل على الاستفهام وعلى هذا الوجه اجاز سيبويه ان يكون قول الشاعر:

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيّاً شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ أَوْ شُعَيْثُ بْنُ مِثْقَرٍ^(١)

استفهاماً فيكون تقديره أشعث وما في قوله أم ما اشتملت في موضع نصب بكونه عطفاً على الاثنين وإنما قال الاثنين فثنى لأنه أراد من الضأن والمعز .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما عده فيما تقدم من عظيم الأنعام ببيان نعمته في

(١) وفي بعض النسخ « شعيب » بالباء الموحدة بدل الثاء .

انشاء الانعام فقال ﴿ ومن الأنعام ﴾ أي وأنشأ من الأنعام ﴿ حمولة وفرشاً ﴾ قد قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحمولة كبار الإبل والفرش صغارها عن ابن عباس وابن مسعود بخلاف والحسن بخلاف ومجاهد (وثانيها) أن الحمولة ما يحمل عليه من الإبل والبقر والفرش الغنم عن الحسن في رواية أخرى وقتادة والربيع والسدي والضحاك وابن زيد (وثالثها) أن الحمولة كل ما حمل من الإبل والبقر والخيول والبغال والحمير والفرش الغنم عن ابن عباس في رواية أخرى فكأنه ذهب إلى أنه يدخل في الانعام الحافر على وجه التبع (رابعها) أن معناه ما ينتفعون به في الحمل وما يفتشونه في الذبح فمعنى الافتراش الاضطجاع للذبح عن أبي مسلم قال وهو كقوله فإذا وجبت جنوبها وروي عن الربيع بن أنس أيضاً أن الفرش ما يفرش للذبح أيضاً (وخامسها) أن الفرش ما يفرش من أصوافها وأوبارها ويرجع الصفتان إلى الانعام أي من الانعام ما يحمل عليه ومنها ما يتخذ من أوبارها وأصوافها ما يفرش ويبسط عن أبي علي الجبائي ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ أي استحلوا الأكل مما أعطاكم الله ولا تحرموا شيئاً منها كما فعله أهل الجاهلية في الحرث والانعام وعلى هذا يكون الأمر على ظاهره ويمكن أن يكون أراد نفس الأكل فيكون بمعنى الإباحة ﴿ ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ فمضى تفسيره في سورة البقرة ثم فسر تعالى الحمولة والفرش فقال ﴿ ثمانية أزواج ﴾ وتقديره وأنشأ ثمانية أزواج أنشأ ﴿ من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ﴾ وإنما أجمل ثم فصل المجمل لأنه أراد أن يقرر على شيء شيء منه ليكون أشد في التوبيخ من أن يذكر ذلك دفعة واحدة ومعناه ثمانية أفراد لأن كل واحد من ذلك يسمى زوجاً فالذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر كما قال تعالى ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ وقيل معناه ثمانية أصناف من الضأن اثنين يعني الذكر والأنثى ومن المعز اثنين الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منه وواحد الضأن ضائن كقولهم تاجر وتجر والأنثى ضائنة وواحد المعز ماعز وقيل أن المراد بالاثنتين الأهلي والوحشي من الضأن والمعز والبقر والمراد بالاثنتين من الإبل العراب والبخاتي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وإنما خص هذه الثمانية لأنها جميع الأنعام التي كانوا يحرمون منها ما يحرمونه على ما تقدم ذكره ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله تعالى ﴿ الذكرين ﴾ من الضأن والمعز ﴿ حرم ﴾ الله ﴿ أم الاثنتين ﴾ منهما ﴿ أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنتين ﴾ أي أم حرم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والأنثى من

المعز وإنما ذكر الله سبحانه هذا على وجه الاحتجاج عليهم بئب به فريتهم وكذبهم على الله تعالى فيما ادعوا من أن ما في بطون الانعام حلال للذكور وحرام على الإناث وغير ذلك مما حرّمه فإنهم لو قالوا حرّم الذكّرين لزمهم أن يكون كل ذكر حراماً ولو قالوا حرّم الانثيين لزمهم أن يكون كل أنثى حراماً ولو قالوا حرّم ما اشتمل عليه رحم الأنثى من الضأن والمعز لزمهم تحريم الذكور والإناث فإن أرحام الإناث تشتمل على الذكور والإناث فيلزمهم بزعمهم تحريم هذا الجنس صغاراً وكباراً وذكوراً وإناثاً ولم يكونوا يفعلون ذلك بل كان يخضّون بالتحريم بعضاً دون بعض فقد لزمهم الحجة ثم قال ﴿نبشّونني بعلم إن كنتم صادقين﴾ معناه أخبروني بعلم عما ذكرتموه من تحريم ما حرّمتموه وتحليل ما حللتموه إن كنتم صادقين في ذلك ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾ هذا تفصيل لتمام الأزواج الثمانية ﴿قل﴾ يا محمد ﴿الذكّرين حرّم﴾ الله منهما ﴿أم الانثيين أم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين﴾ قد تقدّم معناه ﴿أم كنتم شهداء﴾ أي حضوراً ﴿إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي أمركم به وحرّمه عليكم حتى تضيفوه إليه وإنما ذكر ذلك لأن طريق العلم أما الدليل الذي يشترك العقلاء في إدراك الحق به أو المشاهدة التي يختص بها بعضهم دون بعض فإذا لم يكن واحد من الأمرين سقط المذهب والبرهان بذلك أعلمتموه بالسمع والكتب المنزلة وأنتم لا تقرّون بذلك أم شافهكم الله تعالى به فعلمتموه وإذا لم يكن واحد منهما فقد علم بطلان ما ذهبتم إليه ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي من أظلم لنفسه ممن كذب على الله وأضاف إليه تحريم ما لم يحرمه وتحليل ما لم يحلّله ﴿ليضل الناس بغير علم﴾ أي يعمل عمل القاصد إلى إضلالهم من أجل دعائه إياهم إلى ما لا يثق بصحته مما لا يأمن من أن يكون فيه هلاكهم وإن لم يقصد إضلالهم ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ إلى الثواب لأنهم مستحقون العقاب الدائم بكفرهم وضلالهم .

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ

يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ

رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۚ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ

رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء ميتة بالنصب وقرأ أبو جعفر وابن عامر تكون بالتاء ميتة بالرفع والباقون بالياء ونصب ميتة وكلهم خففوا ميتة غير أبي جعفر فإنه شددوها .

[الحجة] قال أبو علي قراءة ابن كثير وحمزة محمولة على المعنى كأنه قال إلا أن تكون العين والنفس ميتة ألا ترى أن المحرّم لا يخلو من جواز العبارة عنه بأحد هذه الأشياء وليس قوله ﴿ إلا أن يكون ﴾ كقولك جاءني القوم لا يكون زيدا وليس زيدا في أن الضمير الذي يتضمنه من الاستثناء لا يظهر ولا يدخل الفعل علامة التانيث لأن الفعل إنما يكون عارياً من علامة التانيث ومن أن يظهر معه الضمير إذا لم يدخل عليه أن فأما إذا دخله أن فعلى حكم سائر الأفعال ومن قرأ بالياء ونصب ميتة فإنه جعل فيه ضميراً مما تقدم وهو أقيس مما تقدم ذكره أي إلا أن يكون الموجود ميتة ومن قرأ إلا أن تكون ميتة فالحق علامة التانيث الفعل كما ألحق في قوله ﴿ قد جاءكم موعظة ﴾ وتقديره إلا أن تقع ميتة .

[المعنى] لما قدّم سبحانه ذكر ما حرّمه المشركون عقبه ببيان المحرمات فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ لا أجد فيما أوحى إليّ ﴾ أي أوحاه الله تعالى إليّ شيئاً ﴿ محرّماً على طاعم يطعمه ﴾ أي على أكل يأكله ﴿ إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً ﴾ أي مصبوحاً وإنما خصّ المصبوب بالذكر لأن ما يختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه منه معفو عنه مباح ﴿ أو لحم خنزير ﴾ إنما خصّ الأشياء الثلاثة هنا بذكر التحريم مع أن غيرها منحرّم فإنه سبحانه ذكر في المائدة تحريم المتخنة والموقودة والمرتدية وغيرها لأن جميع ذلك يقع عليه اسم الميتة فيكون في حكمها فأجمل هاهنا وفصل هناك وأجود من هذا أن يقال أنه سبحانه خصّ هذه الأشياء بالتحريم تعظيماً لحرمتها وبين تحريم ما عداها في مواضع أخر إما بنصّ القرآن وإما بوحى غير القرآن وأيضاً فإن هذه السورة مكية والمائدة مدنية فيجوز أن يكون غير ما في الآية من المحرمات إنما حرّم فيما بعد والميتة عبادة عما كان فيه حياة فقدت من غير تذكية شرعية ﴿ فإنه رجس ﴾ أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه والرجس أيضاً العذاب والهاء في قوله ﴿ فإنه ﴾ عائد إلى ما تقدّم ذكره فلذلك ذكره ﴿ أو فسقاً ﴾ عطف على قوله ﴿ أو لحم خنزير ﴾ فلذلك نصبه ﴿ أهل لغير الله به ﴾ أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ولم يذكر اسم الله عليه وسمي ما ذكر عليه اسم الصنم فسقاً لخروجه عن أمر الله وأصل الإهلال رفع الصوت بالشيء وقد ذكرناه في سورة المائدة ﴿ فمن اضطر ﴾ إلى تناول شيء مما ذكرناه ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾ قد سبق معناه في سورة

البقرة ﴿ فَإِنْ رَبُّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ حكم بالرخصة كما حكم بالمغفرة والرحمة

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ
الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ
الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ
بِأَسْفِهِ عَنْ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[اللغة] الظفر ظفر الإنسان وغيره ورجل أظفر إذا كان طويل الأظفار كما يقال أشعر لطويل الشعر والحوايا المباعر قال الزجاج واحدها حاوية وحواياء وحاوية وهي ما يحوى في البطن فاجتمع واستدار .

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

[الإعراب] موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعا عطفاً على الظهور وتقديره أو ما حملت الحوايا ويحتمل أن يكون نصباً عطفاً على ما في قوله ﴿ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ﴾ فاما قوله ﴿ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾ فإن ما هذه معطوفة على ما الأولى « ذلك » يجوز أن يكون منصوب الموضع بأنه مفعول ثان لجزيانهم التقدير جزيانهم ذلك ببغيهم ولا يجوز أن يرفع بالابتداء لأنه يصير التقدير ذلك جزيانهموه فيكون كقولهم زيد ضربت أي ضربته وهذا إنما يجوز في ضرورة الشعر .

[المعنى] ثم بين سبحانه ما حرّمه على اليهود فقال ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ﴾ أي على اليهود في أيام موسى ﴿ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ ﴾ اختلف في معناه ف قيل هو كل ما ليس بمنفرج الأصابع كالإبل والنعام والأوز والبط عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هو الأبل فقط عن ابن زيد وقيل يدخل فيه كل السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره عن الجبائي وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب عن القتيبي والبلخي ﴿ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا ﴾ أخبر سبحانه أنه كان حرّم عليهم

شحوم البقر والغنم من الثرب وشحم الكلى وغير ذلك مما في أجوافها واستثنى من ذلك فقال ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾^(١) من الشحم وهو اللحم السمين فإنه لم يحرم عليهم ﴿أو الحوايا﴾ أي ما حملته الحوايا من الشحم فإنه غير محرم عليهم أيضاً والحوايا هي المباخر عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والسدي وقيل هي بنات اللبن عن ابن زيد وقيل هي الامعاء التي عليها الشحوم عن الجبائي ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ ذلك أيضاً مستثنى من جملة ما حرّم وهو شحم الجنب والألية لأنه على المصعصص^(٢) عن ابن جريج والسدي وقيل الألية لم تدخل في هذا لأنها لم تستثن عن الجبائي فكأنه لم يعتد بعظم المصعصص قال الزجاج إنما دخلت أو هاهنا على طريق الإباحة كما قال سبحانه ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً والمعنى أن كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا أو اعص هذا وأو بليغة في هذا المعنى لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمراً فجائز أن يكون نهيتي عن طاعتهما في حال معاً فإن أطعت زيدا على حدته لم أكن عصيتك وإذا قلت لا تطع زيدا أو عمراً أو خالداً فالمعنى أن هؤلاء كلهم أهل أن لا يطاع فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة ومثله جالس الحسن أو ابن سيرين أو الشعبي ﴿ذلك جزيناهم بغيهم﴾ المعنى حرّمنا ذلك عليهم عقوبة لهم بقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل فهذا بغيهم وهو كقولهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقيل بغيهم ظلمهم على أنفسهم في ارتكابهم المحظورات وقيل إن ملوك بني إسرائيل كانوا يمنعون فقراءهم من أكل لحوم الطير والشحوم فحرّم الله ذلك بغيهم على فقرائهم ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويسأل فيقال كيف يكون التكليف عقوبة وهو تابع للمصلحة وتعريض للثواب وجوابه أنه إنما سمي جزاء وعقاباً لأن عظيم ما فعلوه من المعاصي اقتضى تحريم ذلك وتغيير المصلحة فيه ولولا عظم جرمهم لما اقتضت المصلحة ذلك ﴿وإننا لصادقون﴾ أي في الإخبار عن التحريم وعن بغيهم وفي كل شيء وفي أن ذلك التحريم عقوبة لأوائلهم ومصلحة لمن بعدهم إلى وقت النسخ ﴿فإن كذبوك﴾ يا محمد فيما تقول ﴿فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة بل يمهلکم ﴿ولا يرد بأسه﴾ أي لا يدفع عذابه إذا جاء وقته ﴿عن القوم المنجريمين﴾ أي المكذبين .

(٢) المصعصص : عجب الذنب وهو عظمه .

(١) [أي ما حملته ظهورهما] .

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا
إِنْ نَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ ﴿١١٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُرِ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا يَتَّبِعْ
أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٢٠﴾



[اللغة] هلم قال الزجاج أنها ضميت إليها لم وجعلنا كالكلمة الواحدة فأكثر اللغات أن يقال هلم للواحد والاثنين والجماعة بذلك جاء القرآن نحو قوله هلم إلينا ومعنى ﴿ هلم شهداءكم ﴾ هاتوا شهداءكم ومن العرب من يشي ويجمع ويؤنث فيقول للمذكر هلم وللانثيين هلمما وللجماعة هلمسوا وللمؤنث هلمي وللنسوة هلممن وفتحت لأنها مدغمة كما فتحت ردّ يا هذا في الأمر لالتقاء الساكنين ولا يجوز فيها هلم للواحد بالضم كما يجوز في ردّ الفتح والضم والكسر لأنها لا تنصرف قال أبو علي هي في اللغة الأولى بمنزلة رويد وصه ومه ونحو ذلك من الأسماء التي سميت بها الأفعال وفي الأخرى بمنزلة ردّ في ظهور علامات الفاعلين فيها كما يظهر في ردّ وأما هاء اللاحق بها فهي التي للتنبيه لحقت أولاً لأن لفظ الأمر قد يحتاج إلى استعطاف المأمور به واستدعاء إقباله على الأمر فهو لذلك يقرب من المنادى ومن ثم دخل حرف التنبيه في الأيا اسجدوا ألا ترى أنه أمر كما أن هذا أمر وقد دخل في جمل آخر نحوها أنتم هؤلاء فكما دخل في هذه المواضع كذلك لحقت في ثمّ إلا أنه كثر الاستعمال معها فغير بالحذف لكثرة الاستعمال كأشياء تغير لذلك نحولم أبّل^(١) ولم أدر^(٢)

(١) أي لم أبال .

(٢) [ولم يك] .

وما أشبه ذلك مما يغير للكثرة .

[المعنى] لما تقدّم الرد على المشركين لاعتقاداتهم الباطلة ردّ عليهم سبحانه هنا مقاتلتهم الفاسدة فقال ﴿ سيقول الذين أشركوا ﴾ أي سيحتج هؤلاء المشركين في إقامتهم على شركهم وفي تحريمهم ما أحل الله تعالى بأن يقولوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ أي لو شاء الله أن لا نعتقد الشرك ولا نفعل التحريم ﴿ ولا أبأؤنا ﴾ وأراد منا خلاف ذلك ما أشركنا ولا أبأؤنا ﴿ ولا حرّمنا من شيء ﴾ أي شيئاً من ذلك ثم كذبهم الله تعالى في ذلك بقوله ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا التكذيب الذي كان من هؤلاء في أنه منكر ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ وإنما قال كذب بالتشديد لأنهم بهذا القول كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله لهم أن الله سبحانه أمركم بتوحيده وترك الإشراك به وترك التحريم لهذه الانعام فكانوا يقولهم إن الله تعالى أراد منا ذلك وشاءه ولو أراد غيره ما فعلناه مكذّبين للرسول عليه السلام كما كذب من تقدّمهم أنبياءهم فيما أتوا به من قبل الله تعالى ﴿ حتى ذاقوا بأسنا ﴾ أي حتى نالوا عذابنا وقيل معناه حتى أصابوا العذاب المعجل ودلّ ذلك على أن لهم عذاباً مذكّراً عند الله تعالى لأن الذوق أول إدراك الشيء ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم جواباً عما قالوه من أن الشرك بمشيئة الله تعالى ﴿ هل عندكم من علم ﴾ أي حجة تؤدّي إلى علم وقيل معناه هل عندكم علم فيما تقولونه ﴿ فتخرجوه لنا ﴾ أي فتخرجوا ذلك العلم أو تلك الحجة لنا بين سبحانه بهذا أنه ليس عندهم علم ولا حجة فيما يضيفونه إلى الله تعالى وإن ما قالوه باطل ثم أكد سبحانه الرد عليهم وتكذيبهم في مقاتلتهم بقوله ﴿ ان تتبعون إلا الظن ﴾ أي ما تتبعون فيما تقولونه إلا الظن والتخمين ﴿ وإن أنتم إلا تخرصون ﴾ أي إلا تكذبون في هذه المقالة على الله تعالى وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر وتكذيب ظاهر لمن أضاف ذلك إلى الله سبحانه هذا مع قيام الأدلة العقلية التي لا يدخلها التأويل على أنه سبحانه يتعالى عن إرادة القبيح وجميع صفات النقص علواً كبيراً ﴿ قل ﴾ يا محمد إذا عجز هؤلاء عن إقامة حجة على ما قالوه ﴿ فلله الحجة البالغة ﴾ والحجة البينة الصحيحة المصححة للأحكام وهي التي تقصد إلى الحكم بشهادته مأخوذة من حجّ إذا قصد والبالغة هي التي تبلغ قطع عذر المحجوج بأن تزيل كل لبس وشبهة عمن نظر فيها واستدل بها وإنما كانت حجة الله صحيحة بالغة لأنه لا يحتج إلا بالحق وبما يؤدّي إلى العلم ﴿ فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾ أي لو شاء لألجأكم إلى الإيمان وهداكم جميعاً إليه بفعل الإلجاء إلا أنه

لم يفعل ذلك وإن كان فعله حسناً لأن الإلجاء ينافي التكليف وهذه المشيئة بخلاف المشيئة المذكورة في الآية الأولى لأن الله تعالى أثبت هذه ونفى تلك وذلك لا يستقيم إلا على الوجه الذي ذكرناه فالأولى مشيئة الاختيار والثانية مشيئة الإلجاء وقيل أن المراد أنه لو شاء لهداكم إلى نيل الثواب ودخول الجنة ابتداء من غير تكليف ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك بل كلفكم وعرضكم للثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله ولو كان الأمر على ما قاله أهل الجبر من أن الله سبحانه شاء منهم الكفر لكانت الحجة للكفار على الله تعالى من حيث فعلوا ما شاء الله تعالى ولكانوا بذلك مطيعين له لأن الطاعة هي امتثال الأمر المراد ولا يكون الحجة لله تعالى عليهم على قولهم من حيث أنه خلق فيهم الكفر وأراد منهم الكفر فأبى حجة له عليهم مع ذلك ثم بين سبحانه أن الطريق الموصل إلى صحة مذاهبهم مُفسدٌ غير ثابت من جهة حجة عقلية ولا سمعية وما هذه صفته فهو فاسد لا محالة فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ هلم شهداءكم ﴾ أي احضروا وهاتوا شهداءكم ﴿ الذين يشهدون ﴾ بصحة ما تدعونه من ﴿ أن الله حرم هذا ﴾ أي هذا الذي ذكر مما حرّمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والانعام وغيرها ﴿ فإن شهدوا فلا تشهد معهم ﴾ معناه فإن لم يجدوا شاهداً يشهد لهم على تحريمها غيرهم فشهدوا بأنفسهم فلا تشهد أنت معهم وإنما نهى عن الشهادة معهم لأن شهادتهم تكون شهادة بالباطل فإن قيل كيف دعاهم إلى الشهادة ثم قال فلا تشهد معهم فالجواب أنه أمرهم أن يأتوا بالعدول الذين يشهدون بالحق فإذا لم يجدوا ذلك وشهدوا لأنفسهم فلا ينبغي أن تقبل شهادتهم أو تشهد معهم لأنها ترجع إلى دعوى مجردة بعيدة من الصواب وقيل أنه سبحانه أراد هاتوا شهداء من غيركم ولم يكن أحد غير العرب يشهد على ذلك لأنه كان للعرب شرائع شرعوها لأنفسهم ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته أي لا تعتقد مذهب من اعتقد مذهب هوى ويمكن أن يتخذ الإنسان المذهب هوى من وجوه منها أن يهوى من سبق إليه فيقلّده فيه ومنها أن يدخل عليه شبهة فيتخيّله بصورة الصحيح مع أن في عقله ما يمنع منها ومنها أن يقطع النظر دون غايته للمشقة التي تلحقه فيعتقد المذهب الفاسد ومنها أن يكون نشأ على شيء وألفه واعتاده فيصعب عليه مفارقتها وكل ذلك متميز مما استحسنته بعقله ﴿ والذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة إنما ذكر الفريقين وإن كانوا كلهم كفاراً ليفصل وجوه كفرهم لأن منه ما يكون مع الإقرار بالآخرة كحال أهل الكتاب ومنه ما يكون مع الإنكار كحال عبدة الأوثان ﴿ وهم بربهم يعدلون ﴾ أي يجعلون له عدلاً وهو المثل وفي الآية دلالة على

فساد التقليد لأنه سبحانه طالب الكفار على صحة مذهبهم وجعل عجزهم عن الإتيان بها دالة على بطلان قولهم وأيضاً فإنه سبحانه أوجب اتباع الدليل دون اتباع الهوى .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ
 أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
 إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا
 بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ
 بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿ [اللغة] تعالوا مشتق من العلو على تقدير أن الداعي في المكان العالي وإن كان في مستو من الأرض كما يقال للإنسان ارتفع إلى صدر المجلس والتلاوة مثل القراءة والمتلو مثل المقروء والتلاوة غير المتلو كما أن الحكاية غير المحكي فالمتلو والمحكي هو الكلام الأول والتلاوة والحكاية هي الثاني منه على طريق الإعادة والإملاق الإفلاس من المال والزاد ومنه الملق والتملق لأنه اجتهد في تقرب المفلس للطمع في العطية والفواحش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم القبيح والقبيح يقع على الصغير والكبير لأنه يقال القرد قبيح الصورة ولا يقال فاحش الصورة وضد القبيح الحسن وليس كذلك الفاحش .

[الإعراب] ما حرم ربكم في موضع نصب بقوله اتل المعنى اتل الذي حرمه ربكم عليكم فيكون ما موصولة وجائز أن يكون في موضع نصب بحرّم لأن التلاوة بمنزلة القول فكأنه قال أقول أي شيء حرّم ربكم عليكم أهذا أم هذا فجائز أن يكون الذي تلاه عليهم قوله إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً ويكون ألا تشركوا به منصوبة بمعنى طرح اللام أي أبين لكم الحرام لأن لا تشركوا لأنهم إذا حرّموا ما أحل الله فقد جعلوا غير الله في القبول منه بمنزلة الله سبحانه فصاروا بذلك مشركين ويجوز أن يكون أن لا تشركوا به شيئاً محمولاً على المعنى فيكون المعنى اتل عليكم ألا تشركوا أي اتل عليكم تحريم الشرك ويجوز أن يكون على معنى أوصيكم أن لا تشركوا به شيئاً لأن قوله ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ محمول على معنى أوصيكم

بالوالدين إحساناً هذا كله قول الزجاج وتشركوا يجوز أن يكون منصوباً بأن ويكون لا للنهي ويجوز أن يكون مجزوماً بلا على النهي وإذا كان منصوباً فيكون قوله ولا تقتلوا أولادكم عطفاً بالنهي على الخبر وجاز ذلك كما جاز في قوله ﴿ قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ وقال جامع العلوم البصير الأصفهاني يجوز أن تقف على عليكم ثم ابتدء بأن لا تشركوا أي هو أن لا تشركوا أي هو الإشراف أي المحرم الإشراف و « لا » زيادة ويجوز أن يكون ما استفهاماً فيقف على قوله ﴿ ربكم ﴾ ثم ابتدء فيقول ﴿ عليكم ألا تشركوا ﴾ أي عليكم ترك الإشراف وهذا وقف بيان وتمام قوله ﴿ قل تعالوا ﴾ عند قوله ﴿ بلقاء ربهم يؤمنون ﴾ لأن قوله ﴿ وإن هذا صراطي مستقيم ﴾ معطوف على قوله ﴿ ما حرم ﴾ أي اتل هذا وهذا ومن كسر فالتقدير ﴿ وقل إن هذا صراطي ﴾ وكذلك ﴿ ثم أتينا ﴾ أي وقل ثم أتينا وهذا كله داخل في التلاوة والقول .

[المعنى] لما حكى سبحانه عنهم تحريم ما حرموه عقبه بذكر المحرمات فقال سبحانه ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ تعالوا ﴾ أي أقبلوا وادنوا ﴿ اتل ﴾ أي اقرأ ﴿ ما حرم ربكم عليكم ﴾ أي منعكم عنه بالنهي ثم بدأ بالتوحيد فقال ﴿ أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ أي أمركم أن لا تشركوا ولا تفرق بيني وبين الله تعالى لا تشركوا به شيئاً وبين أن تقول حرم ربكم عليكم أن تشركوا به شيئاً إذ النهي يتضمن التحريم وقد ذكرنا ما يحتمله من المعاني في الإعراب وقد قيل أيضاً أن الكلام قد تم عند قوله ﴿ حرم ربكم ﴾ ثم قال ﴿ عليكم أن لا تشركوا ﴾ كقوله سبحانه ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ وبالوالدين إحساناً ﴿ أي وأوصى بالوالدين إحساناً ويدل على ذلك أن في حرم كذا معنى أوصى بتحريمه وأمر بتجنبه ولما كانت نعم الوالدين تالية نعم الله سبحانه في الرتبة أمر بالإحسان إليهما بعد الأمر بعبادة الله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم من أهلك ﴾ أي خوفاً من الفقر عن ابن عباس وغيره ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ أي فإن رزقكم ورزقهم جميعاً علينا ﴿ ولا تقربوا الفواحش ﴾ أي المعاصي والقبائح كلها ﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾ أي ظاهرها وباطنها عن الحسن وقيل أنهم كانوا لا يرون بالزنا في السر بأساً ويمنعون منه علانية فنهى الله سبحانه عنه في الحالتين عن ابن عباس والضحاك والسدي وقريب منه ما روي عن أبي جعفر (ع) أن ما ظهر هو الزنا وما بطن هو المخالعة^(١) وقيل أن ما ظهر أفعال الجوارح وما بطن أفعال القلوب فالمراد ترك

(١) المخالعة : المصادقة .

المعاصي كلها وهذا أعم فائدة ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ أعاد ذكر القتل وإن كان داخلاً في الفواحش تفخيماً لشأنه وتعظيماً لأمره والنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد دون الحربي والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرم قتلها ثلاثة أشياء القود والزنا بعد إحصان والكفر بعد إيمان ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ خطاب لجميع الخلق أي ما ذكر في هذه الآية ﴿ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾ أي أمركم به ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي لكي تعقلوا ما أمركم الله تعالى به فتحللوا ما حلله لكم وتحرّموا ما حرّمه عليكم ودل قوله سبحانه ﴿ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾ على أن الوصية مضمرة في أول الآية على ما قلناه وفي قوله سبحانه ﴿ أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ دلالة على أن التكليف قد يتعلق بأن لا يفعل كما يتعلق بالفعل وعلى أنه يستحق الثواب والعقاب على أن لا يفعل وهو الصحيح من المذهب .

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۚ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۚ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع والباقون بالتشديد وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وإن هذا بكسر الهمزة والباقون بفتحها وكلهم شدد النون إلا ابن عامر ويعقوب فإنهما قرآ إن بالتخفيف وكلهم سكن الياء من صراطي إلا ابن عامر فإنه فتحها وقرأ ابن عامر وابن كثير صراطي بالسین وقرأ حمزة بين الصاد والزاي .

[الحجة] القراءتان في تذكرون متقاربتان والاصل تتذكرون فمن حذف حذف التاء الاولى ومن شدد أدغم التاء الثانية في الذال واما من فتح وإن هذا فإنه حملها على فاتبعوه

على قياس قول سيبويه في قوله تعالى لإيلاف قريش وقوله وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون وقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً فيكون على تقدير ولأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ومن خفف فقال وان هذا فإن الخفيفة في قوله يتعلق بما يتعلق به الشديدة وموضع هذا رفع بالابتداء وخبره صراطي وفي ان ضمير القصة والحديث وعلى هذه الشريطة يخفف وليست المفتوحة كالمكسورة إذا خففت وعلى هذا قول الاعشى .

فِي فِتْيَةٍ كَسِيفٍ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا إِنَّ هَالِكَ كُلُّ مَنْ يَخْفَى وَيَسْتَعِلُّ
والفاء التي في قوله فاتبعوه على قول من كسر إن عاطفة جملة على جملة وعلى قول من فتح أن زائدة .

[اللغة] الأشد واحداً شدّ مثل الأشرّ في جمع شرّ والأضرّ في جمع ضرّ والشدّ القوة وهو استحكام قوة الشباب والسن كما ان شدّ النهار هو ارتفاعه قال عنترة .

عَهْدِي بِهِ شَدُّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا خَضِبَ الْبَنَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلَمِ^(١)
وقيل هو جمع شدة مثل نعمة وإنعم وقال بعض البصريين الأشد واحد فيكون مثل الآنك قال سيبويه الذّكر والذّكر بمعنى وذكر فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا ضاعفت العين يعدي إلى مفعولين كما في قوله .

يُذَكِّرُنِيكَ حَنِينُ الْعَجُولِ وَنُوحُ الْحَمَامَةِ تَدْعُو هَدِيبًا^(٢)

ويقول ذكره فتذكر فتفعل مطاوع فعل كما أن تفاعل مطاوع فاعل .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه تمام ما يتلو عليهم فقال ﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ والمراد بالقرب التصرف فيه وإنما خص مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ماله أشد ويد الرغبة إليه أمدّ فاكد سبحانه النهي عن التصرف في ماله وان كان ذلك واجباً في مال كل أحد ﴿الا بالتي هي احسن﴾ أي بالخصلة أو الطريقة الحسنى ولذلك أنت وقد قيل في معناه اقوال (أحدها) ان معناه الا بشئير ماله بالتجارة عن

(١) العظلم : نبت يخضب به .

(٢) حنين الناة : صوتها في نزوعها إلى ولدها . العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها . الهديل صوت الحمام .

مجاهد والضحاك والسدي (وثانيها) بأن يأخذ القيم عليه بالأكل بالمعروف دون الكسوة عن ابن زيد والجبائي (وثالثها) بأن يحفظ عليه حتى يكبر ﴿حتى يبلغ أشده﴾ اختلف في معناه فقيل أنه بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل هو ان يبلغ ثماني عشرة سنة وقال السدي هو ان يبلغ ثلاثين سنة ثم نسخها قوله حتى إذا بلغوا النكاح الآية وقال ابو حنيفة إذا بلغ خمساً وعشرين سنة دفع المال إليه وقبل ذلك يمنع منه إذا لم يؤنس منه الرشد وقيل انه لا حد له بل هو ان يبلغ ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم إليه ماله وهذا أقوى الوجوه وليس بلوغ اليتيم أشده مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن ولكن تقديره ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتتي هي احسن على الأبد حتى يبلغ أشده فادفعوا إليه بدليل قوله ولا تأكلوها اسرافاً وبداراً أن يكبروا ﴿واوفوا﴾ أي أتموا ﴿الكيل والميزان بالقسط﴾ أي بالعدل والوفاء من غير بخس ﴿لا تكلف نفساً الا وسعها﴾ أي الا ما يسعها ولا يضيق عنه ومعناه هنا انه لما كان التعديل في الوزن والكيل على التحديد من أقل القليل بتعذر بين سبحانه انه لا يلزم في ذلك الا الاجتهاد في التحرز من النقصان ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قرى﴾ أي فقولوا الحق وان كان على ذي قرابة لكم وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك إلى العدل في الفعل ويكون ذلك من أكد الدواعي اليه وقيل معناه إذا شهدتم أو حمكتم فاعدلوا في الشهادة والحكم وأن كان المقول عليه أو المشهود له أو عليه قرابتك وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقارير والشهادات والوصايا والفتاوى والقضايا والاحكام والمذاهب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وبعهد الله أوفوا﴾ قيل في معنى عهد الله قولان (أحدهما) ان كل ما اوجبه الله تعالى على العباد فقد عهد إليهم بإيجابه عليهم وبتقديم القول فيه والدلالة عليه (والآخر) ان المراد به النذور والعهود في غير معصية الله تعالى والمراد أوفوا بما عاهدتم الله عليه من ذلك ﴿ذلكم﴾ أي ذلك الذي تقدم ذكره من ذكر مال اليتيم وان لا يقرب الا بالحق وإفاء الكيل واجتناب البخس والتطفيف وتحري الحق فيه على مقدار الطاقة والقول بالحق والصدق والوفاء بالعهد ﴿وصاكم﴾ الله سبحانه ﴿به لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تتذكروه وتأخذوا به فلا تطرحوه ولا تغفلوا عنه فتركوا العمل به والقيام بما يلزمكم منه ﴿وان هذا صراطي﴾ أي ولأن هذا صراطي ومن خفف فتقديره ولأنه هذا صراطي ومن كسران فإنه استأنف قال ابن عباس يريد ان هذا ديني دين الحنيفية اقوم الاديان واحسنها وقيل يريدان ما ذكر في هذه الآيات من الواجب والمحرم

صراطي لأن امثال ذلك على ما امر به يؤدي إلى الثواب والجنة فهو طريق إليها وإلى النعيم فيها ﴿مستقيماً﴾ أي فيما لا عوج فيه ولا تناقض وهو منصوب على الحال ﴿فاتبعوه﴾ أي اقتدوا به واعملوا به واعتقدوا صحته واحلوا حلاله وحرموا حرامه ﴿ولا تتبعوا السبل﴾ أي طرق الكفر والبدع والشبهات عن مجاهد وقيل يريد اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الاوثان عن ابن عباس ﴿فتفرق﴾ واصله فتتفرق ﴿بكم عن سبيله﴾ أي فُتشتت وتميل وتخالف بكم عن دينه الذي ارتضى وبه اوصى وقيل عن طريق الدين ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ أي لكي تتقوا عقابه باجتناّب معاصيه قال ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني آدم كلهم وهم أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وقال كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذا لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم الآيات .

﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا

كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع .

[المحجة] قال ابن جني هذا مستضعف الاعراب عندنا لأنه حذف المبتدأ العائد إلى الذي لأن تقديره على الذي هو احسن وإنما يحذف من صلة الذي الهاء المنصوبة بالفعل الذي هو صلته نحو مررت بالذي ضربت أي ضربته ومن المفعول بؤله وطال الاسم بصلته فحذف الهاء لذلك وليس المبتدأ بنيف ولا فضلة فيحذف تخفيفاً لاسيما وهو عائد الموصول وعلى ان هذا قد جاء نحوه عنهم حكى سيبويه عن الخليل انه سمع ما انا بالذي قائل لك شيئاً وسوءاً أي بالذي هو قائل لك وقال لم أر مثلاً للفتيان في غير الأيام ينسون ما عواقبها أي ينسون الذي هو عواقبها ويجوز أن يكون ينسون معلقة كما علقوا نقيضتها التي هي يعلمون فيكون ما استفهاماً وعواقبها خبر ما كقولك قد علمت من أبوك وعلى الوجه الأول حملة اصحابنا وقال الزجاج تماماً منصوب بأنه مفعول له وكذلك تفصيلاً وما بعده

والمعنى آتيناه لهذه العلة اي للتمام وللتفصيل انزلناه في موضع رفع بأنه صفة كتاب .

[المعنى] ﴿ثم آتينا موسى الكتاب﴾ قيل في معنى ثم آتينا موسى الكتاب مع ان كتاب موسى قبل القرآن وثم يقتضي التراخي وجوه (أحدها) ان فيه حذفاً وتقديره ثم قل يا محمد آتينا موسى الكتاب بدلالة قوله قل تعالوا (وثانيها) ان تقديره ثم اتل عليكم آتينا موسى الكتاب ويكون عطفاً على معنى التلاوة والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم اتل عليكم ما آتاه الله موسى عن الزجاج (وثالثها) انه عطف خبر على خبر لا عطف معنى على معنى وتقديره ثم اخبركم أنه اعطى موسى الكتاب والذي قول الشاعر:

وَلَقَدْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

(ورابعها) أنه يتصل بقوله في قصة إبراهيم ووهبنا له إسحاق ويعقوب فعد سبحانه نعمته عليه بما جعل في ذريته من الأنبياء ثم عطف عليه بذكر ما انعم عليه بما آتي موسى من الكتاب والنبوة وهو أيضاً من ذريته عن أبي مسلم واستحسنه المغربي ﴿تماماً على الذي احسن﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) تماماً على احسان موسى فكأنه قال ليكمل احسانه الذي يستحق به كمال ثوابه في الآخرة عن الربيع والفراء (وثانيها) تماماً على المحسنين عن مجاهد وقيل ان في قراءة عبد الله تماماً على الذي احسنوا فكأنه قال تماماً للنعمة على المحسنين الذين هو احدهم والنون قد تحذف من الذين كما في البيت:

وَإِنَّ الَّذِي خَانَتْ بِفُلْجٍ دِمَاؤُهُمْ هُمْ الْقَوْمُ كُلُّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(١)

ويجوز ان يكون الذي للجنس ويكون بمعنى من احسن (وثالثها) ان معناه تماماً على احسان الله إلى انبيائه عن ابن زيد (ورابعها) ان معناه تماماً لكرامته في الجنة على احسانه في الدنيا عن الحسن وقتادة وقال قتادة تقديره من احسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة (وخامسها) ان معناه تماماً على الذي احسن الله سبحانه إلى موسى بالنبوة وغيرها من الكرامة عن الجبائي (وسادسها) ما قاله أبو مسلم أنه يتصل بقصة إبراهيم فيكون المعنى تماماً للنعمة على إبراهيم ولجزائه على احسانه في طاعة ربه وذلك من لسان الصديق الذي سأل الله سبحانه ان يجعله له ولفظة على تقتضي المضاعفة عليه ولو قال تماماً ولم يأت بقوله على

(١) حانت: قربت. الفلج: اسم بلد قريب البصرة .

الذي أحسن لدل على نقصانه قبل تكميله ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ أي وبياناً لكل ما يحتاج إليه الخلق ﴿وهدي﴾ أي ودلالة على الحق والدين يهتدي بها إلى التوحيد والعدل والشرائع ﴿ورحمة﴾ أي نعمة على سائر المتكلفين لما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد والأحكام ﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ معناه لكي يؤمنوا بجزاء ربهم فسمي الجزاء لقاء الله تفخيماً لشأنه مع ما فيه من الإيجاز والاختصار وقيل معنى اللقاء الرجوع إلى ملكه وسلطانه يوم لا يملك أحد سواه شيئاً ﴿وهذا كتاب﴾ يعني القرآن وصفه بهذا الوصف لبيان أنه مما ينبغي أن يكتب لأنه أجل الحكم ﴿أنزلناه﴾ يعني أنزله جبرائيل إلى محمد ﷺ فأضاف النزول إلى نفسه توسعاً ﴿مبارك﴾ وهو من يأتي من قبله الخير الكثير عن الزجاج فالبركة ثبوت الخير بزيادته ونموه وأصله الثبوت ومنه براكاء القتال في قوله .

وَمَا يُنْجِي مِنَ الْغَمَرَاتِ إِلَّا بَرَكَاتُ الْقِتَالِ أَوْ الْفِرَارُ

ومنه تبارك الله أي تعالى بصفة اثبات لا أول له ولا آخر وهذا تعظيم لا يستحقه غير الله تعالى ﴿فاتبعوه﴾ أي اعتقدوا صحته واعملوا به وكونوا من اتباعه ﴿واتقوا﴾ معاصي الله ومخالفته ومخالفة كتابه ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لكي ترحموا وإنما قال واتقوا لعلكم ترحمون مع أنهم إذا اتقوا رحموا لا محالة لأمرين (أحدهما) أنه اتقوا على رجاء الرحمة لأنكم لا تدرون بما توافون في الآخرة (والثاني) اتقوا لترحموا أي ليكن الغرض بالتقوى منكم طلب ما عند الله من الرحمة والثواب .

﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ

الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفْلِينَ ﴿١٥٦﴾

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ

جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ

بِعَايَتِ اللَّهَ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا

سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

[الإعراب] قال الزجاج ان تقولوا معناه عند البصريين كراهة أن تقولوا وهم لا يجيزون اضمارا فلا يقولون جئت ان أكرمك أي لأن لا أكرمك ولكن يجوز فعلت ذلك ان أكرمك على اضمار محبة ان اكرمك او كراهة ان أكرمك ويكون الحال ينبيء عن الضمير و ﴿أو تقولوا﴾ نصب تقولوا بأنه معطوف على أن تقولوا أي أو كراهة ان تقولوا وأقول أراد أنه مفعول له على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإذا كان حذف المضاف يطرّد جوازه مع غير أن فلأن يجوز مع أن أجدر مع طول الكلام بالصلة وقال الكسائي موضع ان تقولوا نصب باتقوا أي اتقوا يا أهل مكة ان تقولوا ﴿ولو أنا﴾ فتحت ان بعد لومع أنه لا يقع فيه المصدر لأن الفعل مقدر بعد لو فكانه قيل لو وقع الينا انا انزل الكتاب علينا إلا ان هذا الفعل لا يظهر من اجل طول ان بالصلة ولا يحذف مع المصدر الا في الشعر قال :

لَوْ غَيْرُكُمْ عَلِقَ الزُّبَيْرُ بِحَبْلِهِ أَدَّى الْجَوَارَ إِلَى بَنِي الْعَوَامِ^(١)

[المعنى] ثم بين سبحانه أنه إنما أنزل القرآن قطعاً للمعذرة وإزاحة للعلّة فقال ﴿ان تقولوا﴾ أي كراهة ان تقولوا يا أهل مكة أو لئلا تقولوا ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ أي جماعتين وهم اليهود والنصارى عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وإنما خصهما بالذكر لشهرتهما وظهور أمرهما أي أنزلنا عليكم هذا الكتاب لنقطع حجّتهم ﴿وان كنا عن دراستهم لغافلين﴾ والمعنى أنا كنا غافلين عن تلاوة كتبهم وما كنا الا غافلين عن دراستهم ولم ينزل علينا الكتاب كما أنزل عليهم لأنهم كانوا أهله دوننا ولو أريد منا ما أريد منهم لأنزل الكتاب علينا كما أنزل عليهم ﴿أو تقولوا﴾ يا أهل مكة ﴿لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم﴾ في المبادرة إلى قبوله والتمسك به لأننا اجود اذهاناً واثبت معرفة منهم فإن العرب كانوا يدلون بجودة الفهم ودكاء الحدس وحدة الذهن وقد يكون العارف بالشيء اهدى إليه من عارف آخر بأن يعرفه من وجوه لا يعرفها هو وبأن يكون ما يعرفه به اثبت مما يعرفه به الآخر ثم قال تعالى ﴿فقد جاءكم بينة من ربكم﴾ أي حجة واضحة ودلالة ظاهرة وهو القرآن ﴿وهدى﴾ يهدي به الخلق إلى النعيم المقيم والثواب العظيم ﴿ورحمة﴾ أي نعمة لمن اتبعه وعمل به ﴿فمن اظلم﴾ لنفسه ﴿ممن كذب بآيات الله وصدف عنها﴾ أي اعرض عنها غير مستدل بها ولا مفكر فيها عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة ﴿سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب﴾ أي شدة العذاب وهو ما أعدّه الله للكفار نعوذ بالله منه ﴿بما كانوا يصدفون﴾ أي جزاء بما كانوا يصدفون عن القرآن ومن أتى به وهو محمد ﷺ

(١) الشعر في جامع الشواهد فراجع .

وفي هذا دلالة على ان انزال القرآن لطف للمكلفين وانه لو لم ينزله لكان لهم الحجة وإذا كان في منع اللطف عذر وحجة للمكلف فمنع القدرة وخلق الكفر أولى بذلك فإن قيل فهل للذين ماتوا من قبل من خوطب بقوله ان تقولوا حجة وعذر قيل له ان عذر أولئك كان مقطوعاً بالعقل وبما تقدم من الاخبار والكتب وهؤلاء ايضاً لو لم يأتيهم الكتاب والرسول لم يكن لهم حجة لكن الله تعالى لما علم ان المصلحة تعلقت بذلك فعله ولو علم مثل ذلك فيمن تقدم لأنزل عليهم مثل ما أنزل على هؤلاء وإذا لم ينزل عليهم علمنا ان ذلك لم يكن من مصالحهم.

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ

تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ

يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ

مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا أَنَا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف يأتهم بالياء ههنا وفي النحل وقرأ

الباقون تأتيمم بالتاء وقد مضى الكلام في أمثال ذلك.

[المعنى] ثم توعدهم سبحانه فقال ﴿ هل ينظرون ﴾ معناه ما ينتظرون يعني هؤلاء

ذكرهم وقال أبو علي الجبائي معناه هل تنتظر انت يا محمد وأصحابك الا هذا وهم وإن

انتظروا غيره فذلك لا يعتد به من حيث ما ينتظرونه من هذه الاشياء المذكورة لعظم شأنها فهو

مثل قوله وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى وكما يقال تكلم فلان ولم يتكلم إذا تكلم بما لا

يعتد به ﴿ الا ان تأتيمم الملائكة ﴾ لقبض ارواحهم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل لإنزال

العذاب والخسف بهم وقيل لعذاب القبر ﴿ أو يأتى ربك ﴾ فيه أقوال (أحدها) أو يأتي أمر ربك

بالعذاب فحذف المضاف ومثله وجاء ربك عن الحسن وجاز هذا الحذف كما جاز في قوله

ان الذين يؤذون الله أي اولياء الله وقال ابن عباس يأتي أمر ربك فيهم بالقتل (وثانيها) أو يأتي

ربك بجلال آياته فيكون حذف الجار فوصل الفعل ثم حذف المفعول لدلالة الكلام عليه

وهو قيام الدليل في العقل على ان الله سبحانه لا يجوز عليه الاثقال ولا يختلف عليه الحل

(وثالثها) ان المعنى أو يأتي إهلاك ربك إياهم بعذاب عاجل أو آجل أو بالقيامة وهذا كقولنا قد نزل فلان ببلد كذا وقد اتاهم فلان أي قد أوقع بهم عن الزجاج ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ وذلك نحو خروج الدابة أو طلوع الشمس من مغربها عن مجاهد وقتادة والسدي وروي عن النبي ﷺ أنه قال بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس من مغربها والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم أي موته وأمر العامة يعني القيامة ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ التي تضطرهم إلى المعرفة ويزول التكليف عندها ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل﴾ لأنه ينسأ باب التوبة بظهور آيات القيامة ويضطر الله تعالى كل أحد إلى معرفته ومعرفته المحسنات والمقبحات ضرورة ويعرفه أنه ان حاول القبيح أو ترك الحسن حيل بينه وبينه فيصير ملحاً إلى فعل الحسن وترك القبيح ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ عطف على قوله آمنت وقيل في معناه اقوال (أحدها) أنه إنما قال ذلك على جهة التغليب لأن الأكثر مما ينتفع بإيمانه حينئذ من كسب في إيمانه خيراً (وثانيها) أنه لا ينفع أحداً فعل الإيمان ولا فعل خير فيه في تلك الحال لأنها حال روال التكليف وإنما ينفع ذلك قبل تلك الحال عن السدي فيكون معناه لا ينفعه إيمانه حينئذ وان كسب في إيمانه خيراً أي طاعة وبراً لأن الإيمان واكتساب الخير إنما ينفعان من قبل (وثالثها) أنه الإيهام في أحد الأمرين فالمعنى أنه لا ينفع في ذلك اليوم إيمان نفس إذا لم تكن آمنت قبل ذلك اليوم أو ضمت إلى إيمانها أفعال الخير فإنها إذا آمنت قبل نفعها إيمانها وكذلك إذا ضمت إلى الإيمان طاعة نفعها أيضاً يريد أنه لا ينفع حينئذ إيمان من آمن من الكفار ولا طاعة من أطاع من المؤمنين ومن آمن من قبل نفعه إيمانه بانفراده وكذلك من أطاع من المؤمنين نفعته طاعته أيضاً وهذا أقوى الأقوال وأوضحها ﴿قل انتظروا﴾ آيات الملائكة ووقوع هذه الآيات ﴿فإننا منتظرون﴾ بكم وقوعها وفي هذه الآية حث على المسارعة إلى الإيمان والطاعة قبل الحال التي لا يقبل فيها التوبة وفيها أيضاً حجة على من يقول ان الإيمان اسم لأداء الواجبات وللطاعات فإنه سبحانه قد صرح فيها بأن اكتساب الخيرات غير الإيمان المجرد لعطفه سبحانه كسب الخيرات وهي الطاعات في الإيمان على فعل الإيمان فكأنه قال لا ينفع نفساً لم تؤمن قبل ذلك اليوم إيمانها ذلك اليوم وكذا لا ينفع نفساً لم تكن كاسبة خيراً في إيمانها قبل ذلك كسبها الخيرات ذلك اليوم وقد عكس الحاكم أبو سعيد في تفسيره الأمر فيه فقال هو خلاف ما يقوله المرجئة لأنه يدل على أن الإيمان بمجرده لا ينفع حتى يكون معه اكتساب الخيرات وليت شعري كيف تدل الآية على ما قاله وكيف حكم لنفسه على خصمه فيما الحكم فيه لخصمه عليه وهل هذا إلا عدول

عن سنن العدل والانصاف .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٥٩ ﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي هاهنا وفي الروم فارقوا بالالف وهو المروي عن علي عليه السلام والباقون فرّقوا بالتشديد .

[المحجة] قال أبو علي من قرأ فرّقوا فتقديره يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كما قال افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وقال ويريدون ان يفرّقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ومن قرأ فارقوا دينهم فالمعنى باينوه وخرجوا عنه وهو يؤول إلى معنى فرّقوا الا ترى انهم لما آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه فارقوه كله فخرجوا عنه ولم يتبعوه .

[اللغة] الشيع الفرق التي يماليء بعضهم بعضاً على أمر واحد مع اختلافهم في غيره وقيل إن اصله من الظهور يقال شاع الخبر يشيع شيوخاً ظهر وشيعت النار إذا القيت عليها الحطب فكأنك تظهرها وقال الزجاج اصله الاتباع يقال شاعكم السلام واشاعكم السلام أي تبعكم السلام قال .

أَلَا يَا نَحْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ بُرُودَ الظِّلِّ شَاعَكُمْ السَّلَامُ^(١)
ويقول آتيك غداً أو شيعه أي أو اليوم الذي تتبعه فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً قال الكميت .

وَمَالِي إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شِيعَةً وَمَالِي إِلَّا مَشْعَبَ الْحَقِّ مَشْعَبٌ

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما قدّمه من الوعيد فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴾ اختلف في المعنيين بهذه الآية على اقوال (أحدها) أنهم الكفار واصناف المشركين عن السدي والحسن ونسختها آية السيف (وثانيها) أنهم اليهود والنصارى لأنهم يكفر بعضهم بعضاً عن قتادة (وثالثها) أنهم أهل الضلالة وأصحاب الشبهات والبدع من هذه

(١) الشعر في جامع الشواهد بتغيير في المصراع الثاني . قوله برود الظل أي في برود الظل .

الامة رواه أبو هريرة وعائشة مرفوعاً وهو المروي عن الباقر عليه السلام جعلوا دين الله ادياناً لإكفار بعضهم بعضاً وصاروا احزاباً وفرقاً ﴿لست منهم في شيء﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ واعلام له أنه ليس منهم في شيء وانه على المباحة التامة من ان يجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة وليس كذلك بعضهم مع بعض لأنهم يجتمعون في معنى من المعاني الباطلة وان اختلفوا في غيره فليس منهم في شيء لأنه بريء من جميعه وقيل ان معناه لست من مخالطتهم في شيء وإنما هو نهى النبي من مقاربتهم وأمر له بمباعدتهم عن قتادة وقيل معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال عن الكلبي والحسن ﴿إنما أمرهم إلى الله﴾ في مجازاتهم على سوء افعالهم وقيل أمرهم في الانظار والاستئصال إلى الله وقيل الحكم بينهم في اختلافهم إلى الله ﴿ثم ينبتهم﴾ أي يخبرهم ويجازيهم ﴿بما كانوا يفعلون﴾ يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ امْتَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

[القراءة] قرأ يعقوب عشر منون امثالها برفع اللام وهو قراءة الحسن وسعيد بن جبير والباقون عشر مضاف امثالها مجرور .

[الحجة] من قرأ عشر امثالها فالمعنى له عشر حسنات امثالها فيكون امثالها صفة للموصوف الذي اضيف اليه عشر ومن قرأ عشر امثالها فيكون امثالها صفة لعشر هذا قول الزجاج وحذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ضعيف عند المحققين وأكثر ما يأتي ذلك في الشعر والأولى ان يكون امثالها غير صفة في قوله عشر امثالها بل يكون محمولاً على المعنى فأنث الامثال لما كان في معنى الحسنات وحكي عن أبي عمرو انه سمع اعرابياً يقول فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها قال فقلت له أتقول جاءته كتابي قال نعم أليس بصحيفة .

[اللغة] الحسنة اسم للأعلى في الحسن ودخول الهاء للمبالغة قال علي بن عيسى دخول الهاء يدل على انها طاعة أما واجب أو ندب وليس كل حسن كذلك لأن في الحسن ما هو مباح لا يستحق عليه مدح ولا ثواب واكوى من ذلك ان يقال دخول لام التعريف فيها يدل على انها المأمور بها لانها لام العهد والله سبحانه لا يأمر بالمباح .

[المعنى] لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي عقبه بذكر الوعد وتضعيف الجزاء في الطاعات فقال ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ أي من جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر أمثالها من الثواب ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ أي بالخصلة الواحدة من خصال الشر ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ وذلك من عظيم فضل الله تعالى وجزيل إنعامه على عباده حيث لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن مَنًّا منه عليه وتفضلاً وان عاقب على قدر الاستحقاق عدلاً وقيل المراد بالحسنة التوحيد وبالسيئة الشرك عن الحسن واكثر المفسرين وعلى هذا فإن اصل الحسنات التوحيد وأسوأ السيئات الكفر ﴿وهم لا يظلمون﴾ بالزيادة على مقدار ما استحقوا من العقاب ثم اختلف الناس في ان هذه الحسنات العشر التي وعدا الله من جاء بالحسنة هل يكون كلها ثواباً أم لا فقال بعضهم لا يكون كلها ثواباً وإنما يكون الثواب منها الواحدة والتسع الزائدة تكون تفضلاً ويؤيده قوله ﴿ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله﴾ فيكون على هذا معنى عشر أمثالها في النعيم واللذة لا في عظيم المنزلة ويجوز ان يكون التفضل مثل الثواب في الكثرة واللذة وان يميز منه الثواب بمقارنة التعظيم والإجلال اللذين لولاهما لما حسن التكليف وهذا هو الصحيح وقال قوم لا يجوز ان يساوي الثواب والتفضل على وجه فيكون على قولهم كل ذلك ثواباً قال الزجاج ان المجازاة من الله عز وجل على الحسنة بدخول الجنة شيء لا يبلغ وصف مقداره فإذا قال عشر أمثالها وقال كمثل حبة انبت سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة وقال فيضاعفه له اضعافاً كثيرة فالمعنى في هذا كله ان جزاء الله سبحانه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التقدير في النفوس فيضاعف الله سبحانه ذلك بما بين عشرة اضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى اضعاف كثيرة وقد قيل أيضاً في ذلك ان المعنى من جاء بالحسنة فله عشر امثال المستحق عليها والمستحق لا يعلم مقداره إلا الله تعالى وليس المراد امثال ذلك في العدد وهذا كما يقول الإنسان لأجيرته لك من الأجر مثل ما عملت أي مثل ما تستحقه بعملك وقد وردت الرواية عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال حدثني الصادق المصدق ان الله تعالى قال الحسنة عشر أو ازيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره .

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا

مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي
وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر واهل الكوفة قِيَمًا مكسورة القاف خفيفة الياء والباقون قِيَمًا مفتوحة القاف مشددة الياء وقرأ أهل المدينة مُحْيَاي ساكنة الياء وممَاتِي بفتحها والباقون مُحْيَاي بفتح الياء وممَاتِي ساكنة الياء .

[الحجة] من قرأ قِيَمًا فالقِيَم هو المستقيم فيكون وصفًا للدين كما ان التقدير في قوله دين القِيَمَة دين الملة القيمة لأن الملة هي مثل الدين ومن قرأ قِيَمًا فإنه مصدر كالصغر والكبر الا انه لم يصحح كما صحح جَوَل وَعَوَّض وكان القياس ولكنه شذ كما شذ نحو ثِيَرَة في جمع ثور وجياد في جمع جواد وكان القياس الواو وقال الزجاج إنما اعتلّ قيم لأنه من قام فلما اعتل قام اعتلّ قيم لأنه جرى عليه واما جَوَل فإنه جار على غير فعل واما إسكان الياء في محيائي فإنه شاذ عن القياس والاستعمال فإن الساكنين لا يلتقيان على هذا الحد وإذا كان ما قبلها متحر نحو ومماتي فالفتح جائز والاسكان جائز قال أبو علي والوجه في محيائي بسكون الياء مع شذوذه ما حكى عن بعض البغداديين أنه سمع التقت حلقتا البطان بإسكان الالف مع سكون لام المعرفة ومثل هذا ما جَوَّزه يونس في قوله أضربان زيدواضربان زيداً وسيويه ينكر هذا من قول يونس وقال علي بن عيسى ولو وصله على نية الوقف جاز كما فبهدهم اقتده فإنما هذه الهاء في الوقف كما تسكن تلك الياء في الوقف .

[اللغة] الملة الشريعة مأخوذة من الإملاء كأنه ما يأتي به الشرع ويورده الرسول من الشرائع المتجددة فيُملّه على أمته ليكتب او يحفظ فأما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف والشرائع تختلف ولهذا يجوز ان يقال ديني دين الملائكة ولا يقال ملتي ملة الملائكة فكل ملة دين وليس كل دين ملة والنسك العبادة ورجل ناسك ومنه النسيكة الذبيحة والمنسك الموضع الذي تذبح فيه النسائك قال الزجاج فالنسك كل ما تقرب به إلى الله تعالى الا ان الغالب عليه امر الذبح وقول الناس فلان ناسك ليس يراد به ذبح إنما يراد به انه يؤدي المناسك أي يؤدي ما افترض عليه مما يتقرب به إلى الله .

الآن هدايتهم إليه تعريف لهم فحمله على اعرفوا ديناً قيماً وان شئت حملته على الاتباع كأنه قال اتبعوا ديناً قيماً والزموه كما قال اتبعوا ما أنزل اليكم قال الزجاج ملة إبراهيم بدل من ديناً قيماً وحنيفاً منصوب على الحال من إبراهيم والمعنى هداني وعرفني ملة إبراهيم في حال حنيفية .

[المعنى] ثم أمر الله نبيه ﷺ فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار وللخلق جميعاً ﴿ انني هداني ﴾ أي دلّني وارشدني ﴿ ربي إلى صراط مستقيم ﴾ وقيل اراد لطف لي ربي في الاهتداء ووفّقني لذلك وقد بينا معنى الصراط؟ المستقيم في سورة الحمد ﴿ ديناً قيماً ﴾ أي مستقيماً على نهاية الاستقامة وقيل دائماً لا ينسخ ﴿ ملة إبراهيم ﴾ وإنما وصف دين النبي بأنه ملة إبراهيم ترغيباً فيه للعرب لجلالة إبراهيم في نفوسها ونفوس كل أهل الأديان ولانتساب العرب إليه واتفاقهم على أنه كان على الحق ﴿ حنيفاً ﴾ أي مخلصاً في العبادة لله عن الحسن وقيل مائلاً إلى الإسلام ميلاً لازماً لا رجوع معه من قولهم رجل احنف إذا كان مائل القدم من خلقه عن الزجاج وقيل مستقيماً وإنما جاء احنف على التفاضل عن الجبائي ﴿ وما كان من المشركين ﴾ يعني إبراهيم كان يدعو إلى عبادة الله وينهي عن عبادة الأصنام ﴿ قل ان صلاتي ﴾ قد فسرنا معنى الصلاة فيما تقدم ﴿ ونسكي ﴾ أي ذبيحتي للحج والعمرة عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي وقيل نسكي ديني عن الحسن وقيل عبادتي عن الجبائي والزجاج وإنما ضمّ الصلاة إلى اصل الواجبات من التوحيد والعدل لأن فيها التعظيم لله التكبير وفيها تلاوة القرآن الذي يدعو إلى كل بر وفيها الركوع والسجود وفيها الخضوع لله تعالى والتسبيح الذي هو التنزيه له ﴿ ومحياي ومماتي ﴾ أي حياتي وموتي ﴿ الله رب العالمين ﴾ وإنما جمع بين صلاته وحياته واحدهما من فعله والآخر من فعل الله لأنهما جميعاً بتدبير الله وقيل معناه صلاتي ونسكي له عبادة وحياتي ومماتي له ملكاً وقدرة عن القاضي وقيل ان عبادتي له لأنها بهدايته ولطفه ومحياي ومماتي له لأنه بتدبيره وخلقه وقيل معنى قوله ومحياي ومماتي لله ان الأعمال الصالحة التي تتعلق بالحياة في فنون الطاعات وما يتعلق بالممات من الوصية والختم بالخيرات لله وفيه تنبيه على انه لا ينبغي ان يجعل الانسان حياته لشهوته ومماته لورثته ﴿ لا شريك له ﴾ أي لا ثاني له في الإلهية وقيل لا شريك له في العبادة وفي الأحياء والإماتة ﴿ وبذلك أمرت ﴾ أي وبهذا أمرني ربي ﴿ وانا أول المسلمين ﴾ من هذه الأمة فإن إبراهيم كان أول المسلمين ومن بعده تابع له في الإسلام عن الحسن وقتادة وفيه بيان

فضل الإسلام وبيان وجوب اتباعه على الاسلام إذ كان صلى الله عليه وآله أول من سارع إليه ولأنه إنما أمر بذلك ليتأسى به ويقتدى بفعله .

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾

وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ

وَاِزْرَةً وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ

فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ

الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

[اللغة] الرب إذا اطلق أفاد المالك بتصرف الشيء بأتم التصريف وإذا أضيف فقيل رب الدار ورب الضيعة فمعناه المالك لتصرفه بأتم تصرف العباد وأصله التربية وهي تنشئة الشيء حالاً بعد حال حتى يصير إلى الكمال والفرق بين الرب والسيد ان السيد المالك لتدبير السواد الأعظم والرب المالك لتدبير الشيء حتى يصير إلى الكمال مع إجرائه على تلك الحال ويقال وزر يزر وزراً ووزر يوزر فهو موزور وأصله من الوزر الذي هو الملجأ فحال الموزور كحال الملتجئ إلى غير ملجأ ومنه الوزير لأن الملك يلتجئ إليه في الأمور وقيل ان أصله الثقل ومنه قوله ووضعنا عنك وزرك وكلاهما محتمل وواحد الخلائف خليفة مثل صحيفة وصحائف وسفينة وسفائن وخلف فلان فلاناً يخلفه فهو خليفته إذا جاء بعده .

[الإعراب] في نصف درجات ثلاثة اقوال (أحدها) ان يقع موقع المصدر فكأنه قال رفعة بعد رفعة (والثاني) أنه إلى درجات فحذفت إلى كما حذفته في قولك دخلت البيت وتقديره إلى البيت (والثالث) أن يكون مفعولاً من قولك ارتفع درجة ورفعته درجة مثل اكتسى ثوباً وكسوته ثوباً .

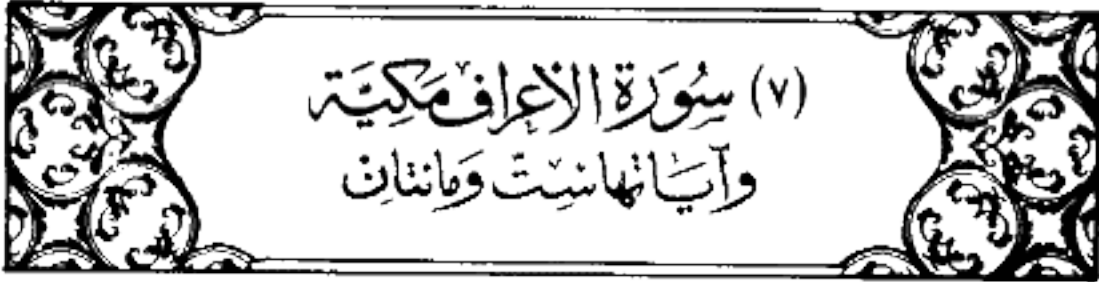
[المعنى] لما أمر سبحانه نبيه ﷺ ببيان الاخلاص في الدين عقبه بأمره ان يبين لهم بطلان افعال المشركين فقال ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار على وجه الانكار ﴿ اغير الله ابغي ﴾

رباً وهو رب كل شيء ﴿وتقديره ايجوز ان اطلب غير الله رباً واطلب الفوز بعبادته وهو مربوب مثلي وأترك عبادة من خلقتني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبره وليس بمربوب أم هذا قبيح في العقول وهو لازم لكم على عبادتكم الأوثان ﴿ولا تكسب كل نفس الا عليها﴾ أي لا تكسب كل نفس جزاء كل عمل من طاعة أو معصية إلا عليها فعليها عقاب معصيتها ولها ثواب طاعتها ووجه اتصاله بما قبله أنه لا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما أنتم عليه من ذلك لأنه ليس بعذر لي في اكتساب الإثم أكتساب غيري له لأنه ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي لا يحمل أحد ذنب غيره ومعناه ولا يجازى أحد بذنب غيره وقال الزجاج معناه لا تؤخذ نفس غير آثمة بإثم أخرى وقيل ان الكفار قالوا للنبي ﷺ اتبعنا وعلينا وزرك أن كان خطأ فأنزل الله هذا وفيه دلالة على فساد قول المجبرة ان الله تعالى يعذب الطفل بكفر ابيه ﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾ أي مالكم ومصيركم ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ أي يخبركم بالحق فيما اختلفتم فيه فيظهر المحسن من المسيء ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ أخبر سبحانه أنه الذي جعل الخلق خلائف الأرض ومعناه أن أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كلما مضى قرن خلفهم قرن يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر عن الحسن والسدي وجماعة وقيل المراد بذلك أمة نبينا محمد صلى الله عليه وآله جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ في الرزق عن السدي وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة وهذا أولى لأن الأول يدخل فيه ووجه الحكمة في ذلك مع أنه سبحانه خلقهم ابتداءً من غير استحقاق بعمل يوجب التفاضل بينهم ما فيه من اللطاف الداعية إلى الواجبات والصارفة عن المقبحات لأن كل من كان غنياً في ماله شريفاً في نسبه ربما دعاه ذلك إلى طاعة من يملكه رغبة في امتثاله ومن كان على ضد ذلك ربما دعاه إلى طاعته رهبة من أمثاله ورجاء أن ينقله عن هذه الحال إلى حال جليلة يغتبط عليها ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ أي ليختبركم فيما اعطاكم أي يعاملكم معاملة المختبر مظهرة في العدل وانتفاء من الظلم ومعناه لينظر الغني إلى الفقير فيشكر وينظر الفقير إلى الغني فيصبر ويفكر العاقل في الأدلة فيعلم ويعمل بما يعلم ﴿ان ربك سريع العقاب﴾ إنما وصف نفسه بذلك مع ان عقابه في الآخرة من حيث ان كل ما هو آت قريب فهو إذا سريع وقيل معناه انه سريع العقاب بمن استحقه في دار الدنيا فيكون تحذيراً لمواقع الخطيئة على هذه الجهة وقيل معناه أنه قادر على تعجيل العقاب فاحذروا معاجلته بالهلاك في الدنيا

﴿وانه لغفور رحيم﴾ قَابِلٌ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْعِقَابِ وَالْغَفَرَانِ وَلَمْ يُقَابَلْ بِالثَّوَابِ لِأَن ذَٰلِكَ أَدْعَى إِلَى الْإِقْلَاعِ عَمَّا يُوجِبُ الْعِقَابَ لِأَنَّهُ لَوْ ذَكَرَ الثَّوَابَ لَجَازَ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ عَصِيَانٌ وَقِيلَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ افْتَتَحَ السُّورَةَ بِالْحَمْدِ عَلَى نِعْمِهِ تَعْلِيمًا وَخَتَمَهَا بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِيَحْمَدَ عَلَى ذَٰلِكَ .



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



هي مكية وقد روي عن قتادة والضحاك أنها مكية غير قوله ﴿وَاسْتَلْهِمْ عَنْ الْقَرْيَةِ﴾ إلى قوله ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فإنها نزلت بالمدينة [عدد آياتها مائتان وست آيات حجازي كوفي وخمس بصري شامي .

[اختلافها] خمس آيات المص ويدأكم تعودون كوفي مخلصين له الدين بصري شامي ضعفا من النار والحسن على بني إسرائيل حجازي .

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة وروى العياشي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الأعراف في كل شهر كان يوم القيامة من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فإن قرأها في كل يوم جمعة كان ممن لا يحاسب يوم القيامة قال أبو عبد الله (ع) أما إن فيها آياتاً محكمة فلا تدعوا قراءتها وتلاوتها والقيام بها فإنها تشهد يوم القيامة لمن قرأها عند ربه .

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة الأنعام بالرحمة افتتح هذه السورة بأنه أنزل كتاباً فيه معالم الدين والحكمة فقال .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَصَّ﴾ ١ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ
لِتُنذِرَ بِهِ ۚ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ أَتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّنْ

رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر يتذكرون بياء وتاء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر تذكرون خفيفة الذال وقرأ الباقون تذكرون بتشديد الذال والكاف .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ تذكرون مشددة أراد تتذكرون فأدغم التاء في الذال وإدغامها فيها حسن لأن التاء مهموسة والذال مجهورة والمجهور أزيد صوتاً وأقوى من المهموس فحسن ادغام الأنقص في الأزيد ولا يسوغ ادغام الأزيد في الأنقص ما في قوله ما تذكرون موصولة بالفعل وهي معه منزلة المصدر والمعنى قليلاً تذكركم ولا ذكر في الصلة يعود إليها كما لا يكون في صلة أن ذكر ومن قرأ تذكرون فإنه حذف التاء التي أدغمها من شدد الذال وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة ويقوي ذلك قولهم استطاع يستطيع فحذفوا أحد الثلاثة المتقاربة ومن قرأ يتذكرون بياء وتاء فوجهه أنه مخاطبة النبي ﷺ أي قليلاً ما يتذكر هؤلاء .

[اللغة] قد تقدم ذكر الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة وذكرنا الأقوال في معانيها وأعرابها فلا معنى لإعادتها وبيننا أن حروف الهجاء توصل على نية الوقف فرقاً بينها وبين ما يوصل للمعاني فعلى هذا متى سميت رجلاً بالمص وجبت الحكاية وإن سميته بصاد أو قاف لم يجب ذلك لأن صاد وقاف لهما نظير في الأسماء المفردة مثل باب ونار وليس كذلك المص لأنه بمنزلة الجملة إذ ليس له نظير في المفرد وإنما عدّ الكوفيون المص آية ولم يعدوا صاد لأن المص بمنزلة الجملة مع أن آخره على ثلاثة أحرف بمنزلة المردف فلما اجتمع هذان السببان وكل واحد منهما يقتضي عدّه عدوه ولم يعدوا المر لأن آخره لا يشبه المردف ولم يعدوا صاد لأنه بمنزلة اسم مفرد وكذلك قاف ونون ومن قال إن هذه الحروف في أوائل السور أسماء للسور فعلى قوله إنما سميت بها ولم تسم بالأسماء المنقولة لأنها تتضمن معاني آخر مضافة إلى التسمية وهو أنها فاتحة لما هو منها وانها فاصلة بينها وبين ما قبلها ولأنه يأتي من التأليف بعدها ما هو معجز مع أنه تأليف كتأليفها فهذه المعاني من أسرارها والذكرى مصدر ذكر يُذكر تذكيراً فهي اسم للتذكير وفيه مبالغة ومثله الرجعى .

[الإعراب] قال الزجاج أجمع النحويون على أن قوله كتاب أنزل إليك مرفوع بغير

هذه الحروف فالمعنى هذا كتاب أنزل إليك ومن قال ان كتاب يرتفع بالمص وتقديره المص حروف كتاب يلزمه اضممار شيئين فيكون المعنى المص بعض حروف كتاب أنزل إليك فيكون قد أضمم المضاف وما أضيف إليه وهذا ليس بجائز فإن قال قائل قد يقول اب ت ث ثمانية وعشرون حرفاً وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك قيل قد صار اسم هذه الحروف كلها أ ب ت ث كما أنك تقول الحمد سبع آيات فالحمد اسم لجمله السورة وليس اسم الكتاب ألم ولا اسم القرآن طسم وهذا فرق بين قال والذي اخترناه في تفسير المص قول ابن عباس ان المص أنا الله أعلم وأفضل فيكون يرتفع بعض هذه الحروف ببعض والجمله لا موضع لها وقوله فلا يكن في صدرك حرج دخول الفاء فيه يحتمل وجهين (أحدهما) ان تكون عاطفة جملة على جملة وتقديره هذا كتاب أنزلناه إليك فلا يكن بعد إنزاله في صدرك حرج والآخر أن يكون جواباً وتقديره إذا كان أنزل إليك الكتاب لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه فيكون محمولاً على معنى إذا، وذكرى قال الزجاج يصلح أن يكون في موضع نصب ورفع وخفض فالنصب على قوله أنزل إليك لتنذر به ولتذكر به ذكرى لأن في الانذار معنى التذكير وهذا كما يقال جئتكم للإحسان وشوقاً إليكم فيكون مفعولاً له وأما الرفع فعلى تقدير وهو ذكرى وأما الخفض فعلى معنى لتنذر فإن معنى لتنذر لأن تنذر فيكون تقديره للإنذار وللتذكرى قال علي بن عيسى وهذا الوجه ضعيف لأنه لا يجوز أن يحمل الجر على التأويل كما لا يجوز مررت به وزيد.

[المعنى] ﴿المص﴾ مضى تفسيره وما قيل فيه ﴿كتاب أنزل إليك﴾ أي هذا الذي أوحيته إليك كتاب أنزل إليك أي أنزله الملائكة إليك بأمر الله تعالى ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ ذكر في معناه أقوال (أحدها) ما ذكره الحسن ان معنى الحرج الضيق فمعناه ولا يضيّق صدرك لتشعب الفكر خوفاً من أن لا تقوم بتبليغ ما أنزل إليك حق القيام فليس عليك أكثر من الانذار (وثانيها) ان معنى الحرج الشك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي فمعناه فلا يكن في صدرك شك فيما يلزمك من القيام بحقه وإنما أنزل إليك لتنذر به (وثالثها) إن معناه فلا يضيّق صدرك من قومك أن يكذبوك ويجهوك بالسوء^(١) فيما أنزل إليك كما قال سبحانه فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً عن الفراء وقد روي في الخبر ان الله تعالى لما نزل القرآن إلى رسول الله ﷺ قال إني أخشى أن

(١) جبهه نكس رأسه .

يكذبني الناس ويثلغوا رأسي^(١) فيتركوه كالخبزة فأزال الله الخوف عنه بهذه الآية وقوله ﴿لَتَنْذِرْ بِهِ﴾ أي بالقرآن قال الفراء والزجاج وأكثر العلماء أنه على التقديم والتأخير وتقديره كتاب أنزل إليك لتنذر به ﴿وَذَكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فلا يكن في صدرك حرج منه وقال آخرون هو متصل بقوله فلا يكن في صدرك حرج منه « لتنذر به » أي كن على انشراح صدر بالانذار ومعناه التخوف بوعده ووعيده وأمثاله وأمره ونهيهِ وليذكروا بما فيه وإنما خص المؤمنين لأنهم المتفهمون به ثم خاطب الله سبحانه المكلفين فقال ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ويحتمل أن يكون المراد قل لهم يا محمد اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم لأنه قال قبل لتنذر به والاتباع تصرف الثاني بتصرف الأول وتدبره بتدبيره فالأول إمام والثاني مؤتم ووجوب الاتباع فيما أنزل الله تعالى يدخل فيه الواجب والندب والمباح لأنه يجب أن يعتقد في كل منها ما أمر الله سبحانه به كما يجب أن يعتقد في الحرام وجوب اجتنابه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي ولا تتخذوا غيره أولياء تطيعونهم في معصية الله لأن من لا يتبع القرآن صار متبعاً لغير الله من الشيطان والأوثان فأمر سبحانه باتباع القرآن ونهى عن اتباع الشيطان ليعلموا أن اتباع القرآن اتباع له سبحانه ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي قليلاً ما معشر المشركين تذكركم واتعاطكم وهذا استبطاء في التذكر وخرج مخرج الخیر والمراد به الأمر فمعناه تذكروا كثيراً ما يلزمكم من أمر دينكم وما أوجبه الله عليكم ومعنى التذكر أن يأخذ في الذكر شيئاً بعد شيء مثل التفقه والتعلم .

﴿ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝١١﴾

فَإِنْ كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝١٢﴾

[الإعراب] كم لفظة موضوعة للتكثير ورب للتقليل وإنما كان كذلك لأن رب حرف وكم اسم والتقليل ضرب من النفي وكم يدخل في الخبر بمعنى التكثير فأما في الاستفهام فلا لأن الاستفهام موكول إلى بيان المجيب وإنما دخلها التكثير لأن استفهام العدد عن أن يظهر أو يضبط إنما يكون لكثرتة في غالب الأمر وكم مبهمة قال الفرزدق :

(٢) ثلغ رأسه : خدشه .

كَمْ عَمَةٍ لَكَ يَا جَرِيرٌ وَخَالَةٍ فَذُغَاءٌ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي^(١)

فدل بكم على كثرة العمام والخالات وموضع كم في الآية رفع بالابتداء وخبرها أهلكناها ولو جعلتها في موضع نصب جاز كما تقول في قوله سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ والاول أجود وقيل في دخول الفاء في قوله ﴿فجاءها بأسنا بيّاتاً﴾ مع أن الفاء للتعقيب أقوال (أحدها) أهلكناها في حكمنا فجاءها بأسنا (والثاني) أهلكناها بإرسال ملائكة العذاب إليها فجاءها بأسنا (والثالث) أنه مثل زرتني فأكرمتني فإن نفس الإكرام هي الزيارة قال علي بن عيسى وليس هذا مثل ذلك لأن هذا إنما جاز لأنه قصد الزيارة ثم الإكرام بها (والرابع) أهلكناها فصح أنه جاءها بأسنا وقال الفراء ان الفاء هاهنا بمعنى الواو ورُدَّ عليه علي بن عيسى بأنه نقل حرف عن معناه بغير دليل وذلك لا يجوز وقوله ﴿أو هم قائلون﴾ قال الفراء واو الحال مقدرة فيه وتقديره أو هم قائلون وإنما حذف استخفافاً قال الزجاج وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو ولو قلت جاءني زيد راجلاً أو فهو فارس أو جاءني زيد هو فارس لم يحتاج إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول ومعنى بيّاتاً أي ليلاً يقال بات بيّاتاً حسناً وبيّتة حسنة والمصدر في الأصل بات بيّتاً وإنما سمي البيت بيّتاً لأنه يصلح للمبيت فمعنى أو هم قائلون أي أو جاءهم بأسنا نهراً في وقت القائلة فأوردت هاهنا على جهة تصرف الشيء ووقوعه^(٢) وأما مرة كذا فهي في الخبر هاهنا بمنزلة أو في الإباحة إذا قلت جالس الحسن وابن سيرين أي كل واحد منهما أهل أن يجالس وأو هاهنا أحسن من الواو لأن الواو يتضمن اجتماع الشئين لو قلت ضربت القوم قياماً وقعوداً لأوجبت الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين ولو قلت ضربتهم قياماً أو ضربتهم قعوداً ولم تكن شاكاً فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال ومرة على هذه الحال وأقول أن الأولى أن يكون بيّاتاً مصدراً وضع موضع الحال فيكون بمعنى بائتين أو قائلين فيكون حالاً عن الهاء والميم في جاءهم وموضع أن قالوا الاختيار أن يكون رفعاً وأن يكون دعواهم في موضع نصب كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا ويجوز أن يكون في موضع نصب ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في موضع رفع فالأكثر في اللفظ فما كانت دعواهم كذا لأن الدعوى

(١) الفذع : اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى ينقلب الكف أو القدم إلى أنسيها . العشار جمع عشاراء الناقة التي أنت عليها من يوم أرسل عليها الفحل عشرة أشهر .

(٢) [أما مرة كذا] :

مؤنثة وهي اسم لما تدعيه وتصلح أن تكون بمعنى الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين وانشد (وَلَّتْ وَدَعَاوَاهَا كَثِيرٌ صَخْبُهُ) أي دعاؤها^(١) .

[المعنى] لما تقدم الأمر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته والتذكير عقب ذلك تذكيرهم ما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم أن ينزل بهم ما نزل بأولئك فقال ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أي من أهل قرية فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بعذاب الاستئصال ﴿فَجَاءَهَا بِأَسْنَا﴾ أي عذابنا ﴿بَيَّاتًا﴾ بالليل ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ أي في وقت القيلولة وهي نصف النهار وأصله الراحة ومنه الإقالة في البيع لأنه الراحة منه بالإعفاء من عقده والأخذ بالشدة في وقت الراحة أعظم في العقوبة فلذلك خص الوقتين بالذكر ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا﴾ أي لم يكن دعاء هؤلاء الذين أهلكناهم عقوبة لهم على معاصيهم وكفرهم في الوقت الذي جاءهم شدة عذابنا ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ يعني اعترافهم بذلك على نفوسهم وإقرارهم به وهذا القول كان منهم عند معاينة البأس واليقين بأنه ينزل بهم ويجوز أن يكونوا قالوه حين لا يسهم طرف منه ولم يهلكوا بعد وفي هذا دلالة على أن الاعتراف والتوبة عند معاينة البأس لا ينفع .

﴿ فَلَنَنْسَأَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَايَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

[اللغة] السؤال طلب الجواب بأدائه في الكلام كما أن الاستخبار طلب الخبر بأدائه في الكلام والقصص ما يتلو بعضه بعضاً ومنه المقصص^(٢) لأن قطعه يتلو بعضه بعضاً ومنه القصة من الشعر والقصة من الكتاب ومنه القصاص لأنه يتلو الجنابة في الاستحقاق ومنه المقاصة في الحق لأنه يسقط ماله قصاصاً بما عليه والوزن في اللغة هو مقابلة أحد الشيتين

(٢) المقصص : المقراض .

(١) الصخب : شدة الصوت .

بالآخر حتى يظهر مقداره وقد استعمل في غير ذلك تشبيهاً به فمنها وزن الشعر بالعروض ومنها قولهم فلان يزن كلامه وزناً قال الأخطل

وَإِذَا وَضَعْتَ أَبَاكَ فِي مِيزَانِهِمْ رُجِحُوا وَشَالَ أَبُوكَ فِي الْمِيزَانِ^(١)

والحق وضع الشيء موضعه على وجه تقتضيه الحكمة وقد استعمل مصدراً على هذا المعنى وصفة كما جرى ذلك في العدل قال الله سبحانه ذلك بأن الله هو الحق فجرى على طريق الوصف والثقل عبارة عن الاعتماد اللازم سفلًا وتقيضه الخفة وهي الاعتماد اللازم علواً .

[الإعراب] الفاء في قوله فلنسألن عاطفة جملة على جملة وإنما دخلت الفاء وهي موجبة للتعقيب مع تراخي ما بين الأول والثاني وذلك يليق بثم لتقريب ما بينهما كما قال سبحانه اقتربت الساعة وقال وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب وقال أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وإذا طرف المفاجأة بينهما^(٢) بعد « يومئذ » يجوز فيه الإعراب والبناء لأن اضافته إلى مبني إضافة غير محضة تقربه من الأسماء المركبة و اضافته إلى الجملة تقربه من الإضافة الحقيقية وتؤن لأنه قد قطع عن الإضافة إذ من شأن التنوين أن يعاقب الإضافة .

[المعنى] ولما أُنذِرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا عقبه بالإنذار بعذاب الآخرة فقال ﴿ فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ﴾ أقسم الله سبحانه أنه يسأل الملكفين الذين أرسل إليهم رسله وأقسم أيضاً أنه يسأل المرسلين الذين بعثهم فيسأل هؤلاء عن الإبلاغ ويسأل أولئك عن الامتثال وهو تعالى وإن كان عالماً بما كان منهم فإنما أخرج الكلام مخرج التهديد والزجر ليتأهب العباد بحسن الاستعداد لذلك السؤال وقيل أنه يسأل الأمم عن الإجابة ويسأل الرسل ماذا عملت أممهم فيما جاؤوا به وقيل إن الأمم يسألون سؤال توبيخ والأنبياء يسألون سؤال شهادة على الحق عن الحسن وأما فائدة السؤال فأشياء منها أن يعلم الخلائق أنه سبحانه أرسل الرسل وأزاح العلة وأنه لا يظلم أحداً ومنها أن يعلموا أن الكفار استحقوا العذاب بأفعالهم ومنها أن يزداد سرور أهل الإيمان بالثناء الجميل عليهم ويزداد غم

(١) شال ميزان فلان : غلب في المفاخرة .

(٢) أي بين الجمائين أعنى خلقه من النطفة وصيرورته خصماً .

الكفار بما يظهر من أفعالهم القبيحة ومنها أن ذلك لطف للمكلفين إذا أخبروا به ومما يسأل على هذا أن يقال كيف يجمع بين قوله تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴿وقوله﴾ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ فَوْرُبَكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ والجواب عنه من وجوه (أحدها) أنه سبحانه نفى أن يسألهم سؤال استرشاد واستعلام وإنما يسألهم سؤال تبييت وتقريع ولذلك قال عقيبه يعرف المجرمون بسيماهم وسؤال الاستعلام مثل قولك أين زيد ومن عندك وهذا لا يجوز على الله سبحانه وسؤال التوبيخ والتقريع كمن يقول ألم أحسن إليك فكفرت نعمتي ومنه قوله ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألم تكن آياتي تتلى عليكم وكقول الشاعر (أطرباً وأنت قنصري) أي كبير السن وهذا توبيخ منه لنفسه أي كيف أطرب مع الكبر والشيب وقد يكون السؤال للتقريع كقول الشاعر

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَسَدَى الْعَالَمِينَ بَطُونٌ رَاحٌ^(١)

أي أنتم كذلك وفي ضده قوله «وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر»^(٢) أي لا يصلح وأما سؤال المرسلين فليس بتقريع ولا توبيخ لهم ولكنه توبيخ للكفار وتقريع لهم (وثانيها) أنهم إنما يسألون يوم القيامة كما قال وقوفهم انهم مسؤولون ثم تنقطع مسألتهم عند حصولهم في العقوبة وعند دخولهم النار فلا تنافي بين الخبرين بل هو إثبات للسؤال في وقت ونفي له في وقت آخر (وثالثها) أن في القيامة مواقف ففي بعضها يسأل وفي بعضها لا يسأل فلا تضاد بين الآيات وأما الجمع بين قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله ﴿وَأَقْبَلْ بِبَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ فهو أن الأول معناه لا يسأل بعضهم بعضاً سؤال استخبار عن الحال التي جهلها بعضهم لتشاغلهم عن ذلك ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه والثاني معناه يسأل بعضهم بعضاً سؤال تلاوم وتوبيخ كما قال في موضع آخر يتلاومون وكقوله ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى﴾ الآية ومثل ذلك كثير في القرآن ثم بين سبحانه ما ذكرناه من أنه لا يسألهم سؤال استعلام بقوله ﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ﴾ أي لنخبرنهم بجميع أفعالهم ليعلموا أن أعمالهم كانت محفوظة وليعلم كل منهم جزاء عمله وأنه لا ظلم عليه وليظهر لأهل الموقف أحوالهم ﴿بَعْلَمُ﴾ قيل معناه نقص عليهم أعمالهم بأننا عالمون بها وقيل معناه بمعلوم كما قال

(١) المطايا جمع المطية: الدابة. الأندى أفعل التفضيل من الندى وهو الجود الراح جمع الراحة: الكف.

(٢) أوله «تروح إلى العطار تبغي شبابها».

ولا يحيطون بشيء من علمه أي من معلومه وقال ابن عباس معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن علم ذلك وقيل عن الرسل فيما بلغوا وعن الأمم فيما أجابوا وذكر ذلك مؤكداً لعلمه بأحوالهم والمعنى انه لا يخفى عليه شيء ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقِّ﴾ ذكر فيه أقوال (أحدها) ان الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد عن مجاهد والضحاك وهو قول البلخي (وثانيها) ان الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات عن ابن عباس والحسن وبه قال الجبائي ثم اختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال اعراض لا يجوز عليها الإعادة ولا يكون لها وزن ولا تقوم بأنفسها فقليل توزن صحائف الأعمال عن عبد الله بن عمر وجماعة وقيل يظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فيراها الناس عن الجبائي وقيل يظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة عن ابن عباس وقيل توزن نفس المؤمن والكافر عن عبيد بن عمير قال يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة (وثالثها) ان الميزان بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر عن أبي مسلم وأحسن الأقوال القول الأول وبعده الثاني وانما قلنا ذلك لأنه اشتهر من العرب قولهم كلام فلان موزون وأفعاله موزونة يريدون بذلك انها واقعة بحسب الحاجة لا تكون ناقصة عنها ولا زائدة عليها زيادة مضرّة أو داخلية في باب العبث قال مالك ابن اسماء الفزاري :

وَحَدِيثُ اللَّهِ هُوَ مِمَّا يَنْبَغُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْنًا
مَنْطِقُ ضَائِبٍ وَيَسْلَحُنْ أَحْسِبَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

أي يعرض في الكلام ولا يصرح به وقيل أنه من اللحن الذي هو سرعة الفهم والفظنة وعلى هذا فيكون معنى الوزن أنه قام في النفس مساوياً لغيره كما يقوم الوزن في مرآة العين كذلك وأما حسن القول الثاني فلمراعاة الخبر الوارد فيه والجري على ظاهره ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ إنما جمع الموازين لأنه يجوز أن يكون لكل نوع من أنواع الطاعات يوم القيامة ميزان ويجوز أن يكون كل ميزان صنفاً من أصناف أعماله ويؤيد هذا ما جاء في الخبر أن الصلاة ميزان فمن وفى استوفى ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون بشواب الله ﴿وَمَنْ

خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿١٠٠﴾ بَأْنِ اسْتَحَقُّوا عَذَابَ الْآبِدِ ﴿١٠١﴾ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ أَيُّ بَعْجُودِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ آيَاتِنَا وَحُجَّتِنَا وَالْخُسْرَانِ ذَهَابِ رَأْسِ الْمَالِ وَمِنْ أَعْظَمِ رَأْسِ الْمَالِ النَّفْسُ فَإِذَا أَهْلَكَ نَفْسُهُ بِسُوءِ عَمَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ نَفْسَهُ .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِلْآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٠٤﴾

[القراءة] قرأ كلُّ القراء معايش بغير همز وروى بعضهم عن نافع معاش ممدوداً مهموزاً .



[الحجة] قال أبو علي معايش جمع معيشة واعتلَّ معيشة لأنه على وزن يعيش وزيادته زيادة تختصُّ الاسم دون الفعل فلم يحتج إلى الفصل بين الاسم والفعل كما احتج إليه فيما كانت زيادته مشتركة نحو الهمزة في أخاف وهو أخوف منك وموافقة الاسم لبناء الفعل توجب في الاسم الاعتلال ألا ترى أنهم اعلَّوا باباً وناباً ويوم راح لما كان على وزن الفعل وصَحَّحُوا نحو جَوْلَ وَغَيَّةَ وَلُؤْمَةً لما لم تكن على مثال الفعل فمعيشة موافقة للفعل في البناء ألا ترى أنه مثل يعيش في الزنة وتكسيروها يزيل مشابهته في البناء فقد علمت بذلك زوال المعنى الموجب للاعلال في الواحد في الجمع فلزم التصحيح في التكسير لزوال المشابهة في اللفظ ولأن التكسير معنى لا يكون في الفعل إنما يختص به الاسم وإذا كانوا قد صَحَّحُوا نحو الجَوْلان والهيَّمان مع قيام بناء الفعل فيه لما لحقه من الزيادة التي يختص بها الاسم فتصحيح قولهم معايش الذي قد زال مشابهة الفعل عنه في اللفظ والمعنى لا اشكال فيه وفي وجوب العدل عن اعلاله ومن أعلَّ فهمز فمجازاه على وجه اللفظ وهو أن معيشة على وزن مصيية فتوهمها فعيلة فهمزها كما همز مصائب ومثل ذلك مما يحمل على الغلط قولهم في جمع مسيل امسلة فتوهموه فعيلة وإنما هو مفعلة وذكر المحققون أن الهمزة في هذه الياء إنما تكون إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف وإنما يهمل الياء الزائدة لأنه لا حظُّ لها في الحركة وقد قربت من آخر الكلمة ولزمتها الحركة فأوجبوا فيها الهمزة وإذا جمعت مقاماً قلت

مقاوم وانشدوا :

وَإِنِّي لَقَوَّامٌ مَّقَاوِمَ لَيْمٍ يَكُونُ جَرِيرٌ وَلَا مَسْوُلِي جَرِيرٍ يَقُومُهَا

[اللغة] التمكين اعطاء ما يصح به الفعل مع رفع المنع لأن الفعل كما يحتاج إلى القدرة فقد يحتاج إلى آلة وإلى دلالة وإلى سبب ويحتاج إلى ارتفاع المنع فالتمكين عبارة عن جميع ذلك والجعل إيجاد ما به يكون الشيء على خلاف ما كان عليه مثل ان تقول جعلت الساكن متحركاً لأنك فعلت فيه الحركة ونظيره التصيير وجعل الشيء أعم من حدوثه لأنه قد يكون بحدوث غيره مما يتغير به والمعيشة ما يكون وصلة إلى ما فيه الحياة من جهة المطعم والمشرب والملبس، والخلق احداث الشيء على تقدير تقتضيه الحكمة والتصوير جعل الشيء على صورة من الصور والصورة بنية مقومة على هيئة ظاهرة والسجود أصله الانخفاض وحقيقته وضع الجبهة على الأرض .

[الإعراب] قليلاً نصب يتشكرون وتقديره تشكرون قليلاً وما زائدة ويجوز أن يكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر فيكون تقديره قليلاً شكركم .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الأرض وما خلق فيها من الأرزاق مضافة إلى نعمه السابعة عليهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل فقال ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي مكناكم من التصرف فيها وملكناكموها وجعلناها لكم قراراً ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ أي ما تعيشون به من أنواع الرزق ووجوه النعم والمنافع وقيل يريد المكاسب والاقدار عليها بالعلم والقدرة والآلات ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي ثم أنتم مع هذه النعم التي أنعمناها عليكم لتشكروا قد قل شكركم ثم ذكر سبحانه نعمته في ابتداء الخلق فقال ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ قال الأخفش ثم هاهنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه إنما ثم للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء الخلق أولاً فالمراد أنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه فابتداء خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك فهذا معنى خلقناكم ثم صورناكم ﴿ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ بعد الفراغ من خلق آدم فثم إنما هو لما بعد وهذا مروي عن الحسن ومن كلام العرب فعلنا بكم كذا وكذا وهم يعنون أسلافهم وفي التنزيل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي ميثاق أسلافكم وقد قيل في ذلك

أقوال آخر منها أن معناه خلقنا آدم ثم صورناكم في ظهره ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم عن ابن عباس ومجاهد والربيع وقتادة والسدي ومنها ان الترتيب وقع في الاخبار فكأنه قال خلقناكم ثم صورناكم ثم أنا نخبركم إنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم كما يقول القائل أنا راجل ثم أنا مسرع وهذا قول جماعة من النحويين منهم علي بن عيسى والقاضي أبو سعيد السيرافي وغيرهما وعلى هذا فقد قيل إن المعنى خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء عن عكرمة وقيل خلقناكم في الرحم ثم صورناكم بشق السمع والبصر وسائر الأعضاء عن يمان وقول الشاعر :

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ مِنْ خَيْرِهَا أَبَا ثُمَّ أَمَّا فَقَالَتْ لِيْهِ

فمعناه لتجيب أولاً عن الأب ثم الأم وقوله ﴿فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ قد مضى الكلام فيه في سورة البقرة .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝١٣﴾

[اللغة] الصاغر الذليل بصغر القدر يقال صَغِرَ يَصْغُرُ صَغَرًا وَصَغَارًا فهو صاغر إذا رضي بالضم ومن الصغر ضد الكبر صَغُرَ يَصْغُرُ قال ابن السكيت يقال فلان صَغُرَ وَلَدُ أَبِيهِ أي أصغرهم .

[الإعراب] ما في قوله ما منعك مرفوع الموضع والمعنى أي شيء منعك ولا ملغى في قوله إلا تسجد المعنى ما منعك ان تسجد ومثله قوله سبحانه لئلا يعلم ومعناه لأن يعلم وقال الشاعر :

أَبِي جُودُهُ لَا الْبُخْلَ وَاسْتَعْجَلْتُ بِهِ نَعَمْ مِنْ قَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودُ قَاتِلَهُ (١)

قالوا معناه أبي جوده البخل وقال أبو عمرو بن العلاء الرواية أبي جوده لا البخل بالجر

(١) مضى البيت في صفحة ٥٤٠ .

والمعنى أبى جوده لا التي تبخل الإنسان قال الزجاج وروي فيه وجهاً آخر حسناً وهو أن يكون لا غير لغو ويكون البخل منصوباً بدلاً من لا والمعنى أبى جوده لا التي هي البخل فكأنه قال أبى جوده البخل وقد قيل إنما دخل لا في قوله إلا تسجد لأن معناه ما دعاك إلى أن لا تسجد أو ما أحوجك إلى أن لا تسجد .

[المعنى] ثم حكى سبحانه خطابه لإبليس حين امتنع من السجود لأدم بقوله ﴿ قال ﴾ أي قال الله تعالى ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ أي ما دعاك إلى أن لا تسجد وما اضطررك إليه أو ما منعك أن تسجد ﴿ إذ امرتك ﴾ بالسجود لأدم ﴿ قال ﴾ إبليس ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ وهذا الجواب غير مطابق لأنه كان يجب أن يقول معنى كذا لأن قوله أنا خير منه جواب لمن يقول أيكما خير ولكن فيه معنى الجواب ويجري ذلك مجرى أن يقول القائل لغيره كيف كنت فيقول أنا صالح وكان يجب أن يقول كنت صالحاً لكنه جاز ذلك لأنه أفاد أنه صالح في الحال مع أنه كان صالحاً فيما مضى قال ابن عباس أول من قاس إبليس فأخطأ القياس فمن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بإبليس وقال ابن سيرين أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ووجه دخول الشبهة على إبليس أنه ظن أن النار إذا كانت أشرف من الطين لم يجز أن يسجد للأشرف للأدون وهذا خطأ لأن ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد وقد قيل أيضاً أن الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق وفيها معاشهم ومنها يخرج أنواع ارزاقهم والخيرية إنما يراد بها كثرة المنافع دون كثرة الثواب لأن الثواب لا يكون إلا للمكلف المأمور دون الجماد ﴿ قال ﴾ أي قال الله سبحانه لإبليس ﴿ فاهبط ﴾ أي انزل وانحدر ﴿ منها ﴾ أي من السماء عن الحسن وقيل من الجنة وقيل معناه انزل عما أنت عليه من الدرجة الرفيعة والمنزلة الشريفة التي هي درجة متبعي أمر الله سبحانه وحافظي حدوده إلى الدرجة الدنية التي هي درجة العاصين المضيعين أمر الله ﴿ فما يكون لك أن تتكبر ﴾ عن أمر الله ﴿ فيها ﴾ أي في الجنة أو في السماء فإنها ليست بموضع المتكبرين وإنما موضعهم النار كما قال ﴿ أليس في جهنم مثوى للمتكبرين فاخرج ﴾ من المكان الذي أنت فيه أو المنزلة التي أنت عليها ﴿ إنك من الصاغرين ﴾ أي من الأذلاء بالمعصية في الدنيا لأن العاصي ذليل عند من عصاه أو بالعذاب في الآخرة لأن المعذب ذليل وهذا الكلام إنما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة عن الجبائي وقيل إن إبليس رأى معجزة تدلُّه على أن ذلك كلام الله وقوله .

سبحانه فما يكون لك أن تتكبر فيها لا يدلُّ على أنه يجوز التكبر في غير الجنة فإن التكبر لا يجوز على حال لأنه اظهار كبر النفس على جميع الأشياء وهذا في صفة العباد ذمٌ وفي صفة الله سبحانه مدحٌ إلا أن إبليس تكبر على الله سبحانه في الجنة فأخرج منها قسراً ومن تكبر خارج الجنة منع من ذلك بالأمر والنهي .

﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي ﴾

إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا
أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَبْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ
أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾



[اللغة] الانظار والامهال والتأخير والتأجيل نظائر وبينها فروق وضد الامهال الاعجال والبعث الاطلاق في الأمر والانبعث الانطلاق والبعث والحشر والنشر والجمع نظائر .

[الإعراب] لاقعدن جواب للقسم والقسم محذوف لأن غرضه بالكلام التأكيد وهو ضدُّ قوله ﴿صَ وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ فإنه حذف الجواب هناك وبقي القسم لأن الغرض تعظيم المقسم به ونصب صراطك على الحذف دون الظرف وتقديره على صراطك كما قيل ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن قال الشاعر :

لَذَنْ بِهِزُ الْكَفِّ يَغْسَلُ مَتْنُهُ فِيهِ كَمَا غَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّغْلُبُ^(١)

وقال آخر :

كَأَنِّي إِذَا أَسْعَى لِأَظْفَرُ طَائِرًا مَعَ النُّجْمِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ^(٢)

أي لأظفر على طائر .

(١) اللدن : اللين من كل شيء . وغسل الرمح : اضطرب واشتد اهتزازاه ورمح عاسل : بهز لنا . يصف الشاعر رمحه .

(٢) الصوب : الميل والتزول .

[المعنى] ﴿قال﴾ يعني إبليس ﴿انظرنى﴾ أي امهلني وأخرني في الأجل ولا تمتني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ أي يبعث الخلق من قبورهم للجزاء وقيل معناه أنظرنى في الجزاء إلى يوم القيامة فكانه خاف أن يعاجله الله سبحانه بالعقوبة يدل عليه قوله إلى يوم يبعثون ولم يقل إلى يوم يموتون ومعلوم أن الله تعالى لا يُبقي أحداً حياً إلى يوم القيامة قال الكلبي أراد الخبيث أن لا يذوق الموت في النفخة الأولى مع من يموت فأجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم وهي النفخة الأولى ليدوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة وأما الوجه في مسألة إبليس الإنظار مع علمه بأنه مطرود ملعون فعلمه بأنه سبحانه يظهر إلى عباده بالنعم ويعمهم بالفضل والكرم فلم يصرفه ارتكابه المعصية عن المسألة والطمع في الإجابة ﴿قال﴾ أي قال الله سبحانه لإبليس ﴿إنك من المنظرين﴾ أي من المؤخرين ﴿قال﴾ إبليس لما لعنه الله وطرده ثم سأله الانظار فأجابه الله تعالى إلى شيء منه ﴿فبما اغويتني﴾ أي فبالذي أغويتني قيل في معناه أقوال (أحدها) ان معناه بما خيبتني من رحمتك وجنتك كما قال الشاعر:

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لَا يَغْدِمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَيُّمَا
أي مَنْ يَجِبُ (وثانيها) ان المراد امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده فلذلك قال اغويتني كما قال فزادتهم رجساً إلى رجسهم (وثالثها) ان معناه حكمت بغوايتي كما يقال أضللتني أي حكمت بضلالي عن ابن عباس وابن زيد (ورابعها) ان معناه أهلكتنى بلعنك أياي كما قال الشاعر:

مُعْطَفَةُ الْأَثْنَاءِ لَيْسَ فَصِيلُهَا بِرَازِيْهَا ذَرًّا وَلَا مَيِّتٌ غَوَى^(١)

أي ولا ميت هلاكاً بالقعود عن شرب اللبن ومنه قوله ﴿فسوف يلقون غياً﴾ أي هلاكاً وقالوا غوى الفصيل إذا فقد اللبن فمات والمصدر غوى مقصور (وخامسها) أن يكون الكلام على ظاهره من الغواية ولا يبعد أن يكون إبليس قد اعتقد أن الله تعالى يغوي الخلق بأن يضلهم ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشر ﴿لأقعدن﴾ أي لأجلسن ﴿لهم﴾ أي

(١) الأثناء جمع الثنى : الناقة التي ولدت بطنين ويقال لولدها أيضاً الثنى عطف الشيء : أماله . قوس معطفة منحنية قال في اللسان وربما عطفوا عدة زود على فصيل واحد فاحتلبوا البانهن على ذلك ليدرزن . الرزء : النقص والفقد . الدر : اللبن وقال فيه يصف قوساً يعني القوس سهماً رمى به عنها وهذا من اللغز .

لأولاد آدم ﴿صراطك المستقيم﴾ أي على طريقك المستوي وهو طريق الحق لأصدينهم عنه بالاغواء حتى أصرفهم إلى طريق الباطل كيداً لهم وعداوة وقول من قال انه لو كان ما يفعل به الإيمان هو بعينه ما يفعل به الكفر لكان قوله فيما أغويتني مساوياً لقوله فيما أصلحتني يفسد بأن صفة الآلة إذا وقع بها الكفر صفتها إذا وقع بها الإيمان وإن كانت الآلة واحدة كما أن السيف واحد ويصلح لأن يستعمل في قتل المؤمن كما يصلح أن يستعمل في قتل الكافر ولا يجب من ذلك أن تكون الصفتان واحدة من أجل أنه واحد فلا يمتنع أن يكون متى استعملت آلة الإيمان في الضلال والكفر تسمى اغواء وإن استعمل في الإيمان سميت هداية وإن كان ما يصح به الإيمان هو بعينه ما يصح به الكفر والضلال ﴿ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم﴾ قيل في ذلك أقوال (أحدها) ان المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن جريج وتلخيصه اني أزين لهم الدنيا وأخوفهم بالفقر وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وأثبطهم عن الحسنات وأشغلهم عنها وأحبب اليهم السيئات وأحثهم عليها قال ابن عباس وإنما لم يقل ومن فوقهم لأن فوقهم جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى ذلك ولم يقل من تحت أرجلهم لأن الاتيان منه موجب (وثانيها) ان معنى من بين أيديهم وعن أيمنهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون عن مجاهد (وثالثها) ما روي عن أبي جعفر (ع) قال ثم لا تينهم من بين أيديهم معناه أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم أمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم وعن أيمنهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة وعن شمائلهم بتحبيب اللذات اليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم وإنما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ هذا اخبار من ابليس ان الله تعالى لا يجد أكثر خلقه شاكرين وقيل انه يمكن أن يكون قد قال ذلك من أحد وجهين إما من جهة الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم وأما عن ظن منه كما قال سبحانه ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فإنه لما استنزل آدم ظن أن ذريته أيضاً سيجيئون لكونهم أضعف منه والقول الأول اختيار الجبائي والثاني عن الحسن وأبي مسلم .

﴿ قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ

تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَتَأَدَّمُ أَسْكُنُ
 أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
 الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ
 لَهُمَا مَا وَدَّ رِى عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ تِهِيمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ
 الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾
 وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الزهري مذووماً على تخفيف الهمزة وقرأ أبو جعفر وشيبة
 سواتهما بتشديد الواو وهو قراءة الحسن والزهري وقرأ ابن محيضر عن هذي الشجرة .

[الحجة] الوجه في تخفيف السوات أنه يحذف الهمزة ويلقي حركتها على الواو
 فيقال السوة ومنهم من يقول السوة وهو أزدأ اللعين وأما هذي الشجرة فإنه الأصل في الكلمة
 وإنما الهاء في ذه بدل من الياء في ذي وأما الياء اللاحقة بعد الهاء في هذه ونحوه فزائدة
 لحقت بعد الهاء تشبيهاً لها بهاء الاضممار في نحو مررت بهي .

[اللغة] الذام والذيم أشد العيب يقال ذامه يذامه ذاماً فهو مذووم وذامه يذيم ذيماً
 وذاماً فهو مذيوم قال الشاعر :

صَجِبْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَذِيمُهَا

وفي رواية الومها والدحر الدفع على وجه الهوان والإذلال دحره يدحره دحراً ودحوراً
 والوسوسة الدعاء الى أمر بصوت خفي كالهنيمة والخشخشة قال رؤية :

وَسَّوَسَ يَدْعُو مُخْلِصاً رَبُّ الْفَلَقِ سِرّاً وَقَدْ أُوْنَ تَأْوِينِ الْعُقُقِ (١)

(١) أُوْن الحمار إذا أكل وشرب وامتلاً بطنه وامتدت خاصرتاه فصار مثل الأون هو العبدل والخرج يجعل فيه الزاد
 والعقق بضمين - جمع العقوق : الحامل من البهائم يصف حماراً ورد الماء فشرب حتى امتلأت خواصره ، فصار
 الماء مثل الأونين إذا عدلاً على الدابة .

وقال الأعشى :

تَسْمَعُ لِلْحَلِيِّ وَشَوَاساً إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَفَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٍ زَجَلٌ^(١)

والابداء الالظهار وهو جعل الشيء على صفة ما يصح ان يدرك وضده الاخفاء وكل شيء ازيل عنه الساتر فقد ابدي والموارة جعل الشيء وراء ما يستره ومثله المساترة وضده المكاشفة ولم يهمز ووري لأن الثانية يده ولولا ذلك لوجب همز الواو المضمومة والسواة الفرج لأنه يسوء صاحبه اظهاره واصل القسم من القسمة قال أعشى بني ثعلبة .

رَضِيعِي لِبَانٍ ثُدِي أَمْ تَقَاسَمَا بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضٌ لَا تَتَفَرَّقُ^(٢)

والمقاسمة لا تكون الا بين اثنين والقسم كان من ابليس لا من آدم فهو من باب عاقبت اللص وطارت النعل وعافاه الله وقيل إن في جميع ذلك معنى المقابلة فالمعاقبة مقابلة بالجزاء وكذلك المعافاة مقابلة بالسلامة وكذلك المقاسمة مقابلة في المنازعة باليمين والنصح نقيض الغش يقال نصحته انصحته وهو اخلاص الفاعل ضميره فيما يظهر من عمله .

[الإعراب] لمن تبعك منهم لأملأن اللام الأولى لام الابتداء والثانية لام القسم ومن للشرط وهو في موضع رفع بالإبتداء ولا يجوز أن يكون هنا بمعنى الذي لأنها لا تقلب الماضي إلى الاستقبال وحذف الجزاء في قوله لمن تبعك لأن جواب القسم أولى بالذكر من حيث أنه في صدر الكلام ولو كان القسم في حشو الكلام لكان الجزاء أحق بالذكر من جواب القسم كقولك ان تأتني والله اكرمك ويجوز ان تقول والله لمن جاءك اضربه بمعنى لا اضربه ولم يجرز بمعنى لا اضربه كما يجوز والله اضرب زيدا لا اضرب ولا يجوز بمعنى لا ضربين لأن الإيجاب لا بد فيه من نون التأكيد مع اللام وإنما قال منكم على التغليب للخطاب على الغيبة والمعنى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم كما قاله في موضع آخر وقوله الآ ان تكونا تقديره الإكراهة ان تكونا ملكين فحذف المضاف فهو في موضع نصب بأنه مفعول له وقيل ان تقديره لأن لا تكونا ملكين فحذف لا والأول الصحيح وقوله اني لكما لمن الناصحين

(١) الوسواس : جرس الحللى . وإذا انصرفت أي إذا انقلبت إلى فراشها والمشرق : شجرة قدر ذراع لها أكام فيها حب

صغار إذا جفت صوتت بمر الريح . ونبات زجل أي للريح صوت في خلاله .

(٢) اللبان بالكسر : الرضاع أسحم داج : الليل المظلم . قوله عوض لا تنفرق أي لا تنفرق أبداً وفي اللسان في مادة لبن

و رضيعي لبان ثدي أم تحالفاه .

تقديره اني لكما ناصح ثم فسّر ذلك بقوله لمن الناصحين ولا يكون قوله لكما متعلقاً بالناصحين لأن ما في الصلة لا يجوز ان يتقدم على الموصول ومثله قوله وانا على ذلكم من الشاهدين تقديره وانا على ذلكم شاهد وبينه بقوله من الشاهدين .

[المعنى] ثم بين سبحانه ما فعله إبليس من الإهانة والاذلال وما اتاه آدم من الاكرام والاجلال بقوله ﴿ قال اخرج منها ﴾ أي من الجنة أو من السماء أو من المنزلة الرفيعة ﴿ مذموماً ﴾ أي مذموماً عن ابن زيد وقيل معيياً عن المبرد وقيل مُهاناً لعيناً عن ابن عباس وقتادة ﴿ مدحوراً ﴾ أي مطروداً عن مجاهد والسدي ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أي من بني آدم معناه من اطاعك واقتدى بك من بني آدم ﴿ لأملأن جهنم منكم ﴾ أي منك ومن ذريتك وكفار بني آدم ﴿ أجمعين ﴾ وإنما جمعهم في الخطاب لأنه لا يكون في جهنم إلا إبليس وحزبه من الشياطين وكفار الإنس وضلالهم الذين انقادوا له وتركوا أمر الله لأتباعه ﴿ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ هذا أمر بالسكنى دون التمكن وإنما لم يقل وزوجتك لأن الإضافة إليه قد اغنت عن ذكره وأبانت عن معناه فكان الحذف احسن لما فيه من الإيجاز من غير اخلال بالمعنى ﴿ فكلأ من حيث شئتما ﴾ أباح سبحانه لهما أن يأكلا من حيث شاءا وأين شاءا وما شاءا ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ بالأكل ﴿ فتكونا من الظالمين ﴾ أي من الباخرسين نفوسهم الثواب العظيم وقد مضى تفسير هذه الآية مشروحاً في سورة البقرة ﴿ فوسوس لهما ﴾ أي لآدم وحواء ﴿ الشيطان ﴾ الفرق بين وسوس إليه ووسوس له أن معنى وسوس إليه انهلقى إلى قلبه المعنى بصوت خفي ومعنى وسوس له أنه أوهمه النصيحة له في ذلك ﴿ ليندي لهما ﴾ أي ليظهر لهما ﴿ ما ووري ﴾ أي ستر ﴿ عنهما من سواتهما ﴾ أي عوراتهما وهذا الظاهر يوجب أن يكون إبليس علم أن من أكل من هذه الشجرة بدت عورته وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة فاحتال في اخراجهما منها بالوسوسة ﴿ وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة ﴾ أي عن أكل هذه الشجرة ﴿ إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ﴾ والمعنى أنه أوهمهما انهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتها إلى صورة الملك وأن الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبید حياتهما إذا أكلا منها وروي عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأ نلکین بكسر اللام قال الزجاج قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بدل على الملكين واحبسه قد قار به ويحتمل أن يكون المراد بقوله إلا أن تكونا ملكين أنه أوهمهما ان المنهي عن تناول الشجرة الملائكة خاصة والخالدين دونهما فيكون كما يقول احدنا لغيره ما نهيت

عن كذا إلا ان تكون فلاناً وإنما يريد أن المنهي إنما هو فلان دونك وهذا المعنى أؤكد في الشبهة واللبس عليهما ذكره المرتضى قدس الله روحه ﴿وقاسمهما﴾ أي وحلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما عن فتادة ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾ أي المخلصين النصيحة في دعائكما إلى التناول من هذه الشجرة ولذلك تأكدت الشبهة عندهما إذ ظنا أن أحداً لا يقدم على اليمين بالله تعالى إلا صادقاً فدعاهما ذلك إلى تناول الشجرة واستدل جماعة من المعتزلة بقوله إلا ان تكونا ملكين على ان الملائكة أفضل من الأنبياء قالوا لأن إبليس رغبهما بالتناول من الشجرة في منزلة الملائكة حتى تناولا ولا يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة دون منزلته فيحمله ذلك على معصية الله وأجاب عنه المرتضى بأن قال ما أنكرتم أن تكون الآية محمولة على الوجه الثاني الذي ذكرناه دون أن يكون معناها أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وإذا كانت الآية محتملة لما ذكروه وأيضاً فمما يرفع هذه الشبهة ان يقال ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وخلقتهم لما رغبهما إبليس في ذلك ولا تدل هذه الرغبة على ان الملائكة افضل منهما فإن الثواب إنما يستحق على الطاعات دون الصور والهيات ولا يمتنع ان يكونا رغبا في صور الملائكة وهيئاتها ولا يكون ذلك رغبة في الثواب ولا الفضل الا ترى انهما رغبا في أن يكونا من الخالدين وليس الخلود مما يقتضي مزية في الثواب ولا الفضل.

﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ

الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ

لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْبِطُوا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم تخرجون بفتح التاء هاهنا وفي الروم والزخرف والجاثية لا يخرجون منها بفتح الياء ووافقهم يعقوب وسهل هاهنا وابن ذكوان هاهنا وفي الزخرف وقرأ الباقر جميع ذلك بضم التاء والياء .

[المحجة] من قرأ بالفتح فحجته اتفاق الجميع في قوله إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون بفتح التاء وقوله إلى ربهم ينسلون يؤيده أيضاً قوله كما بدأكم تعودون ومن قرأ بالضم فحجته قوله ابعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً إنكم مخرجون وقوله كذلك نخرج الموتى .

[اللغة] دلاهما قبل أصله من تدلية الدلو وهو ان ترسلها في البشر والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش واصل الغرطي الثواب يقال اطوه على غره أي على كسر طيه فالغرور بمنزلته لما فيه من اظهار حال واخفاء حال وطفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل ومثله ظل يفعل وابتدأ يفعل واخذ يفعل والخصف أصله الضم والجمع ومنه خصف النعل والمخصف المثقب الذي يخصف به النعل ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله لكنه خاصف النعل في الحجرة يعني علماً (ع) والإخصاف سرعة العدو لانه يقطعه بسرعة والبعض هو أحد قسمي العدة فأخذ قسمي العشرة بعضها واحد قسمي الإثنين كذلك ولا بعض للواحد لانه لا ينقسم قال علي بن عيسى العدو هو الثاني بنصرته في وقت الحاجة إلى معونته والولي هو الداني بنصرته في وقت الحاجة اليها، والمستقر هو موضع الاستقرار وهو أيضاً الاستقرار بعينه لأن المصدر يجيء على وزن المفعول والمتاع الانتفاع بما فيه عاجل استلذاذ والحين الوقت قصيراً كان أو طويلاً إلا أنه استعمل هنا على طول الوقت وليس بأصل فيه .

[المعنى] ﴿فلما بهما بغرور﴾ أي أوقعهما في المكروه بأن غرهما بيمينه وقيل معناه دلاهما من الجنة إلى الأرض وقيل معناه خذلهما وخلّاهما من قولهم تدلى من الجبل أو السطح إذ انزل إلى جهة السفلى عن أبي عبيدة أي حطهما عن درجتهما بغروره ﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ أي ابتداء بالأكل ونالا منها شيئاً يسيراً ولذلك أتى بلفظة ذاقا عبارة عن انهما تناولا شيئاً قليلاً من ثمرة الشجرة على خوف شديد لأن الذوق ابتداء الأكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على ان ذوق الشيء المحرم يوجب الدم فكيف استيفاءه وقضاء الوطر منه ﴿بدت لهما سواتهما﴾ أي ظهرت لهما عوراتهما ظهر لكل واحد منهما عورة صاحبه قال

الكلبي فلما اكلا منها تهافت^(١) لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سوءة صاحبه فاستحيا ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ أي أخذوا يجعلان ورقة على ورقة ليسترأ سواتهما عن الزجاج وقيل معناه جعلاً يرقعان ويصلان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب عن قتادة وهذا إنما كان لأن المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلى الأرض لا على وجه العقوبة فإن الأنبياء لا يستحقون العقوبة وقد مضى الكلام فيه في سورة البقرة ﴿وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة﴾ أي من تلك الشجرة لكنه لما خاطب اثنين قال تلكما والكاف حرف الخطاب ﴿وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين﴾ ظاهر المعنى ﴿قالا﴾ أي قال آدم وحواء لما عاتبهما الله سبحانه ووبَّخهما على ارتكاب النهي عنه ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ ومعناه بخسناها الثواب بترك المندوب اليه فالظلم هو النقص ومن ذهب إلى انهم فعلاً صغيرة فإنه يحمل الظلم على تنقيص الثواب إذا كانت الصغيرة عنده تنقص من ثواب الطاعات فأما من قال ان الصغيرة تقع مكفرة من غير ان تنقص من ثواب فاعلمها شيئاً فلا يتصور هذا المعنى عنده ولا يثبت في الآية فائدة ولا خلاف أن حواء وآدم لم يستحقا العقاب وإنما قالوا ذلك لأن من جُلَّ في الدين قدمه كثر على يسير الزلل ندمه وقيل معناه ظلمنا أنفسنا بالتزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد ﴿وإن لم تغفر لنا﴾ معناه وإن لم تستر علينا لأن المغفرة هي الأستر على ما تقدم بيانه ﴿وترحمنا﴾ أي ولم تفضل علينا بنعمتك التي يتم بها ما فوتناه نفوسنا من الثواب وبضروب فضلك ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ أي من جملة من خسر ولم يربح والإنسان يصح أن يظلم نفسه بأن يدخل عليها ضرراً غير مستحق فلا يدفع عنها ضرراً أعظم منه ولا يجتلب به منفعة توفي عليه ولا يصح أن يكون معاقباً لنفسه ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ قد مر تفسيره في سورة البقرة ﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فيها تحيون﴾ أي في الأرض تعيشون ﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ عند البعث يوم القيامة قال الجبائي في الآية دلالة على أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض التي حيوا فيها بعد موتهم وانه يفنيها بعد أن يخرج العباد منها في يوم الحشر وإذا أراد افناءها زجرهم عنها زجرة فيصيرون إلى أرض أخرى يقال لها الشاهرة وتفنى هذه كما قال فإذا هم بالساهرة.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ

(١) تهافت : تساقط .

أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ
 خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَذْنِبْنِي ءَادَمَ لَا
 يَفْتِنَنَّكَ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
 لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَهُمَا ۖ إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا
 تَرَوْنَهُمْ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾
 وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر والكسائي ولباس بالنصب والباقون بالرفع .

[الحجة] قال أبو علي أما النصب فلأنه حمل على أنزل أي أنزلنا عليكم لباساً ولباس
 التقوى وقوله ذلك على هذا مبتدأ وخبره خير ومن رفع فقال ولباس التقوى قطع اللباس من
 الاول واستأنف به فجعله مبتدأ وذلك صفة أو بدل أو عطف بيان ومن قال إن ذلك لغولم يكن
 على قوله دلالة لأنه يجوز أن يكون على أحد ما ذكرنا وخير خير اللباس والمعنى لباس التقوى
 خير لصاحبه إذا اخذ به واقرب له إلى الله تعالى مما خلق له من اللباس والرياش الذي
 يتجمل به واضيف اللباس إلى التقوى كما اضيف في قوله فأذاقها الله لباس الجوع إلى
 الجوع والخوف .

[اللغة] اللباس كل ما يصلح للبس من ثوب أو غيره من نحو الدرع وما يغشى به
 البيت من نطع أو كسوة واصله المصدر تقول لبسه يلبسه ولباساً ولبساً بكسر اللام قال
 الشاعر .

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللَّبْسَ عَنْهُ مَسَحْنَهُ بِأَطْرَافِ طِفْلِ زَانَ غِيلاً مُوشِماً^(١)

(١) أطراف البدن . اليدان والرجلان . الطفل : الرخص الناعم من كل شيء قاله حميد بن ثور بصف فرساً خدمته
 الجواري .

والغيل الساعد الريان الممتلىء والريش والاثاث متاع البيت من فراش أو دثار وقيل الريش ما فيه الجمال ومنه ريش الطائر وقيل أنه المصدر من راشه يريشه ريشاً وانشد سيبويه .

رَيْشِي مِنْكُمْ وَهَوَايَ مِنْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامًا^(١)

قال الزجاج الريش كل ما يستر الرجل في جسمه ومعيشته يقال تريش فلان أي صار له ما يعيش به وتقول العرب اعطيته رجلاً بريشه أي بكسوته وقال أبو عبيدة الريش والرياش ما ظهر من اللباس والفتنة الابتلاء والامتحان يقال فتنت الذهب بالنار امتحنته وقلب فاتن أي مفتون قال الشاعر .

رَخِيمُ الْكَلَامِ قَطِيعُ الْقِيَامِ أَمْسَى فُؤَادِي بِهَا فَاتِنًا^(٢)

القبيل الجماعة من قبائل شتى فإذا كانوا من اب وام واحد فهم قبيلة .

[المعنى] لما ذكر سبحانه نعمته على بني آدم في تَبَوُّهُ الدار والمستقر عَقَبَهُ بذكر النعمة في الملابس والستر فقال ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ وهو خطاب عام لجميع اهل الازمنة من الملكفين كما يوصي الإنسان ولده ولده بيقوى الله ويحوز خطاب المعدوم إذا كان من المعلوم انه سيوجد ويتكامل فيه شروط التكليف ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ قيل أنه أنزل ذلك مع آدم وحواء حين أمرا بالانهباط عن الجبائي وهو الظاهر وقيل معناه انه ينبت بالمطر الذي ينزل من السماء عن الحسن وقيل لأن البركات ينسب إلى انها تأتي من السماء كقوله وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد عن علي بن عيسى وقيل معنى أنزلنا عليكم اعطيناكم ووهبنا لكم وكل ما اعطاه الله تعالى لعبده فقد أنزله عليه ليس ان هناك علواً وسفلاً ولكنه يجري مجرى التعظيم كما يقال رفعت حاجتي إلى فلان ورفعت قضيتي إلى الأمير عن أبي مسلم وقيل معناه خلقنا لكم كما قال وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد عن أبي علي الفارسي ﴿يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ﴾ أي يستر عوراتكم ﴿وَرِيشًا﴾ أي أثاثاً مما تحتاجون إليه وقيل مالا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل جمالاً عن ابن زيد وقيل خصياً ومعاشاً عن الأخفش وقيل خيراً وكل ما قاله المفسرون فإنه يدخل فيه إلا ان كلا منهم خص بعض الخير

(١) اللمام ككتاب يقال فلان يزور اماماً . أي في حين دون حين أو في كل أسبوع مرة .

(٢) رخييم الكلام أي رقيقه ولينه . قطيع القيام أي منقطع مقطوع القيام ضعفاً أو سماً .

بالذكر ﴿ولباس التقوى﴾ هو العمل الصالح عن ابن عباس وقيل هو الحياء الذي يكسيكم التقوى عن الحسن وقيل هو ثياب النسك والتواضع إذا اقتصر عليه كلباس الصوف والخشن من الثياب عن الجبائي وقيل هو لباس الحرب والدرع والمغفر والآلات التي يتقي بها من العدو عن زيد بن علي بن الحسين (ع) وأبي مسلم وقيل هو خشية الله تعالى عن عروة بن الزبير وقيل هو ستر العورة يتقي الله فيواري عورته عن ابن زيد وقيل هو الإيمان عن قتادة والسدي ولا مانع من حمل ذلك على الجميع ﴿ذلك خير﴾ أي لباس التقوى خير من جميع ما يلبس ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي ذلك الذي خلقه الله وانزله من حجج الله التي تدل على توحيده ﴿لعلهم يذكرون﴾ معناه لكي يتفكروا فيها فيؤمنوا بالله ويصيروا إلى طاعته ويتتبعوا عن معاصيه ثم خاطبهم سبحانه مرة أخرى فقال ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ أي لا يضلنكم عن الدين ولا يصرفنكم عن الحق بأن يدعوكم إلى المعاصي التي تميل إليها النفوس وإنما صح أن ينهي الإنسان بصيغة النهي للشيطان لأنه ابلغ في التحذير من حيث يقتضي أنه يطلبنا بالمكروه ويقصدنا بالعداوة فالنهي له يدخل فيه النهي لنا عن ترك التحذير منه ﴿كما اخرج أبويكم من الجنة﴾ نسب الأخراج إليه لما كان باغوائه وإن كان خروجهما بأمر الله تعالى وجرى ذلك مجرى ذمه لفرعون بأنه يذبح ابنائهم وإنما أمر بذلك وتحقيق الذم فيها راجع إلى فعل المذموم ولكنه يذكر بهذه الصفة لبيان منزلة فعله في عظم الفاحشة ﴿ينزع عنهما﴾ عند وسوسته ودعائه لهما ﴿لباسهما﴾ من ثياب الجنة وقيل كان لباسهما الظفر عن ابن عباس أي كان شبه الظفر وعلى خلقته وقيل كان لباسهما نوراً عن وهب بن منبه ﴿ليريهما سواتهما﴾ عوراتهما ﴿أنه﴾ يعني الشيطان ﴿يراكم هو وقبيله﴾ أي نسله عن الحسن وابن زيد يدل عليه قوله ﴿افتخذونه وذريته أولياء من دوني﴾ وقيل جنوده واتباعه من الجن والشياطين ﴿من حيث لا ترونهم﴾ قال ابن عباس إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدم وصدور بني آدم مساكن لهم كما قال الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم قال قتادة والله إن عدواً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وإنما قال ذلك لانا إذا كنا لا نراهم لم نعرف قصدهم لنا بالكيد والاعواء فينبغي أن نكون على حذر فيما نجده في أنفسنا من الوسوس خيفة أن يكون ذلك من الشيطان وإنما لا يراهم البشر لأن اجسامهم شفاقة لطيفة تحتاج رؤيتها إلى فضل شعاع وقال أبو الهذيل وأبو بكر بن الاخشيد يجوز أن يمكنهم الله تعالى فينكشفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم وإليه ذهب علي بن عيسى وقال انهم مُمكنون من ذلك وهو الذي نصره

الشيخ المفيد أبو عبد الله رحمه الله قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وهو الأقوى عندي وقال الجبائي لا يجوز أن يرى الشياطين والجن لأن الله عز اسمه قال لا ترونهم وإنما يجوز أن يروا في زمن الأنبياء بأن يكشف الله أجسادهم على الأنبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الأنبياء ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ أي حكمنا بذلك لأنهم يتناضرون على الباطل كما قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن آتاء أي حكموا بذلك حكماً باطلاً وإنما خص الذين لا يؤمنون تنبيهاً على أنهم مع اجتهدهم لا يتمكنون من خيار المؤمنين المتيقظين منهم وإنما يتمكنون من الكفرة والجهال والفسقة الاغفال ﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ كنى به عن المشركين الذين كانوا يبدون سواتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا ولا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب وهم الخمس^(١) قال الفراء كانوا يعملون شيئاً من سيور مقطعة يشدونهم على حقوبهم يسمى خوفاً وإن عمل من صوف يسمى رهطاً وكانت تضع المرأة على قبلها النسعة فتقول

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أَجْلَهُ

يعني الفرج لأن ذلك يستر سراً تاماً وفي الآية حذف تقديره وإذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ قيل ومن أين أخذها آباؤكم قالوا ﴿الله امرنا بها﴾ أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم إذا فعلوا ما يعظم قبحه اعتذروا لأنفسهم إنا وجدنا آباءنا يفعلونها وإن آباءهم فعلوا ذلك من قبل الله وقال الحسن أنهم كانوا أهل إجبار فقالوا لو كره الله ما نحن عليه لنقلنا عنه فهذا قالوا والله امرنا بها فرد الله سبحانه عليهم قولهم بأن قال ﴿إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ ثم أنكر عليهم من وجه آخر فقال ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ لأنهم إن قالوا لا لنقضوا مذهبهم وإن قالوا نعم افتضحوا في قولهم قال الزجاج اتقولون على الله معناه اتكذبون عليه.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (٢٩) فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا

(١) الخمس: لقب قريش وكنانة وجديلة ومن تابعهم في الجاهلية.

حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ ﴿٤٠﴾

[اللغة] اصل القسط العدل فإذا كان إلى جهة الحق فهو عدل ومنه قوله ان الله يحب
المقسطين وإذا كان إلى جهة الباطل فهو جور ومنه قوله وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً
واصل الاخلاص اخراج كل شائب من الجنس ومنه اخلاص الدين لله وهو توجيه العبادة اليه
خالصاً دون غيره والبداء فعل الشيء أول مرة والعود فعله ثاني مرة وقد يكون فعل أول خصلة
منه بدء كبدء الصلاة وبدء القراءة وبدأ لغتان والفريق جماعة انفصلت من جماعة
والاتخاذ افتعال من الأخذ بمعنى اعداد الشيء لأمر من الأمور والحسبان بمعنى الظن وهو ما
قوى عند الظان كون المظنون على ما ظنّه مع تجويزه ان يكون على غيره فبالقوة يتميز من
اعتقاد التقليد والتبخيث وبالتجويز يتميز من العلم لأن مع العلم القطع .

[الإعراب] وأقيموا عطف على ما تقدم من قوله لا يفتننكم الشيطان فتقديره احذروا
الشيطان وأقيموا وجوهكم عن أبي مسلم وقيل ان تقديره امر ربي بالقسط وقل اقيموا وقوله
كما بدأكم قال أبو علي الفارسي تقديره كما بدأ خلقكم ثم حذف المضاف وتعودون معناه
ويعود خلقكم ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار المخاطبون فاعلين وفريقاً
حق عليهم الضلالة نصبه ليعطف فعلاً على فعل وتقديره وفريقاً أضل فأضمر أضل لأنه قد
فسره ما بعده فاغني عن ذكره ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعدّ لهم عذاباً
أليماً وقال القراء فريقاً منصوب على الحال من تعودون وفريقاً الثاني عطف عليه ولورفع على
تقدير احدهما كذا والآخر كذا لجاز كما قال قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في
سبيل الله وأخرى كافرة .

[المعنى] لما بين سبحانه أنه لا يأمر بالفحشاء وهو اسم جامع للقبائح والسيئات عقبه
ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ أمر ربي
بالقسط ﴾ أي بالعدل والاستقامة عن مجاهد والسدي وأكثر المفسرين وقيل بالتوحيد عن
الضحاك وقيل بلا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل بجميع الطاعات والقرب عن أبي مسلم
﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) أن مغناه توجّهوا إلى قبله كل
مسجد في الصلاة على استقامة عن مجاهد والسدي وابن زيد (وثانيها) ان معناه أقيموا

وجوهكم إلى الجهة التي أمركم الله بالتوجه إليها في صلاتكم وهي الكعبة والمراد بالمسجد أوقات السجود وهي أوقات الصلاة عن الجبائي وغيره (وثالثها) ان المراد إذا أدركتم الصلاة في مسجد فصلوا ولا تقولوا حتى ارجع إلى مسجدي والمراد بالمسجد موضع السجود عن الفراء وهو اختيار المغربي (ورابعها) ان معناه قصدوا المسجد في وقت كل صلاة أمر بالجماعة لها ندباً عند الأكثرين وحثاً عند الأقلين (وخامسها) ان معناه أخلصوا وجوهكم لله تعالى في الطاعة فلا تشركوا به وثناً ولا غيره عن الربيع ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ وهذا أمر بالدعاء والتضرع إليه سبحانه على وجه الاخلاص أي ارغبوا إليه في الدعاء بعد اخلاصكم له الدين وقيل معناه واعبدوه مخلصين له الدين ﴿كما بدأكم تعودون﴾ قيل في وجه اتصاله بما قبله وجوه (أحدها) ان معناه وادعوه مخلصين فإنكم مبعوثون ومجازون وان بعد ذلك في عقولكم فاعتبروا بالابتداء واعلموا أنه كما بدأكم في الخلق الأول فإنه يبعثكم فتعودون إليه في الخلق الثاني (وثانيها) انه يتصل بقوله فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون فقال كما بدأكم تعودون أي فليس ببعثكم بأشد من ابتدائكم عن الزجاج قال وإنما ذكره على وجه الحجاج عليهم لأنهم كانوا لا يقولون بالبعث (وثالثها) انه كلام مستأنف أي يعيدكم بعد الموت فيجازيكم عن أبي مسلم قال قتادة بدأكم من التراب وإليه تعودون كما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم وقيل معناه كما بدأكم لا تملكون شيئاً كذلك تبعثون يوم القيامة ويروى عن النبي ﷺ أنه قال تحشرون يوم القيامة عراة حفاة غرلاً^(١) كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين وقيل معناه تبعثون على ما مثم عليه، المؤمن على إيمانه والكافر على كفره عن ابن عباس وجابر ﴿فريقاً﴾ أي جماعة ﴿هدى﴾ أي حكم لهم بالاهتداء بقبولهم للهدى أو لطف لهم بما اهتموا عنده أو هداهم إلى طريق الثواب كما تكرر بيانه في مواضع ﴿وفريقاً حق﴾ أي وجب ﴿عليهم الضلالة﴾ إذا لم يقبلوا الهدى أو حق عليهم الخذلان لأنه لم يكن لهم لطف ينشرح له صدورهم أو حق عليهم العذاب والهلاك بكفرهم ويؤيد هذا القول الأخير أنه سبحانه ذكر الهدى والضلال بعد العود والبعث ثم قال ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله﴾ بين سبحانه أنه لم يبدأهم بالعقوبة ولكن جازاهم على عصيانهم واتباعهم الشيطان وإنما اتخذوهم أولياء بطاعتهم لهم فيما دعوهم إليه ﴿ويحسبون أنهم مهتدون﴾ ومعناه وهم مع ذلك يظنون أنهم في ذلك على هداية وحق .

(١) الغرل جمع الأغرل وهو الأتلف .

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

[القراءة] قرأ نافع وحده خالصة بالرفع والباقون بالنصب .

[الحجة] قال أبو علي من رفعه جعله خبر المبتدأ الذي هو هي ويكون للذين آمنوا تبييناً للخلوص ولا شيء فيه على هذا ومن قال هذا حلو حامض أمكن أن يكون للذين آمنوا خبراً وخالصة خبر آخر ومن نصب خالصة كان حالاً مما في قوله للذين آمنوا ألا ترى أن فيه ذكراً يعود إلى المبتدأ الذي هو هي فجاءت حال عن ذلك الذكر والعامل في الحال ما في اللام من معنى الفعل وحجة من رفع أن المعنى هي تخلص للذين آمنوا يوم القيامة وإن شركهم فيها غيرهم من الكافرين في الدنيا ومن نصب فالمعنى عنده ثابتة للذين آمنوا في حال خلوصها يوم القيامة لهم وانتصاب خالصة على الحال أشبه بقوله ﴿إن المتقين في جنات وعيون آخذين﴾ ونحو ذلك مما انتصب الاسم فيه على الحال بعد الابتداء وخبره وما يجري مجراه إذا كان فيه معنى فعل قال الزجاج من نصب خالصة فهو حال على أن العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال كأنك تقول هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال أبو علي قوله في الحياة الدنيا يحتمل ثلاثة أضرب (أحدها) أن يكون قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا خالصة على أن يكون خبر هي قوله ﴿للذين آمنوا﴾ ويكون في الحياة الدنيا ظرفاً والعامل فيه الظرف الذي هو قوله للذين آمنوا والتقدير هي في الحياة الدنيا للمؤمنين مقدار خلوصها يوم القيامة ففي هذا الوجه يجوز تقديرها مقدمة على اللام الجارة لأنه ظرف للذين آمنوا والظروف وإن كان العامل فيها المعاني فإن تقديمها عليها جائز وإن لم يجر ذلك في الأحوال ويحتمل أن يكون قوله في الحياة الدنيا متصلاً بالصلة التي هي آمنوا وهي العاملة فيه والمعنى هي للذين آمنوا في حياتهم أي للذين آمنوا ولم

يكفروا فيها خالصة فموضع في على هذا نصب بآمنوا ويجوز أن يكون في الحياة الدنيا في موضع حال وصاحب الحال هو هي والعامل في الحال معنى الفعل وهو قوله للذين آمنوا والمعنى قل هي لهم مستقرة في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ولا يجوز في هذا الوجه ولا في الوجه الذي قبله تقدير تقديم في الحياة على قوله للذين آمنوا أما في الوجه الأول فلأن قوله في الحياة صلة الذين ولا يجوز تقديم الصلة على الموصول وأما في الوجه الآخر فلأنه في موضع الحال والحال لا يجوز تقديمها إذا كان العامل فيها معنى الفعل وهذا الوجه الثالث ذكره أبو اسحاق وأما قراءة من قرأ خالصة بالنصب جعله منصوباً على الحال على أن العامل في قوله في الحياة الدنيا على تأويل الحال إلى آخر كلامه فينبغي أن تعلم أن من نصب خالصة في قراءة جاز أن يكون في الحياة الدنيا ظرفاً للذين آمنوا والعامل فيه معنى الفعل وجاز أن يكون متعلقاً بآمنوا وظرفاً له وجاز أن يكون في موضع الحال كما ذكر فالوجهان الأولان لا يحتاج معهما إلى تقدير شيء حتى تعلقه بما قبل أما إذا كان ظرفاً للام الجارة فمعنى الفعل يعمل فيه كما تقول لك ثوب كل يوم وإذا كان من الصلة فنفس الفعل الظاهر يعمل فيه فأما إذا جعلته حالاً فإنه ينبغي أن تقدر فعلاً وأو اسم فاعل يكون في موضع الحال ويكون في الحياة متعلقاً به ولا يوهمك قول أبي اسحاق الذي ذكرناه أنه يلزم أن يقدر قوله في الحياة الدنيا في تقدير الحال لا غير إذا جعلت خالصة منصوباً على الحال فإن الوجهين الآخرين كل واحد منهما مع نصب خالصة على الحال سائغ جائز .

[المعنى] لما تقدّم ذكر ما أنعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد في المأكل والمشرب فقال ﴿يا بني آدم﴾ وهو خطاب لساائر المكلفين ﴿خذوا زيتكم عند كل مسجد﴾ أي خذوا ثيابكم التي تترينون بها للصلاة في الجمعات والاعياد عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل عند كل صلاة روى العياشي بإسناده أن الحسن بن علي عليه السلام كان إذا قام إلى الصلاة لبس أجود ثيابه ف قيل له يا ابن رسول الله لم تلبس أجود ثيابك فقال ان الله جميل يحبُّ الجمال فأتجملُ لربي وهو يقول خذوا زيتكم عند كل مسجد فأحب أن ألبس أجود ثيابي وقيل معناه خذوا ما تسترون به عوراتكم وإنما قال ذلك لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدّم بيانه وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل فأمرنا بلبس الثياب في الصلاة والطواف عن جماعة من المفسرين وقيل ان أخذ الزينة هو التمشيط عند كل صلاة روي ذلك عن الصادق (ع) ﴿وكلوا واشربوا﴾

صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وهو عام في جميع المباحة ﴿ولا تسرفوا﴾ أي لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام قال مجاهد لو أنفقت مثل أحد في طاعة الله لم تكن مسرفاً ولو أنفقت درهماً أو مداً في معصية الله لكانه اسرافاً وقيل معناه لا تخرجوا عن حد الاستواء في زيادة المقدار وقد حكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ وجمع نبينا ﷺ الطب في قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل داء واعط كل بدن ما عودته فقال الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً وقيل معناه ولا تأكلوا محرماً ولا باطلاً على وجه لا يحل وأكل الحرام وإن قل اسراف ومجاوزة للحد وما استقبحه العقلاء وعاد بالضرر عليكم فهو أيضاً اسراف لا يحل كمن يطبخ القدر بماء الورد ويطرح فيها المسك وكمن لا يملك إلا دينار فاشترى به طيباً فتطيب به وترك عياله محتاجين ﴿انه لا يحب المسرفين﴾ أي يبغضهم لأنه سبحانه قد ذمهم به ولو كان بمعنى لا يحبهم ولا يبغضكم لم يكن ذمّاً ولا مدحاً ولما حث الله سبحانه على تناول الزينة عند كل مسجد وندب إليه^(١) الأكل والشرب ونهي عن الاسراف وكان قوم من العرب يحرمون كثيراً من هذا الجنس حتى أنهم كانوا يحرمون السمون والألبان في الأحرام وكانوا يحرمون السواحب والبحائر أنكر عز اسمه ذلك عليهم فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ أي من حرم الثياب التي تتزين بها الناس مما أخرجها الله من الأرض لعباده والطيبات من الرزق قيل هي المستلذات من الرزق وقيل هي والمحلات والأول أظهر لخلوصها يوم القيامة. للمؤمنين ﴿قل﴾ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ابن عباس يعني أن المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيبات طعامهم ولبسوا من جياث ثيابهم ونكحوا من صالح نسائهم ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء قال الفراء مجازاة هي للذين آمنوا مشتركة في الدنيا وهي خالصة لهم في الآخرة وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه قل هي في الحياة الدنيا للذين آمنوا غير خالصة من الهموم والأحزان والمشقة وهي خالصة يوم القيامة من ذلك عن الجاثي ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ أي كما نميز لكم الآيات ونذككم بها على منافعكم وصلاح

(١) [وأباح]

دينكم كذلك نفصل الآيات ﴿لقوم يعلمون﴾ وفي هذه الآية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الأطعمة الطيبة من الحلال وروى العياشي بإسناده عن الحسين بن زيد عن عمه عمر بن علي عن أبيه زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام أنه كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً فإذا أضاف^(١) تصدق به ولا يرى بذلك بأساً ويقول ﴿قل من حرم زينة الله﴾ الآية وبإسناده عن يوسف بن إبراهيم قال دخلت على أبي عبد الله (ع) وعليه جبة خز وطيلسان خز فنظر إليّ فقلت جعلت فداك هذا خز ما تقول فيه فقال وما بأس بالخز قلت فسده ابريسم قال لا بأس به فقد أصيب الحسين (ع) وعليه جبة خز ثم قال ان عبد الله بن عباس لما بعثه أمير المؤمنين (ع) الى الخوارج لبس أفضل ثيابه وتطيّب بأطيب طيبه وركب أفضل مراكبه فخرج إليهم فوافقهم قالوا يا ابن عباس بينا أنت خير الناس إذ أتيتنا في لباس الجبابرة ومراكبهم فتلا هذه الآية ﴿قل من حرم زينة الله﴾ إلى آخرها فالبس وتجمل فإن الله جميل يحب الجمال وليكن من حلال وفي الآية دلالة أيضاً على ان الأشياء على الإباحة لقوله من حرم فالسمع ورد مؤكداً لما في العقل .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى
اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

[اللغة] التحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه وضده التحليل وهو الاطلاق في الفعل بالبيان على جواز تناوله وأصل التحريم المنع من قولهم حرم فلان الرزق حرماناً فهو محروم واحرم بالحج وحرمة الرجل زوجته والحرمت الجنائيات والمحرم القرابة التي لا يحل تزوجها وحریم الدار ما كان من حقوقها والفواحش جمع فاحشة وهي أقبح القبائح وهي الكبائر والبغي الاستطالة على الناس وحده طلب التراس بالقهر من غير حق وأصله الطلب وينبغي كذا أي هو أولى أن يطلب والسلطان والبرهان والبيان والفرقان

(١) أي دخل في الصيف .

نظائر وحدودها تختلف فالبيان اظهار المعنى للنفس كإظهار نقيضه والبرهان اظهار صحة المعنى وإفساد نقيضه والفرقان اظهار تميز المعنى مما التبس به والسلطان اظهار ما يتسلط به على نقيض المعنى بالابطال والأمة الجماعة التي يعمها معنى وأصلها من أمه يومه إذا قصدته فالأمة الجماعة التي على مقصد واحد والأجل الوقت المضروب لانقضاء المهل لأن بين العقد الأول الذي يضرب لنفس الأجل وبين الوقت الآخر مهلاً مثل أجل الدين وأجل الرزق وأجل الوعد وأجل العمر .

[المعنى] ثم بين سبحانه المحرمات فقال ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما حرم ربي الفواحش﴾ أي جميع القبائح والكبائر عن الجبائي وأبي مسلم ﴿ما ظهر منها وما بطن﴾ أي ما علن منها وما خفي وقد ذكرنا ما قيل فيه في سورة الانعام ومعناه لم يحرم ربي إلا الفواحش لما قد بينا قبل أن لفظة إنما محققة لما ذكرنا فيه لما لم يذكر فذكر القبائح على الاجمال ثم فصل للبيان فقال ﴿والإثم والبغي﴾ فكأنه قال حرم ربي الفواحش التي منها الإثم ومنها البغي ومنها الاشراك بالله وقيل ان الفواحش هي الزنا وهو الذي بطن منها والتعري في الطواف وهو الذي ظهر منها عن مجاهد وقيل هي الطواف فما ظهر منها طواف الرجال بالنهار وما بطن طواف النساء بالليل والإثم قيل هو الذنوب والمعاصي عن الجبائي وقيل الإثم ما دون الحد عن الفراء وقيل الإثم الخمر عن الحسن وأنشد الأخفش :

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالعُقُولِ

وقال آخر:

نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَقْرُبَ الْخَنَا^(١) وَأَنْ نَشْرِبَ الْإِثْمَ الَّذِي يُوجِبُ الْوِزْرَا

والبغي الظلم والفساد وقوله ﴿بغير الحق﴾ تأكيد كقوله ويقتلون النبيين بغير حق وقيل قد يخرج البغي من كونه ظلماً إذا كان بسبب جائز في الشرع كالقصاص ﴿وان تشركوا بالله﴾ أي وحرم الشرك بالله ﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي لم يقم عليه حجة وكل اشراك بالله فهو بهذه الصفة ليس عليه حجة ولا برهان ﴿وإن تقلوا على الله ما لا تعلمون﴾ أي وحرم القول على الله بغير علم ثم بين تعالى ما فيه تسلية النبي ﷺ في تأخير عذاب الكفار فقال ﴿ولكل أمة أجل﴾ أي لكل جماعة وأهل عصر وقت لاستئصالهم عن الحسن ولم يقل لكل أحد لأن

(١) الخنى : - محرقة - الفحش في الكلام .

ذكر الأمة يقتضي تقارب أعمار أهل العصر ووجه آخر وهو أنه يقتضي اهلاكهم في الدنيا بعد إقامة الحجة عليهم بإتيان الرسل وقال الجبائي المراد بالأجل هنا أجل العمر الذي هو مدة الحياة وهذا أقوى لأنه يعُم جميع الأمم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أي لا يتأخرون ﴿سَاعَةً﴾ عن ذلك الوقت ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي لا يتقدمون ساعة على ذلك الوقت وقيل معناه لا يطلبون التأخر عن ذلك الوقت للأياس عنه ولا يطلبون التقدم عليه ومعنى جاء أجلهم قُرْبُ أَجْلِهِمْ كما يقال جاء الصيف إذا قارب وقته .

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ

رُّسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْصُوْنَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِيْ فَمِنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا

عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٦)

[الإعراب] إِمَّا أصله ان الجزاء دخلت عليه ما ولو دخلوها دخلت النون الثقيلة في يأتينكم ولو قال ان يأتينكم لم يجز وقد شرحنا هذا في سورة البقرة وبيناه وقال سيويه ان حتى واما والأ لا يجوز فيهن الإمالة لأن هذه الألفات ألزمت الفتح لأنها أواخر حروف جاءت لمعنى ففضل بينها وبين أواخر الأسماء التي فيها الألف نحو حبلى وهدى إلا أن حتى كتبت بالياء لأنها على أربعة أحرف فأشبهت سكرى وأما التي للتخيير شبهت بأن التي ضمت اليها ما فكتبت بالألف والا كتبت بالألف لأنها لو كتبت بالياء لأشبهت الى .

[المعنى] لَمَّا تَقَدَّمَ ذكر النعم الدنيوية عقبه بذكر النعم الدينية ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ هو خطاب يعُم جميع المكلفين من بني آدم من جاءه الرسول منهم ومن جاز أن يأتيه الرسول معطوف على ما تقدم ﴿أَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي ان يأتكم ﴿رُّسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ أي من جنسكم ﴿يَقْصُوْنَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ أي يعرضونها عليكم ويخبرونكم بها ﴿فَمَنْ أَتَقَى﴾ انكار الرسل والآيات ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله وقيل فمن اتقى المعاصي واجتنبها والتقوى اسم جامع لذلك وتقديره فمن اتقى منكم وأصلح ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي حججنا ﴿وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي عن قبولها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾

الملازمون لها ﴿هم فيها خالدون﴾ باقون فيها على وجه الدوام والتأيد

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
 افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۖ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ
 نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا
 أَيُّنَا مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ
 أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٢٧﴾

[اللغة] النيل وصول النفع الى العبد إذا أطلق فإن قيد وقع على الضرر لأن أصله الوصول الى الشيء من نلت انال نيلاً قال امرؤ القيس :

سَمَاحَةٌ ذَا وَبِرٍّ ذَا وَوَفَاءٌ ذَا وَنَسَائِلُ ذَا إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ^(١)

والتوفي قبض الشيء بتمامه يقال توفيتُه واستوفيتُه

[المعنى] ثم ذكر سبحانه وعيد المكذبين فقال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي لا أحد أظلم منه صورته صورة الاستفهام والمراد به الاخبار وإنما جاء بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيدية ونسبة رسله ﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أي من العذاب إلا أنه كُتِيَ عن العذاب بالكتاب لأن الكتاب ورد به كقوله ﴿لَقَدْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ عن الحسن وأبي صالح وقيل معناه ينالهم نصيبهم من العمر والرزق وما كتب لهم من الخير والشر فلا يقطع عنهم رزقهم بكفرهم عن الربيع وابن زيد وقيل ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم عن مجاهد وعطية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا﴾ يعني الملائكة أي حتى إذا استوفوا أرزاقهم وجاءهم ملك الموت مع أعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أي يقبضون أرواحهم وقيل معناه حتى إذا جاءتهم الملائكة لحشرهم يتوفونهم الى النار يوم القيامة عن الحسن ﴿قَالُوا﴾ يعني الملائكة ﴿أَيُّنَا مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ من الأوثان والأصنام والمراد بهذا السؤال توبيخهم أي هلا دفعوا عنكم ما نزل بكم من

(١) صحا السكران : ذهب سكره .

العذاب ﴿قَالُوا﴾ يعني قال الكفار ﴿ضلوا عنا﴾ أي ذهبوا عنا وافتقدناهم فلا يقدرّون على الدفع عنا وبطلت عبادتنا إياهم ﴿وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين﴾ أي أقروا على نفوسهم بالكفر .

﴿ قَالَ أَدْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ
أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلِهِمْ رَبَّنَا
هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَعَاتِبْهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ
وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٩﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر لا يعلمون بالباء والياء والياءون بالياء .

[الحجة] وجه القراءة بالياء أنه حُمل الكلام على كل لأنه وإن كان للمخاطبين فهو اسم ظاهر موضوع للغيبة فحُمل على اللفظ دون المعنى .

[اللغة] الخُلُو انتفاء الشيء عن مكانه يقال خلا عن البيت وكذلك خلت بمعنى مضت لأنها اذا مضت بالهلاك فقد خلا مكانها منها الجن جنس من الحيوان مستترون عن أعين الناس لرقتهم يغلب عليهم التمرد في أفعالهم كما يغلب على الملك أفعال الخير، والضعف المثل الزائد على مثله فإذا قال القائل أُضْعِفَ هذا الدرهم فمعناه أجعل معه درهماً آخر لا ديناراً وكذلك اذا قال اضعف الاثنين فمعناه أجعلهما أربعة وحكي ان المُضْعَف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك، وأدراكوا أصله تداركوا فأدغمت التاء في الدال واجتلب الف الوصل ليتمكن النطق بالساكن الذي بعده ومعناه تلاحقوا .

[المعنى] ﴿قال ادخلوا﴾ هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة وأمره لهم

بالدخول ويجوز أن يكون اخباراً عن جعله إياهم في جملة أولئك من غير أن يكون هناك قول كما قال كونوا قردة خاسئين والمراد أنه جعلهم كذلك ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾ أي في جملة أقوام وجماعات قد مضت ﴿مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ على الكفر ﴿فِي النَّارِ﴾ وقبل إن ﴿فِي﴾ بمعنى مع أي ادخلوا مع أمم كافرة ﴿كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ من هذه الأمم النار ﴿لَعَنَتْ أَخْتَهَا﴾ يعني التي سبقتها إلى النار وهي أختها في الدين لا في النسب يريد أنهم يلعنون من كان قبلهم عن ابن عباس وقيل يلعن الاتباع القادة والرؤساء إذا حصلوا في العذاب بعدما كانوا يتوادون في الدنيا يقولون أنتم أوردتمونا هذه الموارد فلعنكم الله عن أبي مسلم ﴿حَتَّى إِذَا دَارَكُوا﴾ أي تلاحقوا واجتمعوا ﴿فِيهَا﴾ أي في النار ﴿جَمِيعاً﴾ أي كان هذا حالهم حتى اجتمعوا فيها فلما اجتمعوا فيها ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ﴾ أي قالت أخرهم دخولاً النار وهم الاتباع لأولاهم دخولاً وهم القادة والرؤساء ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ أي شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً عن ابن عباس وقيل معناه دعونا إلى الضلال وحملونا عليه ومنعونا عن اتباع الحق قال الصادق عليه السلام يعني أئمة الخور ﴿فَاتَّهَمُوا عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾ أي فاعطهم عذاباً مضاعفاً قال ابن مسعود أراد بالضعف هنا الحيات والأفاعي وقيل أراد بأحد الضعفين عذابهم على الكفر وبالأخر عذابهم على الإغواء ﴿قَالَ﴾ الله تعالى ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ أي للتابع والمتبوع عذاب مضاعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ أيها المصلون والمصلون ما لكل فريق منكم من العذاب ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ﴾ أي قال المتبوعون للتابعين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ أي تفاوت في الكفر حتى تطلبوا من الله أن يزيد في عذابنا وينقص من عذابكم وقيل معناه قالت الأمة السابقة للأمة المتأخرة ما كان لكم علينا من فضل في الرأي والعقل وقد بلغكم ما نزل بنا من العذاب فلم اتبعتمونا وقيل من فضل أي من تخفيف من العذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ من الكفر باختياركم لا باختيارنا لكم .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي

الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ

وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي وخلف لا يُفْتَح بالياء والتخفيف وقرأ أبو عمرو بالتاء والتخفيف وقرأ الباقون بالتاء والتشديد وروي في الشواذ عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والشعبي وابن الشخير حتى يلج الجُمْل بالضم والتشديد عن سعيد بن جبير في رواية أخرى وعبد الكريم وحنظلة الجمل بالضم والتخفيف وعن ابن عباس أيضاً الجُمْل بضم الجيم وسكون الميم والجُمْل بضميتين وعن ابن السماك الجُمْل بفتح الجيم وسكون الميم أبواب السماء وأما الجُمْل بالضم والتشديد والجُمْل بالتخفيف وكلاهما الحبل الغليظة من القُنْب^(١) وقيل هو حبل السفينة وقيل الحبال المجموعة وأما الجُمْل فيجوز أن يكون جمع جَمَل فيكون مثل أَسَد وأُسْد ووُثْن ووُثْن وكذلك المضموم أيضاً كَأَسَد ووُثْن قال ابن جني وأما الجُمْل فيبعد أن يكون مخففاً من جَمَل لخفة الفتحة وإن كان قد جاء عنهم قوله :

وَمَا كُلُّ مُبْتَلَعٍ وَلَوْ سَلَفَ صَفْقَةً يُرَاجِعُ مَا قَدْ فَاتَهُ بِرِذَائِهِ^(٢)

[اللغة] السم بفتح السين وضمها الثقب ومنه السم القاتل لأنه ينفذ بلطفه في مسام البدن حتى يصل إلى القلب فينقض بنيته وكل ثقب في البدن لطيف فهو سَمٌ وَسَمٌ وجمعه سموم وقال الفرزدق :

فَنَفَسْتُ عَنْ سَمِيهِ حَتَّى تَنَفَّسَا وَقُلْتُ لَهُ لَا تَخْشَ شَيْئاً وَرَائِيَا

يريد بسميه ثقبى أنفه ويجمع السَم القاتل سِماماً والخياط والمخيطة الابرة كاللحاف والملحف والقناع والمقنع والازار والمئزر والقرام والمقرم ذكره الفراء وجهنم اسم من أسماء النار واشتقاقها من الجهومة وهي الغلظ وقيل أخذ من قولهم بشر جهنم أي بعيد قعرها، والمهاد الوطاء الذي يفرش ومنه مهد الصبي وقد مهدت له هذا الأمر أي وطأته له، والغواشي جمع غاشية وهو كل ما يغشاك أي يستره ومنه غاشية السرج وفلان يغشى فلاناً أي يأتيه ويلبسه .

[الإعراب] قال أبو علي للنحويين في نحو غواشي وجوابي قولان (أحدهما) مذهب سيبويه والخليل وهو أن الياء حذفت حذفاً لا لالتقاء الساكنين فلما حذفت الياء انتقص الاسم عن الزنة التي كان التنوين يعاقبها ولا يجتمع معها فدخلها وانما حذفت هنا الياء لا لالتقاء

(٢) كأنه يقول ليس كل من سلف مناعه ينوفى دينه .

(١) القُنْب : نبات .

الساكنين كما يحذف حرف اللين في الوقف في نحو والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ وقد حذف في الوصل أيضاً وكان الذي حسن ذلك الحذف انها قد صارت بمنزلة الحركات لأنها قد صارت عوضاً منها بدلالة تعاقبها وانها تحذف في الموضع الذي تحذف فيه الحركة فلما قوي الحذف فيها وكثر وكان هذا الجمع خارجاً عن الأبنية الأول وباينا لزم الحذف والقول الآخر ما حدث السراج عن المبرد عن المازني قال ينظر يونس النحوي وأبو زيد والكسائي الى جوارى وبابه فما كان من الصحيح لا يلحقه التنوين لم يلحقوه في المعتل وما كان يلحقه في التنوين في الصحيح الحقوه في المعتل قال والذي عليه البصريون هو القول الأول .

[المعنى] ثم عاد الكلام الى الوعيد فقال سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أي تكبروا عن قبولها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أي لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين عن ابن عباس والسدي وقيل لا تفتح لأعمالهم ولدعائهم عن الحسن ومجاهد وعن ابن عباس في رواية أخرى وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال اما المؤمنون فترفع أعمالهم وأرواحهم الى السماء فتفتح لهم أبوابها وأما الكافر فيصعد بعمله وروحه حتى إذا بلغ الى السماء نادى مناد اهبطوا به الى سجين وهو واد بحضرموت يقال له برهوت وقيل لا تفتح لهم أبواب السماء لدخول الجنة لأن الجنة في السماء عن الجبائي ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون الجنة أبداً وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استجهل من سأله عن الجمل وهذا كما تقول العرب في التباعد للشيء لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وحتى يؤوب القارطان^(١) قال الشاعر:

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَضَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ

وقال آخر:

فَرَجِي الْخَيْرَ وَانْتَظِرِي إِيَّابِي إِذَا مَا الْقَارِظُ الْعَنْزِي آبَا

وتعليق الحكم بما لا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق لليأس من وجوده ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي ومثل ما جزينا هؤلاء نجزي سائر المجرمين

(١) القار: القبر. القارطان : رجلان من قبيلة عنزة خرجا بجنيان القرظ وهو ورق السلم يدبغ به ويسمى بالفارسية مازو فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إِيَّابه .

المكذبين بآيات الله تعالى ﴿لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء ﴿مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أي فراش ومضجع ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ﴾ مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار وقيل المراد به لحف والمعنى أن النار محيطة بهم من أعلاهم وأسفلهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ قال ابن عباس يريد الذين أشركوا به واتخذوا من دونه إلهاً .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ
الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا
أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُوا
الْجَنَّةَ أَوْرَثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ما كنا لنهتدي بغير واو وكذلك في مصاحف أهل الشام والباقون مع الواو وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أورثموها مدغمة وكذلك في الزخرف وقرأ الباقر أورثموها غير مدغمة .

[الحجة] قال أبو علي وجه الاستغناء عن حرف العطف ان الجملة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف وقد تقدم ذكر أمثاله ومن ترك الإدغام في أورثموها فلتباين المخرجين وكان الحرفين في حكم الانفصال وان كانا من كلمة واحدة ألا ترى أنهم لم يدغموا ولو شاء الله ما اقتتلوا وان كانا مثليين لما لم يكونا لازيمين ألا ترى ان تاء افتعل قد يقع بعدها غير التاء فكذلك اورث قد يقع بعد التاء منها غير التاء فلا يجب الإدغام ووجه الإدغام ان التاء والتاء مهموستان متقاربتان فاستحسن الإدغام لذلك .

[اللغة] الغُلُّ الحقد الذي ينغل بلطفه الى صميم القلب ومنه الغلول وهو الوصول بالحيلة الى دقيق الخيانة ومنه الغُلُّ الذي يجمع اليدين والعنق بانغلاله فيهما والصدر ما

يصدر من جهته التدبير والرأي ومنه قيل للرئيس صدر والجريان انحدار المائع فالماء يجري والدم يجري وكل ما يصح أن يجري فهو مائع والنهر الواسع من مجاري الماء ومنه النهار لاتساع ضيائه والنداء الدعاء بطريقة يا فلان .

[الإعراب] لا نكلف نفساً إلا وسعها جملة في موضع رفع بأنه خبر الذين آمنوا وحذف العائد إلى المبتدأ فكأنه قيل منهم لا من غيرهم نحو قولهم السمن منوان بدرهم أي منوان منه ويجوز أن يكون اعتراضاً ما بين المبتدأ والخبر ويكون الخبر الجملة التي هي أولئك أصحاب الجنة وإذا كان اعتراضاً فلا موضع له من الأعراب وإن تلکم الجنة يجوز أن يكون أن بمعنى أي لتفسير النداء فيكون المعنى نودوا على وجه التهنية بكلام هذا معناه ويجوز أن يكون مخففة من الثقلة والهاء مضمرة والتقدير بأنه تلکم الجنة قال الشاعر:

أَكْثَرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كِلَانَا عَلَى مَا سَاءَ ضَاجِبُهُ حَرِيصٌ^(١)

[المعنى] لما تقدّم وعيد الكفار بالخلود في النيران اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان فقال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدّقوا بآيات الله واعترفوا بها ولم يستكبروا عنها ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي ما أوجبه الله عليهم أو نذيرهم إليه ﴿لَا نَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ التكليف من الله سبحانه هو إرادة ما فيه المشقة من الكلفة التي هي المشقة أي لا نلزم نفساً إلا قدر طاقتها وما دونها لأن الوسع دون الطاقة ووجه اتصاله بما قبله بين إذا جعلته خبراً لأن معناه لا نكلف أحداً منهم من الطاعات إلا ما يقدر عليه وإذا كان اعتراضاً بين الكلامين فكأنه لما وعد المؤمنين بالجنان والكافرين بالنيران بين أنه لا يكلف أحداً منهم إلا ما في وسعه وإن من استحق النار فمن نفسه أتى ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مقيمون ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ أي وأخرجنا ما في قلوبهم من حقد وحسد وعداوة في الجنة حتى لا يحسد بعضهم بعضاً وإن رآه أرفع درجة منه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ قيل أنه في موضع الحال أي يجري ماء الأنهار من تحت أبينتهم وأشجارهم في حال نزعنا الغل من صدورهم وقيل هو استئناف ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أي هدانا للعمل الذي استوجبنا به هذا الثواب بأن دلّنا عليه وعرضنا له بتكليفه إيانا وقيل معناه هدانا لثبوت الإيمان في قلوبنا وقيل لنزع الغل من صدورنا وقيل هدانا لمجاوزة الصراط ودخول الجنة ﴿وَمَا كُنَّا

(١) كاشره مكاشرة: ضاحكه وحرك عذبه أسنانه .

لنَهْتَدِي ﴿لَمَّا بَصَّرْنَا إِلَىٰ هَذَا النِّعَمِ الْمَقِيمِ وَالثَّوَابِ الْعَظِيمِ ﴿لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ﴾ هَذَا اعْتِرَافٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِمْ وَمَتَّعَهُ عَلَيْهِمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ عَلَى سَبِيلِ الشُّكْرِ وَالتَّلَذُّذِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا تَكْلِيفَ هُنَاكَ ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ بِرَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ وَهَذَا إِقْرَارٌ مِنْهُمْ بِأَنِّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ حَقٌّ لَا شُبْهَةَ فِي صَحْتِهِ ﴿وَنُودُوا﴾ أَيُّ وَيُنَادِيهِمْ مُنَادٌ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خُطَاباً مِنْهُ سُبْحَانَهُ لَهُمْ ﴿أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةَ﴾ أَيُّ هَذِهِ الْجَنَّةُ وَإِنَّمَا قَالَ تَلْكُمُ لِأَنَّهُمْ وَعَدُوا بِهَا فِي الدُّنْيَا فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ هَذِهِ تَلْكُمُ الَّتِي وَعَدْتُمْ بِهَا وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا عَايَنُوهَا فَيَقَالُ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِشَارَةً إِلَيْهَا تَكَلَّمَ الْجَنَّةَ ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ أَيُّ أُعْطِيتُمُوهَا إِرْثاً وَصَارَتْ إِلَيْكُمْ كَمَا يَصِيرُ الْمِيرَاثُ لِأَهْلِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ جَعَلَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَدَلاً لَكُمْ كَمَا كَانَ أَعَدَّهُ لِلْكَافِرِ لَوْ آمَنُوا وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ فَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ أُورِثْتُمُوهَا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَيُّ تَوَحَّدُونَ اللَّهَ وَتَقُومُونَ بِفَرَائِضِهِ .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ
مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿١٤٥﴾

[القراءه] قال الكسائي وحده نعم بكسر العين كل القرآن والباقون بالفتح وقرأ أهل المدينة والبصرة (١) أن مخففة لعنة الله بالرفع والباقون أن مشددة لعنة الله بالنصب .

[الحجة] قال الأخفش نعم ونعم لغتان فالكسر لغة كنانة وهذيل والفتح لغة باقي العرب وأن التي تقع بعد العلم إنما هي المشددة والمخففة عنها وأذن مؤذن معناه أعلم معلّم

أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمَنْ خَفَفَ أَنْ فَعَلَى إِرَادَةِ أَضْمَارِ الْقِصَّةِ وَالْحَدِيثِ وَتَقْدِيرِهِ أَنَّهُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَمِثْلُهُ آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ التَّقْدِيرُ أَنَّهُ وَلَا تَخَفُفَ أَنْ هَذِهِ إِلَّا وَأَضْمَارُ الْقِصَّةِ وَالْحَدِيثِ يَرَادُ مَعَهَا وَالْمَكْسُورَةُ إِذَا خَفَفَتْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ وَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَفْتُوحَةَ مُوَصُولَةٌ وَالْمُوَصُولَةُ تَقْتَضِي صَلَاتَهَا فَصَارَتْ لِاقْتِضَائِهَا أَشَدَّ اتِّصَالاً بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَكْسُورَةِ فَقَدَّرَ بَعْدَهَا الضَّمِيرَ الَّذِي هُوَ مِنْ جُمْلَةِ صَلَاتِهَا وَلَيْسَتْ الْمَكْسُورَةُ كَذَلِكَ .

[الإعراب واللغة] قال سيبويه نعم عدة وتصديق فإذا استفهمت أجبت بنعم قال أبو علي والذي يريد به بقوله عدة وتصديق أنه يستعمل عدة ويستعمل تصديقاً وليس يريد أنه يجتمع التصديق مع العدة إلا ترى أنه إذا قال أعطيني فقلت نعم كان عدة ولا تصديق في هذا وإذا قال قد كان كذا فقلت نعم فقد صدقته ولا عدة في هذا فليس هذا القول من سيبويه كقوله في إذا أنها جواب وجزاء لأن إذا يكون جواباً في الموضع الذي يكون فيه جزاء وقوله إذا استفهمت أجبت بنعم يريد إذا استفهمت عن موجب أجبت بنعم ولو كان مكان الإيجاب النفي لقلت بلى ولم تقل نعم كما لا تقول في جواب الموجب بلى قال ألسن بربكم قالوا بلى والذين يصدّون في موضع جر بأنه صفة للظالمين وعوجاً يجوز أن يكون منصوباً بأنه مفعول به بمعنى يبغون لها العوج ويجوز أن يكون منصوباً على المصدر بمعنى يطلبون لها هذا الضرب من الطلب كما تقول رجع القهقري أي رجع هذا الضرب من الرجوع وكذلك عدا البشكي^(١) واشتمل الصما والعوج بالكسر يكون في الطريق وفي الدين وبالفتح يكون في الخلقة تقول في ساقه عوج بفتح العين وفي دينه عوج بالكسر .

[المعنى] ثم حكى سبحانه ما يجري بين أهل الجنة والنار بعد استقرارهم في الدارين فقال ﴿وَنَادَى﴾ أي وسينادي ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أي أهل الجنة أهل النار وإنما ذكره بلفظ الماضي لتحقيق المعنى جعل ما سيكون كأنه قد كان لأنه كائن لا محالة وذلك أبلغ في الردع ﴿إِنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّنَا﴾ من الثواب في كتبه وعلى السنة رسله ﴿حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العقاب ﴿حَقّاً﴾ وإنما أضافوا الوعد بالجنة إلى نفوسهم لأن الكفار ما وعدهم الله بالجنة إلا بشرط أن يؤمنوا فلما لم يؤمنوا فكأنهم لم يوعدوا بالجنة وإنما سألوهم هذا السؤال لأن الكفار كانوا يكذبون المؤمنين فيما يدعون لأنفسهم من

(١) البشكي : الشرعة في العمل .

الثواب ولهم من العقاب فهو سؤال توبيخ وشماتة يريد به سرور أهل الجنة وحسرة أهل النار ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ أي قال أهل النار وجدنا ما وعدنا ربنا من العقاب حقاً وصدقاً ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي نادى مناد بينهم اسمع الفريقين ﴿إِنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أي غضب الله وسخطه وأليم عقابه على الكافرين لأنه وصف الظالمين بقوله ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي يعرضون عن الطريق الذي دلَّ الله سبحانه على أنه يؤدي إلى الجنة وقيل معناه يصرفون غيرهم عن سبيل الله أي دينه والحق الذي دعا إليه ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ قال ابن عباس معناه يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله وقيل معناه يطلبون لها العوج بالشبه التي يلتبسون بها ويوهمون أنه يقدح فيها وهي معوجة عن الحق بتناقضها ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ﴾ أي بالدار الآخرة يعني القيامة والبعث والجزاء ﴿كَافِرُونَ﴾ جاحدون وقيل في المؤذن أنه مالك خازن النار وروي عن أبي الحسن الرضا (ع) أنه قال المؤذن أمير المؤمنين علي (ع) ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال حدثني أبي عن محمد بن فضيل عن الرضا (ع) ورواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام أنه قال أنا ذلك المؤذن وبإسناده عن أبي صالح عن ابن عباس أن لعلي (ع) في كتاب الله أسماء لا يعرفها الناس قوله فأذن مؤذن بينهم فهو المؤذن بينهم يقول إلا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بحقِّي .

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَانِهِمْ
وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ
يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

[اللغة] الحجاب الحاجز المانع من الإدراك ومنه قيل للضرير محجوب وحاجب الأمير وحاجب العين والأعراف الامكنة المرتفعة أخذ من عُرف الفرس ومنه عُرف الديك وكل مرتفع من الأرض عُرف لأنه بظهوره اعرف مما انخفض قال الشماخ :

وُظِّلَتْ بِأَعْرَافٍ تَعَالَى كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وَجْهَةُ الرِّيحِ رَاكِبٌ^(١)

وقال آخر:

كُلُّ كِنَازٍ لَحْمُهُ نِيَافٍ كَالْعَلَمِ الْمُوفِي عَلَى الْأَعْرَافِ^(٢)

يعني نشوزاً من الأرض والسيماء العلامة وهي فعلى من سام ابله يسومها إذا أرسلها في المرعى معلمة وهي السائمة وقيل ان وزنه عفى من وسمت فقلبت كما قالوا له جاءه في الناس وأصله وجه وكما قالوا اضمحل وامضحل وأرض خامة أي وخمة وفيه ثلاث لغات سيماء وسيماء بالقصر والمد وسيماء على زنة كبرياء قال الشاعر « لَهُ سِيمَاءٌ مَا يَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ » والتلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة ولذلك كان ظرفاً من ظروف المكان تقول هو تلقاءك نحو هو حذاءك والأبصار جمع بصر وهو الحاسة التي يدرك بها المبصر وقد يستعمل بمعنى المصدر ويقال له بصر بالأشياء أي علم بها وهو بصير بالأمور أي عالم .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه الفريقين في الجزاء فقال ﴿وبينهما حجاب﴾ أي بين الفريقين اهل الجنة وأهل النار ستر وهو الأعراف والأعراف سور بين الجنة والنار عن ابن عباس ومجاهد والسدي وفي التنزيل فضربت بينهم يسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وقيل الاعراف شرف ذلك السور عن الجبائي وقيل الاعراف الصراط عن الحسن بن الفضل ﴿وعلى الاعراف رجال﴾ اختلف في المراد بالرجال هنا على أقوال فقل انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حسناتهم بينهم وبين النار وحالت سيئاتهم بينهم وبين الجنة فجعلوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما شاء ثم يدخلهم الجنة عن ابن عباس وابن مسعود وذكر ان بكر بن عبد الله المزني قال للحسن بلغني انهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فضرب الحسن يده على فخذه ثم قال هؤلاء قوم جعلهم الله على تعريف اهل الجنة والنار يميزون بعضهم من بعض والله لا ادري لعل بعضهم معنا في هذا البيت وقيل ان الاعراف موضع عال على الصراط عليه حمزة والعباس وعلي وجعفر يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيههم بسواد الوجوه عن الضحاك عن ابن عباس رواه الثعلبي بالإسناد في تفسيره وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار

(١) ظل يفعل كذا : دام وقوله ظلت أصله ظللت . وتعالى أي تتعالى وقوله نحاه أي أماله من قولهم نحى جره إليه : أماله . وركز الرمح : غرزه في الأرض . أثبت أي أماله .

(٢) جارية ونافذة كناز : أي كثيرة اللحم صلبة . نياف من الجمال والنوق : الطويل في ارتفاع . وأوفى عليه : أشرف .

جميعاً أو يكونون حفظة الاعمال الشاهدين بها في الآخرة عن أبي مجلز وقيل انهم فضلاء المؤمنين عن الحسن ومجاهد وقيل انهم الشهداء وهم عدول الآخرة عن الجبائي وقال أبو جعفر الباقر (ع) هم آل محمد عليهم السلام لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه وقال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام الاعراف كُتبان^(١) بين الجنة والنار فيقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من اهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده وقد سيق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه انظروا إلى اخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنة فيسلم المذنبون عليهم وذلك قوله ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون يعني هؤلاء المذنبين لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون ان يدخلهم الله إياها بشفاعته النبي والإمام وينظر هؤلاء المذنبون الى أهل النار فيقولون ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ثم ينادي اصحاب الاعراف وهم الأنبياء والخلفاء اهل النار مفرعين لهم^(٢) ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون هؤلاء الذين أقسمتم يعني هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم تستطيعون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ويؤيده ما رواه عمر بن شبة وغيره ان علياً (ع) قسم النار والجنة ورواه أيضاً بإسناده عن النبي ﷺ انه قال يا علي كآني بك يوم القيامة وبيدك عصاً عوسج تسوق قوماً إلى الجنة وآخرين إلى النار وروى أبو القاسم الحسكاني بإسناده رفعه إلى الأصابع بن نباته قال كنت جالساً عند علي (ع) فأتاه ابن الكوا فسأله عن هذه الآية فقال ويحك يا ابن الكوا نحن نقف يوم القيامة بين الجنة والنار فمن ينصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنة ومن ابغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النار وقوله ﴿يعرفون كلا بسيماهم﴾ يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الاعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون اهل الجنة بسيماهم المطيعين وأهل النار بسيماهم العصاة ﴿ونادوا اصحاب الجنة﴾ يعني هؤلاء الذين على الاعراف ينادون باصحاب الجنة ﴿ان سلام عليكم﴾ وهذا تسليم وتهنئة وسرور بما وهب الله لهم ﴿لم يدخلوها﴾ أي لم يدخلوا الجنة بعد عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة ﴿وهم يطمعون﴾ ان يدخلوها وقيل ان الطمع ههنا طمع يقين مثل قول إبراهيم والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو قول الحسن وأبي علي الجبائي ﴿وإذا

(١) الكُتبان جمع الكتيب: التل من الرمل.

(٢) اقرع فلاناً: كفه.

صرفت ابصارهم ﴿يعني ابصار الذين على الاعراف﴾ تلقاء اصحاب النار ﴿إلى جهنم﴾^(١) فنظروا اليهم وإنما قال صرفت ابصارهم لأن نظرهم نظر عداوة فلا ينظرون إليهم الا اذا صرفت وجوههم إليهم ﴿قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين﴾ أي لا تجمعنا وايهم في النار وروي ان في قراءة عبد الله بن مسعود وسالم وإذا قلبت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا عاثداً بك ان تجعلنا مع القوم الظالمين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ
بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

[اللغة] النداء امتداد الصوت ورفعته ونادى نظير دعا إلا أن الدعاء قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ولكن بإشارة تنبيه عن معنى تعال ولا يكون النداء إلا برفع الصوت وهو مشتق من الندى والخوف توقع المكروه وهو ضد الأمن وهو الثقة بانتفاء المكروه .

[الاعراب] هؤلاء مبتدأ أو خبره الذين اقسمتم والاولى ان يكون الذين اقسمتم خبر مبتدأ محذوف التقدير هؤلاء هم الذين اقسمتم وقوله لا ينالهم الله برحمة جواب اقسمتم وهذا داخل في صلة الذين لأن الذين هنا وصل بالقسم وجوابه ولا يجوز أن يكون الذين صفة لهؤلاء من وجهين (أجدهما) ان المبهم لا يوصف إلا بالجنس (والآخر) انه يبقى المبتدأ بلا خبر .

[المعنى] ثم بين سبحانه خطاب اصحاب الاعراف لأصحاب النار فقال ﴿ونادى﴾ أي وسينادي ﴿أصحاب الاعراف رجالاً﴾ من أصحاب النار ﴿يعرفونهم بسيماهم﴾ أي بصفاتهم يدعونهم بأسمائهم وكنائهم ويسمون رؤساء المشركين عن ابن عباس وقيل بعلاماتهم التي جعلها الله تعالى لهم من سواد الوجوه وتشويه الخلق وزرقة العين عن الجبائي وقيل بصورهم التي كانوا يعرفونهم بها في الدنيا^(٢) ﴿قالوا ما اغنى عنكم جمعكم﴾ الاموال

(١) وفي النسخة المطبوعة بطهران « جهنم » بدل « جهنم » . (٢) [عن أبي مسلم] .

والعدد في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ أي واستكباركم عن عبادة الله وعن قبول الحق وقد كنا نصحناكم فاشتغلتم بجمع المال وتكبرتم فلم تقبلوا منا فإين ذلك المال واين ذلك التكبر وقيل معناه ما نفعلكم جماعتكم التي استندتم اليها وتجبركم عن الانقياد لأنبياء الله في الدنيا عن الجبائي ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ أي حلفتم أنهم لا يصيبهم الله برحمة وخير ولا يدخلون الجنة كذبتهم ثم يقولون لهؤلاء ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ أي لا خائفين ولا محزونين على اكمل سرور واتم كرامة والمراد بهذا تقريع الذين زروا^(١) على ضعفاء المؤمنين حتى حلفوا أنهم لا خير لهم عند الله وقد اضطربت أقوال المفسرين في القائل لهذا القول فقال الأكثرون انه كلام اصحاب الاعراف وقيل هو كلام الله تعالى وقيل كلام الملائكة والصحيح ما ذكرناه لأنه المروي عن الصادق (ع).

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ

الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسَوُا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ

هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَايَتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٥١﴾

[اللغة] الإفاضة إجراء المائع من علو ومنه قولهم أفاضوا في الحديث أي اخذوا فيه من اوله لأنه بمنزلة اعلاه وأفاضوا من عرفات الى المزدلفة صاروا اليها واللهو طلب صرف الهيم بما لا يحسن ان يطلب به واللعب طلب المرح بما لا يحسن ان يطلب به واشتقاقه من اللعاب وهو المرور على غير استواء .

[الاعراب] قال أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ثم قال حرمهما ولم يقل حرمه وان كان التقدير أفيضوا احد هذين لأنه جاء على قولهم جالس الحسن أو ابن سيرين فيجوز مجالستهما جميعاً وقوله الذين اتخذوا يجوز ان يكون في موضع جر صفة للكافرين ويحتمل ان يكون رفعاً بالابتداء فيكون اخباراً من الله تعالى على وجه الذم لهم .

(١) زراً عليه عمله : عابه أو عابه عليه .

[المعنى] ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ كَلَامَ أَهْلِ النَّارِ وَمَا أَظْهَرُوهُ مِنَ الْاِفْتِقَارِ بَدَلًا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْاِسْتِكْبَارِ فَقَالَ ﴿وَنَادَى﴾ أَيُّ وَسِيْنَادِي ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ وَهُمْ الْمُخْلَدُونَ فِي النَّارِ وَفِي عَذَابِهَا ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ أَيُّ صَبَّوْا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ نَسْكُنَ بِهِ الْعَطَشَ أَوْ نُدْفِعَ بِهِ حَرَّ النَّارِ ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ أَيُّ اعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنَ الطَّعَامِ عَنْ السَّيِّئِ وَابْنُ زَيْدٍ ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي أَهْلَ الْجَنَّةِ جَوَابًا لَهُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وَيَسْأَلُ فَيَقَالُ كَيْفَ يَنَادِي أَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ وَأَهْلَ الْجَنَّةِ فِي السَّمَاءِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّوَايَةُ وَأَهْلَ النَّارِ فِي الْأَرْضِ وَبَيْنَهُمَا ابْعَدِ الْغَايَاتِ مِنَ الْبَعْدِ وَأَجِيبْ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَزِيلَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ مَا يَمْنَعُ مِنَ السَّمَاعِ وَيَجُوزُ أَنْ يَقْوِيَ اللَّهُ أَصْوَاتَهُمْ فَيَسْمَعُ بَعْضُهُمْ كَلَامَ بَعْضٍ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أَيُّ اعْتَدَوْا دِينَهُمُ الَّذِي أَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لِلْهَوِّ وَاللَّعِبِ دُونَ التَّوْبَةِ بِهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ اتَّخَذُوا دِينَهُمُ الَّذِي كَانَ يُلْزِمُهُمُ التَّوْبَةُ بِهِ وَالتَّجَنُّبُ مِنْ مُحْظُورَاتِهِ لَعِبًا وَلَهْوًا فَحَرَّمُوا مَا شَاءُوا وَاسْتَحْلَوْا مَا شَاءُوا بِشَهَوَاتِهِمْ ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أَيُّ اغْتَرَوْا بِهَا وَبَطَلُوا الْبَقَاءَ فِيهَا فَكَأَنَّ الدُّنْيَا عَرَّتْهُمْ ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ أَيُّ نَتْرَكْنَاهُمْ فِي الْعَذَابِ كَمَا تَرَكُوا التَّاهِبَ وَالْعَمَلَ لِلْقَاءِ هَذَا الْيَوْمِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُجَاهِدٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ نَعَامْنَاهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُنْسِي فِي النَّارِ فَلَا يَحِيبُ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا نَرْحَمُ لَهُمْ عِبْرَةٌ كَمَا تَرَكُوا الْاِسْتِدْلَالَ حَتَّى نَسُوا الْعِلْمَ وَتَعَرَّضُوا لِلنَّسْيَانِ عَنِ الْجَبَاتِي ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ مَا فِي الْمَوْضُوعَيْنِ بِمَعْنَى الْمَصْدَرِ وَتَقْدِيرُهُ كَنَسْيَانَهُمْ لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَكَوْنَهُمْ جَا حِدِينَ لِآيَاتِنَا وَاخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقِيلَ إِنَّ الْجَمِيعَ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْحِكَايَةِ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَتَمَّ كَلَامُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَ قَوْلِهِ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ وَقِيلَ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى قَوْلِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ثُمَّ اسْتَأْنَفَ تَعَالَى الْكَلَامَ بِقَوْلِهِ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ .

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ

فَصَّلَّنَّهِ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ

إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا

أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾

[اللغة] الكتاب صحيفة فيها^(١) حروف مسطورة تدل بتأليفها على معان مفهومة والتفصيل والتبيين والتقسيم نظائر ينظرون أي ينتظرون والانتظار هو الاقبال على ما يأتي بالتوقع له وأصله الاقبال على الشيء بوجه من الوجوه والتأويل ما يؤول إليه حال الشيء والنسيان ذهاب المعنى عن النفس واختلف المتكلمون فيه فقال أبو علي الجبائي أنه معنى وقال أبو هاشم ليس بمعنى وإنما هو من قبيل السهو وقال القاضي هو ذهاب العلم الضروري وأليه ذهب المرتضى .

[الاعراب] هدى ورحمة يجوز ان يكون حالاً ويجوز ان يكون مفعولاً له وقال أبو مسلم مصدر وضع موضع الحال ولو قرئ بالرفع على الاستئناف أو بالجر على البدل لجاز إلا ان القراءة بالنصب فيشفعوا نصب لأنه جواب التمني بالفاء وتقديره هل يكون لنا شفاء فشفاعة، أو نرد بالرفع على تقدير أو هل نرد فنعمل أي هل يكون لنا رد قال فعل أي فعل منا غير ما كنا عملناه .

[المعنى] لما ذكر حال الفريقين بين سبحانه أنه قد أتاهم الكتاب والحجة فقال ﴿ولقد جئناهم بكتاب﴾ وهو القرآن ﴿فصلناه﴾ بيناه وفسرناه ﴿على علم﴾ أي ونحن عالمون به ولما كانت لفظة عالم مأخوذة من العلم جاز ان يذكر العلم ليدل به على العالم كما ان الوجود في صفة الموجود كذلك ﴿هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ أي دلالة ترشدهم إلى الحق وتنجيهم من الضلالة ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به ﴿هل ينظرون الا تأويله﴾ أي هل ينتظرون إلا عاقبة لجزاء عليه وما يؤول مغبة أمورهم اليه^(٢) عن الحسن وقتادة ومجاهد والسدي وإنما أضاف اليهم مجازاً لأنهم كانوا جاحدين لذلك غير متوقعين له وإنما كان ينتظر بهم المؤمنون لإيمانهم بذلك واعترافهم به وقيل ان تأويله ما وعدوا به من البعث والنشور والحساب والعقاب عن الجبائي ﴿يوم يأتي تأويله﴾ أي يوم يأتي عاقبة ما وعدوا به ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ أي يقول الذين تركوا العمل به ترك الناس له واعرضوا

(٢) المغبة : عاقبة الشيء .

(١) [كتابة والكتابة] .

عنه عن مجاهد والزجاج ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ اعترفوا بأن ما جاءت به الرسل كان حقاً والحق ما شهد بصحته العقل ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ تمنوا ان يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العقاب ﴿أو نرد﴾ أي أو هل نرد إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ من الشرك والمعصية ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ أي أهلكوها بالعذاب ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ على الاصنام بقولهم انها آلهة وانها تشفع لنا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حَبِيبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ
أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير حفص ويعقوب يغشي بالتشديد وكذلك في الرعد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كله بالرفع والباقون بالنصب.

[الحجة] قال أبو علي غشي فعل متعد إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة أو بتضعيف العين تعدى إلى مفعولين وقد جاء التنزيل بالأمرين قال فغشاها ما غشى فما في موضع نصب بأنه المفعول الثاني وقال فأغشينا هم فهم لا يبصرون فهذا منقول بالهمزة والمفعول الثاني محذوف والمعنى فأغشيناهم العمى أو فقد الرؤية عنهم فإذا جاء التنزيل بالأمرين فكلاً للفريقين قرأ بما جاء في التنزيل وقوله يغشي الليل والنهار كل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به والفعل قبل النقل غشي الليل والنهار ولم يقل يغشي النهار والليل كما قال سراييل تقيكم الحر ولم يقل تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ومثل هذا لا يضيق وحجة من نصب الشمس والقمر والنجوم له حملة على خلق كما قال واسجدوا لله الذي خلقهن وحجة ابن عامر قوله وسخر لكم ما في السماوات^(١) والأرض ومما في السماء الشمس والقمر فإذا أخبر بستخيرهما حسن الإخبار عنهما به كما أنك إذا قلت ضربت زيداً

(١) والصواب « وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض » .

استقام ان تقول زيد مضروب .

[اللفظة] قد بينا معنى الاستواء في سورة البقرة عند قوله ثم استوى إلى السماء والعرش السرير ومنه ولها عرش عظيم والعرش المُلْك يقال نُلَّ عَرْشُهُ^(١) والعرش السقف ومنه قوله فهي خاوية على عروشها والحديث السير السريع بالسوق واصل البركة الثبات ومنه بَراكاه القتال .

[الإعراب] قوله حثيثاً يجوز أن يكون حالاً من الفاعل أو المفعول أو منهما جميعاً ومثله قوله فأتت به قومها تحمله فإن تحمله كذلك ومثله قول الشاعر:

مَتَى مَا تَلْقَيْنِي فَزِدِينِ تَرْجُفَ رَوَائِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا^(٢)

[المعنى] لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله سبحانه احتج عليهم بمقدوراتهم ومصنوعاته ودلهم بذلك على انه لا معبود سواه فقال مخاطباً لجميع الخلق ﴿ان ربكم الله﴾ أي ان سيّدكم ومالككم ومنشئكم ومُحدثكم هو الله ﴿الذي خلق السماوات﴾ أي انشأ اعيانها وابدعها لا من شيء ولا على مثال ثم امسكها بلا عماد يدعمها ﴿والأرض﴾ أي وأنشأ الأرض أوجدها كذلك ﴿في ستة أيام﴾ أي في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا ولا شبهة انه سبحانه يقدر على خلق امثال ذلك في لحظة ولكنه خلقهما في هذه المدة لمصلحة ورتبهما على أيام الأسبوع فابتدأ بالأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة فاجتمع له الخلق يوم الجمعة فلذلك سُمي الجمعة عن مجاهد وقيل ان ترتيب الحوادث على انشاء شيء بعد شيء على ترتيب أدل على كون فاعله عالماً مدبراً يصرفه على اختياره ويجريه على مشيئته وقيل انه سبحانه علّم خلقه الثبوت والرفق في الأمور عن سعيد بن جبير ﴿ثم استوى على العرش﴾ أي استوى امره على الملك عن الحسن يعني استقرّ ملكه واستقام بعد خلق السماوات والأرض فظهر ذلك للملائكة وإنما أخرج هذا على المتعارف من كلام العرب كقولهم استوى المَلِك على عرشه إذا انتظمت أمور مملكته وإذا اختل أمر ملكه قالوا نُلَّ عَرْشُهُ ولعل ذلك المَلِك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير ابدأ قال الشاعر:

إِذَا مَا بَنُو مَرْوَانَ ثُلَّتْ عُرُوشُهُمْ وَأَوْدَتْ كَمَا أَوْدَتْ إِيسَادُ وَحَمِيرُ^(٣)

(١) ثل عرشهم : ذهب عزهم . ثل الله عرشهم : هدم ملكهم .

(٢) رجف الشيء : تحرك واضطرب شديداً . الروائف جمع الرانفة : أسفل الآلية الذي يلي الأرض عند القعود . استطير فلان : دعر .

(٣) أودى : هلك . وإيساد - بالكسر - وحمير قبيلتان .

وقال :

إِنْ يَفْقَهُوْكَ فَقَدْ ثَلَّثَتْ غُرُوْشِهِمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
 وقيل معناه ثم استوى عليه بأن رفعه عن الجبائي وقيل معناه ثم قصد إلى خلق العرش
 عن الفراء وجماعة واختاره القاضي قال دُلُّ بقوله ثم ان خلق العرش كان بعد خلق السماء
 والأرض وروي عن مالك بن انس انه قال الاستواء غير مجهول وكيفيته غير معلومة والسؤال
 عنه بدعة وروي عن أبي حنيفة أنه قال أمره كما جاء أي لا تفسروه ﴿يفشى﴾ أي يلبس ﴿الليل
 النهار﴾ يعني يأتي بأحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ولم يقل
 ويفشى النهار الليل لأن الكلام يدلُّ عليه وقد ذكر في موضع آخر يَكُوِّرُ الليل على النهار ويَكُوِّرُ
 النهار على الليل ﴿يطلبه حثيثاً﴾ أي يتلوه فيدركه سريعاً وهذا توسُّع يريد أنه يأتي في أثره كما
 يأتي الشيء في أثر الشيء طالباً له ﴿والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره﴾ أي مذللات
 جاريات في مجاريهن بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد ومن قرأ مسخرات بالنصب فإنه
 منصوب على الحال ﴿ألا له الخلق والأمر﴾ إنما فصلُ بين الخلق والأمر لأن فائدتهما
 مختلفة لأنه يريد بالخلق ان له الاختراع وبالأمر ان له ان يأمر في خلقه بما أحبَّ ويفعل بهم
 ما شاء ﴿تبارك الله﴾ أي تعالى بالوحدانية فيما لم يقل ولا يزال فهو بمعنى تعالى بدوام الثبات
 وقيل معناه تعالى عن صفات المخلوقين والمحدثين وقيل تعالى بدوام البركة أي البركة في
 ذكر اسمه ﴿رب العالمين﴾ أي خالقهم ومالكهم وسيدهم .

﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ اِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا
 فِي الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا وَاَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ اِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ
 قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر عن عاصم خفية بكسر الخاء والباقون بضمها وهما لغتان .

[اللغة] التضرع التذلل وهو اظهار الذل الذي في النفس ومثله التخشع ومنه التطلب
 لأمر من الأمور واصل التضرع الميل في الجهات ذلاً من قولهم ضرع الرجل يضرع ضرعاً إذا
 مال باصبعه يميناً وشمالاً ذلاً وخوفاً ومنه ضرع الشاة لأن اللبن يميل إليه ومنه المضارعة

للمشابهة لأنها تميل إلى شبه والضرع نبت لا يسمن لأنه يميل مع كل داء والخفية خلاف العلانية والهمزة في الاخفاء منقلبة عن الياء كما ان الهمزة في الغناء منقلبة عن الياء بدلالة الغنية وقالوا اخفيت الشيء إذا اظهرته قال الشاعر:

يُخْفِي التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثُمَانِيَّةٍ فِي أَرْبَعٍ مَسْهُنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ^(١)

ويمكن ان يكون اخفيت الشيء أي أزلت اظهره وإذا أزلت اظهره فقد كتمته كما ان اشكيته بمعنى أزلت شكايته والخفية الاخفاء والخيفة الخوف والرهة والطمع توقع المحبوب وضده اليأس وهو القطع بانتفاء المحبوب.

[الإعراب] تضرعاً وخفية مصدران وضعاً موضع الحال أي ادعوه متضرعين ومخفين وقوله خوفاً وطمعاً في موضع الحال أيضاً أي خائفين عقابه وطامعين في رحمته قال الفراء إنما ذكر قريب ولم يؤنث ليفصل بين القريب من القرابة والقريب من القرب قال الزجاج وهذا غلط لأن كل ما قرب في مكان أو نسب فهو جار على ما يصيبه من التأنيث والتذكير والوجه في تذكيره هنا ان الرحمة والغفران والعفو في معنى واحد وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي وقال الأخفش جائز أن يكون اراد بالرحمة هنا النظر فلذلك ذكره ومثله قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ سَائِلُ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ^(٢)

أي ما هذه الصيحة وقول الآخر :

إِنَّ السَّمَاخَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضَمِنَا قَبْرًا يَمْرُو عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

[المعنى] ثم أمر سبحانه بعد ذكره دلائل توحيده بدعائه على وجه الخشوع كافة عبده فقال ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ أي تخشعاً وسراً عن الحسن قال بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ثم قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلي الصلاة الكثيرة في بيته وعنده الزور^(٣) فلا يشعرن به ولقد تداركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدررون ان

(١) الظلف : ظفر كل ما اجتر وهو للبقرة والشاة والظلي وشبهها بمنزلة القدم للإنسان وقوله أربع أريد به اليدان والرجلان . والتحليل بمعنى التقليل ، وأصله من تحليل اليعين بأقل المسمى .

(٢) أزجاء : ساقه . (٣) الزور بمعنى الزائر .

يعملوه في السر فيكون علانية أبداً ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله كان في غزاة فأشرفوا على واد فجعل الناس يهللون ويكبرون ويرفعون اصواتهم فقال ﷺ يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم اما أنكم لا تدعون الأصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً أنه معكم وقيل ان التضرع رفع الصوت والخفية السر أي ادعوه علانية ورساً عن أبي مسلم ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره ﴿انه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء قيل هو ان يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء عن ابي مجلز وقيل هو الصياح في الدعاء عن ابن جريج وقيل معناه لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها﴾ ومعناه النهي عن قتل المؤمنين واضلالهم والعمل بالمعاصي في الأرض بعد ان اصلحها الله بالكتب والرسل عن السدي والحسن والضحاك والكلبي وقيل بعد ان أمر الله بالاصلاح فيها قال الحسن واصلاحها اتباع أوامر الله تعالى فيها وروي عنه أيضاً أنه قال لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد اصلاحها ببقائه وقيل لا تفسدوها بالظلم بعد اصلاحها بالعدل وقيل معناه لا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم عن عطية وعلى هذا فيكون معنى قوله بعد اصلاحها بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وروي مسر عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال ان الأرض كانت فاسدة فأصلحها الله بنبيه ﷺ ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه وقيل خوفاً من الرد وطمعاً في الإجابة وقيل خوفاً من عدله وطمعاً في فضله عن ابن جريج وقيل معناه خوفاً من النيران وطمعاً في الجنان عن عطاء ﴿ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ معناه ان انعام الله قريب إلى فاعلي الاحسان وقيل ان رحمة الله أي ثوبه قريب من المطيعين عن سعيد بن جبير وقيل المراد بالرحمة المطر عن الأخفش ويؤيده قوله فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها والانسان هو النفع الذي يستحق به الحمد والاساءة هي الضرر الذي يستحق به الذم ومن قال ان المراد بالمحسنين من خلصت افعاله من الإساءة وكانت كلها حسنة فالظاهر لا يقتضي ذلك بل الذي يقتضيه ان رحمة الله واصلة إلى من فعل الاحسان وليس فيه أنه لا يصل إلى من جمع الاحسان والاساءة وذلك موقوف على الدلالة .

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ

فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ
 الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ
 رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
 لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير الريح واحدة ونُشراً مضمومة النون والشين وقرأ أهل المدينة والبصرة الرياح جمع نُشْر بضم النون والشين حيث كان وقرأ أهل الكوفة غير عاصم الريح نُشراً بفتح النون وسكون الشين وقرأ ابن عامر الرياح نُشراً بضم النون وسكون الشين وقرأ عاصم الرياح بُشراً بالباء ساكنة الشين وقرأ ابو جعفر إلا نكدًا بفتح الكاف والباقون بالكسر .

[الحجة] قال أبو علي اعلم ان الريح اسم على فعل والعين منه واو فانقلبت في الواحد للكسر فأما في الجمع القليل فصحت لأنه لا شيء فيه يوجب الاعلال ألا ترى ان الفتحة لا توجب إعلال هذه الواو في نحو قوم وقول فأما في الجمع الكثير فرياح انقلبت ياء للكسرة التي قبلها وإذا كانت انقلبت في نحو ديمة وديم وحيلة وحيل فإن تنقلب في رياح اجدر لوقوع الألف بعدها والألف تشبه الياء والياء إذا تأخرت عن الواو أوجب فيه الإعلال وكذلك الألف لتشبهها بها وقد يجوز ان يكون الريح على لفظ الواحد ويراد به الكثرة كقولهم كثر الدرهم والدينار والشاة والبعير وان الإنسان لفي خسر ثم قال إلا الذين آمنوا وكذلك من قرأ الريح نُشراً فأفرد ووصفه بالجمع فإنه حمله على المعنى وقد اجاز أبو الحسن ذلك وقال الشاعر :

فِيهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُدُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ (١)

ومن نصب حمله على المعنى لأن المفرد يراد به الجمع وهذا وجه قراءة ابن كثير وقول من جمع الريح إذا وصفها بالجمع الذي هو نُشراً احسن لأن الحمل على المعنى ليس بكثير كالحمل على اللفظ وأما ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول إذا هبت ريح اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً فلأن عامة ما جاء في التنزيل على لفظ الرياح للسقيا والرحمة كقوله تعالى ﴿ وارسلنا الرياح لواقح ﴾ و ﴿ يرسل الرياح مبشرات ﴾ وما جاء بخلاف ذلك جاء على الافراد كقوله ﴿ فأهلكوا بريح صرصر عاتية ﴾ ريح فيها عذاب أليم قال

(١) الحلوبة : المحلوبة . وخافية واحدة الخوافي وهي الريشات التي إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .

أبو عبيدة نشرأ متفرقة من كل جانب وقال أبو زيد انشر الله الموتى انشأراً إذا بعثها وانشر الله الريح مثل احيائها فنشرت هي أي حييت والدليل على أن انشار الريح احيائها قول الممرار الفقعي .

وَهَبْتُ لَهُ رِيحَ الْجَنُوبِ وَإِخْيَيْتُ لَهُ رِيْدَةً يُخَيِّ الْمِيَاءَ نَسِيْمَهَا^(١)

والريدة والريدانة الريح قال (أودت به ريْدَانَةٌ صَرْصَرٌ) ومن قرأ نشرأ يحتمل ضربين يجوز أن يكون جمع ريح نشور وريح ناشر ويكون على معنى النسب فإذا جعلته جميع نشور احتمل امرين (أحدهما) أن يكون النشور بمعنى المنشر كما أن الركوب بمعنى المركوب فكان المعنى ريح أو رياح منشرة ويجوز أن يكون جمع نشور يراد به الفاعل مثل طهور ونحوه من الصفات ويجوز أن يكون نشرأ جمع ناشر كشاهد وشُهد ونازل ونُزل وقَاتِل وقُتِل قال الاعشى (إننا لإمثالكم يا قومنا قُتِل) وقول ابن عامر نشرأ يحتمل الوجهين (أحدهما) أن يكون على فعول وفاعل وخفف العين كما خفف في كُتِبَ ورُسِلَ ويكون جمع فاعل كنازل وينزل وعايط وعيط واما من قرأ نشرأ فإنه يحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون المصدر حالاً من الريح فإذا جعلته حالاً منها احتمل امرين (أحدهما) أن يكون النشر الذي هو خلاف الطي كأنها كانت بانقطاعها كالمنطوية ويجوز على تأويل أبي عبيدة أن تكون متفرقة في وجوها (والآخر) أن يكون النشر الذي هو الحياة في نحو قوله (يا عجباً للميت الناشر) فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر يراد به الفاعل كما تقول أنا نا ركباً أي راكضاً ويجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول كأنه يرسل الرياح انشأراً أي محياة فحذف الزوايد من المصدر كما قال عَمْرُكَ اللَّهُ وكما قال (وَأَنْ يَهْلِكَ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي) أي تقديري (والضرب الآخر) أن يكون نشرأ ينتصب انتصاب المصدر من باب صنع الله لأنه إذا قال يرسل الرياح دل هذا الكلام على تنشر الرياح نشرأ أو تنشر نشرأ من قوله (كما تُنْشَرُ بَعْدَ الطَّيَةِ الْكُتُبُ) ومن نشرت الريح كما ينشر الميت وقرأ عاصم بُشْراً جمع بشير وبشر من قوله ﴿يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ مَبْشَرَاتٍ﴾ أي تبشر بالمطر والرحمة وجمع بشيراً على بُشْر ككتاب وكُتِبَ الوجه في قراءة أبي جعفر نَكْدًا أنه لغة في نَكْد قال الزجاج ويجوز فيه وجهان آخران نَكْدًا ونَكْدًا إلا أنه لم يثبت بهما رواية .

[اللغة] الإقلال حمل الشيء بأسره حتى يقل في طاقة الحامل له بقوة جسمه يقال

استقل بحمله استقلالاً واقله اقلالا والسحاب الغيم الجاري في السماء يقال سحبته فانسحب

(١) وفي اللسان « الممات » بدل « المياء » .

والسوق حث الشيء في السير حتى يقع الاسراع فيه يقال ساقه واستاقه والبلد هو الأرض التي تجمع الخلق الكثير والبادية كالبلد للأعراب ونحوهم من الإكراد والنكد العسير الممتنع من اعطاء الخير على وجه البخل يقال نكد ينكد نكدًا ونكدًا فهو نكد ونكد وقد نكد إذا سئل فبخل قال الشاعر:

وَأَعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ طَيْبًا لَا خَيْرَ فِي الْمُنْكَودِ وَالنَّكَيدِ

[المعنى] لما أخبر الله سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السماوات والأرض وما فيها من البدائع عطف على ذلك بقوله ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ تعداد النعمة على بريته أي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض أو محيية للأرض أو مبشرة بالغيث على ما تقدم بيانه قدام رحمته وهو المطر ﴿حتى إذا أقلت﴾ أي حملت وقيل رفعت ﴿سحاباً ثقالاً﴾ بالماء ﴿سقناه لبلد ميت﴾ أي إلى بلد ميت وموت البلد تعفي مزارعه ودروس مشاربه لا نبات فيه ولا زرع ولم يقل سقناها لأنه ردّ الضمير إلى لفظ السحاب والرياح تجمع السحاب من المواضع المختلفة حتى إذا اتصل السحاب انزل المطر ﴿فأنزلنا به الماء﴾ يجوز أن يكون في الضمير في به راجعاً إلى البلد أي فأنزلنا بالبلد الماء ويجوز أن يكون راجعاً إلى السحاب أي فأنزلنا بالسحاب الماء ﴿فاخرجنا به﴾ أي بهذا الماء المنزل أو بهذا البلد ﴿من كل الثمرات﴾ يحتمل أن يكون من للتبعيض ويحتمل أن يكون لتبيين الجنس ﴿كذلك نخرج الموتى﴾ أي كما اخرجنا الثمرات كذلك نخرج الموتى بأن نحياها بعد موتها ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي لكي تتذكروا وتفكروا وتعتبروا بأن من قدر على انشاء الاشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه ولا زرع يريح يرسلها فإنه يقدر على احياء الاموات بأن يعيدها إلى ما كانت عليه ويخلق فيها الحياة والقدرة واستدل ابو القاسم البلخي بهذه الآية على أن كثيراً من الاشياء يكون بالطبع قال لأن الله تعالى بين انه يخرج الثمرات بالماء الذي ينزله من السماء ثم قال ولا ينبغي ان ينكر ذلك وإنما ينكر قول من يقول بقدوم الطبايع وأن الجهادات فاعلة فأما من قال أن الله تعالى هو الفاعل لهذه الأشياء غير أنه يفعلها تارة مخترعة بلا وسائط وتارة يفعلها بوسائط فلا كراهة في ذلك كما تقول في السبب والمسبب وانكر عليه هذا القول أكثر أهل العدل وقالوا ان الله سبحانه أجرى العادة باخراج النبات عند انزال المطر مع قدرته على اخراج ذلك من غير مطر لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح الدينية والدنيوية ثم بين سبحانه حال الأرض التي يأتيها المطر فقال ﴿والبلد الطيب﴾ معناه والأرض الطيب ترابه ﴿يخرج نباته﴾ أي

زروعه خروجا حسنا ناميا زاكيا من غير كد ولا عناء ﴿بإذن ربه﴾ بأمر الله تعالى وإنما قال بإذن ربه ليكون ادل على العظمة ونفوذ الإرادة من غير تعب ولا نصب ﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكدا﴾ أي والأرض السبخة التي خبث ترابها لا يخرج ريعها إلا شيئا قليلا لا ينتفع به عن السدي ومعناه الا عسرا ممتنعا من الخروج ولو اراد سبحانه ان يخرج من الأرض النكدة اكثر مما يخرج من الأرض الطيبة لا مكنه إلا انه اجري العادة بإخراجه من الأرض الطيبة ليكون ذلك باعثا للانسان على طلب الخير من مظانه ودلالة له على وجوب الاجتهاد في الطاعات فإذا حمل نفسه على ابتغاء الخير اليسير الذي لا يدوم وربما لا يحصل فإن يتغني النعيم الدائم الذي لا يفنى ولا يبید بالاعمال الصالحة اولى ﴿كذلك نصرف الآيات﴾ أي الدلالات المختلفة ﴿لقوم يشكرون﴾ معناه كما بينا هذا المثل نبين الدلالات للشاكرين وقيل كما صرفنا الآيات لكم بالآيتين بآية بعد آية وحجة بعد أخرى نصرفها لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم ومن انعامه عليهم هدايته إياهم لما فيه نجاتهم وتبصيرهم سبيل أهل الضلال وامره إياهم تجنب ذلك والعدول عنه وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن ان هذا مثل ضربة الله تعالى للمؤمن والكافر فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ومنها سبخة لا تنبت شيئا فإن انبتت فما لا منفعة فيه وكذلك القلوب كلها لحم ودم ثم منها لين يقبل الوعظ ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ فليشكر الله تعالى من لان قلبه لذكره .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ
 أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ
 مُّبِينٍ ٦٠ قَالَ يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
 مَا لَا تَعْلَمُونَ ٦٢ أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ

مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ
وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر والكسائي من إله غيره بخفض الراء حيث وقع والباقون بالرفع وقرأ أبو عمرو وحده أبلغكم بتخفيف اللام والباقون بتشديد ها .

[الحجة] قال أبو علي وجه قراءة من جرَّ أنه جعل غيراً صفة لإله على اللفظ وجعل لكم مستقراً أو جعله غير مستقر واضمر الخبر والخبر ما لكم في الوجود أو في العالم أو نحو ذلك لا بد من هذا الاضمار إذا لم نجعل لكم مستقراً لأن الصفة والموصوف لا يستقل بهما كلام وحجة من رفع قوله ما من إله إلا الله فكما أن قوله إلا الله بدل من قوله من إله كذلك قوله غيره يكون بدلاً من قوله من إله وغيره يكون بمنزلة الاسم الذي بعد إلا وهذا الذي ذكرنا أولى أن يحمل عليه من أن يجعل غير صفة لإله على الموضع فإن قلت ما تنكر أن يكون إلا الله صفة لقوله من إله على الموضع كما كان قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله صفة لآلهة قيل إن إلا بكونها استثناء اعرف وأكثر من كونها صفة وإنما جعلت صفة على التشبيه بغير فإذا كان الاستثناء أولى حملنا هل من خالق غير الله على الاستثناء من المنفي في المعنى لأن قوله هل من خالق غير الله بمنزلة ما من خالق غير الله ولا بد من اضمار الخبر كأنه ما من خالق للعالم غير الله^(١) ويؤكد ذلك لا إله إلا الله فهذا استثناء من منفي مثل لا أحد في الدار إلا زيد فأما قراءة حمزة والكسائي هل من خالق غير الله فعلى أن جعلاً غير صفة للخالق وأضمر الخبر كما تقدم والباقون جعلوه استثناء بدلاً من المنفي وهو الأولى عندنا لما تقدم من الاستشهاد عليه من قوله ما من إله إلا الله وما أبلغكم فالقول فيه أن بلغ يتعدى إلى مفعول في نحو بلغني الخبر فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين والنقل يكون بالهمزة وبتضعيف العين وكلا الأمرين جاء به التنزيل قال سبحانه يا أيها الرسول بلغ إلى قوله فما بلغت رسالته وقال فإن تولوا فقد أبلغتكم وليعلم أن قد أبلغوا .

[اللغة] الملاء الجماعة من الرجال خاصة ومثله القوم والنفر والرهط عن القراءة وسُموا بذلك لأنهم يملأون المحافل والقوم الجمع الذي يقوم بالأمر سُموا بالمصدر والابلاغ

(١) أي كأنه قال ما من خالق للعالم غير الله .

ايصال ما فيه بيان وافهام ومنه البلاغة وهو ايصال المعنى إلى النفس بأحسن صورة من اللفظ والبلغ الذي ينشيء البلاغة لا الذي يأتي بها على وجه الحكاية والفرق بين الإبلاغ والاداء ايصال الشيء على الوجه الذي يجب فيه ومنه فلان أدى الدين أداءً وفلان حسن الاداء لما يسمع وحسن الاداء للقراءة والرسالات جمع رسالة وهي جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره والنصيحة اخلاص النية من شائب الفساد في المعاملة والفلك والسفن يقع على الواحد وعلى الجمع واصله الدور مشتق من قولهم فلَّك ثدي الجارية إذا استدار ومنه الفَّلْكة والفَّلْكَ.

[الإعراب] يا قوم حذف ياء الإضافة لقوة النداء على التغيير حتى يحذف للترخيم فلما جاز أن يحذف في غير النداء للاجترأ بالكسرة منها لزم ان يحذف فيه لاجتماع سببين فيها لكني اصله لكنني حذف النون لاجتماع النونات ويجوز الإتمام في غير القرآن لأنه الاصل وكذلك اني وكأني فأما ليتني فلا يجوز فيه إلا اثبات النون لأنه لم يعرض فيه علة الحذف وأما لعلّي فيجوز فيه الوجهان لأن اللام قريبة من النون، رسول من رب العالمين من هنا لابتداء الغاية أي هو ابتدائي بالرسالة وكل مبتدأ بفعل فذلك الفعل منه واصل من أن يكون لابتداء الغاية.

[المعنى] لما بين الله سبحانه الأدلة على وحدانيته ذكر بعده حال من عاند وكذب رسله تسلياً لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وتثبيتاً له على احتمال الأذى من قومه وتحذيراً لهم عن الاقتداء بأولئك فينزل بهم ما نزل بهم وابتداء بقصة نوح فقال ﴿لقد ارسلنا نوحاً إلى قومه﴾ اللام للقسم وقد تأكيد للكلام وتقديره حقاً اقول انا حملنا نوحاً الرسالة إلى قومه وتحميل الرسالة تكليفه القيام بها وهي منزلة جليلة شريفة يستحق الرسول بتقبله إياها وقيامه بعبائتها من تعظيم والاجلال مالا يستحق بغيره وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع) وهو أول نبي بعد ادريس وقيل أنه كان نجاراً وولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) قبل موت آدم في الألف الاولى وبعث في الألف الثانية وهو ابن اربعمائة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً وكان في تلك الالف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعوهم ليلاً ونهاراً فلا يزيدهم دعاؤه إلا فراراً وكان يضربه قومه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ثم شكاهم إلى الله تعالى ففرغت له الدنيا وعاش بعد ذلك تسعين سنة وروي أكثر من ذلك أيضاً ﴿فقال

يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴿١﴾ اخبر سبحانه أنه أمرهم بعبادة الله وحده لأنه لا إله لهم غيره ولا معبود لهم سواه ثم أوعدهم على مخالفته فقال ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ ﴿٢﴾ إنما قال أخاف ولم يقطع لأنه جَوَّزاً أن يؤمنوا ثم ذكر سبحانه جوابهم فقال ﴿قال الملأ من قومه﴾ أي الجماعة من قومه عن الجبائي وقيل الأشراف والرؤساء الذين يملأون الصدور هيئاً وجمالاً عن أبي مسلم ﴿إنا لثراك في ضلال مبين﴾ قيل معناه رؤية القلب الذي هو العلم أي إنا لنعلمك في ذهاب من الحق بين ظاهر لدعائك إيانا إلى ترك عبادة الاصنام وقيل معناه رؤية البصري أي نراك بأبصارنا على هذه الحال وقيل أنه من الرأي الذي هو غالب الظن فكانه قال إنا لنظنك ﴿قال يا قوم ليس بي ضلالة﴾ هذا اخبار عما اجابهم به نوح (ع) أي ليس بي عدول عن الحق ولا ذهاب عن الصواب يقال به ضلالة لأن معناه عرض به ذاك كما يقال به جنة ولا يجوز أن يقال به معرفة لأنها ليست مما يعرض لصاحبها ولكن يصح أن يقال به جوع وبه عطش ﴿ولكني رسول من رب العالمين﴾ الذي يملك كل شيء ﴿ابلغكم رسالات ربي﴾ أي أوذي اليكم ما حملي ربي من الرسالات ﴿وانصح لكم﴾ في تبليغ الرسالة على وجهها من غير تغيير ولا زيادة ولا نقصان ﴿وأعلم من الله﴾ أي من صفات الله وتوحيده وعدله وحكمته ﴿ما لا تعلمون﴾ وقيل أعلم من دين الله وقيل أعلم من قدرته وسلطانه وشدة عقابه ما لا تعلمونه والكل محتمل وقيل إنما قال ذلك لأن قوم نوح لم يسمعوا قط أن الله سبحانه عذب قوماً وقد سمعت الأمم بعدهم هلاك من قبلهم الا ترى أن هوداً قال جعلكم خلفاء من بعد نوح وقال شعيب مثل ما اصاب قوم نوح ﴿أو عجبتهم﴾ هذه همزة استفهام دخلت على واو العطف على جهة الانكار فبقيت الواو مفتوحة كما كانت فالكلام مستأنف من وجه متصل من وجه ﴿ان جاءكم ذكر﴾ أي لأن جاءكم بيان وقيل نبوة ورسالة ﴿من ربكم على رجل منكم لينذركم﴾ أي على بشر مثلكم ليخوفكم العقاب إن لم تؤمنوا وقيل أن «على» هنا بمعنى مع أي مع رجل منكم تعرفون مولده ومنشأه ليعلمكم بموضع المخافة وإنما انكر عليهم التعجب لأنه ليس في ارساله اليهم ليرشدكم إلى ما فيه صلاحهم موضع تعجب وإنما العجب من اعمال أمرهم كيف ووجوب الرسالة إذا كان للخلق فيها مصلحة أمر قد اقتضته الحكمة ودل عليه العقل ﴿ولتتقوا﴾ أي ولتتقوا الشرك والمعاصي ﴿ولعلمكم ترحمون﴾ أي ولكي ترحموا وقال الحسن ولتتقوه رجاء ان يرحمكم ﴿فكذبوه﴾ أي فكذبوا نوحاً فيما دعاهم إليه ﴿فانجيناه والذين معه في الفلك﴾ أي فخلصناه والذين كانوا معه في السفينة وهم المؤمنون من عذاب الغرق ﴿واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي واهلكنا الذين

كذبوا بدلائلنا بالماء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال رجل عم إذا كان أعمى القلب ورجل أعمى في البصر قال زهير
ولكنني عن علم ما في غد عمي .

[قصة نوح (ع)]

قد ذكرنا نسبه وكان من قصته ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده في كتاب النبوة مرفوعاً إلى أبي عبد الله (ع) قال لما بعث الله عز وجل نوحاً دعا قومه علانية، فلما سمع عقب هبة الله بن آدم من نوح تصديق ما في أيديهم من العلم وعرفوا أن العلم الذي في أيديهم هو العلم الذي جاء به نوح صدقوه وسلموا له فأما ولد قابيل فإنهم كذبوه وقالوا إن الجن كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكاً فلو أراد أن يبعث إلينا لبعث إلينا ملكاً من الملائكة حنان بن سديد عن أبي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر وفي حديث وهب بن منبه أن نوحاً (ع) كان أول نبي نبأه الله عز وجل بعد إدريس وكان إلى الأدمه ما هو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين دقيق الساقين طويلاً جسيماً دعا قومه إلى الله حتى انقرضت ثلاثة قرون منهم كل قرن ثلثمائة سنة يدعوهم سرّاً وجهراً فلا يزدادون إلا طغياناً ولا يأتي منهم قرن إلا كان أعتى على الله من الذين قبلهم وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيم على رأس نوح فيقول يا بني إن بقيت بعدي فلا تطيعن هذا المجنون وكانوا يثرون إلى نوح فيضربونه حتى يسيل مسامعه دماً وحتى لا يعقل شيئاً مما يصنع به فيحمل فيرمى به في بيت أو على باب داره مغشياً عليه فأوحى الله تعالى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من آمن فعندها أقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك فقال رب لا تذر على الأرض إلى آخر السورة فأعقم الله تعالى أصلاب الرجال وأرحام النساء ولبثوا أربعين سنة لا يولد لهم ولد وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتى هلكت أموالهم وأصابهم الجهد والبلاء ثم قال لهم نوح استغفروا ربكم إنه كان غفاراً الآيات فاعذر إليهم وانذر فلم يزدادوا إلا كفرأ فلما يش منهم أقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا لا تذر آلهمكم ولا تذرن ودّاً ولا سواعاً الآية يعنون آلهم حتى غرقهم الله وآلهم التي كانوا يعبدونها فلما كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الأصنام سمّوا أصنامهم بأسماء أصنام قوم نوح فاتخذ أهل اليمن يغوث ويعوق وأهل دومة الجندل صنماً سمّوه ودّاً واتخذت حمير صنماً سمّته نسرأ وهذيل صنماً سمّوه سواعاً فلم يزالوا يعبدونها حتى جاء الإسلام وسنذكر قصة السفينة والغرق في سورة هود إن

شاء الله تعالى وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن علي بن أحمد بن موسى قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال حدثنا سهل بن زياد الأدمي قال حدثنا عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال سمعت علي بن محمد (ع) يقول عاش نوح (ع) ألفين وخمسمائة سنة وكان يوماً في السفينة نائماً فهبت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث وزجرهما سام ونهاهم عن الضحك وكان كلما غطى سام ما يكشفه الريح كشفه حام ويافث فانتبه نوح فرآهم يضحكون فقال ما هذا فأخبره سام بما كان فرفع نوح يده إلى السماء يدعو فقال اللهم غير ماء صلب حام حتى لا يولد له إلا السودان اللهم غير ماء صلب يافث فغير الله ماء صلبهما فجميع السودان من صلب حام حيث كانوا وجميع الترك والسقلاّب ويأجوج ومأجوج والصين من يافث وجميع البيض سواهم من سام وقال نوح لحام ويافث جعل الله ذريتكم خولاً^(١) لذرية سام إلى يوم القيامة لأنه برّ بي وعققتما نبي فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذريتكما ظاهرة وسمة البرّ بي في ذرية سام ظاهرة ما بقيت الدنيا قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم أروه إلا من هذا الطريق وجميع الاخبار التي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده وأنه ضحك لما انكشفت عورة أبيه وان ساماً ويافث كانا في ناحية فبلغتهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان وألقيا عليه الثوب وهو نائم فلما استيقظ أوحى الله عز وجل إليه الذي صنع حام فلحن حاماً ودعا عليه وروى إبراهيم بن هاشم عن علي بن الحكم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة منها ثمانمائة وخمسين قبل ان يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومأتي عام في عمل السفينة وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمضّر الأمصار واسكن ولده البلدان ثم ان ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك يا ملك الموت فقال جئت لأقبض روحك فقال له تدعني أتحوّل من الشمس الى الظل فقال له نعم قال فتحوّل نوح ثم قال له يا ملك الموت كأن ما مرّ بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه (ع) .

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۖ قَالَ يَبْنَؤُمْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ۖ

مَالَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ ۖ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن

قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَنْظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
 قَالَ يَقَوْمٍ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾
 أَبْلِغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَن
 جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ
 جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً
 فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ
 وَحَدُّهُ وَنَذَرَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتَّبِعْنَا إِن كُنتَ
 مِن الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ
 وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَفَهْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ
 اللَّهُ بِهَِا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾
 فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا
 وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾

[اللغة] السفاهة خفة الحلم وثوب سفيه إذا كان خفيفاً قال مؤرج السفاهة الجنون
 بلغة حمير والفرق بين العجب والعجب أن العُجْب بضم العين عقد النفس على فضيلة لها
 ينبغي أن يعجب منها وليس كذلك العَجَب بفتح العين والعجيم لأنه قد يكون حسناً وفي المثل
 لا خير فيمن لا يتعجب من العجب وأردل منه المتعجب من غير عجب وخلفاء جمع خليفة
 وهو الكائن بدل غيره ليقوم مقامه في تدبيره وهذا الجمع على التذكير لا على اللفظ مثل
 ظريف وظرفاء وجائز أن يجمع على خلائف على اللفظ مثل ظريفة وظرائف والآء النعم
 وفي واحدها أربع لغات إلى مثل معي مثل قفا وإلى مثل زمي وإلى مثل جسي قال الأعشى :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْهَزَالَ وَلَا يَقْطَعُ رَحِمًا وَلَا يَخُونُ إِلَى

وروي إليّ أيضاً وقيل أنه أراد بقوله إلاّ بالتشديد فخففه وهو العهد والقراة والوقوع والسقوط والنزول نظائر والرجس العذاب وقيل الرجس الرجز قلبت الزاي سيناً كما قلبت السين تاء في قول الشاعر :

أَلَا لَحَى اللَّهَ بَنِي السُّغَلَاتِ عَمْرُو بْنُ يَرْبُوعٍ شِرَارِ النَّاسِ^(١)

أي الناس « لَيْسُوا بِأَعْفَافٍ وَلَا أَكْيَاسٍ » يريد أكياس .

[الإعراب] انتصب أخاهم هوداً بقوله أرسلنا في أول الكلام لأن تفصيل القصص يقتضي ذلك والتقدير وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً وصرف هود لخفته كما صرفت جمل لخفتها يا قوم موضع قوم نصب لأنه نداء مضاف ولو وصفته لم يجز في صفته إلا النصب قوله ولكني رسول استدرك ولكن لأن فيه معنى ما دعاني إلى أمركم السفه ولكن دعاني إليه أني رسول .

[المعنى] ثم خطف سبحانه على قصة نوح قصة هود فقال ﴿وإلى عاد﴾ وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ﴿أخاهم﴾ يعني في السبب لا في الدين ﴿هوداً﴾ وهو هود بن شالخ بن ارفحشد بن سام بن نوح (ع) عن محمد بن إسحاق وقيل هو هود بن عبد الله بن رياح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عن غيره وكذا هو في كتاب النبوة وإنما قال أخاهم لأنه أبلغ في الحجة عليهم إذا اختار الرسالة اليهم من هو من قبيلتهم ليكونوا إليه أسكن وبه آنس وعنه أفهم ﴿قال﴾ هود ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ قد مر تفسيره ﴿أفلا تتقون﴾ استفهام يراد به التقرير ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ قد مر تفسيره ﴿إنا لنراك﴾ يا هود ﴿في سفاهة﴾ أي جهالة ومعناه نراك سفيهاً إلا أنه قال في سفاهة على جهة المبالغة أي نراك منغمساً في سفاهة ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ أي كذبوه ظانين لا متيقنين عن الحسن والزجاج وقيل ان المراد بالظن هنا العلم كما في قول الشاعر :

فَقُلْتُ لَهُمْ ظُنُّوا بِأَلْفِي مُدَجِّجٍ سُرَاتُهُمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ^(٢)

ومعناه أيقنوا ﴿قال﴾ هود ﴿يا قوم ليس بي سفاهة﴾ أي لم يحملني على هذا الاخبار

(١) لحي الله فلاناً: قبحه ولعنه . (٢) المدجج : اللابس السلاح . والسراة بمعنى الاشراف . والمسرّد: الدرع .

السفاهة ﴿ولكنني رسول من رب العالمين﴾ هذا تعليم من الله تعالى بأن لا يقابل السفهاء بالكلام القبيح ولكن يقتصر الانسان على نفي ما أضيف اليه عن النفس ﴿أبلغكم رسالات ربي﴾ أي نبوات ربي إنما قال رسالات هنا وفيما تقدم بلفظ الجمع لأن الرسالة متضمنة لأشياء كثيرة من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والوعد والوعيد وغير ذلك فأتى بلفظ يدل عليها وإذا قال رسالة ربي بلفظ الواحد أتى بلفظة مشتملة على هذه الأشياء بطريق الاجمال ﴿وأنا لكم ناصح﴾ فيما ادعوكم اليه من طاعة الله وتوحيده ﴿أمين﴾ أي ثقة مأمون في تأدية الرسالة فلا أكذب ولا أغتر عن الضحاك والجبائي وقيل معناه كنت مأموناً فيكم فكيف تكذبونني عن الكلبي ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ أي لا عجب في أن جاءكم نبوة وقيل معجزة وبيان ﴿على رجل منكم﴾ في النسب نشأ بينكم وقيل إن معناه كيف تتعجبون من بعثة رجل منكم ولا تتعجبون من عبادة حجر ﴿ليذركم﴾ ليخوّفكم ﴿واذكروا جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ معناه واذكروا نعمة الله عليكم بأن جعلكم سكاّن الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالعصيان ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ أي طولاً وقوّة عن ابن عباس وجماعة قال الكلبي كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعاً وقيل كان أقصرهم اثني عشر ذراعاً وقال أبو جعفر الباقر (ع) كانوا كأنهم النخل الطوال وكان الرجل منهم ينحو الجبل بيديه فيهدم منه قطعة وقيل معناه وزاد في خلقكم بسطة فكانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يمدّ الإنسان يده فوق رأسه باسطاً ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي نعم الله ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي لكي تفوزوا بنعيم الدنيا والآخرة ﴿قالوا أجبثنا﴾ يا هود ﴿لنعبد الله وحده ونذر﴾ عبادة ﴿ما كان يعبد آباؤنا﴾ من الأصنام ﴿فأتنا بما تعدنا﴾ من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ في أنك رسول الله إلينا وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام ﴿قال﴾ هود لقومه جواباً عما قالوه ﴿قد وقع عليكم﴾ أي وجب عليكم وحلّ بكم لا محالة فهو كالواقع ﴿من ربكم رجس﴾ أي عذاب ﴿وغضب﴾ والغضب من الله ارادة العذاب بمستحقه ومثله السخط ﴿أتجادلونني﴾ أي أتناظرونني وتخاصمونني ﴿في أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم﴾ أي في أصنام صنعتوها أنتم وآباؤكم واخترعت لها أسماء سميتوها آلهة وما فيها من معنى الإلهية شيء وقيل معناه سميتهم لبعضها أنه يسقيهم المطر وآخر انه يأتيهم بالرزق وآخر انه يشفي المرضى وآخر انه يصحبهم في السفر ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ أي حجة وبرهان وبينه وعليكم البينة بما ادّعيتم وسمّيتم وليس عليّ أن آتيكم بالبينة على ما تعبدون من دون الله بل ذلك عليكم وعليّ أن آتيكم بسلطان مبين إن الله تعالى هو المعبود ولا معبود

سواه وإني رسوله ﴿فانتظروا﴾ عذاب الله فإنه نازل بكم ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لنزوله بكم عن الحسن والجبائي والمفسرين ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا﴾ أي فخلصنا هوداً والذين كانوا آمنوا معه من العذاب باخراجنا إياهم من بينهم قبل انزال العذاب بهم ﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا﴾ أي واستأصلنا الذين كذبوا بحججنا بعذاب الاستئصال فلم يبق لهم نسل ولا ذرية ﴿وما كانوا مؤمنين﴾ بالله ورسوله وإنما قال ذلك ليبين أنه كان المعلوم من حالهم انه لو لم يهلكهم ما كانوا ليؤمنوا كما قال في موضع آخر ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم .

[قصة هود]

جملة ما ذكره السدي ومحمد بن إسحاق وغيرهما من المفسرين في قصة هود أن عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشجر والاحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار طويلة وأجساد عظيمة وكانوا أصحاب اصنام يعبدونها فبعث الله تعالى إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً فدعاهم إلى التوحيد وخلق الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجؤا إلى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أمه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكة ليستسقوا لهم فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكا ذلك الى قينتيه اللتين كانتا تغنيانهم وهما الجرادتان فقالتا قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية بن بكر .

أَلَا يَا قَيْلُ وَيَحَاكَ قُمْ فَهَيْنُكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ يُضْهِبُنَا غَمَاماً^(١)

(١) قِيلَ : اسم رجل من عاد وسبائي . قوله فهينهم أمر من هين أي فادع الله تعالى .

فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادُوا قَدْ آمَنُوا مَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَا
وَإِنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جِهَاراً وَلَا تَخْشَى لِعَادِي سِهَامَا
وَأَنْتُمْ هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ التَّمَامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ وَلَا لُقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا

فلما غتتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم فقال رجل منهم قد آمن يهود سرّاً والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد وكان قيل بن عنزر رأس وفد عاد فقال يا إلهنا ان كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا فأنشأ الله سبحانه سحاباً ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قَيْل اختر لنفسك ولقومك فاختر السحابة السوداء التي فيها العذاب فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النعمة الى عاد فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فسخرها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً أي دائمة فلم تدع من عاد أحداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلا ما تلين عليه الجلود وتلتذ النفوس ^(١) وانها ^(٢) تيمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض وتدمغهم ^(٣) بالحجارة فأهلكتهم وروى أبو حمزة الثمالى عن سالم عن أبي جعفر (ع) قال ان الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ^(٤) ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلا قدر الخاتم وكان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبينا صلى الله عليه وآله يتكلمون بالعربية .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَتَقَوْمَ اعْبُدُوا
اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْمِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ
نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ (٧٣) وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ

(١) دمعها شجبه حتى بلغت الشجة دماغه .

(٢) أذرت الريح أذراء : أطارته وأذعبته .

مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّا كُرًى فِي الْأَرْضِ تُخَذُّونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا
 وَتُخْتَنُونَ بِالْجِبَالِ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
 اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَلَاحًا مَرْسَلًا مِنْ رَبِّهِ
 قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ ءَامِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
 ءَامَنُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا
 يُصَلِّحْ آئِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
 الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ
 لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّكُمْ وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ
 النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده وقال الملاء باثبات الواو والباقون بغير الواو .

[الحجة] قد تقدم القول في نحو هذا الواو وان اثباتها حسن وحذفها حسن .

[اللغة] البينة العلامة الفاصلة بين الحق والباطل من جهة شهادتها به والناقاة أصلها من التوطئة والتذليل يقال بغير مُتَوَقٍّ أي مذل موطأ وتنوق في العمل جوده والآية والعبرة والدلالة والعلامة نظائر والتبوة التمكين من المنازل يقال بواته منزلاً إذا أمكنته منه لياوي إليه وأصله من الرجوع قال الشاعر:

وَبُوتْتُ فِي صَمِيمٍ مَعَشَرِهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مَبُوتُهَا

أي أنزلت ومكنت والقصور جمع قصر وهو الدار التي لها سور يكون به مقصورة وأصله القصر الذي هو الجعل على منزلة دون منزلة ومنه القصير لأنه دون غيره والقصر الغاية

يقال قصر ك الموت لأنه قصر عليه والعُثْيُ الفساد يقال عُثِيَ يعني وعاث يبعث بمعنى والعُقْرُ الجرح الذي يأتي على أصل النفس وهو من عُقْرِ الحوض: أصله قال امرؤ القيس (بإزاء الحَوْضِ أَوْ عُقْرِهِ)^(١) والعنوتجاوز الحد في الفساد والرجف الاضطراب يقال رجف بهم السقف يرجف رجوفاً إذا اضطرب من تحتهم وأرجف الناس بالشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا والحثوم البروك على الركبة يقال جثم يجثم جثوماً قال جرير:

عَرَفْتُ الْمُتَّأِي وَعَرَفْتُ مِنْهَا مَطَايَا الْقَدْرِ كَالْحَدِّ الْجَثُومِ^(٢)

[الإعراب] ثمود جاء مصروفًا وغير مصروف فمن صرفه فعلى أنه اسم الحي مذكر ومن ترك صرفه فعلى أنه اسم القبيلة كما قال الا أن ثموداً كفروا ربهم إلا بعد الثمود فصرف الأول ولم يصرف الثاني آية منصوب على الحال لأن معنى قوله هذه ناقة الله أنظروا إلى هذه الناقة آية أي علامة وتأكّل في موضع نصب على الحال أي آكلة ومفسدين أيضاً نصب على الحال وقوله لمن آمن منهم موضعه نصب بدل من قوله للذين استضعفوا وهو بدل البعض من الكل إلا أنه أعيد فيه حرف الجرّ وقوله يا صالح اتتنا ان وصلته هَمَزَتْه وان ابتدأت به لم تهمز بل تقول إيتنا وانما كان كذلك لأن أصله إيتنا بهمزتين فكرهوا اجتماعهما فقلبوا الثانية ياء لكسرة ما قبلها واذا وصل تسقط همزة الوصل فتظهر همزة الأصل .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدّم قصة صالح فقال ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ أي وأرسلنا إلى ثمود وثمود هنا القبيلة وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود ﴿قال يا قوم اعبدوا الله﴾ وحده ﴿ما لكم من إله غيره﴾ فتعبده ﴿قد جاءكم بينة من ربكم﴾ أي دلالة معجزة شاهدة على صدقي ﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ أشار إلى ناقة بعينها أضافها إلى الله سبحانه تفضيلاً وتخصيصاً نحو بيت الله وقيل إنما أضافها إليه لأنها خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنها خرجت من صخرة ملساء تمخضت بها كما تتمخض المرأة ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها وكان لها

(١) قبله فرماها في فرائسها. الفرائس جمع الفريسة وهي اللحم التي ترعد من الدابة عند مرجع الكنف تتصل بالفؤاد. وإزاء الحوض: مهراق الدلو ومصبها من الحوض. عقر الحوض: مؤخره ومقام الشارب منه. يصف صائداً حاذقاً بالرمي يصيب المقاتل .

(٢) المتأى: الموضع البعيد ومطايا القدر: الأثافي وهي الأحجار التي توضع عليها القدر: والحد: طائر. وجثم الطائر: تلبد بالأرض .

شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كله وتسقيهم اللبن بدله ولهم شرب يوم يخصهم لا تقرب فيه ماءهم عن السدي وابن لسحاق وجماعة وقيل إنما أضافها الى الله لأنه لم يكن لها مالك سواء تعالى عن الجبائي قال الحسن كانت ناقة من النوق وكان وجه الاعجاز فيها أنها كانت تشرب ماء الوادي كله في يوم على ما شرحناه ﴿فذروها﴾ أي اتركوها ﴿تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء﴾ أي بعقر أو نحر ﴿فيأذخكم﴾ أي ينالكم ﴿عذاب أليم﴾ أي مؤلم ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد﴾ أي واذكروا نعم الله تعالى عليكم في أن أورثكم الأرض ومكنكم فيها من بعد عاد ﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي أنزلكم فيها وجعل لكم فيها مساكن وبيوتاً تأوون إليها ﴿وتتخذون من سهولها قصوراً﴾ والسهل خلاف الجبل وهو ما ليس فيه مشقة على النفس أي تبون في سهولها الدور والقصور وإنما اتخذوها في السهول ليصيفوا فيها ﴿وتنتحون الجبال بيوتاً﴾ قال ابن عباس كانوا يبنون القصور بكل موضع وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاء لتكون مساكنهم في الشتاء احصن وأدفاً ويروى أنهم لطول اعمارهم يحتاجون الى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال لأن السقوف والابنية كانت تبلى قبل فناء اعمارهم ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أي نعم الله عليكم بما أعطاكم من القوة وطول العمر والتمكن في الأرض ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أي ولا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالغوا فيه ﴿قال الملأ الذين استكبروا﴾ أي تعظموا ورفعوا أنفسهم فوق مقدارها بجحود الحق للأنفة من اتباع الرسول الداعي اليه ﴿من قومه﴾ أي من قوم صالح ﴿للكذين استضعفوا﴾ أي للذين استضعفهم من المؤمنين ﴿لمن آمن منهم﴾ إنما ذكره لثلاث يظن بالمستضعفين أنهم كانوا غير مؤمنين لأنه قد يكون المستضعف مستضعفاً في دينه ولا يكون مؤمناً فأزال الله سبحانه هذه الشبهة ﴿أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه﴾ أي هل تعلمون أن الله سبحانه أرسل صالحاً ﴿قالوا انا بما أرسل به مؤمنون﴾ أي مصدقون ﴿قال الذين استكبروا﴾ لهم حين سمعوا منهم الإيمان والاعتراف بنبوة صالح ﴿إنا بالذي آمتم به﴾ أي صدقتم به ﴿كافرون﴾ جاحدون ثم أخبر سبحانه عما فعله المستكبرون بقوله ﴿فعمقروا الناقة﴾ أي فنحروا الناقة قال الأزهري العقر عند العرب قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقراً لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره ﴿ووعثوا عن أمر ربهم﴾ أي تجاوزوا الحد في الفساد والمعصية ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ من العذاب على قتل الناقة فقد قتلناها ﴿إن كنت من المرسلين﴾ ثم أخبر سبحانه بما حل بهم من العذاب بقوله ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي الصيحة عن مجاهد والسدي وقيل الصاعقة وقيل الزلزلة اهلكوا بها عن أبي مسلم وقيل كانت صيحة

زلزلت بها الأرض وأصل الرجفة الحركة المزعجة بشدة الزعزعة ﴿فأصبحوا في دارهم﴾ أي في بلدتهم ولذلك وحدّ وقيل يريد في دورهم وانما وحدّ لأنه أراد الجنس كقوله ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ وقد ذكر في موضع آخر ديارهم بالجمع ﴿جاثمين﴾ أي صرعى ميتين ساقطين لا حركة بهم وقيل كالرماد الجاثم لأنهم احترقوا بالصاعقة ﴿فتولى عنهم﴾ صالح أي اعرض عنهم لأنه إنما كان يقبل عليهم لدعائهم إلى الإيمان ﴿وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم﴾ أي أدت النصح في تبليغ الرسالة ﴿ولكن لا تحبون الناصحين﴾ أي ولكنكم لا تحبون من ينصح لكم لأن من أحب انساناً قبل منه .

[قصة صالح] وكان من قصة صالح وقومه على ما ذكره اصحاب التواريخ ان عاداً لما هلكت وتقضى أمرها عمرت ثمود بعد ها واستخلفوا في الأرض فكثروا وعمرؤا وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحاً وكان من أوسطهم نسباً وكانوا قوماً عرباً وروي في الخبر أنه لما بعث كان ابن ست عشرة سنة فلبث فيهم يدعوهم إلى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها فلما رأى ذلك منهم قال لهم انا أعرض عليكم امرين إن شئتم فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيئكم فيما تسألون وإن شئتم سألت إلهتكم فإن أجابوني خرجت عنكم فقد شئتكم وشئتُموني قالوا قد انصفت فاتعدوا ليوم يخرجون فيه فخرجوا بأصنامهم إلى عيدهم وأكلوا وشربوا فلما فرغوا دعوه فقالوا يا صالح سل فسألها فلم تجبه قال لا أرى إلهتكم تجيبني فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيئكم الساعة فقالوا يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة وأشاروا إلى صخرة منفردة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكل البخت من الإبل فإن فعلت صدقناك وآمنّا بك فسأل الله سبحانه ذلك صالح فانصدعت الصخرة صدعاً كادت عقولهم تطير منه ثم اضطربت كالمرأة يأخذها الطلق ثم انصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبها إلا الله عظماً وهم ينظرون ثم نتجت سقياً مثلها في العظم فأمن به رهط من قومه ولم يؤمن من أكابرهم فقال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقد بينّا ذلك قبل فإذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كلّ ما فيه ثم ترفع رأسها فتفجّج لهم^(١) فيحتلبون ما شاؤوا من لبن فيشربون

(١) تفجج : فرق بين رجليه .

ويدخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها قال الحسن بن محبوب حدثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنبها فوجدته ثمانين ذراعاً وكانت تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد لأنه يضيق عنها فكانوا في سعة ودعة منها وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشق ذلك عليهم وكانت مواشيهم تنفر عنها لعظمتها فهُموا بقتلها قالوا وكانت امرأة جميلة يقال لها صدوف ذات مال من ابل وبقر وغنم وكانت أشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلاً من ثمود يقال له مصدع بن مخرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وامرأة أخرى يقال لها عنيزة دعت قدار بن سالف وكان أحمر أزرق قصيراً وكان ولد زنا ولم يكن لسالف الذي يدعى إليه ولكنه ولد على فراشه وقالت له اعطيك أي بناتي شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة قال السدي وغيره أوحى الله تعالى إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال ذلك لقومه فقالوا ما كنا لنفعل قال صالح أنه يولد في شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا ابن في هذا الشهر الا قتلناه فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبخوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شيء وكان العاشر أزرق أحمر ونبت نباتاً سريعاً وكان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتلهم أبناءهم فتقاسموا بالله لنبيته وأهله قالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فتكون فيه حتى إذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقونا يعلمون انا قد خرجنا الى سفرنا وكان صالح لا ينام معهم في القرية ويبست في مسجد يقال له مسجد صالح فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وإذا أمسى خرج إلى المسجد فبات فيه فانطلقوا فلما دخلوا الغار وأرادوا أن يخرجوا من الليل سقط عليهم الغار فقتلهم فانطلق رجال ممن اطلع على ذلك منهم فإذا هم رضح فرجعوا وجعلوا يصيحون في القرية أي عباد الله أما رضي صالح أن امرهم بقتل أولادهم إذ قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن إسحاق إنما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح بعد عقر الناقة وانذار صالح إياهم بالعذاب قال السدي ولما ولد قدار وكبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم فقال قدار هل لكم في أن أعقرها لكم قالوا

نعم وقال كعب كان سبب عقربهم الناقة أن امرأة يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف وامرأة أخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة ويشربون الخمر فقالت لهما ملكاء إن أتاكم الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما إن ملكاء حزينه لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فلما أتيتهما قالتا هذه المقالة لهما فقالا نحن نكون من وراء عقربها قالوا فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في أصل أخرى فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فأسفرت لقدار ثم زمرنه فشه على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاء واحدة وتحذر سقبها ثم طعن في لبثها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه فلما رأى الفصيل ما فعل بأمه ولى هارباً حتى صعد جبلاً ثم رغاء رغاء تقطع منه قلوب القوم وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنما عقربها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فإن ادركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء فقال لهم صالح تمتعوا في داركم يعني في محلثكم في الدنيا ثلاثة أيام فإن العذاب نازل بكم ثم قال يا قوم انكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني تصبحون وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة فلما كان أول يوم أصبحت وجوههم مصفرة فقالوا جاءكم ما قال لكم صالح ولما كان اليوم الثاني احمرت وجوههم واليوم الثالث اسودت وجوههم فلما كان نصف الليل اتاهم جبرائيل (ع) فصرخ بهم صرخة خرقت اسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم وكانوا قد تحنطوا وتكفنوا وعلموا أن العذاب نازل بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق الله منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئاً يتنفس إلا أهلكه فأصبحوا في ديارهم موتى ثم أرسل الله اليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين فهذه قصتهم وفي كتاب علي بن ابراهيم فبعث الله عليهم صيحة وزلزلة فهلكوا وروى الثعلبي بإسناده مرفوعاً عن النبي ﷺ قال يا علي أتدري من أشقى الأولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك وفي رواية أخرى قال أشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وروى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي ﷺ بالحجر في غزوة

تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم الذي أصابهم ثم قال اما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج تشرب ماءهم يوم ورودها وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في القارة فعتوا عن أمر ربهم فعمروها فأهلك الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلا رجلاً واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيا فهم وحثوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن ثم قنع رسول الله صلى الله عليه وآله ورأسه وأسرع السير حتى جاز الوادي .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ
بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ
دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْخِرْجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنْوَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٤﴾
فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ۖ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ ۖ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَمْطَرْنَا
عَلَيْهِمْ مَطَرًا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وحفص وسهل هنا انكم لتأتون وكذلك مذهبهم في الاستفهامين يجتمعان يكتفون بالاستفهام الأول عن الثاني في كل القرآن وهو مذهب الكسائي إلا في قصة لوط والباقون بهمزتين الثانية مكسورة وحققهما أهل الكوفة إلا أن حفصاً يفصل بينهما بألف وابن كثير وأبو عمرو ورويس يحققون الأولى ويلينون الثانية إلا أن أبا عمرو يفصل بينهما بالألف .

[الحجة] قال أبو علي كل واحد من الاستفهامين جملة مستقلة لا يحتاج في تمامها إلى شيء فمن الحق حرف الاستفهام جملة نقلها به من الخبر إلى الاستخبار ومن لم يلحقها

بقاها على الخبر فإذا كان كذلك فمن قرأ انكم لتأتون الرجال جعله تفسيراً للفاحشة كما أن قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفسير الوصية .

[اللغة] قال الزجاج لوط اسنم غير مشتق لأن العجمي لا يشتق من العربي وإنما قال ذلك لأنه لم يوجد إلا علماً في أسماء الأنبياء وقيل أنه مشتق من لُطت الحوض اذا الزقت عليه الطين وملسته به ويقال هذا الوط بقلبي من ذاك أي الصق والليطة القشر للصوقه بما اتصل به والشهوة مطالبة النفس بفعل ما فيه اللذة وليست كالإرادة لأنها قد تدعو الى الفعل من جهة الحكمة والشهوة ضرورية فينا من فعل الله تعالى والإرادة من فعلنا يقال شهيت اشتهى شهوة قال :

وَأَشْعَثَ يَشْهِي النَّوْمَ قُلْتُ لَهُ ارْتَجِلْ إِذَا مَا التُّجُومُ أَعْرَضَتْ وَاسْبَكْرَتْ^(١)
فَقَامَ يَجْرُ الْبُرْدُ لَوْ أَنَّ نَفْسَهُ يُقَالُ لَهُ خَذْهَا بِكَفَيْكَ خَرَّتْ

والاسراف الخروج عن حد الحق الى الفساد والغابر الباقي قال الأعشى :

عَضُّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِي لَهُ مِنْ أُمِّهِ فِي الزَّمَنِ الْغَابِرِ^(٢)

[الإعراب] إنما صرف لوطاً لخفته بكونه على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط فقاومت الخفة احد السبيين ويجوز في قوله جواب قومه الرفع إلا أن الاجود النصب وعليه القراءة شهوة مصدر وضع موضع الحال وقوله إلا امرأته استثناء متصل لأنه يجوز أن تدخل الزوجة في الأهل على التغليب في الجملة دون التفصيل ولم يقل من الغابرات لأنه أراد أنها ممن بقيت مع الرجال ومطراً مصدر ذكر للتأكيد كقوله ضربه ضرباً .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿ولوطاً﴾ أي وأرسلنا لوطاً وقيل ان تقديره واذكر لوطاً قال الأخفش يحتمل المعنيين جميعاً ههنا ولم يحتمل في قصة عاد وثمود إلا أرسلنا لأن فيها ذكر إلى وهو لوط ابن هاران بن تارخ بن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل انه كان ابن خالة إبراهيم وكانت سارة امرأة إبراهيم أخت لوط ﴿إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة﴾ أي السيئة العظيمة القبح يعني اتيان الرجال في أدبارهم ﴿ما سبقكم بها من أحد

(١) اسبكر: اضطجع وامتد .

(٢) عض به : أمسكه بأسنانه . المواسي جمع موسى آلة من فولاذ يحلق بها : قاله في الهجاء .

من العالمين ﴿ قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط عن عمرو بن دينار قال الحسن وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء ثم بين تلك الفاحشة فقال ﴿ءانكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء﴾ معناه أتأتون الرجال في أدبارهم اشتهاؤهم منكم أي تشتهونهم فتأتونهم وتركون آتيان النساء اللاتي أباحها الله لكم ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي متجاوزون عن الحد في الظلم والفساد ومستوفون جميع المعايير آتيان الذكر ان وغيره ﴿وما كان جواب قومه﴾ أي لم يجيبوه عما قال ﴿إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم﴾ قابلوا النصيح والوعظ بالسفاهة فقالوا اخرجوا لوطاً ومن آمن به من بلدتكم والمراد بالقرية البلدة كما قال أبو عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين أفصح من الحسن البصري والحجاج يريد بالقروي من يسكن المدن ﴿أنهم أناس يتطهرون﴾ أي يتخرجون عن ادبار الرجال فعابوهم بما يجب ان يمدحوا به عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه يتزهدون عن أفعالكم وطرائقكم ﴿فأنجيناه﴾ أي فخلصنا لوطاً من الهلاك ﴿وأهله﴾ المختصين به وأهل الرجل من يختص به اختصاص القرابة ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ أي من الباقيين في قومه المتخلفين عن لوط حتى هلكت لأنها كانت على دينهم فلم تؤمن به وقيل معناه كانت من الباقيين في عذاب الله عن الحسن وقتادة ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ أي أرسلنا عليهم الحجارة كالمنزل كما قال في آية أخرى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ معناه تفكر وانظر بعين العقل كيف كان مآل امر المقترفين للسيئات والمنقطعين اليها وعاقبة فعلهم من عذاب الدنيا بالاستئصال قبل عذاب الآخرة بالخلود في النار .

[قصة لوط مع قومه]

وجملة أمرهم فيما روي عن أبي حمزة الثمالي وأبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أن لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الذي لا دواء له في فروجهم وذلك أنهم كانوا على طريق السيارة إلى الشام ومصر وكان ينزل بهم الضيفان فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه وإنما فعلوا ذلك لتكلم النازلة عليهم من غير شهوة بهم إلى ذلك فأوردتهم البخل هذا الداء حتى صاروا يطلبونه من الرجال ويعطون عليه الجعل وكان لوط سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا لا تقرين ضيفاً جاء ينزل بك فإنك

إن فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه ولما أراد الله سبحانه عذابهم بعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن أمره بعث الله إليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا إلى إبراهيم قبل لوط فلما رآهم إبراهيم ذبح عجلاً سمياً فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا يا إبراهيم إنا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام إنا أرسلنا إلى قوم لوط وخرجوا من عند إبراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال من أنتم قالوا نحن أبناء السبيل أضفنا الليلة فقال لوط إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في أديبارهم ويأخذون أموالهم قالوا قد أبطأنا فأضفنا فجاء لوط إلى أهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني أضياف في هذه الليلة فاكتمي أمرهم قالت افعل وكانت العلامة بينها وبين قومها أنه إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن من فوق السطح وإذا كان بالليل توقد النار فلما دخل جبرائيل (ع) والملائكة معه بيت لوط وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون إليه أي يسرعون ودار بينهم ما قصه الله تعالى في مواضع من كتابه فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب فقال جبرائيل عليه السلام يا لوط اخرج من بينهم أمت وأهلك إلا امرأتك فقال كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري فوضع بين يديه عموداً من نور وقال اتبع هذا العمود ولا يلتفت منكم أحد فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر ضرب جبرائيل بجناحه في طرف القرية فقلعها من تخوم الأرضين السابعة ثم رفعها في الهواء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وصراخ ديوكهم ثم قلبها عليها وهو قول الله عز وجل ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ وذلك بعد أن أمطر الله عليهم حجارة من سجيل وهلك امرأته بأن أرسل الله عليها صخرة فقتلها وقيل قلبت المدينة على الحاضرين منهم فجعل عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فأهلكوا بها وقال الكلبي أول من عمل عمل قوم لوط ابليس الخبيث لأن بلادهم اخصبت فانتجعها^(١) أهل البلدان فتمثل لهم إبليس في صورة شاب ثم دعاهم إلى دبره فنكح في دبره ثم عبثوا بذلك العمل فلما كثر ذلك فيهم عجت الأرض إلى ربها فسمعت السماء فعجت إلى ربها فسمع العرش فعج إلى ربه فأمر الله السماء أن تحصيهم وأمر الأرض أن تخسف بهم . {

(١) انتجع فلاناً : أتاه طالباً معروفة .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقُومَ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

[اللغة] الإيفاء اتمام الشيء الى حد الحق فيه ومنه ايفاء العهد وهو اتمامه بالعمل به والكيل تقدير الشيء بالمكيال حتى يظهر مقداره منه والوزن تقديره بالميزان والمساحة تقديره بالذراع أو ما زاد عليه أو نقص والبخس النقص عن الحد الذي يوجبه الحق والافساد اخراج الشيء الى حد لا ينتفع به بدلاً من حال ينتفع بها وضده الإصلاح والصدّ الصرف عن الفعل بالإغواء فيه كما يصد الشيطان عن ذكر الله وعن الصلاة يقال صدّه عن الأمر يصدّه أي منعه العوج بكسر العين في الدين وكل ما لا يرى والعوج بفتح العين في العود وكل ما يرى كالحائط وغيره والطائفة الجماعة من الناس وهو من الطوف مأخوذة من انها تجتمع على الطواف .

[الإعراب] مدين اسم للمدينة أو القبيلة لا ينصرف للتعريف والتأنيث وجائز أن يكون أعجمياً عن الزجاج بكل صراط بمعنى على كل صراط ويجوز تعاقب الحروف الثلاثة هنا الباء وعلى وفي تقول لا تقعد بكل صراط وعلى كل صراط وفي كل صراط لأنه اجتمع معاني

الأحرف الثلاثة فيه فإن الباء للإلصاق وهو قد لاصق المكان وعلى للاستعلاء وهو قد علا المكان وفي للمحل وقد حلّ المكان ومن امن في موضع نصب بأنه مفعول به أي وتصدون المؤمنين بالله وإنما قال فاصبروا فجعل الصبر جزاء وهو لازم على كل حال لأن المعنى فسيقع جزاء كل فريق بما يستحقه من ثواب أو عقاب كأنه قال فأنتم مصبوون على حكم الله بذلك .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من القصص قصة شعيب فقال ﴿والى مدين﴾ أي وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ وقيل إن مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة اليه قال عطاء هو شعيب بن توبة بن مدين بن إبراهيم وقال قتادة هو شعيب بن بويب قال ابن إسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجب بن مدين ابن إبراهيم وأم ميكيل بنت لوط وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وهو أصحاب الأيكة وقال قتادة أرسل شعيب مرتين إلى مدين مرة وإلى أصحاب الأيكة مرة ﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينة من ربكم﴾ قد مر تفسيره ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أي اتموا ما تكيلونه على الناس بالمكيال وما تزنونه عليهم بالميزان ومعناه أدوا حقوق الناس على التمام في المعاملات ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أي لا تنقصوهم حقوقهم وقال قتادة والسدي البخس الظلم ومنه المثل تحسبها حمقاء وهي باخس ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن أصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء وتعريف الخلق مصالحهم وقيل لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ﴿ذلكم﴾ الذي امرتكم به ﴿خير لكم﴾ وأعوذ عليكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي مصدقين بالله وإنما علق خيريته بالإيمان وإن كان هو خيراً على كل حال من حيث أن من لا يكون مؤمناً بالله وعارفاً بنبيه لم يمكنه أن يعلم أن ذلك خير له فكأنه قال لهم كونوا مؤمنين لتعلموا أن ذلك خير لكم ويمكن أن يكون المراد لا ينفعكم إيفاء الكيل والوزن إلا بعد أن تكونوا مؤمنين وقال الفراء لم يكن لشعيب معجزة على نبوته لأن الله تعالى لم يذكر له دلالة في القرآن وهو غلط لأنه لا يجوز أن يخلي الله تعالى نبياً عن معجزة هذا وقد قال سبحانه قد جاءكم بينة من ربكم فافوها فجاء بالفاء جواباً للجزاء ويجوز أن يكون له معجزات وإن لم تذكر في القرآن كما أن أكثر آيات نبينا صلى الله عليه وآله ومعجزاته غير مذكورة في القرآن ولم يوجب ذلك نفياً ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أنهم كانوا يقعدون

على طريق من قصد شعبياً للإيمان به فيخوفونه بالقتل عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) أنهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عن أبي هريرة وعبد الرحمن بن زيد ويمكن أن يكونا أرادا به أنهم كانوا يقطعون الطريق على الناس عن قصد شعيب فيرجع إلى معنى القول الأول (وثالثها) أن المراد لا تقعدوا بكل طريق من طرق الدين فتطلبونه له العوج بايراد الشبه وتقولون لشعيب انه كذاب فلا يفتننكم عن الدين وتتوعدونه ﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ أي تمنعون عن دين الله من اراد أن يؤمن به من الناس ﴿وتبغونها عوجاً﴾ الهاء راجعة إلى السبيل أي تبغون السبيل عوجاً عن الحق وهو أن تقولوا هذا كذب وهذا باطل وما اشبه ذلك عن قتادة وقيل معناه تلتمسون لها الزيف عن مجاهد وقيل معناه لا تستقيمون على طريق الهدى عن الحسن وقيل تريدون الاعوجاج والعدول عن القصد عن الزجاج ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ أي كثر عددكم قال ابن عباس وذلك أن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت حتى كثر اولادها قال الزجاج وجائز أن يكون كثركم جعلكم اغنياء بعد أن كنتم فقراء وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة واقدار فكثركم وجائز أن يكون عددهم قليلاً فكثركم ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني فكروا في عواقب امر عاد وثمود ولوط وانزال العقاب بهم واستئصال شأفتهم وما حل بهم من الجوار ﴿وان كان طائفة﴾ أي جماعة ﴿منكم آمنوا بالذي أرسلت به﴾ أي صدقوني في رسالتي وقبلوا قولي ﴿وطائفة لم يؤمنوا﴾ لم يصدقوني ﴿فاصبروا حتى يحكم الله بيننا﴾ خاطب الطائفتين ومعناه لا يغرنكم تفرق الناس عني فإن جميل العاقبة لي وسيجزى الله كل واحد من الفريقين بما يستحقه على عمله في الدنيا أو الآخرة دون الدنيا ﴿وهو خير الحاكمين﴾ لأنه لا يجوز عليه الجور ولا المحاباة في الحكم وهذا وعيد لهم قال البلخي أمرهم في هذه الآية بالكف عما كانوا يفعلون من الصد عن الدين والإبعاد عليه والكف عنه خير ورشد ولم يأمرهم بالمقام على الكفر وفي ذلك دلالة على انه ليس كل افعال الكفار كفر ومعصية كما يذهب اليه بعض أهل النظر.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا

مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا

أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُنَا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى

اللَّهُ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ
لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ
شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

[اللغة] العود الرجوع وهو مصير الشيء إلى حال كان عليها ومنه إعادة الله الخلق وتسعمل لفظة الاعادة في الفعل مرة ثانية حقيقة وفي فعل مثله مجازا وكلاهما يسمى اعادة تقول اعدت الكتابة والقراءة ومعناه فعلت مثله قال الزجاج يقال قد عاد علي من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وتأويله أنه قد لحقني منه مكروه وقال الشاعر.

لَأَنْ كُنْتُ الْإِسَامُ أَحْسَنُ مَرَّةً إِلَيَّ فَقَدْ غَادَتْ لَهْنٌ دُنُوبُ

الافتراء مشتق من فري الأديم وهو مثل الاختلاف والافتعال والملة الديانة التي يجتمع على العمل بها فرقة عظيمة والأصل فيه تكرار الأمور من قولهم طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطأ ومنه الملل وهو تكرر الشيء على النفس حتى تضجر والملة الرماد الحار تدفن فيه الخبزة حتى تنضج لتكرار الحمي عليها والفتح الحكم والفتاح والفتاح الحاكم لأنه يفتح باب العلم الذي انغلق على غيره وفتاحته في كذا أي قاضيته قال ابن عباس ما كنت أدري ما الفتح حتى سمعت بنت سيف بن ذي يزن وقد جرى بيني وبينها كلام فقالت انطلق افتحك إلى القاضي أي أحاكمك إليه .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عما دار بينه وبين قومه فقال ﴿ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي رفعوا أنفسهم فوق مقدارها ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ أي نخرجنك وأتباعك من المؤمنين بك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك ﴿ أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ أو لترجعن إلى ملتنا التي كنا عليها لأنه كان عندهم وفي ظنهم أنه كان قبل ذلك على دينهم فلذلك اطلقوا لفظ العود وقد كان عليه السلام يخفي دينه فيهم ويحتمل انهم ارادوا به قومه فادخلوه معهم في الخطاب ويحتمل ان يكون المراد به أو لندخلن في ديننا وطريقتنا لأن العود يذكر ويراد به الابتداء كما قاله الزجاج ويكون بمعنى الصيرورة ومثله

قول الشاعر:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانٌ مِنْ لَبَنِ شَيْءٍ بِمَاءٍ فَعَاذَا بَعْدُ أَبْوَالاً^(١)

وحقيقة المعنى أنا لا نمكنك من المقام في بلدنا وأنت على غير ملتنا فإما أن تخرج من بلدتنا أو تدخل في ملتنا ﴿قال أو لو كنا كارهين﴾ أي قال شعيب لهم اتعيدوننا في ملتكم وتردونا إليها ولو كنا كارهين للدخول فيها والمعنى إنا مع كراحتنا لذلك لما عرفناه من بطلانه لا نرجع فأدخل همزة الاستفهام على ولو وقيل المعنى انكم لا تقدرون على ردنا إلى دينكم على كره منا فيكون على هذا كارهين بمعنى مكرهين ﴿قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها﴾ أي إن عدنا في ملتكم بأن نحل ما تحلونه ونحرم ما تحرمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجانا الله تعالى منها بأن أقام الدليل والحجة على بطلانها وأوضح الحق لنا فقد اختلفنا على الله كذباً فيما دعوناكم إليه ﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ قيل في معنى هذه المشيئة مع حصول العلم بأنه سبحانه لا يشاء عبادة الأصنام أقوال (أحدها) أن المراد بالملة الشريعة وليس المراد بها ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه وفي شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبد الله تعالى بها فكأنه قال ليس لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بها وينقلنا إليها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة عن الجبائي والقاضي (وثانيها) أنه سبحانه علق ما لا يكون بما علم لأنه لا يكون على وجه التبعية كما قال ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكقول الشاعر:

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَضَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ^(٢)

فيكون المعنى كما لا يشاء الله عبادة الأصنام والقبائح لأن ذلك لا يليق بحكمته فكذلك لا نعود في ملتكم عن جعفر بن حرب (وثالثها) أن المراد إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى اظهارها مكرهين ويقوي هذا قوله أو لو كنا كارهين (ورابعها) أن تعود الهاء التي في قوله فيها إلى القرية لا إلى الملة لأن ذكر القرية قد تقدّم كما

(١) القعبان ثنية القعب: القدح الضخم. شاب الشيء: خلطه. يقول ليس ما تفتخرون به هي المكارم بل المكارم ما ذكرت.

(٢) مر البيت في صفحة ٦٤٦.

ان ذكر الملة تقدم فيكون تحقيق الكلام إنا سنخرج من قريبتكم ولا نعود فيها إلا ان يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الاظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها (وخامسها) ان يكون المعنى إلا ان يشاء الله أن يردكم إلى الحق فنكون جميعاً على ملة واحدة غير مختلفة لأنه لما قال حاكياً عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لنكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن ان يقول من بعد الا ان يشاء الله ان يجمعكم معنا على ملة واحدة فإن قيل فكأن الله تعالى ما شاء ان يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه إنما شاء بأن يؤمنوا مختارين ليستحقوا الثواب ولم يشأ على كل حال إذ لو شاءه على كل حال جاز الا يقع منهم ذلك فكأنه قال ان ملتنا لا تكون واحدة أبداً الا ان يشاء الله ان يلجئكم إلى الإيمان والاجتماع معنا على ملتنا ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ انتصب علماً على التمييز وتقديره وسع علم ربنا كل شيء فنقل الفعل إلى نفسه لما فيه من جزالة اللفظ وفخامة المعنى وقيل في وجه اتصاله بما قبله ان الملة إنما يتعبد بها على حسب ما في المعلوم من المصلحة فالمعنى أنه سبحانه أحاط علمه بكل شيء فهو اعلم بما هو اصلح لنا فيتعبدنا به وقيل ان المراد به انه عالم بما يكون منا من عود أو ترك ﴿على الله توكلنا﴾ في الانتصار منكم وفي كل أمورنا ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ هذا سؤال من شعيب ورغبة منه إلى الله في ان يحكم بينه وبين قومه بالحق على سبيل الانقطاع اليه سبحانه وان كان من المعلوم ان الله سيفعله لا محالة وقيل ان معناه اكشف بيننا وبين قومنا وبين أئنا على حق وهذا استعجال منه للنصر ﴿وأنت خير الفاتحين﴾ أي خير الحاكمين والفاضلين .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا الْخَسِرُونَ ﴾ (٩٠)

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ (٩١)

﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٩٢)

﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٩٣)

﴿ فَكَيْفَ آسَأُ عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٩٣)

[اللغة] غني بالمكان يعني غناً وغنانا أقام به كأنه استغنى بذلك المكان عن غيره والمغاني المنازل واصل الباب الغني . قال حاتم طي .

غَنَيْنَا زَمَاناً بِالتَّصَعُّكِ وَالْغِنَى فَكُلًّا سَقَانَاهُ بِكَأْسَيْهِمَا الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَغِيّاً عَلَى ذِي قِرَابَةٍ غَنَانَا وَلَا أُرْزَى بِأَحْسَانِنَا الْفَقْرُ^(١)

والاسى شدة الحزن يقول اسي يآسي اسا وقال يقولون لا تهلك اسي وتجمل .

٤ [الإعراب] إنكم إذا لخاسرون جواب القسم وقد سدّ مسدّ جواب الشرط من قوله لئن وإذا هاهنا ملغاة لأنها وقعت حشو الكلام وما بعدها يعتمد على ما قبلها الذين كذبوا سيما الاول في موضع رفع بالابتداء وخبره كأن لم يغنوا فيها وإنما أعيد مرة ثانية من غير كناية لتغليظ الأمر في تكذيبهم شعبياً مع البيان انهم الذين حصلوا على الخسران لا من نسبوه إلى ذلك من أهل الإيمان وهم في قوله هم الخاسرون فصل وإنما دخل الفصل مع أن المضمّر لا يوصف لأنه يحتاج فيه إلى التوكيد لئتمكن معناه في النفس وان الذي بعده من المعرفة لا يخرج ذلك من معنى الخبر وان كان الاصل في الخبر النكرة .

[المعنى] ثم حكى الله سبحانه ما قالت الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فقال ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ أي من قوم شعيب الباقيين منهم ﴿لئن أتبعتم شعبياً﴾ في دينه وتركتم دينكم انقياداً لأمره ونهيه لأن الاتباع هو طلب الثاني موافقة الاول فيما دعا إليه ﴿إنكم إذا لخاسرون﴾ والخسران ذهب رأس المال فكأنهم قالوا إن اتبعتموه كتم بمنزلة من ذهب رأس ماله وقيل خاسرون مغبونون عن ابن عباس وقيل هالكون ﴿فأخذتهم الرجفة﴾ أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة عن الكلبي وقيل ارسل الله عليهم رمدة وحرّاً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء وانضجهم الحرّ فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظلّ السحابة فتنادوا عليكم بها فخرجوا إلى البرية فلما اجتمعوا تحت السحابة الهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلبي وصاروا رماداً وهو عذاب يوم الظلة عن ابن عباس وغيره من المفسرين وقيل بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا عن ابي عبد الله (ع) وقيل إنه كان لشعيب قومان قوم اهلكوا بالرجفة وقوم هم اصحاب الظلة ﴿فأصبحوا

(١) تصملك الرجل: أفتقر. وأزراه: عابه ووضع من حقه .

في دارهم ﴿أي منازلهم﴾ ﴿جاثمين﴾ أي مبتلين ملقين على وجوههم ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها﴾ أي كأنهم لم يقيموا بها قط لأن المهلك يصير كأن لم يكن وقيل كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا فيها مستغنين عن قتادة وقيل كأن لم يعمرؤا فيها عن ابن عباس ﴿الذين كذبوا شعيباً﴾ عاد اللفظ تأكيداً وتغليظاً ﴿كانوا هم الخاسرون﴾ مرّ معناه بين سبحانه أنهم الخاسرون دون من آمن به ﴿فتولى عنهم﴾ شعيب أي اعرض عنهم لما رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الأيس منهم ﴿وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي﴾ فيما امرني فلم تؤمنوا ﴿ونصحت لكم﴾ فلم تقبلوا ومعناه ان ما نزل بكم من البلاء وإن كان عظيماً فقد استوجبتم ذلك بجنايتكم على انفسكم ﴿فكيف آسى﴾ أي فكيف احزن ﴿على قوم كافرين﴾ حلّ العذاب بهم مع استحقاقهم له وقوله فكيف آسى وإن كان على لفظ الاستفهام فالمراد به النفي لأن جوابه في هذا الموضع لا يصح إلا بالنفي وإنما يدخله معنى الإنكار أيضاً لهذه العلة وهذا كما قال العجاج «أطرباً وأنت قنُصري» وهذا تسلٍ من شعيب بما يذكر من حاله معهم في مناصحته لهم وتأديته رسالة ربه إليهم وأنه لا ينبغي أن يأسى عليهم مع تمردهم في كفرهم وشدة عتوهم قال البلخي وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز للمسلم ان يدعو للكافر بالخير وأنه لا يجوز الحزن على هلاك الكافرين والظالمين.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ

مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿١٤﴾

ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

ءَابَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُم بِغَتَّةٍ وَهُمْ لَا يَسْعُرُونَ ﴿١٥﴾

[اللغة] التبديل وضع احد الشيئين مكان الآخر واصل العفو الترك من قوله فمن عفي له من اخيه شيء فمعنى قوله عفواً تركوا حتى كثروا قال.

وَلَكِنَّا نُعِضُّ السَّيْفَ مِنْهَا بِأَسْوَاقٍ غَافِيَاتٍ إِلَّحْمٍ كُومٍ ^(١)

(١) قائله لبید وأعضه سيفي : ضربته به يقال أعض السيف بساق البعير . وأسواق جمع الساق . وناقاة غافية اللحم : كثيرة اللحم . والكوم جمع الكوماء : العظيمة السنام من النوق . بصف قومهم بالجدود .

والبغثة الفجأة وهي الأخذ على غرة من غير مقدمة تؤذن بالنازلة يقال بغته يبغته بغتاً وبغثة قال وَأَنْكَأ شَيْءٌ حِينَ يَفْجَأَكَ الْبَغْتُ (١).

[الإعراب] اصل يضرعون يتضرعون فادغمت التاء في الضاد استطالة وإنما يدغم الناقص في الزائد ولا يدغم الزائد في الناقص لما في ذلك من الإخلال به وهو في موضع رفع بأنه خبر لعل وبغثة مصدر وضع موضع الحال.

[المعنى] ثم ذكر سبحانه بعد ما اقتصر من قصص الانبياء وتكذيب اممهم إياهم وما نزل بهم من العذاب سنة في امثالهم تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله فقال ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنَ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكْنَاهَا بِالْعَذَابِ وَقِيلَ فِي سَائِرِ الْقُرَى عَنِ الْجِبَائِي ﴿مَنْ نَّبِيٍّ﴾ وَهُوَ مَن يُؤَدِّي عَنَّا بَلَا وَاسْطَةً مِّنَ الْبَشَرِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا﴾ يَعْنِي أَهْلَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ﴿بِالْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ أَي لِيَتَنَبَّهُوا وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ مُقَدِّمَةُ الْعَذَابِ وَيَتَضَرَّعُوا وَيَتُوبُوا عَنْ شُرْكِهِمْ وَمُخَالَفَتِهِمْ وَيَعْنِي بِالْبَاسَاءِ مَا نَالَهُمْ مِنَ الشَّدَةِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَبِالضَّرَاءِ مَا نَالَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ الْبَاسَاءَ الْجُوعَ وَالضَّرَاءَ الْأَمْرَاضَ وَالشَّدَائِدَ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ إِنَّ الْبَاسَاءَ الْجُوعَ وَالضَّرَاءَ الْفَقْرَ عَنِ السَّيِّئِ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أَي رَفَعْنَا السَّيِّئَةَ وَوَضَعْنَا الْحَسَنَةَ مَكَانَهَا وَالسَّيِّئَةُ الشَّدَةُ وَالْحَسَنَةُ الرِّخَاءُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقْتَادَةٌ وَمَجَاهِدٌ وَسَمَّيْتُ سَيِّئَةً لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا قَالَ الْجِبَائِي جَرَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَلَى سَبِيلِ التَّوَسُّعِ وَالْمَجَازِ ﴿حَتَّى عَفَّوْا﴾ أَي كَثُرُوا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٍ وَالسَّيِّئَةِ وَقِيلَ سَمِنُوا عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ أَعْرَضُوا عَنِ الشُّكْرِ عَنِ أَبِي مُسْلِمٍ ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ﴾ أَي قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ هَكَذَا عَادَةُ الدَّهْرِ فَكُونُوا عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ آبَاؤُكُمْ كَذَلِكَ فَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْ حَالِهِمْ فَتَنْتَقِلُوا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِغْتَةٍ﴾ أَي فَجَاءَتْ عِبْرَةٌ لِّمَن بَعْدَهُمْ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَي لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهِمْ إِلَّا بَعْدَ حُلُولِهِ وَحَقِيقَةُ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَدْبُرُ خَلْقَهُ الَّذِينَ يَعْصُونَهُ بَأَن يَأْخُذَهُمْ تَارَةً بِالشَّدَةِ وَتَارَةً بِالرِّخَاءِ فَإِذَا أَفْسَدُوا عَلَى الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً أَخَذَهُمْ فَجَاءَةً لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ فِي الْحَسْرَةِ وَابْلَغَ فِي الْعُقُوبَةِ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

(١) قاله يزيد بن ضبة الثقفي وقيل « ولكنهم ماتوا ولم أدر بغته ».

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ
نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى
وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا
الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾

[القراءة] أو آمن بفتح الواو عراقي ^(١) وابن فليح والباقون أو آمن بسكون الواو إلا أن ورشا قرأه على أصله في القاء حركة الهمزة على الساكن قبلها فقال أو مِّن .

[الحجة] قال أبو علي أو حرف استعمل على ضربين (أحدهما) أن يكون بمعنى أحد الشئيين أو الأشياء في الخبر والاستفهام (والآخر) أن يكون للاضراب عما قبلها في الخبر والاستفهام كما أن أم المنقطعة في الاستفهام والخبر كذلك فأما التي تكون لأحد الشئيين أو الأشياء فمثاله في الخبر زيد أو عمرو ضربته وحاء زيد أو عمرو كما تقول أحدهما جاء واحدهما ضربته وهي إذا كانت للإباحة كذلك أيضاً وهو قوله جالس الحسن أو ابن سيرين وأما أو التي تجيء للاضراب بعد الخبر والاستفهام فكقولك أنا اخرج ثم تقول أو اقيم أضربت عن الخروج واثبت الإقامة كأنك قلت لا بل اقيم كما أنك في قولك أنها لإبل أم شاه مضرب عن الأول ولا يقع بعد أو هذه الأجملة ومن ثم قال سيويه في قوله ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً أنك لو قلت أو لا تطع كفوراً انقلب المعنى وإنما كان ينقلب المعنى لأنه إذا قال لا تطع منهم آثماً أو كفوراً فكأنه قال لا تطع هذا الضرب ولا تطع هؤلاء فإنما لزمه أن لا يطع واحداً منهما لأن كل واحد منهما في معنى الآخر في وجوب ترك الطاعة له كما جاز له أن يجمع بين مجالسة الحسن وابن سيرين لأن كل واحد منهما أهل للمجالسة ومجالسة كل واحد منهما كمجالسة الآخر ولو قال ولا تطع منهم آثماً أو لا تطع كفوراً كان بقوله أو لا تطع قد أضرب عن ترك طاعة الأول وكان يجوز أن يطيعه وفي جواز ذلك انقلاب المعنى ووجه قراءة من قرأ أو آمن أنه جعل أو للاضراب لا على أنه ابطال الأول ولكن كقوله ألم تنزيل

(١) أي على قراءة أهل العراق .

الكتاب ثم قال أم يقولون أفترء فجاء هذا ليبصروا ضلالتهم فكان المعنى أو آمنوا هذه الضروب من معاقبتهم والأخذ لهم وإن شئت جعلته أو التي في قولك ضربت زيدا أو عمراً كأنك اردت أفأمنوا إحدى هذه العقوبات ووجه قراءة مَنْ قرأ أو آمن أنه ادخل همزة الاستفهام على حرف العطف كما دخل في نحو قوله أئنم إذا ما وقع وقوله أو كلما عاهدوا عهداً ومن حجة مَنْ قرأ ذلك أنه أشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله أفأمن أهل القرى وبعده أفأمنوا مكر الله أولم يهد للذين يرثون الأرض فكما ان هذه الاشياء عطف حرف دخل عليها حرف الاستفهام كذلك يكون أو آمن .

[المعنى] البركات الخيرات النامية واصلة الثبوت والأمن والثقة والطمأنينة نظاير في اللغة وضد ايمن الخوف وضد الثقة الريية وضد الطمأنينة الانزعاج ولأمن الثقة بالسلامة من الخوف والبأس العذاب والبؤس الفقر والاصل الشدة ورجل بثيس شديد في القتال والنوم نقيض اليقظة وهو سهو يغمر القلب ويغشى العين ويضعف الحس وينافي العلم يقال نام الرجل ينام نوماً وهو حسن النيمة إذا كان حسن هيئة النوم ورجل نُومة بسكون الواو وإذا كان خسيماً لا يؤبه به ورجل نُومة بفتح الواو إذا كان كثير النوم والنيم الفرو لأن من شأنه أن ينام فيه أو لأنه يغشى كما يغشى النوم والضحي ظهر النهار في وقت انبساط الشمس واصله الظهور من قولهم ضحا الشمس يضحو ضحوا وضحوا وفعل ذلك الأمر صاحية إذا فعله ظاهراً والأضحية لأنها تذبح عند الضحي يوم العيد قال الخليل المكر الاحتيايل باظهار خلاف الأضمار وقيل ان اصل المكر الالتفاف ومنه ساق ممكورة اي ملتفة حسنة قال ذو الرمة .

عَجَزَاءُ مَمْكُورَةٌ خُمْصَانَةٌ قَلِقٌ عَنْهَا الْوِشَاحُ وَثُمُ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ^(١)

والمكور شجر ملتف (يَسْتَنُّ فِي غَلْقِي وَفِي مُكُورٍ)^(٢) فمعنى قولك مكر فلان يمكر مكرأ التف تدبيره على مكروه لصاحبه .

[الإعراب] لو معناه تعليق الثاني بالأول الذي يجب الثاني بوجوبه وينتفي بانتفائه على طريقة كان، وإن فيها هذا المعنى على طريقة يكون، والفرق بينهم من تعلق الثاني

(١) العجزاء: العظيمة العجز. الخمصانة مؤنث إخمصان: ضامر البطن. وخماصة البطن دقة خلقتها. امرأة قلق الوشاح أي مضطرب وشاحها. والوشاح: شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة على خصرها. ثم الجسم: تمامه. القصب: عظام اليدين والرجلين ونحوهما .

(٢) استن الفرس: قمص وعدا اقبالا وادباراً من نشاط وزغل العلقى: نبت يكون واحداً وجمعاً قصبانه دقاق .

بالأول الذي يمكن ان يكون ويمكن ان لا يكون كقولك إن آمن هذا الكافر استحق الجواب وهذا مقدور وليس كذلك لو لأنها قد تدخل على ما لا يمكن أن يكون كقولك لو كان الجسم سليماً لاستغنى عن صانع وإنما فتحت أن بعد لو لأنها وقعت في الموضع الذي يختص بالفعل فإن لو ليس يدخل إلا على الفعل وأن مع اسمها وخبرها في تأويل اسم مفرد فيكون تقديره لو وقع أن أهل القرى آمنوا فيكون أن مع ما بعدها في موضع رفع بالفعل المقدر بعد لو وإنما دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف من قوله أفأمن أو أمن مع أن الاستفهام للاستئناف والعطف بخلافة لأنهما إنما يتنافيان في المفرد لأن الثاني إذا عمل فيه الأول كان من الكلام الأول والاستئناف قد أخرجه من ان يكون منه وأما في عطف جملة على جملة فيصح لأنه على استئناف جملة بعد جملة.

[المعنى] ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَهْلَكَهُ مِنَ الْأُمَمِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا فِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِمْ فَقَالَ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ التي أهلكناها بسبب جحودهم وعنادهم ﴿آمَنُوا﴾ وَصَدَّقُوا رِسْلَنَا ﴿وَاتَّقُوا﴾ الشُّرَكَاءَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ أي خيرات نامية ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ بِإِنزَالِ الْمَطَرِ ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ﴾ بِإِخْرَاجِ النَّبَاتِ وَالثَّمَارِ كَمَا وَعَدَ نُوحٌ بِذَلِكَ أُمَّتَهُ فَقَالَ يَرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿آيَاتٍ وَقِيلَ بَرَكَاتٍ﴾ اجابة الدعاء وبركات الارض تيسير الحوائج ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي والمخالفة وتكذيب الرسل فحبسنا السماء عنهم وأخذناهم بالضيق عقوبة لهم على فعلهم ﴿أَفَأَمَّنْ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ المكذبون لك يَا مُحَمَّدٌ ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ أي عذابنا ﴿بَيَاتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ فِي فُرُشِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ كَمَا أَتَى الْمَكْذِبِينَ قَبْلَهُمْ ﴿أَوْ آمَنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ أي عذابنا نهاراً عند ارتفاع الشمس ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ أي وهم في غير ما ينفعهم أو يعود عليهم بنفع فإن مَنْ اشْتَغَلَ بِدُنْيَاهُ وَاعْرَضَ عَنْ آخِرَتِهِ فَهُوَ كَاللَّاعِبِ وَالْمَعْنَى بِأَهْلِ الْقُرَىٰ كُلِّ أَهْلِ قَرْيَةٍ يَقِيمُ عَلَىٰ مَعَاصِي اللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٍ وَإِنْ نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَهْلِ الْقُرَىٰ الظَّالِمِ أَهْلِهَا الْمُشْرِكِينَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّمَا خَصَّ سُبْحَانَهُ هَذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُمْ أَنْ يَأْمَنُوا لَيْلًا وَلَا نَهَاراً عَنْ الْحَسَنِ ﴿أَفَأَمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي أفيعد هذا كله آمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون عن الجبائي قال دخلت الفاء للتعقيب وسمي العذاب مكرًا لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما أنَّ المكر ينزل بالممكور به من جهة الماكر من حيث لا يعلمه وقيل ان مكر الله استدراجه إياهم بالصحة والسلامة وطول

العمر وتظاهر النعمة ﴿فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون﴾ يسأل عن هذا فيقال ان الأنبياء والمعصومين أمنوا مكر الله وليسوا بخاسرين وجوابه من وجوه (أحدها) ان معناه لا يأمن مكر الله من المذنبين إلا القوم الخاسرون بدلالة قوله سبحانه ان المتقين في مقام أمين (وثانيها) ان معناه لا يأمن عذاب الله للعصاة إلا الخاسرون والمعصومون لا يأمنون عذاب الله للعصاة ولهذا سلموا من مواجهة الذنوب (وثالثها) لا يأمن عقاب الله جهلاً بحكمته إلا الخاسرون ومعنى الآية الإبانة عما يجب ان يكون عليه المكلف من الخوف لعقاب الله تعالى ليسارع إلى طاعته واجتناب معاصيه ولا يستشعر الأمن من ذلك فيكون قد خسر في دنياه وآخرته بالتهالك في القبائح.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
 أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
 لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠١﴾ تِلْكَ الْقُرْآنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ
 جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
 كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا وَجَدْنَا
 لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

[القراءة] قرأ يعقوب برواية زيد أو لم يهد بالنون وكذلك في طه والسجدة وبه قرأ أبو عبد الرحمن السلمي وقتادة والباقون بالياء .

[الحجة] مَنْ قرأ نَهْد بالنون فإنه للتعظيم وهذا يُقَوِّي أَنَّ المعنى في قوله أو لم يهد بالياء أو لم يبين الله سبحانه لهم دون ان يكون المعنى أو لم يهد لهم مَشِيتْنَا أو اصطلامنا لمن اهلكناه .

[اللغة] القصص اتباع الحديث الحديث يقال فلان يقص الاثر أي يتبعه ومنه المِقص لأنه يتبع في القطع . أثر القطع والنبأ الخبر عن أمر عظيم الشأن ولذلك اخذ منه اسم نبي

والوجدان والإلقاء والادراك والمصادفة نظاير .

[الأعراب] نطبع ليس بمحمول على أصبناهم لأنه لو حمل عليه لكان ولطبعنا ولكنه على الاستئناف أي ونحن نطبع ، ﴿وَمِنْ عَهْدٍ﴾ من هنا للتبويض لأنه إذا لم يوجد بعض العهد لم يوجد الجميع والاولى ان تكون من مريدة للتعميم واستغراق الجنس وقيل ان اصلها لا ابتداء الغاية فدخلت على ابتداء الجنس إلى انتهائه ، وان وجدنا اكثرهم لفاسقين إن هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا خففت جاز الغاؤها من العمل وان يليها الفعل لأنها حينئذ قد صارت خارجة من شبه الفعل .

[المعنى] ثم انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمن تقدمهم من الأمم فقال ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾ وهو استفهام يراد به التقرير أي لو لم يُبين الله بالنون او لم يُبين عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل معناه أولم يهد ما تلونا من انباء القرى وقيل تقديره أو لم يهد لهم مشيئتنا لأن قوله أن لو نشاء أصبناهم في موضع رفع بأنه فاعل يهدي ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ معناه الذين خلفوا في الأرض من بعد أهلها الذين اهلكهم الله بتكذيبهم للرسول ﴿إِنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ يعني أو لم يُبين انا لو شئنا اهلكناهم بعقاب ذنوبهم كما اهلكنا الأمم الماضية قبلهم ﴿وَنُطْبِعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قد ذكرنا معنى الطبع والختم في اوائل سورة البقرة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الوعظ ولا يقبلونه ثم اخبر سبحانه عن اهل القرى التي ذكرها وقصّ خبرها فقال ﴿تِلْكَ الْقُرَى﴾ والمخاطبة للنبي ﷺ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا﴾ لتتفكر فيها وتخبر قومك بها ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا عن الاصرار على مثل حال اولئك المعترين بطول الإمهال في النعم السابغة والمنن المتظاهرة ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي الدلالات والحجج وإنما اضاف الرسل اليهم مع أنهم رسل الله لأن المرسل مالك الرسالة وقد ملك العباد الانتفاع بها والاهتداء بما فيها من البيان ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ معناه فما اهلكناهم إلا وقد كان في معلومنا أنهم لا يؤمنون ابداً عن مجاهد قال ويريد بقوله من قبل من قبل العلاك وهو بمنزلة قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معناه إن عتوهم في كفرهم وتمردهم فيه يحملهم على ان لا يتركوه إلى الإيمان فما كانوا ليؤمنوا بعد ان جاءتهم الرسل بالمعجزات بما كذبوا به من قبل رؤيتهم تلك البينات عن الحسن وقيل معناه ما كان هؤلاء الخلف ليؤمنوا بما كذب به اوائلهم من الأمم وقال الاخفش بما كذبوا معناه بتكذيبهم فجعل ما مصدرية ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ قيل ان الله سبحانه شبه

الكفر بالصدأ^(١) لأنه يذهب عن القلوب بحلاوة الإيمان ونور الإسلام كما يذهب الصدأ بنور السيف وصفاء المرأة ولما صاروا عند أمر الله لهم بالإيمان إلى الكفر جاز أن يضيف الله سبحانه الطبع إلى نفسه كما قال زادتهم رجساً إلى رجسهم وإن كانت السورة لم تزدتهم ذلك عن وجعفر بن حرب والبلخي ووجه التشبيه في الكاف ومعناه أن دلالة على أنهم لا يؤمنون كالطبع على قلوب الكافرين الذين في مثل صفتهم وقيل معناه كما دل الله لكم بالاخبار على أنهم لا يؤمنون فكذلك يدل للملائكة بالطبع على أنهم لا يؤمنون ﴿وما وجدنا لأكثرهم﴾ أي ما وجدنا لأكثر المهلكين ﴿من عهد﴾ أي من وفاء بعهد كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد وليس بحافظ للعهد ويجوز أن يكون المراد بهذا العهد ما اودع الله العقول من وجوب شكر المنعم وطاعة المالك المحسن واجتناب القبائح ويجوز أن يكون المراد به ما اخذ على المكلفين على السنة الانبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وهو قول الحسن ﴿وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ السلام وإن للتأكيد والمعنى وإنا وجدنا أكثرهم ناقضين للعهد مخلفين للوعد ويسأل فيقال كيف قال أكثرهم وكلهم فسقة وكيف يجوز أن يكون كافر غير فاسق والجواب أنه قد يكون الكافر عدلاً في دينه غير مرتكب لما يحرم في طريقته فعلى هذا يكون المعنى وإن أكثرهم مع كفرهم فاسق في دينه غير لازم لمذهبه ناقض للعهد وقليل الوفاء بالوعد .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ فَظَلَمُوا بِهَا ۚ
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ
إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ
إِلَّا الْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ
مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ

(١) صدأ الحديد والنحاس ونحوهما : وسخه .

يَدَّهُ، فَإِذَا هِيَ بَيِّضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾

[القراءة] قرأ نافع وحده حقيق عليّ بتشديد الياء والباقون بتخفيف الياء .

[الحجة] قال أبو علي حجة نافع في قوله حقيق عليّ واتصاله بعلي من وجهين (احدهما) أن حقّ الذي هو فعل يعدّى بعلي قال فحق علينا قول ربنا (والآخر) أن حقيق بمعنى واجب فكما أن واجب يتعدى بعلي كذلك يتعدى حقيق به ومن قرأ حقيق علي فجاز تعديته بعلي من الوجهين اللذين ذكرنا وقد قالوا هو حقيق بكذا فيجوز على هذا أن يكون علي بمعنى الباء قال أبو الحسن كما وقعت الباء في قوله بكل صراط توعدون موقع على كذلك وقعت على هنا موقع الباء .

[اللغة] البعث الإرسال وهو في الأصل النقل باعتماد يوجب الإسراع في المشي فالبعث بعد الموت نقل إلى حال الحياة والبعث للأنبياء نقل بالإرسال عن حالة إلى حالة النبوة والعصا عود كالقضيب يابس وأصله الامتناع بيبسه يقال عصي بالسيف يعصى إذا امتنع قال جرير .

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ بِعَصِي بِهَا يَا ابْنَ الْقُيُومِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ (١)
ويقال عصا بالسيف أي أخذه أخذ العصا ويقال لمن استقر بعد تنقل القي عصاه قال :

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى (٢) كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ
وليست المعصية بمشتقة من العصا لأن العصا من بنات الواو والمعصية من بنات الياء قال :

فَجَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصْوَيْهَا سَابِرِي مُشْبَرَقِ (٣)
وأصل القي من اللقاء الذي هو الاتصال فالقي عصاه أي أزال اتصالهما عما كان عليه والثعبان الحية الضخمة الطويلة قال الفراء الثعبان أعظم الحيات وهو الذكر وهو مشتق من ثعبت الماء اثعبه إذا فجرته والمثعب مع انفجار الماء فسمي الثعبان لأنه كعنق الماء عند

(١) القيون جمع القين : الحداد . والصيقل الذي يشحذ السيف ولا يستعمله .

(٢) استقر نوى القوم بموضع كذا : أقاموا .

(٣) السابري من الثياب : الرقاق وكل ثوب رفيع سابري . وثوب مشبرق . ممزق مقطع . وقال في اللسان : عصوا البشر عرقوناه وأنشد هذا البيت .

الانفجار والنزع ازالة الشيء عن مكانه الملابس المتمكن فيه كنزع الرداء عن الإنسان والنزع والقلع والجذب نظائر.

[الإعراب] موضع كيف في قوله كيف كان نصب لأنه خبر كان وتقديره انظر أي شيء كان عاقبة المفسدين وموسى على وزن مفعول والميم زائدة لكثرة زيادتها أولاً كالهزمة حتى صارت اغلب من زيادة الألف أخيراً وافعى على وزن افعل لهذه العلة وموسى لا ينصرف لأنه اسم اعجمي معرفة وموسى الحديد عربي ان سميت به رجلاً لم تنصرف لأنه مؤنث ومعرفة على أكثر من ثلاثة احرف كما لو سميته بعناق لم تنصرف وفرعون على وزن فعلون مثل بردون فالواو زائدة لأنها جاءت مع سلامة الأصول الثلاثة والنون زائدة للزومها وفرعون لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة عرب في حال تعريفه لأنه نقل من الاسم العلم ولو عرب في حال تنكره لانصرف كما ينصرف ياقوت في اسم رجل، إلا الحق نصب بانه مفعول القول على غير الحكاية بل على معنى الترجمة عن المعنى دون حكاية اللفظ، قوله إن كنت جئت بآية قال أبو العباس المبرد إن هنا لم ينقل الماضي إلى معنى الاستقبال من أجل قوة كان لأنها أم الأفعال ولا يجوز ذلك في غيرها وقال أبو بكر السراج المعنى ان تكن جئت بآية أي أن صح ذلك قال إذا امكن إجزاء الحرف على أصله لم يعجز إخراجها عنه وإن ينقل الفعل نقلين إلى الشرط والاستقبال كما إن لم ينقل الفعل إلى النفي والماضي وضمير المخاطب في كنت يرجع إلى المكنى ولا يجوز ذلك في الذي لأن الذي غائب فحقه ان يعود إليه ضمير الغائب وقد أجازوه إذا تقدمت كناية المتكلم في نحو قول الشاعر:

وَأَنَا الَّذِي قَتَلْتُ بَكْرًا بِالقَنَا وَتَرَكْتُ تَغْلِبَ غَيْرَ ذَاتِ سَنَامٍ

ونحو ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ أَكْبَلَكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ^(١)

وعلى هذا يجوز أنت الذي ضربك عمرو والوجه ضربه عمرو وقوله فأت بها جاز وقوع الأمر في جواب الشرط لأن فيه معنى ان كنت جئت بآية فإني الزمك ان تأتي بهذا فقد عاد إلى انه وجب الثاني بوجوب الأول قوله فإذا هي ثعبان مبین إذا هذه ظرف مكان ويسمى ظرف المفاجأة وهي بخلاف إذا التي هي ظرف زمان وفيها معنى الشرط ويعمل فيها جوابها

(١) السندرة - بفتح السين - ضرب من الكيل عزاف جراف والعزاف مكيال ضخم والجراف نوع منه يعني أفتلكم قتلاً واسعاً كبيراً ذريعاً .

ومثال إذا التي هي ظرف المكان قولهم خرجت فإذا الناس وقوف فإذا في موضع نصب
بكونها ظرفاً لوقوف وتقديره فبالحضرة الناس وقوف فيجوز أن ينصب وقوفاً على الحال لأن إذا
ظرف مكان وظروف المكان تكون اخباراً عن الجثث وهذه المسئلة وقعت بين سيويه والكسائي
لما اجتمعا عند يحيى بن خالد البرمكي فيما رواه علي بن سليمان الاخفش قال حدثني أحمد بن
يحيى ثعلب ومحمد بن زيد المبرد قالا لما ورد سيويه بغداد شق أمره على الكسائي فأتى
جعفر بن يحيى والفضل بن يحيى فقال انا وليكما وصاحبكما وهذا الرجل قد قدم ليذهب
بمحلي فقالا له فاحتل لنفسك فإننا سنجمع بينكما فجمعاً بينهما عند أبيهما وحضر سيويه
وحده وحضر الكسائي ومعه الفراء وعلي الأحمر وغيرهما من اصحابه فسألوه كيف تقول كنت
أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو اياها قال اقول فإذا هو هي فأقبل
عليه الجمع فقالوا له اخطأت ولحنت فقال يحيى هذا موضع مشكل انتما إماما مصريكما
فمن يحكم بينكما قال فقال الكسائي واصحابه الاعراب الذين على الباب فادخل أبو الجراح
ومن وجد معه ممن كان الكسائي واصحابه يحملون عنهم فقالوا انا نقول فإذا هو اياها
وانصرف المجلس على أن سيويه اخطأ وحكموا عليه بذلك فأعطاه البرامكة وأخذوا له من
الرشيء وبعثوا به إلى بلده فما لبث بعد هذا الأمر إلا يسيراً حتى مات ويقال أنه مات كمداً^(١) قال
علي بن سليمان وأصحاب سيويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم يقولون أن الجواب على
ما قال سيويه فإذا هو هي وهذا موضع الرفع وهو كما قال علي بن سليمان وذلك أن النصب
إنما يكون على الحال نحو خرجت فإذا الناس وقوفاً جاز النصب هنا لأن وقوفاً نكرة والحال لا
يكون إلا نكرة فإذا اضمرت بطل أمر الحال فإن المضمرة معرفة والمعرفة لا تكون حالاً فوجب
العدول عن النصب إلى الرفع كما تقول فإذا الناس وقوف .

[المعنى] ثم عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع)

فقال ﴿ ثم بعثنا من بعدهم ﴾ أي من بعد الرسل الذين ذكرناهم أو من بعد الأمم الذين ذكرنا
اهلاكهم ﴿ موسى بآياتنا ﴾ أي بدلائلنا وحججنا ﴿ إلى فرعون وملأه ﴾ أي أشراف قومه
وذوي الأمر منهم ﴿ فظلموا بها ﴾ أي ظلموا أنفسهم بجحدها عن الحسن والجبائي وقيل
فظلموا بوضعها غير مواضعها فجعلوا بدل الإيمان بها الكفر والجحود لأن الظلم وضع الشيء
في غير موضعه الذي هو حقه ولم يقل فذهب موسى (ع) فأدى إليهم الرسالة فكذبوه لأن

(١) الكمد: الحزن الشديد. مرض القلب من الحزن .

في قوله فظلموا بها دلالة عليه ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني ما آل إليه أمرهم في الهلاك ﴿وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين﴾ هذه تحكاية قول موسى لفرعون ونذائه له اني رسول اليك من قبل رب العالمين مبعوث اليك وإلى قومك قال وهب وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وهو فرعون يوسف وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخلها موسى رسولا أربعمائة عام ﴿حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق﴾ قال الزجاج معناه حقيق على ترك القول على الله الا الحق وقال الإمام العلامة الزمخشري تقول انا حقيق علي قول الحق أي واجب علي قول الحق ان أكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا مثلي ناطقاً به ومنه قول العرب فلان يدعيه العلم بالطرق فوق ما يدعي هو العلم بها وقال الفراء معناه حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فيكون علي بمعنى الباء كما تقول رميت السهم على القوس وبالقوس وجاءني فلان على حالة حسنة وبحالة حسنة وقيل معناه حريص على ان لا أقول على الله الا الحق وما فرضه علي من الرسالة عن أبي عبدة ﴿قد جئتكم ببينة﴾ أي بحجة ومعجزة ﴿من ربكم﴾ أي اعطانيها ربكم ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي فأطلق بني إسرائيل من عقال التسخير وخلّهم يرجعوا إلى الأرض المقدسة وذلك ان فرعون والقبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل واعتقلوهم للاستخدام في الاعمال الشاقة مثل بناء المنازل وحمل الماء ونقل التراب وما اشبه ذلك ﴿قال﴾ فرعون ﴿ان كنت جئت بآية﴾ أي حجة ودلالة تشهد لك على ما تقوله ﴿فأت بها ان كنت من الصادقين﴾ في انك رسول الله ﴿فألقي عصاه﴾ الفاء فاء الجواب أي فكان جوابه لفرعون ان القى عصاه من يده ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ أي حية عظيمة بين ظاهرائه ثعبان بحيث لا يشبهه على الناس ولم يكن مما يخيل أنه حية وليس بحية وقيل ان العصا لما صارت حية أخذت قبة فرعون بين فكيفها وكان ما بينهما ثمانون ذراعاً فتضرع فرعون الى موسى بعد ان وثب من سريره وهرب منها واحداث وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا أوّمن بك فأخذها موسى فعادت عصا عن ابن عباس والسدي وقيل وكان طولها ثمانين ذراعاً ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ هناك قيل إنّ فرعون قال له هل معك آية اخرى قال نعم فأدخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها أي أخرجها منه وأظهرها فإذا هي بيضاء أي لونها ابيض نوري ولها شعاع يغلب نور الشمس وكان موسى (ع) آدم فيما يروي ثم اعاد اليد إلى كمّه فعادت إلى لونها الاول عن ابن عباس والسدي ومجاهد. سؤال. قيل كيف قال سبحانه هنا فإذا هي ثعبان وقال في موضع آخر فلما رآها تهتز كأنها جان والثعبان الحية العظيمة والجان الحية

الصغيرة فاختلف الوصفان والقصة واحدة والجواب ان الآيتين ليستا اخباراً عن قصة واحدة بل الحالتان مختلفتان والحالة التي كانت العصا بصفة الجان كانت في ابتداء النبوة والحالة التي كانت بصفة الثعبان كانت عند لقائه فرعون وعلى هذا فلا سؤال وقد اجيب ايضاً عن ذلك بأنه شبهها بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه وهذا ابهر في باب الاعجاز.

[حديث العصا]

قد ذكرنا نسب موسى (ع) في سورة البقرة وأما عصاه فقليل أنه اعطاه إياها ملك حين توجه إلى مدين وقيل ان عصا آدم من آس الجنة حين اهبط وكانت تدور بين اولاده حتى انتهت النوبة إلى شعيب فكانت ميراثه مع اربعين عصاً كانت لأبائه فلما استأجر شعيب موسى امره بدخول بيت فيه العُصِيّ وقال له خذ عصاً من تلك العُصِيّ فوَقَعْتَ تلك العصا بيد موسى فاستردها شعيب وقال خذ غيرها حتى فعل ذلك ثلاث مرات في كل مرة تقع يده عليها دون غيرها فتركها في يده في المرة الرابعة فلما خرج من عنده متوجهاً إلى مصر ورأى ناراً وأتى الشجرة فناداه الله تعالى ان يا موسى اني انا الله وأمره بالقائها فألقاها فصارت حية فولّى هارباً فناداه الله سبحانه خذها ولا تخف فأدخل يده بين لحييها فعادت عصاً فلما أتى فرعون القها بين يديه على ما تقدم بيانه وقيل كان الأنبياء (ع) يأخذون العصا تجنباً من الخيلاء وقال رسول الله ﷺ تعصوا فإنها من سنن اخواني المرسلين وقال امير المؤمنين (ع) قال رسول الله ﷺ من خرج في سفر ومعه عصا من لوزمٍ وتلا هذه الآية ولما توجه تلقاه مدين إلى قوله والله على ما نقول وكيل آمنه الله من كل سبع ضارٍ ومن كل لص عادٍ ومن كل ذات حمة حتى يرجع إلى أهله ومنزله وكان معه سبعة وسبعون من المعقبات يستغفرون له حتى يرجع ويضعها وقيل ان اول من أخذ العصا عند الخطبة في العرب قس بن ساعدة.

﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَأَذًا

[القراءة] قرأ أهل المدينة والكسائي وخلف ارجه بكسر الهاء بغير همز بين الجيم والهاء إلا أن نافعاً والكسائي وخلفا يشبعون كسرة الهاء ولا يشبع أبو جعفر وقالون عن نافع بل

تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾

يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلَيْهِ ﴿١١٣﴾

يكسران الهاء بغير همز بين الجيم والهاء وقرأ عاصم وحمزة أرجه بغير همز وسكون الهاء وقرأ الباقر أرجئه بالهمز وضم الهاء وفي الشعراء مثله وقرأ بكل سحر بألف بعد الحاء كوفي غير عاصم هاهنا وفي يونس وقرأ الباقر سحر بألف قبل الحاء في السورتين ولم يختلفوا في الشعراء أن الألف بعد الحاء هناك .

[الحجة] قال أبو علي أرجئه أفعله من الارجاع وهو التأخير ولا بد من ضم الهاء مع الهمزة ولا يجوز غيره وأن لا يبلغ الواو احسن لأن الهاء خفية فلو بلغ بها الواو لكان كأنه جمع بين ساكنين ومن قال أرجئه فالحق الواو فلأن الهاء متحركة ولم يلتق ساكتان لأن الهاء يفصل بينهما ولو كان مع الهاء حرف لين لكان وصلها بالواو اقبح نحو عليها لاجتماع حروف متقاربة مع أن الهاء ليس بحاجز قوي ومن قرأ أرجهي فوصل الهاء بياء فلأن هذه الهاء يوصل في الادراج بواو وياء نحو بهو وبهي وضر بهو ومن قرأ أرجه فلأن في ارجأت لغتين ارجئت وارجيت فإذا قال أرجه كان من ارجيت قال الزجاج زعم الحذاق بالنحو أن هذه الهاء لا يجوز اسكانها اعني هاء الاضمار وزعم بعض النحويين ان اسكانها جائز وأن هاء التانيث يجوز اسكانها واستشهد بيت مجهول وهو:

لَمَّا رَأَى أَنْ لَا دَعَاءَ وَلَا شَيْعَ مَالًا إِلَى أَرْطَاةٍ جَحْفٍ فَاضْطَجَعَ^(١)

قال وهذا شعر لا يعرف قائله والشاعر قد يجوز ان يخطيء وحجة من قرأ ساحر قوله فالقي السحرة ولعلنا نتبع السحرة والسحرة جمع ساحر وكذلك قوله سحروا اعين الناس وحجة من قرأ سحار انه قد وصفه بعليم وذلك يدل على تناهيه فيه وحذقه به فحسن لذلك أن يذكروا بالاسم الدال على المبالغة في السحر .

[اللغة] السحر لطف الحيلة في اظهار اعجوبة توهم المعجزة وقال الأزهري السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره واصبل السحر خفاء الأمر والسحر آخر الليل لخفاء الشخص ببقية ظلمته والسحر الرثة لخفاء امرها ويقال سحر المطر الأرض إذا جادها فقطع

(١) الدعة الخفض في العيش . الأرطي شجر واحدته أرطاة . الحقف بالكسر ما أعوج من الرمل واستطال .

نباتها عن اصوله فقلب الأرض ظهراً لبطن بسرّها سحراً والأرض مسحورة فشبه سحر الساحر بذلك لتخيله إلى من سحره أنه يرى الشيء بخلاف ما هو به .

[الإعراب] فماذا تأمرون موضع ما يحتمل أن يكون رفعاً ويكون ذا بمعنى الذي فيكون بمعنى فما الذي تأمرون ويحتمل أن يكون نصباً ويكون ما وذا اسماً واحداً ويكون بمعنى فأي شيء تأمرون ويأتوك مجزوم لانه جواب الأمر وعامل الاعراب فيه محذوف وتقديره فإنك ان ترسل يأتوك والباء في قوله بكل ساحر يحتمل ان يكون بمعنى مع اي يأتون ومعهم كل ساحر فيكون في موضع الحال ويحتمل ان يكون للتعدية تقول ذهبت به واذهبت واتيت به واتيته .

[المعنى] ثم حكى سبحانه ما قاله اشراف قوم فرعون فقال ﴿ قال الملأ من قوم فرعون ﴾ لمن دونهم في الرتبة من الحاضرين ﴿ إن هذا لساحر عليم ﴾ بالسحر ﴿ يريد أن يخرجكم من ارضكم ﴾ معناه يريد ان يستميل بقلوب بني إسرائيل إلى نفسه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم ويخرجوكم من بلدتكم ﴿ فماذا تأمرون ﴾ قيل أن هذا قول الأشراف بعضهم لبعض على سبيل المشورة ويحتمل ان يكون قالوا ذلك لفرعون وإنما قالوا تأمرون بلفظ الجمع على خطاب الملوك ويحتمل ايضاً ان يكون قول فرعون لقومه فيكون تقديره قال فرعون لهم فماذا تأمرون وهو قول الفراء والجبائي ﴿ قالوا ارجه وأخاه ﴾ أي قالوا لفرعون أخيه وأخاه هارون ولا تعجل بالحكم فيهما بشيء فتكون عجلتك حجة عليك عن الزجاج وقيل أخيه أي احبسه والأول اصح لانه كان يعلم انه لا يقدر على حبسه مع ما رأى من تلك الآيات ﴿ وأرسل في المدائن ﴾ التي حولك ﴿ حاشرين ﴾ أي جامعين للسحرة يحشرون من يعلمونه منهم عن مجاهد والسدي وقيل هم اصحاب الشرط أرسلهم في حشر السحرة وكانوا اثنين وسبعين رجلاً عن ابن عباس ﴿ يأتوك بكل ساحر عليم ﴾ أي يحشرون اليك السحرة ليجتمعوا ويعارضوا موسى فيغلبوه .

﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا

لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ

الْمُقَرَّبِينَ ۝ قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ

الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ الْقَوَّاهُ فَلَمَّا الْقَوَّاهُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وحفص إن لنا لأجراً بهمزة واحدة على الخبر وقرأ أثن بهمزين محققين ابن عامر وأهل الكوفة غير حفص وقرأ أبو عمرو آءن بهمزة ممدودة وقرأ يعقوب غير زيد بهمزة غير ممدودة .

[الحجة] قال أبو علي الاستفهام أشبه بهذا الموضع لأنهم يستفهمون عن الأجر وليسوا يقفون على أن لهم الأجر ويقوي ذلك اجتماعهم في الشعراء وربما حذفت همزة الاستفهام قال أبو الحسن في قوله وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أن من الناس من يذهب إلى انه على الاستفهام وقد جاء ذلك في الشعر قال :

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الْكِرَامَ وَأَنْ أُورَثَ ذُوداً شَضَائِصاً نَبَلاً^(١)



وهذا اقبح من قوله .

وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِناً لَا كَمَعَسِرٍ^(٢) أَتَوْنِي فَقَالُوا مِنْ رَيْعَةٍ أَمْ مُضَرٍ

لأن أم يدل على الهمزة .

[الإعراب] نحن يحتمل ان يكون موضعه رفعاً ويكون تأكيداً للضمير المتصل في كنا ويحتمل أن يكون فصلاً بين الخبر والاسم وضم حرف مع انه يجوز الوقف عليه لأنه في الوجوب نظير لا في النفي وإنما جاز الوقف على كل واحد منهما لأنه جواب لكلام يستغنى بدلالته عليه عما يتصل به والواو في قوله وإنكم واو العطف فكأنه قال لكم ذلك وإنكم لمن المقربين وهو في مخرج الكلام كأنه معطوف على الحرف وكسرت الألف من إنكم لأنه في موضع استئناف بالوعد ولم يكسر لدخول اللام في الخبر لأنه لو لم يكن اللام لكانت مكسورة وإنما دخلت أن في قوله إما أن تلقي ولم تدخل في إما يعذبهم وأما يتوب عليهم لأن فيه معنى الأمر كأنه قال اختر إما أن تلقي أي إما القاك وأما القاءنا فموضع ان نصب ويجوز أيضاً

(١) الرزية . المصية . الذود : الطائفة القليلة من الإبل الشصوص من النوق : القليلة اللبن . النبل بفتحين . صغار الإبل أي أفرح بصغار الإبل . وقد رزئت بكبار الكرام قاله حين عبده رجل بأنه فرح بموت أخيه لما ورثه .

أن يكون التقدير اما القاؤك مبدوء به وإما القاؤنا فموضع ان على هذا يكون نصباً.

[المعنى] ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ في الكلام حذف كثير تقديره فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يحشرون السحرة فحشروهم فجاء السحرة فرعون وكانوا خمسة عشر ألفاً عن ابن إسحاق وقيل ثمانين ألفاً عن ابن المنكدر وقيل سبعين ألفاً عن عكرمة وقيل بضعة وثلاثين ألفاً عن السدي وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحراً اثنان من القبط وهما رئيساً القوم وسبعون من بني إسرائيل عن مقاتل وقيل كانوا سبعين عن الكلبي ﴿قالوا﴾ لفرعون إنما لم يقل فقالوا حتى يتصل الثاني بالأول لأن المعنى لما جاءوا قالوا فلم يصلح دخول الفاء على هذا الوجه ﴿أئن لنا لأجراً﴾^(١) أي عوضاً على عملنا وجزاء بالخير ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ لموسى ﴿قال نعم﴾ أي قال فرعون مجيباً لهم عما سألوه نعم لكم الأجر ﴿وإنكم لمن المقربين﴾ أي وإنكم مع حصول الأجر لكم لمن المقربين إلى المنازل الجليلة والمراتب الخطيرة التي لا يتخطى إليها العامة ولا يحظى^(٢) بها إلا الخاصة وفي هذا دلالة على حاجة فرعون وذلته لو استدل قومه به واحسنوا النظر فيه لنفوسهم لأن من المعلوم انه لم يحتج إلى السحرة إلا لعجزه وضعفه ﴿قالوا﴾ يعني قالت السحرة لموسى ﴿يا موسى اما ان تلقي﴾ ما معك من العصا أولاً ﴿واما ان تكون نحن المكلفين﴾ لما معنا من العصي والحبال أولاً ﴿قال﴾ لهم موسى ﴿القوا﴾ انتم وهذا امر تهديد وتقريع كقوله سبحانه اعملوا ما شئتم وقيل معناه القوا على ما يصح ويجوز لا على ما يفسد ويستحيل وقيل معناه ان كنتم محقين فآلقوا ﴿فلما القوا سحروا أعين الناس﴾ أي فلما القى السحرة ما عندهم من السحر احتالوا في تحريك العُصَي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل وانواع التمويه والتلبيس وخيل إلى الناس انها تتحرك على ما تتحرك الحية وإنما سحروا أعين الناس لأنهم أروهم شيئاً لم يعرفوا حقيقته وخفي ذلك عليهم لبعده منهم فإنهم لم يخلوا الناس يدخلون فيما بينهم وفي هذا دلالة على ان السحر لا حقيقة له لأنها لو صارت حيات حقيقة لم يقل الله سبحانه سحروا أعين الناس بل كان يقول فلما القوا صارت حيات وقد قال سبحانه أيضاً يخيل إليه من سحرهم انها تسعى ﴿واسترهبوهم﴾ أي استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس عن الزجاج وقيل معناه ارهبوهم وافزعوهم عن المبرد ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ وصف سحرهم بالعظم لبعده مرام الحيلة فيه وشدة التمويه به فهو لذلك عظيم

(١) كذا في جميع النسخ ولعله على قراءة أهل الكوفة . (٢) حظى : كان ذا منزلة ومكانة وحظ .

الشان عند من يراه من الناس ولأنه على ما ذكرناه في عدة السحرة وكثرتهم كان مع كل واحد منهم عصا أو حبل فلما القوا وخيل إلى الناس انها تسعى استعظموا ذلك وخافوه .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

مُوسَىٰ أَنِ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ

الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا

صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

[القراءة] قرأ حفص عن عاصم تلقف حقيقة في طه والشعراء مثله والباقون تلقف بتشديد القاف في جميعها .

[الحجة] تلقف وتلقم واحد وأصله تلقف فحدفت التاء التي للمطاوعة في تفعل وثبت التاء التي للمضارعة وتلقف ساكنة اللام مضارع لَقَفَ يَلْقَفُ لَقْفًا قال الشاعر :

أَنْتَ عَصَا مُوسَى الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُهُ السَّاجِرُ

[اللغة] الإفك قلب الشيء عن وجهه في الأصل ومنه الإفك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهة الصواب، أصل الوقوع السقوط كسقوط الحائط والطائر والواقعة النازلة من السماء قال علي بن عيسى الوقوع ظهور الشيء بوجوده نازلاً إلى مستقره والحق كون الشيء في موضعه الذي اقتضته الحكمة والباطل الكائن بحيث يؤدي إلى الهلاك وهو نقيض الحق فإن الحق كون الشيء بحيث يؤدي إلى النجاة والغلبة الظفر بالبغية من العدو في حال المنازعة والصاغر الذليل والصغير والصغار الذلة يقال صغر الشيء يصغر صُغْراً وصَغِيراً وصَغَاراً إذا ذل وأصله صغر القدر .

[الإعراب] أن الق يجوز أن يكون ان مع ما بعدها من الفعل بمنزلة المصدر فيكون تقديره وأوحينا إلى موسى بأن الق أي بالإلقاء ويجوز أن يكون بمعنى أي لأنه تفسير ما أوحى

إليه ما يَأْفُكُونَ ما بمعنى الذي وتقديره تلقف ما يَأْفُكُونَ فيه أي تلقف المأفوك الذي حل فيه الأفك ومثله والله خلقكم وما تعملون يعني وما تعملون فيه وما كانوا يعملون يحتمل ان تكون ما بمعنى المصدر أي وبطل عملهم ويحتمل ان يكون ما بمعنى الذي أي وبطل الحبال والعصي التي عملوا بها السحر . وما إذا كانت بمعنى المصدر لا تعمل في الفعل كما يعمل ان فيه إذا كانت بمعنى المصدر لأن ان ينقل الفعل نقلين إلى المصدر وإلى الاستقبال ولا ينقله ما إلى الاستقبال تقول يعجبني ما تصنع الآن ويعجبني ان تصنع الخير وهنالك دخلت اللام فيه ليدل على بعد المكان المشار إليه كما دخلت في ذلك لبعد المشار إليه فهنا لما بعد قليلاً وهنالك لما كان اشد بعداً وهو ظرف مبهم وفيه معنى الإشارة كما ان ذا مبهم وإنما دخلت كاف المخاطبة مع بعد الإشارة لتشعر بتأكيد معنى الإشارة إلى المخاطب ليتنا على بعد المشار إليه من المكان . والبعيد أحق بعلامة التنبيه من القريب .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال ﴿ وأوحينا إلى موسى ﴾ أي القينا إليه من وجه لم يشعر به إلا هو ﴿ ان الق عصاك ﴾ التي معك ﴿ فإذا هي تلقف ما يَأْفُكُونَ ﴾ معناه فألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبليغ ما يكذبون فيه انها حيات عن مجاهد ﴿ فوقع ﴾ أي ظهر ﴿ الحق ﴾ وهو أمر موسى وصحة نبوته ومعجزاته عن الحسن ومجاهد وقيل وقع الحق بأن صارت العصا حية في الحقيقة ﴿ وبطل ما كانوا يعملون ﴾ أي بطل تمويهاتهم عن الجبائي وإنما ظهر ذلك لهم لأنهم لما رأوا تلك الآيات الباهرة والمعجزات القاهرة في العصا علموا انه أمر سماوي لا يقدر عليه غير الله تعالى فمن تلك الآيات قلب العصا حية ومنها اكلها جبالهم وعصيتهم مع كثرتها ومنها فناء جبالهم وعصيتهم في بطنها اما بالتفريق واما بالفناء عند من جوزه ومنها عودها عصا كما كانت من غير زيادة ولا نقصان وكل من هذه الأمور يعلم كل عاقل انه لا يدخل تحت مقدور البشر فاعترفوا بالتوحيد والنبوة وصار إسلامهم حجة على فرعون وقومه ﴿ فغلبوا هنالك ﴾ أي قهر فرعون وقومه عند ذلك المجمع وبهت فرعون وخلق سبيل موسى ومن تبعه ﴿ وانقلبوا صاغرين ﴾ أي انصرفوا أذلاء مقهورين ﴿ وألقي السحرة ساجدين ﴾ يعني ان السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا انها من عند الله تعالى آمنوا بالله تعالى وبموسى وسجدوا لله الهمهم الله ذلك وقيل ان موسى وهارون سجدا لله تعالى شكراً له على ظهور الحق فاقتدوا بهما فسجدوا معهما وإنما قال القي على ما لم يسم فاعله ليكون فيه معنى القائهم ما رأوا من عظيم آيات الله بأن دعاهم إلى السجود لله والخضوع له عزّت

قدرته وانهم لم يتمالكوا انفسهم عند ذلك بأن وقعوا ساجدين وهذا كما يقال اعجب فلان بنفسه وإن كان أتى من قبله وليس يفعل ذلك به غيره ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ أي صدّقنا ﴿برب العالمين﴾ الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما ﴿رب موسى وهارون﴾ خصّوهما بالذكر بعد دخولهما في جملة العالمين لأنهما دعوا إلى الإيمان بالله تعالى ولشريف ذكرهما ولتفضيلهما على غيرهما على طريق المدح والتعظيم لهما وقيل انهم فسّروا سجودهم بأن قالوا آمنا برب العالمين لثلاثيهم متوهم انهم سجدوا لفرعون ثم قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدّعي انه رب العالمين فأزالوا به الإبهام لثلاثيهم الجهال انهم عنوا بقولهم رب العالمين فرعون وقال علي بن عيسى يجوز ان يقال ان الله سبحانه لم يزل رباً ولا مربوب كما جاز لم يزل سميعاً ولا مسموع لأنها صفة غير جارية على الفعل كما جرى صفة مالك على ملك يملك فالمقدور هو المملوك ولا يطلق الرب إلا على الله تعالى لأنه يقتضي انه رب كل شيء يصح ملكه ويقال في غيره رب الدار ورب الفرس ومثله خالق لا يطلق إلا عليه سبحانه ويقال في غيره خالق الاليم .

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَاْمَنْتُمْ بِهٖ ۚ قَبْلَ
 اَنْ ءَاْذَنَ لَكُمْ ۚ اِنَّ هٰذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمْوْهُ فِى الْمَدِيْنَةِ لِنُخْرِجُوْا
 مِنْهَا اَهْلَهَاۙ فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ ۝١٢٢ لَا قَطْعَنَ اَيْدِيْكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِّنْ
 خَلْفٍ ثُمَّ لَا صَلْبَنَكُمْۙ اٰجْمَعِيْنَ ۝١٢٣ قَالُوْٓا اِنَّا اِلٰى رَبِّنَا
 مُنْقَلِبُوْنَ ۝١٢٤ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّاۤ اِلَّا اَنْ ءَاْمَنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا
 جَآءَنَا رَبَّنَاۤ اَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًاۙ وَتَوَقَّفْنَا مُسْلِمِيْنَ ۝١٢٥﴾

[القراءة] قرأ حفص عن عاصم أمتهم بهمزة واحدة على الخبر حيث كان والباقون بهمزتين على الاستفهام إلا أن أهل الكوفة إلا حفصاً يحققون الهمزتين وغيرهم حققوا الأولى ولينوا الثانية ولم يفصل أحد بين الهمزتين بألف .

[الحجة] وجه الخبر فيه أنه يخبرهم بإيمانهم على وجه التقرير لهم بإيمانهم والإنكار

عليهم ووجه الاستفهام انه على جهة التقريع والتوبيخ أيضاً ومن حَقَّق الهمزتين فإنه على ما يراه من تحقيقهما والهمزة الثانية ممدودة لأن الالف المنقلبة عن الهمزة التي هي فاء من الأمن يتصل بها ومن خَفَّف الهمزة الثانية فتخفيفها أن يجعلها بين بين .

[اللغة] الصلب الشد على الخشبة وغيرها وأصله من صلابه الشيء والقراء كلهم على تشديد اللام من التصليب . الازهري يقال نَقِمْتُ على الرجل أَنْقَمُ ونَقِمْتُ والفصيح نَقِمْتُ^(١) . ابن الاعرابي النعمة العقوبة والانكار قال علي بن عيسى النعمة ضد النعمة والفرق بين النعمة والإساءة ان النعمة قد تكون بحق جزاء على كفر النعمة والإساءة لا تكون إلا قبيحة والمسيء مذموم لا محالة والافراغ صب ما في الإناء أجمع حتى يخلو مشتق من الفراغ والصبر حبس النفس عن اظهار الجزع والصبر على الحق عَزُّ كما ان الصبر على الباطل ذُلُّ

[المعنى] ثم حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند إيمان السحرة فقال سبحانه ﴿ قَالَ فرعون آمنتم به ﴾ أي اقررتم له بالصدق من ﴿ قَبْلَ أَنْ أَدْنِ لَكُمْ ﴾ أي من قبل ان آمركم بإيمان وأذن لكم في ذلك ﴿ إِنَّ هَذَا الْمَكْرَ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ أراد فرعون بهذا القول التلبيس على الناس وإيهامهم أن إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن لتواطؤ منهم ليذهبوا مالكم وملكتكم وقيل معناه ان هذا لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة امركم وهذا وعيد لهم ثم بَيَّنَّ الوعيد فقال ﴿ لَا قُطْعَنُ أَيْدِيكُمْ وَارْجُلُكُمْ مِنْ خِلَافِ ﴾ أي من كل شق طرفاً قال الحسن هو ان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وكذلك اليد اليسرى مع الرجل اليمنى ﴿ ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ أي لا أدع واحداً منكم إلا صلبته وقيل ان اول من قطع الرجل وصلب فرعون صلبهم في جذوع النخل على شاطئ نهر مصر ﴿ قَالُوا ﴾ يعني السحرة جواباً لفرعون ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ أي راجعون إلى ربنا بالتوحيد والاخلاص عن ابن عباس والانقلاب إلى الله تعالى هو الانقلاب إلى جزائه وغرضهم بهذا القول التسلي في الصبر على الشدة لما فيه من المثوبة مع مقابلة وعيده بوعيد أشد منه وهو عقاب الله ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا ﴾ معناه وما تطعن علينا وما تكره منا

(١) يعني بفتح القاف في الماضي وكسرها في المضارع .

إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا قال ابن عباس معناه ما لنا عندك من ذنب ولا ركبنا منك مكروهاً تعذبنا عليه إلا إيماننا بآيات ربنا وهي ما أتى به موسى (ع) آمنوا بها انها من عند الله لا يقدر على مثلها إلا هو ﴿ربنا افرغ علينا صبراً﴾ أي اصيب علينا الصبر عند القطع والصلب حتى لا نرجع كفاراً والمراد الطف لنا حتى نتصبر على عذاب فرعون ونتشجع عليه ولا نفرغ منه ﴿وتوفنا مسلمين﴾ أي وفقنا للثبات على الإيمان والإسلام إلى وقت الوفاة وقيل مسلمين مخلصين لله حتى لا يردنا البلاء عن ديننا قالوا فصلبهم فرعون من يومه فكانوا اول النهار كفاراً سحرة وآخر النهار شهداء برة وقيل أيضاً انه لم يصل إليهم وعصمهم الله منه .

﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَلَهُتْكَ قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي
نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾

[القراءة] روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وأنس بن مالك وعلقمة وغيرهم ويذكرك وآلهتك وعن نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف ويذكرك بالرفع وعن الاشهب ويذكرك بسكون الراء والقراءة المشهورة ويذكرك وآلهتك وقرأ أهل الحجاز سنقتل أبناءهم بالتخفيف والباقون سنقتل بالتشديد .

[الحجة] اما الإلآهة فإنه الربوبية والعبادة فمن قرأ وإلهتك فمعناه ويذكرك وربوبيتك عن الزجاج وقيل عبادتك عن ابن جني قال ومنه سميت الشمس الآلهة والإلآهة لأنهم كانوا يعبدونها ومن قرأ ويذكرك بالرفع فإنه على الاستثناف أي وهو يذكرك واما من اسكن فقال ويذكرك فإنه كقراءة ابي عمرو وان الله يأمركم وقد مضى الكلام في ذلك ومن نصب ويذكرك فإنه على جواب الاستفهام بالواو فيكون المعنى أيكون منك ان تذر موسى وان يذكرك ويجوز ان يكون عطفاً على ليفسدوا ومن قرأ سنقتل بالتخفيف فإنه قد يقع ذلك على التكثير وغير التكثير والتثقل بهذا المعنى اخص وبالموضع أليق .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن قوم فرعون فقال سبحانه ﴿وقال الملأ من قوم فرعون﴾ لما اسلم السحرة تحريضاً له على موسى ﴿اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾

أي اتركهم احياء ليظهروا خلافك ويدعوا الناس إلى مخالفتك ليغلبوا عليك فيفسد به ملكك وأمرك وقيل ليفسدوا في الأرض بعبادة غيرك والدعاء إلى خلاف دينك وقيل ليفسدوا فيها بالغلبة عليها واخذ موسى قومه منها وروي عن ابن عباس أنه لما آمن السحرة اسلم من بني إسرائيل ستمائة الف نفس واتبعوه ﴿ويزرك وآلهتك﴾ قال الحسن كان فرعون يستعبد الناس ويعبد الاصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقرباً إليه وقال السدي كان يعبد ما يستحسن من البقر وروي انه كان يأمرهم ايضاً بعبادة البقر ولذلك اخرج السامري لهم عجلاً جسداً له وقال هذا إلهكم وآله موسى وقال الزجاج كانت له اصنام يعبدها قومه تقرباً إليه ومن قرأ وآلهتك قال كان فرعون يستعبد الناس بنفسه ولا يعبد شيئاً وروي عن مجاهد انه قال كان فرعون يُعبد ولا يُعبد ﴿قال﴾ فرعون ﴿سنقتل ابناهم﴾ الذين يكون فيهم النجدة والقوة ويصلحون للقتال ﴿ونستحيي نساءهم﴾ أي بناتهم نستحييهن إذا لا يكون فيهن نجدة وقوة للمهنة والخدمة استدلالاً لهن وان كان فرعون قد انقطع طمعه عن قتل موسى وقومه فلم يقل سأقتل موسى وقومه لما رأى من علو أمره وعظم شأنه فانتقل إلى عذاب المستضعفين منهم وهم أبناء بني إسرائيل وبناتهم ليوهم أنه يتم له ذلك فيهم ايضاً ﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾ ظاهر المعنى.

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ ۝١٢٨﴾ قَالُوا أَوِذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا

قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدُّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٢٩﴾

[المعنى] قال ابن عباس كان فرعون يقتل أبناء بني إسرائيل فلما كان من أمر موسى ما كان أمر بإعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو إسرائيل إلى موسى فعند ذلك ﴿قال موسى لقومه استعينوا بالله﴾ في دفع بلاء فرعون عنكم ﴿واصبروا﴾ على دينكم وعلى أذى فرعون ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ أي ينقلها إلى من يشاء نقل الموارث فيورثكن

بعد اهلاك فرعون كما أورثها فرعون وهذا وعد لهم بحسن العاقبة ليكون داعياً لهم إلى الصبر ﴿والعاقبة للمتقين﴾ معناه تمسكوا بالتقوى في الدنيا فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين والعاقبة ما يؤدي إليه البادئة إلا أنه إذا قيل العاقبة له فهو في الخير وإذا قيل العاقبة عليه فهو في الشر كما يقال الدائرة له وعليه والدبرة له وعليه ﴿قالوا﴾ أي قال بنو إسرائيل لموسى ﴿أوذينا من قبل أن تأتينا﴾ أي عذبنا فرعون بقتل الأبناء واستخدام النساء قبل أن تأتينا بالرسالة وقيل قبل أن جئتنا ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾ أيضاً ويتوعدنا ويأخذ أموالنا ويكلفنا الأعمال الشاقة فلم ننتفع بمجيئك وهذا يدل على أنه قد جرى فيهم القتل والتعذيب مرتين قال الحسن كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني إسرائيل فلماذا قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وهذا الذي قالوه إنما هو استبطاء منهم لما وعدهم موسى (ع) من النجاة من فرعون وقومه فجئد (ع) لهم الوعد عن الله تعالى ليتقوا به ﴿قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ قال الزجاج عسى طمع واشفاق إلا أن ما يطمع الله فيه فهو واجب وهو معنى قول المفسرين عسى من الله واجب ومعناه أوجب ربكم على نفسه أن يهلك عدوكم فرعون وقومه ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ أي يملككم ما كانوا يملكونه في الأرض من بعدهم ﴿فينظر كيف تعملون﴾ أي فيرى ذلك بوقوعه منكم لأن الله تعالى لا يجازي عباده على ما يعلمه منهم إنما يجازيهم على ما يقع منهم عن الزجاج وقيل يعلم ذلك ومعناه فيظهر معلومه أي يتليكم بالنعمة ليظهر شكركم كما ابتلاكُم بالمحنة ليظهر صبركم ومثله ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وموضع كيف نصب وتقديره أعملاً حسناً تعملون أم قبيحاً أي شاكرين كنتم لنعمته أم كافرين وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني إسرائيل أرض مصر ونواحيها بعد أن أهلك عدوهم .

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ

مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (١٤٠) ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا

هَذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ۚ أَلَا

إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٤١)

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن ألا إنما طيرهم عند الله بغير ألف .

[الحجة] الطير جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب الطائر اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر وروي عن قطرب أن الطير قد يكون واحداً كما أن الطائر واحد ويجوز أن يكون الطائر جمعاً كالجامل أنشد ابن الأعرابي :

كَأَنَّهُ نَهْتَانُ يَوْمَ مَاطِرٍ^(١) عَلَى رُؤُوسٍ كَرُؤُوسِ الطَّائِرِ

[اللغة] العرب تقول أخذتهم السنة إذا كانت قحطة ويقال اسنت القوم إذا أجذبوا وإنما قيل للسنة المجذبة السنة ولم يقل للمخصبة لأنها نادرة في الانفراد بالجذب والندر أحق بالانفراد بالذكر لانفراده بالمعنى الذي ندر به قالوا وجدنا البلاد سنين أي جدوباً قال :

وَأَمْوَالُ اللَّئَامِ بِكُلِّ أَرْضٍ تُجَحِّفُهَا الْجَوَائِحُ وَالسُّنُونُ^(٢)

وقال آخر :

كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيًّا نَعَامَ جَالٍ فِي بَلَدٍ سِنِينًا

أي في بلد جذب والتطير الطيرة من الشيء وهو التشاؤم به واشتقاقه من الطير وطائر الإنسان عمله أخذ من ذلك لأن العرب كانت تزجر الطير فتشأم بالبارح وهو الذي يأتي من جهة الشمال وتبرك بالسائح وهو الذي يأتي من قبل اليمين قال الشاعر :

زَجَرْتُ لَهَا طَيْرَ الشُّمْنَالِ فَإِنْ يَكُنْ هَوَاكَ الَّذِي تَهْوِي يُصِيبُكَ اجْتِنَابُهَا

ثم كثر ذلك فسمي نصيب الإنسان طائرته ويقال طار له من القسم كذا وكذا وأنشد ابن الأعرابي

فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي إِذَا مَا طَارَ مِنْ مَالِي الثُّمِينُ

يريد الزوجة إذا أخذ^(٣) ثمنها من ماله .

[المعنى] ثم بين سبحانه ما فعله بآل فرعون وأقسم عليه فقال ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ﴾ اللام للقسم وقد يقرب الماضي من الحال لأنه إذا توقع كون امر فقيل قد

(١) نهتان : شدة نزول المطر على ما قيل .

(٢) قوله تجحفها أي تذهب بها والجوائح جمع الجائحة : النازلة العظيمة .

(٣) وفي نسخة « أخذت » .

كان دُلٌّ على قربهِ من الحال وآل الرجل خاصته الذين يؤول امره إليهم وأمرهم اليه ومعناه ولقد عاقبنا قوم فرعون بالجدوب والقحوط ﴿ونقص من الثمرات﴾ أي وأخذناهم مع القحط وأجذاب الأرض بنقصان من الثمرات ﴿لعلهم يذكرون﴾ أي يخافون فيؤخِّدون الله فلم يتذكروا وقيل لكي يتفكروا في ذلك ويرجعوا إلى الحق قال الزجاج إنما أخذوا بالضراء لأن أحوال الشدة ترقى القلوب وترغب فيما عند الله ألا ترى إلى قوله وإذا مسه الشر فذودعاه عريض وقيل معناه لكي تتذكروا ان فرعون لو كان الهاً لما كان يستسلم لذلك الضَّر وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أنه سبحانه يريد الكفر فإنه بين أنه أراد منهم التذكر والرجوع إلى الله ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ يعني الخصب والنعمة والسعة في الرزق والسلامة والعافية ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي إنا نستحق ذلك على العادة الجارية لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا ولم يعلموا أنه من عند الله سبحانه فيشكروه عليه ويؤدُّوا شكر النعمة فيه ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي جوع وبلاء وقحط المطر وضيق الرزق وهلاك الثمر والمواشي ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ أي يطيطروا فأدغمت التاء في الطاء وتفسيره يتشاءموا بهم عن الحسن ومجاهد وابن زيد وقالوا ما رأينا شراً ولا أصابنا بلاء حتى رأيناكم ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ معناه إلا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به من العقاب عند الله يفعل بهم في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا عن الزجاج وقيل ان معناه إن الله تعالى هو الذي يأتي بطائر البركة وطائر الشؤم من الخير والشر والنفع والضر فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الشر من قبله وقال الحسن معناه إلا أن ما تشاءموا به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ولا يتفكرون ليعلموا .

﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَا تَحْنُ لَكَ

بِمُؤْمِنِينَ ۝١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ

وَالدَّمَ ۚ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ۝١٣٣﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسين القُمَّل بفتح القاف وسكون الميم وهو المعروف

[اللغة] الطوفان السيل الذي يعم بتعريفه الأرض وهو مأخوذ من انطوف فيها وقيل هو

مصدر كائرجحان والنقصان قال الأخفش واحده طوفانة قال أبو عبيدة الطوفان من السيل

البُعَاق^(١) ومن الموت الذريع والقمل كبار القردان قال أبو عبيدة هو الحَمَنان واحدته حَمْنَة وَحَمْنَانَة^(٢) .

[الإعراب] مهما قال الخليل مه اصلها ما إلّا أنهم أدخلوا عليها ما كما يدخلونها على حروف الجزاء يقولون اما ومتى وما فغيروا ألفها بأن أبدلوها هاء لثلاثي يوهم التكرير وصار ما فيها مبالغة في معنى العموم وقال غيره أصلها مه بمعنى أكففت دخلت على ما التي للجزاء والفرق بين مهما وما أنّ مهما خالصة للجزاء وفي ما الاشتراك لأنه قد يكون استفهاماً تارة وبمعنى الذي أخرى وبمعان أخر وتأتنا مجزوم وعلامة الجزم فيه الياء وانما حذف الياء للجزم لأنه من حروف المد واللين وهي مجانسة لحركات الاعراب ومن شأن الجازم أن يحذف حركة فإذا لم يصادف حركة عمل في نفس الحرف لثلاثي يتعطل من العمل والضمير في به يعود الى مهما وتقديره أي شيء تأتنا به والضمير في بها يعود إلى آية آيات مفصلات نصب على الحال .

[المعنى] ﴿وقالوا﴾ أي قال قوم فرعون لموسى ﴿مهما تأتنا به من آية﴾ أي أي شيء تأتنا به من المعجزات ﴿لتسحرنا بها﴾ أي لتموه علينا بها حتى تنقلنا عن دين فرعون ﴿فما نحن لك بمؤمنين﴾ أي مصدقين أشاروا بهذا القول إلى اصرارهم على الكفر وانهم لا يصدقونه وإن أتى بجميع الآيات ثم زاد الله سبحانه في الآيات تأكيداً لأمر موسى (ع) كما قال ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ اختلف فيه قليل هو الماء الغالب الخارج عن العادة الهادم للبنيان والقالع للأشجار والزروع عن ابن عباس وقيل هو الموت الذريع الجارف عن مجاهد وعطاء وقيل هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله ذلك على ابكار آل فرعون في ليلة فأقعصهن فلم يبق منهن انسان ولا دابة عن وهب بن منبه وقيل هو الجُذَرِيّ وهم أول من عذبوا به وبقي في الأرض عن أبي قلابة وقيل هو أمر من الله تعالى طاف بهم عن ابن عباس رواه أبو ظبيان عنه ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴿والجراد﴾ هو المعروف ﴿والقمل﴾ اختلف فيه قليل هو الدبى وهو صغار الجراد الذي لا أجنحة له والجراد الطيارة التي لها أجنحة عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقتادة والكلبي وقيل القمل بنات الجراد عن عكرمة وقيل القمل البراغيث وقيل دواب سود صغار عن سعيد ابن جبير والحسن وعطاء

(١) سيل بُعَاق وبُعَاق : شديد الدفعة وقيل هو الذي يجرف كل شيء .

(٢) الحمن والحمنان : صغار القردان .

الخراساني ولذلك قرأ الحسن والقمل وقيل هو السوس الذي يخرج من الحنطة عن سعيد ابن جبير ﴿والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ أي معجزات مبيّنة ظاهرات وأدلة واضحة عن مجاهد وقيل مفصلات أي بعضها منفصل عن بعض ﴿فاستكبروا﴾ أي تكبروا عن قبول الحق والإيمان بالله ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ عاصين كافرين .

[القصة] قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن إسحاق بن يسار ورواه علي بن إبراهيم باسناده عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) دخل حديث بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً وأبى هو وقومه إلاّ الاقامة على الكفر قال هامان لفرعون ان الناس قد آمنوا بموسى فانظر من دخل في دينه فاحبسه فحبس كل من آمن به من بني إسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث عليهم الطوفان فضرب دورهم ومساكنهم حتى خرجوا إلى البرية وضربوا الخيام وامتلات بيوت القبط ماء ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة وأقام الماء على وجه أرضهم لا يقدرون على أن يحرقوا فقالوا لموسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا وقال هامان لفرعون لئن خلّيت بني إسرائيل غلبك موسى وأزال ملكك وأبنت الله لهم في تلك السنة من الكلا والزرع والثمر ما اعشبت به بلادهم وأخصبت فقالوا ما كان هذا الماء إلاّ نعمة علينا وخصباً فأنزل الله عليهم في السنة الثانية عن علي بن إبراهيم وفي الشهر الثاني عن غيره من المفسرين الجراد فجردت زروعهم واشجارهم حتى كانت تجرد شعورهم ولحاهم وتاكل الأبواب والثياب والامعة وكانت لا تدخل بيوت بني إسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجّوا وضجّوا وجزع فرعون من ذلك جزعاً شديداً وقال يا موسى ادع لنا ربك ان يكشف عنا الجراد حتى اخلي عن بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنه الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقيل ان موسى (ع) برز إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت حتى كأن لم يكن قط ولم يدع هامان فرعون أن يخلي عن بني إسرائيل فأنزل الله عليهم في السنة الثالثة في رواية علي بن إبراهيم وفي الشهر الثالث عن غيره من المفسرين القمل وهو الجراد الصغير الذي لا أجنحة له وهو شرّ ما يكون وأخبثه فأتى على زروعهم كلها واجتثها من أصلها فذهبت زروعهم ولحس الأرض كلها وقيل امر موسى أن يمشي إلى كتيب أغفر بقرية من قرى مصر تدعى عين الشمس فأتاه فضربه بعصاه فأنثال

عليهم قملاً فكان يدخل بين ثوب أحدهم فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلىء قملاً قال سعيد بن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أجربة إلى الرحا فلم يرد منها ثلاثة افقزة فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت اشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنه الجدري عليهم ومنعتهم النوم والقرار فصرخوا وصاحوا فقال فرعون لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفن عن بني إسرائيل فدعا موسى حتى ذهب القمل بعد ما قام عددهم سبعة أيام من السبت إلى السبت فنكثوا فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة وقيل في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف أحد ثوباً ولا اناء ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم ما فيها وكان الرجل يجلس إلى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فيثب الضفدع في فيه ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته إلى فيه فلقوا منها أذى شديداً فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا إلى موسى وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فداع الله أن يذهب عنا الضفادع فإنا نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعدما أقام عليهم سبعاً من السبت إلى السبت ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم فلما كتبت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل عليهم دماً فكان القبطي يراه دماً والاسرائيلي يراه ماء فإذا شربه الاسرائيلي كان ماء وإذا شربه القبطي كان دماً وكان القبطي يقول للاسرائيلي خذ الماء في فيك وصبه في في فكان إذا صبّه في فم القبطي تحول دماً وإن فرعون اعتراه العطش حتى أنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها يصير ماؤها في فيه دماً فمكثوا في ذلك سبعة أيام لا يأكلون إلا الدم ولا يشربون إلا الدم قال زيد بن أسلم الدم الذي سلط عليهم كان الرعاف فأتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل فلما دفع الله عنهم الدم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني إسرائيل .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ

عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن

كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢١﴾

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾
فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾

[اللغة] أصل الرجز الميل عن الحق ومنه ﴿والرجز فاهجر﴾ يعني عبادة الوثن والعذاب رجز لأنه عقوبة على الميل عن الحق والرجز رعدة في رجل الناقة لداء يلحقها تعدل به عن حق سيرها والرجز ضرب من الشعر اخذ من رجز الناقة لأنه متحرك وساكن ثم متحرك وساكن في كل اجزائه فهو كالرعدة في رجل الناقة يتحرك بها ثم يسكن ثم يستمر على ذلك والنكث نقض العهد الذي يلزم الوفاء به واليم البحر قال ذو الرمة :

دَوِيَّةٌ وَدَجَى لَيْلٍ كَأَنَّهُمَا يَمٌ تُرَاطِنُ فِي خَافَاتِهِ الرُّومُ^(١)
والغفلة حال تعتري النفس تنافي الفطنة واليقظة .

[الإعراب] إذا ظرف المقابلة على ما تقدم بيانه وليست مضافة إلى الجملة بل هي بمنزلة هناك وقد يكتفي بالاسم كما تقول خرجت فإذا زيد وفيه وقوع خلاف المتوقع منهم لأنه اتى منهم نقض العهد بدلاً من الوفاء فكأنه فاجأ الرأي^(٢) عجب من نكثهم وإذا هذه جواب لما ومثله قوله وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذ هم يقنطون ولا يجوز أن يجاب الشرط بإذ لأن إذ لا يكون إلا للوقت الماضي والجواب انما يكون بعد الأول ولذلك يصلح فيه الفاء ولا يصلح الواو وحرف الجزاء انما يقلب الفعل إلى الاستقبال دون الوقت .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عنهم أيضاً فقال ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أي العذاب عن الحسن وقتادة ومجاهد وهو ما نزل بهم من الطوفان وغيره وقيل هو الطاعون اصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان وهو العذاب السادس عن سعيد بن جبير ومثله ما روي عن أبي عبد الله (ع) انه اصابهم ثلج أحمر ولم يروه قبل ذلك فماتوا فيه وجزعوا وأصابهم ما لم يعهدوه قبله ﴿قالوا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ أي

(١) أرض درية : بعيدة الأطراف مستوية واسعة . المراطنة : التكلم بالعجمية . الحافات : الجوانب .

(٢) كذا في النسخ التي عندنا ولعله تصحيف « الراثي » .

بما تقدم اليك ان تدعوه به فإنه يجيبك كما أجابك في آياتك وقيل بما عهد عندك أنا لو آمنا لرفع عنا العذاب وقيل بما عهد عندك من النبوة عن أبي مسلم فعلى هذا يكون الباء باء القسم والمعنى بحق ما أتاك الله من النبوة لما دعوت الله ليكشف هذا عنا ﴿لئن كشفت عنا الرجز﴾ أي العذاب ﴿لنؤمنن لك﴾ أي نصدقك في أنك نبي أرسلك الله ﴿ولنرسلن معك بني إسرائيل﴾ أي نطلقهم من الاستخدام وتكليف الأعمال الشاقة ﴿فلما كشفنا عنهم الرجز﴾ أي فلما رفعنا عنهم العذاب ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ يعني الأجل الذي عرفهم الله فيه وقيل هو الأجل المقدر عن الحسن ﴿إذا هم ينكتون﴾ أي ينقضون العهد ﴿فانتقمنا منهم﴾ أي فجزيناهم على سوء صنيعتهم بالعذاب ثم فسر ذلك العذاب فقال ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ أي البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ أي فعلنا ذلك بهم جزاء بتكذيبهم آياتنا وحججنا وبراهيننا الدالة على صدق موسى وصحة نبوته وجحودهم لها ﴿وكانوا غافلين﴾ معناه أنه انزل عليهم العذاب وكانوا غافلين عن نزول ذلك بهم وقيل معناه إنا عاقبناهم بتكذيبهم وتعرضهم لأسباب الغفلة وعملهم عمل الغافل عنها فيكون وعيداً لهم على الاعراض عن الآيات .

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ
الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بََرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ
بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ
وَقَوْمَهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وأبو بكر يعرُشون بضم الراء والباقون بكسرها .

[الحجة] هما لغتان فصيحتان والكسر أفصح .

[اللغة] قال أبو عبيدة يعرُشون يبنون يقال عرش مكة أي بناؤها .

[الإعراب] يجوز أن يكون مشارق الأرض ومغاربها إنما انتصب بأنه مفعول اورثنا ويجوز أن يكون ظرفاً على تقدير وأورثناهم الأرض في مشارقها ومغاربها وقيل إنما انتصب مشارق الأرض ومغاربها على الظرف للاستضعاف والتقدير وأورثنا القوم الذين كانوا

يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وعلى هذا فالهاء في فيها يعود الى التي والتي صفة للأرض المحذوفة وموضعها نصب بأورثنا . .

[المعنى] ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني بني إسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكّنه وحكم لهم بالتصرف وأباح لهم ذلك بعد اهلاك فرعون وقومه القبط فكأنهم ورثوا منهم ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ التي كانوا فيها يعني جنات الأرض الشرق والغرب منها يريد به ملك فرعون من ادناه إلى أقصاه وقيل هي أرض الشام ومصر عن الحسن وقيل هي أرض الشام وشرقها وغربها عن قتادة وقيل هي أرض مصر عن الجبائي قال الزجاج كان من بني إسرائيل داود وسليمان ملكوا الأرض ﴿التي باركنا فيها﴾ باخراج الزروع والثمار وسائر صنوف النبات والأشجار الى غير ذلك من العيون والأنهار وضروب المنافع ﴿وتمت كلمة ربك الحسنی على بني إسرائيل﴾ معناه صح كلام ربك بالانجاز الوعد باهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض وإنما كان الانجاز تاماً للكلام بتمام النعمة به وقيل ان الكلمة الحسنی قوله سبحانه ﴿ونريد أن نعمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ الى قوله ﴿يحذرون﴾ وقال الحسن وان كانت كلمات الله سبحانه كلها حسنة لأنها وعد بما يحبون وقال الحسن أراد وعد الله لهم بالجنة ﴿بما صبروا﴾ على أذى فرعون وقومه وتكليفهم اياهم ما لا يطيقونه من الاستعباد والاعمال الشاقة ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أي أهلكنا ما كانوا يبنون من الأبنية والقصور والديار ﴿وما كانوا يعرشون﴾ من الأشجار والأعصاب والثمار وقيل يعرشون يسقفون من القصور والبيوت عن ابن عباس .

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ

فَاتَوَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ

لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ

هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم فِيهِ وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ

أُبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٣٠﴾

[القراءة] يعكفون بكسر الكاف كوفي غير عاصم والباقون بضم الكاف وهما لغتان .

[اللغة] المجاوزة الاخراج عن الحد وجاز الوادي يجوز جوازاً إذا قطعه وخلفه وراءه وجاوزه مجاوزة واجتازه اجتيازاً وأصل البحر من السعة ومنه البحيرة لسعة شقّ اذنها وتبحر في العلم إذا اتسع فيه وقوي تصرفه وعكف على الشيء واظب عليه ولزمه ومنه الاعتكاف وهو لزوم المسجد للعبادة فيه والمنبر من التبار وهو الهلاك ومنه التبر للذهب وسمي بذلك لأمرين (أحدهما) ان معدته مهلكة (والآخر) ما قاله الزجاج انه يقال لكل اناء مكسر متبر وكسارته تبرّه .

[الإعراب] كما لهم آلهة ما هذه كافة للكاف لأن ما بعدها جملة وقال البصير وهو واحد زماننا في هذا الفن ما هاهنا مصدرية أي كما ثبت لهم آلهة وصلت بالظرف وما ارتفع به كما يوصل بالمبتدأ والخبر في قوله « كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه » ويجوز أن يكون بمعنى الذي وفي لهم ضمير يعود إليه وآلهة بدل من ذلك الضمير أو يرتفع بإضمار هي أي هي آلهة فحذف هي ، وما هم فيه موصول وصلة في موضع رفع بقيامه مقام الفاعل لقوله متبر وكذلك ما كانوا يعملون فاعل الباطل ، أغير الله أبغىكم إلهاً بغى يتعدى إلى مفعولين وطلب يتعدى إلى مفعول واحد لأن معنى قولك بغاه الخير أعطاه الخير وليس كذلك طلب لأنه غير مضمّر بالمطلوب وعلى هذا فيكون إلهاً مفعولاً به ثانياً ويكون غير منصوباً على الحال التي لو تأخرت كانت صفة للنكرة وتقديره ابغىكم إلهاً غير الله وقد يجوز أن يكون بمعنى أبغى لكم ويكون غير الله منصوباً بأنه مفعول أبغى وتقديره اطلب غير الله لكم معبوداً فيكون إلهاً منصوباً على الحال .

[المعنى] ثم أخبر الله سبحانه عن أحوال بني إسرائيل فقال ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل ﴾ أي قطعنا بهم ﴿ البحر ﴾ يعني النيل نهر مصر بأن جعلنا لهم فيه طرقاً يابسة حتى عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه فيه ﴿ فأتوا ﴾ أي فمروا ﴿ على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ أي يقبلون عليها ملازمين لها مقيمين عندها يعبدونها قال قتادة كان أولئك القوم من لحم وكانوا نزولاً بالرقعة وقال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ﴾ أي انصب لنا شيئاً نعبده كما لهم أوثان يعبدونها وهذا كفر ربما قاله الجاهل من قومه دون المؤمنين الأخيار وإنما قالوا ذلك لأن الإنسان يحن إلى ما يراه لغيره فيحب ان يكون له مثل ما لغيره وفي هذا دلالة على عظيم جهلهم بعدما رأوا الآيات المترادفة

والمعجزات من حيث توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى ولم يعرفوا ان المجهول لا يكون إلهاً وان الأصنام لا تكون آلهة ويمكن أن يكونوا قد ظنوا انه يجوز أن يتقرب إلى الله تعالى بعبادة غيره وإن اعتقدوا أنه لا يشبه الأشياء ولا تشبهه ولم يكونوا مشبهة كما حكي الله سبحانه عن المشركين انهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴿قال انكم قوم تجهلون﴾ هذه حكاية عما أجابهم به موسى (ع) أي تجهلون ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول عن الجبائي وقيل تجهلون نعمة ربكم فيما صنع بكم عن ابن عباس ﴿إن هؤلاء﴾ يعني القوم الذين عبدوا الأصنام ﴿متبر﴾ أي مدمر مهلك ﴿ما هم فيه﴾ من عبادة الأصنام ﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ أي باطل عملهم لا يجدي عليهم نفعاً ولا يدفع عنهم ضرراً فكأنه بمنزلة من لم يكن من هذا الوجه فالبطلان انتفاء المعنى بعدمه أو بأنه لا يصح معتقده فالأول كبطلان البناء بالهدم والثاني كبطلان إله آخر مع الله لأنه لا يصح في عدم ولا وجود ﴿قال﴾ يعني قال موسى لقومه بعد ازرائه على الأصنام وعلى من كان يعبدها ﴿أغير الله أبغيكم﴾ أي التمس واطلب غير الله لكم فحذف حرف الجر فوصل الفعل بقوله واختار موسى قومه أي من قومه ﴿إلهاً﴾ أي معبوداً تعبدونه سوى الله ﴿وهو فضلكم على العالمين﴾ أي على عالمي زمانكم عن الحسن والجبائي وقيل معناه وهو سبحانه خصكم بفضائل لم يعطها احداً غيركم وهو أن أرسل إليكم رجلين منكم لتكونوا أقرب إلى القبول وخلصكم من اذى فرعون وقومه على اعجب وجه وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم .

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ
 آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ
 وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر انجاكم على لفظ الماضي والباقون أنجيناكم وقرأ نافع وحده يقتلون بالتخفيف والباقون يقتلون بالتشديد .

[الحجة] قد مضى الكلام في أمثال ذلك مرة بعد أخرى فلا وجه للإطالة باعاده [المعنى] ثم خاطب الله سبحانه بني إسرائيل الذين كانوا في زمن النبي ﷺ فقال لهم على وجه الامتنان عليهم بما أنعمه على أسلافهم ﴿وإذ أنجيناكم﴾ أي واذكروا اذ خلصناكم

﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ أي يولونكم اكراهاً ويحملونكم اذلاً ﴿سوء العذاب يقتلون أبناءكم﴾ أي يكثر قتل ابنائكم ﴿ويستحيون نساءكم﴾ أي يستبقونهم للخدمة والمهنة ﴿وفي ذلكم﴾ أي وفي ما فعل بكم من النجاة ﴿بلاء﴾ أي نعمة ﴿من ربكم عظيم﴾ قدرها وقيل معناه في تخليته اياكم وقوم فرعون ابتلاء عظيم وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة .

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ ۚ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ

وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

[اللغة] الفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر لي عمل فيه عمل من الأعمال والوقت وقت الشيء قدره^(١) ولذلك قيل مواقيت الحج وهي المواضع التي قدرت للاحرام فيها .

[المعنى] ثم بين سبحانه تمام نعمته على بني إسرائيل فقال ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ ولم يقل أربعين ليلة كما قاله في سورة البقرة لفائدة زائدة ذكر فيها وجوه (أحدها) ان العدة كانت ذا القعدة وعشر ذي الحجة ولو قال أربعين ليلة لم يعلم أنه كان الابتداء أول الشهر ولا أن الأيام كانت متوالية ولا أن الشهر شهر بعينه قاله الفراء وهو معنى قول مجاهد وابن عباس وابن جريج ومسروق وأكثر المفسرين (وثانيها) أنه سبحانه واعد موسى ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم أتمت بعشر الى وقت المناجاة وقيل هي العشر التي نزلت التوراة فيها ولذلك أفردت بالذكر (وثالثها) ان موسى (ع) قال لقومه أنني أتأخر عنكم ثلاثين يوماً ليتسهل عليهم ثم زاد عليهم عشرًا وليس في ذلك خلف لأنه إذا تأخر عنهم أربعين ليلة فقد تأخر ثلاثين ليلة قبلها عن أبي جعفر الباقر (ع) وقريب منه ما روي عن الحسن ان الموعد كان أربعين ليلة في الأصل فأجمل هناك وفصل ههنا على وجه التأكيد ﴿فَتَمَّ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إنما قال هذا مع أن ما تقدمه دل على هذه العدة للبيان

(١) [مقدر أولم بقدره] .

والتفصيل الذي تسميه الكتاب الفذلكة ولو لم يذكره لجاز أن يتوهم أنه أتم الثلاثين بعشر منها على معنى كملنا الثلاثين بعشر حتى كملت ثلاثين كما يقال كملت العشرة بدرهمين وقد مر معنى المواعدة والوعد في سورة البقرة وقلنا أن أربعين هنا منصوب على الحال وتقديره معدودة أربعين ليلة ﴿وقال موسى﴾ وقت خروجه إلى الميقات ﴿لأخيه هارون اخلفني﴾ أي كن خليفتي ﴿في قومي واصلح﴾ فيما بينهم واجر على طريقتك في الصلاح وقيل معناه واصلح فاسدهم في حال غيبي وقيل اصلحهم أي احملهم على الطاعة ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ أي لا تسلك طريقة العاصين ولا تكن عوناً للظالمين وإنما أراد بذلك اصلاح قومه وان كان المخاطب به أخاه وإنما أمر موسى (ع) أخاه هارون بأن يخلفه وينوب عنه في قومه مع أن هارون كان نبياً مرسلأ لأن الرئاسة كانت لموسى (ع) عليه وعلى أمته ولم يكن يجوز أن يقول هارون لموسى مثل ذلك وفي هذا دلالة على أن منزلة الإمامة منفصلة من النبوة وغير داخله فيها وإنما اجتمع الامران لأنبياء مخصوصين لأن هارون لو كان له القيام بأمر الأمة من حيث كان نبياً لما احتاج فيه الى استخلاف موسى اياه واقامته مقامه .

﴿وَلَمَّا بَجَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّى
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ
سُبْحَنَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

[القراءة] جعله دكا بالمد هاهنا وفي الكهف كوفي غير عاصم ووافقهم عاصم في الكهف والباقون دكاً بالقصر والتنوين في الموضعين .

[الحجة] قال الزجاج جعله دكاً بالتنوين معناه جعله مدقوقاً مع الأرض والدكاء والدكاوات الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها لا تبلغ أن تكون جبلاً قال أبو الحسن لما قال جعله فكأنه قال دكّه وأراد جعله ذا دكّ وقال أبو عبيدة جعله دكاً أي مندكاً وناقّة دكاء ذاهبة

السنام كأنه جعله كالناقة الدكاء فبقي أكثره والدك المستوي وانشد للأغلب « هل غير غار دك غاراً فانهدم » وقال علي بن عيسى دكا مستوياً بالأرض يقال دكّه يدكه دكاً أي سحقه سحقاً

[اللغة] التجلي الظهور ويكون تارة بالظهور وتارة بالدلالة قال الشاعر :

تَجَلَّى لَنَا بِأَمْشَرَفِيَّةٍ وَأَلْقَنَا وَقَدْ كَانَ عَنْ وَقَعِ الْأَسِنَّةِ نَائِيًا^(١)

أراد الشاعر أن تدبيره دلّ عليه ويقال للسيد هو ابن جلا أي لا يخفى أمره لشهرته وفي خطبة الحجاج (انا ابن جلا وطلّاع الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني) قال سيبويه جلا فعل ماض فكأنه قال انا ابن الذي جلا أي أوضح وكشف .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه حديث الميقات فقال ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ معناه ولما انتهى موسى إلى المكان الذي وقّته له وأمرناه بالمصير إليه لنكلمه وننزل عليه التوراة ويمكن أن يكون المراد بالميقات الزمان الذي وقّته الله تعالى له ان يأتي ذلك المكان فيه فإن لفظ الميقات كما يقع على الزمان يقع على المكان كمواقيت الإحرام فإنها للأمكنة التي لا يجوز مجاوزتها الأهل الأفاق الا وهم محرمون ﴿وكلمه ربه﴾ من غير سفير أو وحي كما كان يكلم الأنبياء على السنة الملائكة ولم يذكر من أي موضع اسمعه كلامه وذكر في موضع آخر أنه اسمعه كلامه من الشجرة فجعل الشجرة محلاً للكلام لأن الكلام عرض لا يقوم الا بجسم وقيل إنه في هذا الموضع اسمعه كلامه من الغمام ﴿قال رب أرني أنظر إليك﴾ أي أرني نفسك أنظر إليك اختلف العلماء في وجه مسأله (ع) الرؤية مع علمه بأنه سبحانه لا يدرك بالحواس على أقوال (أحدها) ما قاله الجمهور وهو الأقوى انه لم يسأل الرؤية لنفسه وانما سألها لقومه حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولذلك قال (ع) لما أخذتهم الرجفة تهلكنا بما فعل السفهاء منا فأضاف ذلك الى السفهاء ويسأل على هذا فيقال لو جاز أن يسأل الرؤية لقومه مع علمه باستحالة الرؤية عليه تعالى لجاز أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه جسماً وما أشبه ذلك متى شكوا فيه والجواب انما صحّ السؤال في الرؤية لأن الشك في جواز الرؤية التي تقتضي كونه جسماً يمكن معه معرفة السمع وانه سبحانه حكيم صادق في اخباره فيصحّ أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة السمع من حيث أن

(١) السيوف المشرفة : التي تنسب إلى مشارف الشام .

الجسم لا يجوز أن يكون غياً ولا عالماً بجميع المعلومات لا بد في العلم بصحة السمع من ذلك فلا يقع بجوابه انتفاع ولا علم وقال بعض العلماء انه كان يجوز أن يسأل موسى لقومه ما يعلم استحالته ايضاً وان كان دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان في المعلوم ان في ذلك صلاحاً للمكلفين في دينهم غير أنه شرط ان يبين النبي في مسأله ذلك علمه باستحالة ما سأل عنه وان غرضه في السؤال ورود الجواب ليكون لطفاً (وثانيها) أنه (ع) لم يسأل الرؤية بالبصر ولكن سأل ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار بعض اعلام الآخرة التي تضطره الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال فحفف المحنة عليه بذلك كما سأل إبراهيم (ع) رب أرني كيف تحيي الموتى طلباً لتخفيف المحنة وقد كان عرف ذلك بالاستدلال والسؤال وان وقع بلفظ الرؤية فإن الرؤية يفيد العلم كما يفيد العلم الادراك بالبصر فيبين الله سبحانه له أن ذلك لا يكون في الدنيا عن أبي القاسم البلخي (وثالثها) أنه سأل الرؤية بالبصر على غير وجه التشبيه عن الحسن والربيع والسدي وذلك لأن معرفة التوحيد تصح مع الجهل بمسألة الرؤية ومعرفة السمع تصح ايضاً معه وهذا ضعيف لأن الأمر وان كان على ما ذكروه فإن الأنبياء لا يجوز أن يخفى عليهم مثل هذا مع جلالة رتبتهم وعلو درجتهم ﴿ قال لن تراني ﴾ هذا جواب من الله تعالى ومعناه لا تراني أبداً لأن لن ينفي على وجه التأييد كما قال ولن يتمنوه أبداً وقال لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴿ ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ﴾ علق رؤيته باستقرار الجبل الذي علمنا انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم أنه لا يكون ومتى قيل انه لم يستقر وهذه طريقة معروفة في استبعاد الشيء لأنه يعلقونه بما يعلم انه لا يكون متى قيل انه لو كان الغرض لذلك التباعد لعلقه سبحانه بأمر يستحيل كما علق دخول الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سم الخياط فجوابه انه سبحانه علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي جعله فيها دكا وذلك مستحيل لما فيه من اجتماع الضدين ﴿ فلما تجلّى ربه للجبل ﴾ أي ظهر أمر ربه لأهل الجن فحذف والمعنى انه سبحانه أظهر من الآيات ما استدلل به من كان عند الجبل على أن رؤيته غير جائزة وقيل معناه ظهر ربه بآياته التي أحدثها في الجبل لأهل الجبل كما يقال الحمد لله الذي تجلى لنا بقدرته فكل آية يجددها الله سبحانه فكانه يتجلى للعباد بها فلما أظهر الآية العجيبة في الجبل صار كأنه ظهر لأهله وقيل أن تجلى بمعنى جلى كقولهم حدث وتحدث وتقديره جلى ربه أمره للجبل أي ابرز في ملكوته للجبل ما تذكك به ويؤيده ما جاء في الخبر ان الله تعالى ابرز من العرش مقدار الخنصر فتذكك به

الجبل وقال ابن عباس معناه ظهر نور ربه للجبل وقال الحسن لما ظهر وحي ربه للجبل ﴿جعله دكا﴾ أي مستوياً بالأرض وقيل تراباً عن ابن عباس وقيل ساخ في الأرض حتى فني عن الحسن وقيل تقطع أربع قطع قطعة ذهبت نحو المشرق وقطعة ذهبت نحو المغرب وقطعة سقطت في البحر وقطعة صارت رملاً وقيل صار الجبل ستة أجبل وقعت ثلاثة بالمدينة وثلاثة بمكة فالتى بالمدينة احد وورقان ورضوى والتي بمكة ثور وثير وجرأ وروي ذلك عن النبي ﷺ ﴿وخر موسى صعقا﴾ أي سقط مغشياً عليه عن ابن عباس والحسين وابن زيد ولم يمت بدلالة قوله فلما أفاق ولا يقال أفاق الميت وانما^(١) عاش أو حي وأما السبعون الذين كانوا معه فقد ماتوا كلهم لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم وروي عن ابن عباس انه قال اخذته الغشية عشية الخميس يوم عرفة وأفاق عشية يوم الجمعة وفيه نزلت عليه التوراة وقيل معناه خر ميتاً عن قتادة ﴿فلما أفاق﴾ من صعقته ورجع إليه عقله ﴿قال سبحانه﴾ أي تنزيهاً لك عن ان يجوز عليك ما لا يليق بك وقيل تنزيهاً لك من ان تأخذني بما فعل السفهاء من سؤال الرؤية ﴿تبت إليك﴾ من التقدم في المسألة قبل الاذن فيها وقيل انه قاله على وجه الانقطاع الى الله سبحانه كما يذكر التسبيح والتهليل ونحو ذلك من الألفاظ عند ظهور الأمور الجليلة ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ بأنه لا يراك أحد من خلقك عن ابن عباس والحسن وروي مثله عن أبي عبد الله (ع) قال معناه انا أول من آمن وصدق بأنك لا ترى وقيل معناه انا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية عن الجبائي وقيل أو المؤمنين بك من بني اسرائيل عن مجاهد والسدي .

﴿ قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي

أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي نَحْنُ مَا ءَاتَيْنَاكَ وَكُنْ

مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١١٠﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ نَحْنُهَا بِقُوَّةٍ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا

سَآوِرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١١﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وروح برسالتني على التوحيد والباقون برسالاتني على الجمع وقد مضى الكلام فيه .

[اللغة] اللوح صحيفة مهيأة للكتابة فيها وأصله من اللوح وهو اللمع يقال لاح يلوح إذا لمع وتلألاً والتلويع التضمير ولوحه السفر غيره تغييراً تبين عليه أثره لأن حاله يلوح بما نزل به واللوح الهواء لأنه كاللامع في هبوه فاللوح تلوح المعاني بالكتابة فيه والموعظة التحذير بما يزجر عن القبيح ويبصر مواقع المخوف .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن عظيم نعمته على موسى بالاصطفاء واجلال القدر وأمره إياه بالشكر بقوله ﴿ قال ﴾ أي قال الله سبحانه ﴿ يا موسى إني اصطفيتك ﴾ أي اخترتك واتخذتك صفوة وفضلتك على الناس ﴿ برسالاتني ﴾ من غير كلام ﴿ وبكلامي ﴾ من غير رسالة وخصّ الناس لأنه كلم الملائكة ولم يكلم أحداً من الناس بلا واسطة سوى موسى (ع) وقيل أنه سبحانه كلم موسى على الطور وكلم نبينا محمداً ﷺ عند سدره المنتهى ﴿ فخذ ما آتيتك ﴾ أي تناول ما أعطيتك من التوراة وتمسك بما امرتك ﴿ وكن من الشاكرين ﴾ أي من المعترفين بنعمتي القائمين بشكرها على حسب مرتبتها فكلما كانت النعمة اعظم وأجل وجب أن تقابل من الشكر بما يكون أتم وأكمل الوجه وفي تشریف موسى (ع) بالاختصاص بالكلام أن ذلك نعمة عظيمة ومنّة جسيمة منه تعالى عليه لأنه كلمه وعلمه الحكمة من غير واسطة بينه وبينه ومن أخذ العلم من العالم المعظم كان أجلاً رتبة ممن أخذه ممن هو دونه ﴿ وكتبنا له ﴾ يعني لموسى (ع) ﴿ في الألواح ﴾ يريد ألواح التوراة عن ابن عباس وقيل كانت من خشب نزلت من السماء عن الحسن وقيل كانت من زمرد وطولها عشرة أذرع عن ابن جريج وقيل كانت من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء^(١) عن الكلبي وقيل أنهما كانا لوجين قال الزجاج ويجوز في اللغة أن يقال للوجين ألواح ويجوز أن يكون ألواح ويجوز أن يكون الواحاً جمع أكثر من اثنين ﴿ من كل شيء ﴾ قال الزجاج اعلم الله سبحانه أنه أعطاه من كل شيء يحتاج إليه من أمر الدين مع ما أراه من الآيات ﴿ موعظة ﴾ هذا تفسير لقوله كل شيء وبيان لبعض ما دخل تحته ﴿ وتفصيلاً لكل شيء ﴾ يحتاج إليه في الدين من الأوامر والنواهي والحلال والحرام وذكر الجنة والنار وغير ذلك من العبر والأخبار وتفصيلاً أيضاً تفسير لقوله كل شيء ﴿ فخذها بقوة ﴾ أي بجذ واجتهاد وقيل بصحة عزيمة وقوة قلب ﴿ وأمر قومك

(١) وفي بعض النسخ « أو ياقوتة حمراء » .

يأخذوا بأحسنها ﴿ أي بما فيها من احسن المحاسن وهي الفرائض والنوافل فإنها أحسن من المباحات وقيل معناه يأخذ بالناسخ دون المنسوخ عن الجبائي وهذا ضعيف لأن المنسوخ قد خرج من أن يكون حسناً وقيل ان المراد بالأحسن الحسن وكلها حسن كقوله سبحانه وهو أهون عليه وكقوله ولذكر الله أكبر عن قطرب ﴿ سأريكم دار الفاسقين ﴾ يعني سأريكم جهنم عن الحسن ومجاهد والجبائي والمراد فليكن منكم على ذكر لتحذروا أن تكونوا منهم وهذا تهديد لمن خالف أمر الله وقيل يريد ديار فرعون بمصر عن عطية العوفي وقيل معناه سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية ممن خالفوا أمر الله لتعتبروا بها عن قتادة وفي تفسير علي بن إبراهيم ان معناه يجيئكم قوم فساق يكون الدولة لهم .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا
بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا
غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ
أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير عاصم الرُّشد بفتح الراء والشين والباقون الرُّشد بضم الراء وسكون الشين . /

[الحجة] هما لغتان ويحكى أن أبا عمرو فرق بينهما فقال الرُّشد الإصلاح والرُّشد في الدين مثل قوله مما علمت رُشداً وتحروا رُشداً فهذا في الدين وقوله فإن آنستم منهم رُشداً وهو في إصلاح المال والحفظ له وقد جاء الرُّشد في غير الدين قال :

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدُّهْنِ فَقُلْتُ لَهَا أُمِّي بِسَلَالٍ عَلَى التَّوْفِيقِ وَالرُّشْدِ (١)

(١) حنت إليه : اشتاقت . والنعم - بالتحريك وتسكن عينه - : الابل . والدهناء : اسم موضع . وأمه : قصده .

[اللغة] الرُّشْد سلوك طريق الحق يقال رَشِدَ يرشُد رشاداً ورَشِدَ يرشُد رُشداً ورَشِدَ وُضدَهُ الغَيَّ غَوِي يغوي غَيّاً وِغْوَايةً والحَبُوط سقوط العمل حتى يصير بمنزلة مالم يعمل وأصله الفساد من الحبط وهو داء يأخذ البعير في بطنه من فساد الكلا عليه ويقال حبطت الإبل تحبط حبطاً إذا أصابها ذلك وإذا عمل الإنسان عملاً على خلاف الوجه الذي أمر به يقال أحبطه .

[المعنى] ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ذكر في معناه وجوه (أحدها) أنه أراد سأصرف عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي والاعتزاز بها كما يناله المؤمنون في الدنيا والآخرة المستكبرين في الأرض بغير الحق كما فعل بقوم موسى وفرعون فإن موسى كان يقتل من القبط وكان أحد منهم لا يجسر أن يناله بمكره خوفاً من الثعبان وعبر ببني إسرائيل البحر وغرق فيه فرعون وقومه عن أبي علي الجبائي والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء وفي قوله ﴿ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا ﴾ بيان أن صرفهم عن الآيات مستحق بشكذبهم (وثانيها) أن معناه سأصرفهم عن زيادة المعجزات التي أظهرها على الأنبياء (ع) بعد قيام الحجة بما تقدّم من المعجزات التي ثبتت بها النبوة لأن هذا الضرب من المعجزات إنما يظهر إذا كان في المعلوم أنه يؤمن عنده من لا يؤمن بما تقدّم من المعجزات فيكون الصرف بأن لا يظهرها جملة أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم وهذا الوجه اختاره القاضي لأن ما بعده يليق به من قوله ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ ﴾ إلى آخر الآية (وثالثها) أن معناه سأمنع الكذابين والمتكبرين آياتي ومعجزاتي وأصرفهم عنها وأخصّ بها الأنبياء فلا أظهرها إلا عليهم وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد معنى واحداً فليس لأحد أن يقول هلاً قال سأصرف آياتي عن الذين يتكبرون وهذا يبطل قول من قال أن الله تعالى جعل النيل في أمر فرعون فكان يجري بأمره ويقف وما شاكل ذلك (ورابعها) أن يكون الصرف معناه المنع من ابطال الآيات والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن كونها أدلة وحججاً ويكون تقدير الآية اني أصرف المبطلين والمكذّبين عن القدح في دلالاتي بما أؤيدها وأحكمها من الحجج والبيّنات ويجري ذلك مجرى قول أحدها أن فلاناً منع أعدائه بأفعاله الحميدة وأخلاقه الكريمة من ذمه وتهجينه وأخرى السنتهم عن الطعن فيه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ويكون على هذا قوله ﴿ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ما قبله بلا فصل من قوله ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ ولا يرجع إلى قوله ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ (وخامسها) أن

المراد سأصرف عن إبطال آياتي والمنع من تبليغها هؤلاء المتكبرين بالإهلاك أو المنع من غير إهلاك فلا يقدرّون على القدح فيها ولا على قهر مبلغها ولا على منع المؤمنين من اتباعها والإيمان بها وهو نظير قوله ﴿ والله يعصمك من الناس ﴾ ويكون الآيات في هذا الوجه القرآن وما جرى مجراه من كتب الله التي تحملتها الأنبياء عليهم السلام ويكون قوله ﴿ ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا ﴾ على هذا متعلقاً أيضاً بقوله ﴿ وإن يروا سبيل الرشداً ﴾ إلى ما بعده ومعنى قوله ﴿ الذين يتكبرون في الأرض ﴾ أي يرون لأنفسهم فضلاً على الناس وحقاً ليس لغيرهم مثله فيحملهم ذلك على ترك اتباع الأنبياء انفة من الانقياد لهم والقبول منهم وقوله ﴿ بغير الحق ﴾ تأكيد وبيان أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق كقوله ﴿ ويقتلون النبيين بغير الحق ﴾ وقد مضى ذكر أمثاله ﴿ وإن يروا كل آية ﴾ أي كل حجة ودلالة تدلّ على توحيد الله وصحة نبوة أنبيائه ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ هذا أخبار من الله تعالى عن هؤلاء بعلمه فيهم أنهم لا يؤمنون به ويكتبه ورسله وبيان أنه إنما صرفهم عن آياته لذلك ﴿ وإن يروا سبيل الرشداً لا يتخذوه سبيلاً ﴾ يعني إن يروا طريق الهدى والحق لا يتخذوه طريقاً لأنفسهم ﴿ وإن يروا سبيل الغي ﴾ أي طريق الضلال ﴿ يتخذوه سبيلاً ﴾ أي طريقاً لأنفسهم ويميلون إليه وقيل الرشداً الإيمان والغي الكفر وقيل الرشداً كل أمر محمود والغي كل أمر قبيح مذموم ﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى صرفهم عن الآيات وقيل إشارة إلى اتخاذهم طريق الغي وترك طريق الرشداً وتقديره أمرهم ذلك ﴿ بأنهم كذبوا بآياتنا ﴾ أي بحججنا ومعجزات رسلنا ﴿ وكانوا عنها غافلين ﴾ أي لا يتفكرون فيها ولا يتعظون بها والمراد بالغفلة هنا التشبيه لا الحقيقة مثل قوله سبحانه ﴿ صمّ بكم عمي ﴾ وذلك أنهم لما أعرضوا عن الانتفاع بالآيات والتأمل فيها أشبهت حالهم حال من كان غافلاً ساهياً عنها ثم بين سبحانه وعيد المكذبين فقال ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة ﴾ يعني القيامة والبعث والنشور ﴿ حبطت أعمالهم ﴾ التي عملوها ولا يستحقّون بها مدحاً ولا ثواباً لأنها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لم يعمل ﴿ هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ صورته صورة الاستفهام والمراد به الإنكار والتوبيخ ومعناه ليس يجزون إلا ما عملوه إن خيراً فخيئاً وإن شراً فشرّاً .

[النظم] قيل في وجه اتصال الآية بما قبلها وجوه (أحدها) أنه تقدّم ذكر المعجزات وما رام فرعون من إبطالها فبين سبحانه بقوله ﴿ سأصرف عن آياتي ﴾ أنه يمنع عن إبطال المعجزات فيتصل بما تقدّم من قصة موسى وفرعون (وثانيها) أنه لما تقدّم ذكر معجزات

موسى نُبِّه عقيبه على أنه سبحانه لا يظهر المعجزات على يد من ليس بنبي وإبان عن صدق موسى ومحمد عليهما السلام لمكان المعجزة (وثالثها) أنه خطاب لموسى وزيادة في البيان عن إتمام ما وعده في إهلاك أعدائه وصرفهم عن الاعتراض على آياته ومعناه خذها أمناً من طعن الطاعنين فإني سأصرف (ورابعها) أن الآيتين اعتراض بين قصة موسى والخطاب لنبينا محمد ﷺ والمراد أنه يصرف المتكبرين عن آياته كما صرف فرعون عن موسى .

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورَ الْمَرْءِ وَأَنَّهُ لَا يَكْلَمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (١٤٨)

[القراءة] قرأ حمزة والكسائي حليهم بكسر الحاء واللام وقرأ يعقوب حليهم بفتح الحاء وسكون اللام وقرأ الباقون حليهم بضم الحاء وكسر اللام .

[الحجة] من قرأ بضم الحاء فإنه جمع حلي نحو ثدي وثدي وجمعه لأنه أضافه إلى جمع ومن قرأ بكسر الحاء اتبع الكسرة الكسرة وكره الخروج من الضمة إلى الكسرة وأجرى مجراه في قبي ونحوه ومن قرأ حليهم فلا فاعل لهم يقع على القليل والكثير .

[اللغة] الاتخاذ اجتناء الشيء لأمر من الأمور فهؤلاء : اتخذوا العجل للعبادة والحلي ما اتخذ للزينة من الذهب والفضة ويقال حلي الشيء في عيني يحلي حلي وحلا في فمي يحلو حلاوة . وحليت الرجل تحلية إذا وصفته بما ترى منه وتحلى بكذا تزين به وتحسن والجسد جسم الحيوان مثل البدن وهوروح وجسد فالروح ما لطف والجسد ما كثف والجسم يقع على جسد الحيوان وغيره من الجمادات والخوار صوت الثور وهو صوت غليظ وبناء فعال يدل على الآفة نحو الصراخ والسكات والعطاس .

[الإعراب] موضع من حليهم نصب تقديره اتخذوا حليهم عجلاً وجسداً بدل من عجل .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل وما أحدثوه عند خروج موسى (ع) إلى ميقات ربه فقال سبحانه ﴿ واتخذ قوم موسى ﴾ يعني السامري ومن جرى على طريقته وقيل يعني جميعهم لأن منهم من ساق العجل ومنهم من عبده ومنهم من لم ينكر وإنما أنكر

ذلك القليل منهم فخرج الكلام على الغالب ﴿ من بعده ﴾ أي من بعد خروج موسى إلى الميقات عن الجبائي وغيره ﴿ من حلبيهم ﴾ التي استعاروها من قوم فرعون وكانت بنو إسرائيل بمنزلة أهل الجزية في القبط وكان لهم يوم عيد يتزيّنون فيه ويستعيرون من القبط الحلبي فوافق ذلك عيدهم فاستعاروا حلبي القبط فلما أخرجهم الله من مصر وغرق فرعون بقيت تلك الحلبي في أيديهم فاتخذ السامري منها ﴿ عجلاً ﴾ وهو ولد البقرة ﴿ جسداً ﴾ أي مجسداً لا روح فيه وقيل لحماً ودماً عن وهب ﴿ وله خوار ﴾ أي صوت وروي في الشواذ عن علي (ع) جوار بالجميم والهمزة وهو الصوت أيضاً وفي كيفية خوار العجل مع أنه مصوغ من ذهب خلاف فقيل أخذ السامري قبضة من تراب أثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحماً ودماً وكان ذلك معتاداً غير خارق للعادة وجاز أن يفعل الله تعالى ذلك بمجرى العادة عن الحسن وقيل أنه احتال بادخال الريح كما يعمل هذه الآلات التي تصوت بالهيل عن الزجاج والجبائي والبلخي وإنما أضاف سبحانه الصوت إليه لأنه كان محلّه عند دخول الريح جوفه وكان السامري عندهم مهيباً مطاعاً فيما بينهم فأرجف أن موسى (ع) قد مات لما لم يرجع على رأس الثلاثين فدعاهم إلى عبادة العجل فأطاعوه ولم يطيعوا هارون وعبدوا العجل على ما ذكره في سورة البقرة ثم أنكر سبحانه ذلك عليهم فقال ﴿ ألم يروا ﴾ أي ألم يعلموا ﴿ أنه لا يكلمهم ﴾ بما يجدي عليهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً ﴿ ولا يهديهم سبيلاً ﴾ أي لا يهديهم إلى خير ليأتوه ولا إلى شرّ ليجتنبوه دلّ سبحانه بهذا على فساد ما ذهبوا إليه فإن من لا يتكلم في خير وشرّ ولا يهدي إلى طريق فهو جماد لا ينفع ولا يضرّ فكيف يكون إلهاً معبوداً ﴿ اتخذوه ﴾ أي اتخذوه إلهاً وعبدوه ﴿ وكانوا ظالمين ﴾ باتخاذهم له إلهاً واضعين للعبادة في غير موضعها .

﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا

وَيَغْفِرَ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

[القراءة] لئن لم ترحمنا بالتاء ربنا بالنصب وتغفر لنا بالتاء كوفي غير عاصم والباقون يرحمنا ويغفر لنا بالياء ربنا بالرفع .

[الحجة] من قرأ بالياء جعل الفعل للغبية وارتفع ربنا به ويغفر لنا فيه ضمير ربنا ومن

قرأ بالتاء ففيه ضمير الخطاب وربنا نداء وحذف حرف التنبيه معه لأن عامة ما في التنزيل حذف حرف التنبيه معه نحو قوله ﴿ربنا اني أسكنت من ذريتي ربنا وآتنا ما وعدتنا﴾ .

[اللغة] معنى سقط في أيديهم وقع البلاء في أيديهم أي وجدوه وجدان من يده فيه يقال ذلك المنادم عندما يجده مما كان خفي عليه ويقال سقط في يده وأسقط في يده وبغير ألف أفصح وقيل معناه صار الذي كان يضربه ملقى في يده .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه أنهم ندموا على عبادة العجل فقال ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي فلما لحقتهم الندامة ﴿ورأوا أنهم قد ضلُّوا﴾ أي علموا ضلالهم عن الصواب وطريق الحق بعبادة العجل حين رجع إليهم موسى وبين لهم ذلك ﴿قالوا لئن لم يرحمنا ربنا﴾ بقبول توبتنا ﴿ويغفر لنا﴾ ما قدَّمناه من عبادة العجل ﴿لنكونن من الخاسرين﴾ باستحقاق العقاب قال الحسن إن كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى رب اغفر لي ولأخي ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعاه وقال غيره إنما عبده بعضهم .

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا
قَالَ يٰٓأَيُّهَا خَلْقَتُمُونِي مِنۢ بَعْدِي أَجِلْتُمْ أَمَرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي
وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة عن عاصم ابن أم بالكسر ههنا وفي طه وقرأ الباقون ابن أم نصباً في الموضعين وروي في الشواذ عن مجاهد فلا تُشْمِت بفتح التاء والميم ، الاعداء بالنصب وروي عن مجاهد أيضاً فلا يشمت بالياء .

[الحجة] من قرأ ابن أم بالفتح فلكثره استعمالهم هذا الاسم قالوا يا ابن أم ويا ابن

عَمَّ جَعَلُوهُمَا اسْمًا وَاحِدًا نَحْوَ خَمْسَةِ عَشَرَ قَالَ سَيَبُوه قَالُوا يَا ابْنَ أُمِّ وَيَا ابْنَ عَمِّ فَجَعَلُوا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ اسْمٍ لِأَنَّ هَذَا أَكْثَرُ فِي كَلَامِهِمْ مِنْ يَا ابْنَ أَبِي وَيَا غَلَامَ غَلَامِي وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ يَا ابْنَ أُمِّي بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا ابْنَ أُمِّي وَيَا شَقِيقَ نَفْسِي أَنْتَ خَلَيْتَنِي لِذَهْرِ شَدِيدٍ

ولأمر شديد^(١) قال أبو علي بُنِيَ الاسمان على الفتح والفتحة في ابن ليست النصبه التي كانت تكون في الاسم المضاف المنادى لكن بنى على الحركة التي كانت تكون للأعراب كما أن قولهم لا رجل كذلك وكما أن مكانك إذا أردت به الأمر لا تكون الفتحة فيه الفتحة التي كانت فيه وهو ظرف ولكنه على حد الفتحة في رويدك فإن قال قائل فلم لا تقول أنها نصبته والمراد يا ابن أُمِّا فحذفت الألف كما حذفت ياء الإضافة في غلامي قيل له ليس هذا مثله ألا ترى أن من حذف الياء من يا غلام أثبتها في يا غلام غلامي فلو كانت الألف مقدرة في يا ابن أم لم يكن تحذف كما لم تحذف في قوله « يَا بِنْتُ عَمِّا لَا تُلُومِي وَاهْجَعِي » فالألف لا يحذف حيث يحذف الياء ألا ترى أن من قال ما كنا نبغ والليل إذا يسر فحذف الياء من النواصل وما أشبه الفواصل من الكلام التام لم يكن عنده في نحو قوله « وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى » إِلَّا الْإِثْبَاتُ فَإِنْ قُلْتَ فَقَدْ حُذِفَ الْأَلْفُ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ « رَهْطُ ابْنِ مَرْحُومٍ وَرَهْطُ بَنِ الْمَعْلِ » يَرِيدُ الْمَعْلَى وَأَنْشُدُ أَبُو الْحَسَنِ :

فَلَسْتُ بِمُسْذِرِكَ مَا فَاتَ مِنِّي بِلَهْفٍ وَلَا بِلَيْتٍ وَلَا لِسْوَانِي

يريد بلهفي فحذف الألف فالقول فيه أن ذلك في الشعر ولا يكون في الاختيار وخال السعة ولا ينبغي أن يحمل قوله يا ابن أم على هذا وقياس من أجاز ذلك أن تكون فتحة الابن نصبه والفتحة في أم ليست كالتي في عشر من خمسة عشر ولكن مثل الفتحة التي في الميم من يا بِنْتُ عَمِّا قال الزجاج ومن قرأ ابن أم بالكسر فإنه أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسماً واحداً .

[اللغة] الأسف الغضب الذي فيه تأسف على فوت ما سلف والأسف الحزن والتلهف أيضاً ويقال خلفه يخلفه بما يجب وبما يكره إذا عمل خلفه ذلك العمل والعجلة التقدم بالشئ قبل وقته والسرعة عمله في أول وقته ولذلك صارت العجلة مذمومة ويقال عجلته أي سبقته وأعجلته استحثثته والشماتة سرور العدو بسوء العاقبة يقال شمت به شماتة

(١) أي وروي « لأمر شديد » مكان « لدهر شديد » .

وأشمتة أشماتاً. عرضه لتلك الحال .

[الإعراب] غضبان منصوب على الحال وهو فعلان مؤنثه فعلى نحو غضبان وغضبي ولا ينصرف لأن فيه الألف والنون المضارعتين لألفي التأنيث في حمراء .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عما فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل فقال ﴿ ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً ﴾ أي حزينا عن ابن عباس وقيل الأسف الشديد الغضب عن أبي الدرداء وقيل معنى الغضب والأسف واحد وإنما كررها للتأكيد واختلاف اللفظين كما قال الشاعر « مَنى أذنُ منه يئاً عني وَيَبْعُدُ » عن أبي مسلم وقيل معناه غضبان على قومه إذ عبدوا العجل أسفاً حزينا متلهفاً على ما فاته من مناجاة ربه ﴿ قال بثما خلفتموني من بعدي ﴾ أي بثما عملتم خلفي وبش الفعل فعلكم بعد ذهابي إلى ميقات ربي ﴿ أعجلتم أمر ربكم ﴾ أي ميعاد ربكم فلم تصبروا له عن ابن عباس ونحو هذا قال الحسن وعد ربكم الذي وعدني من الأربعين ليلة وذلك أنهم قدروا أنه قد مات لما لم يأت على رأس ثلاثين ليلة وقيل أعجلتم بعبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر من ربكم عن الكلبي وقيل معناه استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم إلى عبادة غيره عن أبي علي الجبائي ﴿ وألقى الألواح ﴾ معناه أنه ألقاها لما دخله من شدة الغضب والجزع على عبادة قومه العجل عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ أنه قال يرحم الله أخي موسى (ع) ليس المخبر كالمعائن لقد أخبره الله بفتنة قومه وقد عرف أن ما أخبره ربه حق وأنه على ذلك لمتمسك بما في يديه فرجع إلى قومه ورأهم فغضب وألقى الألواح وقد تقدم ذكر ما قيل في الألواح ﴿ وأخذ برأس أخيه ﴾ يعني هارون ﴿ يجره إليه ﴾ قيل في معناه وجوه (أحدها) أن موسى (ع) إنما فعل ذلك مستعظماً لفعلهم مفكراً فيما كان منهم كما يفعل الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر فيقبض على لحيته وبعض على شفته فأجرى موسى (ع) أخاه هارون مجرى نفسه فصنع به ما يصنع الإنسان بنفسه عند حالة الغضب والفكر عن أبي علي الجبائي وهذا من الأمور التي تختلف أحكامها بالعبادات فيكون ما هو إكرام في موضع استخفافاً في غيره ويكون ما هو استخفاف في موضع إكراماً في آخر (وثانيها) أنه (ع) أراد أن يظهر ما اعتراه من الغضب على قومه لإكباره منهم ما صاروا إليه من الكفر والارتداد فصدر ذلك منه للتألم بضلالهم وأعلامهم عظم الحال عنده ليتزجروا عن مثله في مستقبل الأحوال ذكره الشيخ المفيد أبو عبد الله بن النعمان (وثالثها) أنه إنما جره إلى نفسه ليناجيه ويستبرئ حال القوم منه ولهذا أظهر هارون براءة نفسه ولما أظهر

هارون براءته دعا له ولنفسه (ورابعها) أنه لما رأى بهارون مثل ما به من الجزع والقلق أخذ برأسه متوجعاً له مسكناً فكرة هارون أن يظن الجهال ذلك استخفافاً فأظهر براءته ودعا له موسى إزالة للتهمة (وخامسها) أنه أنكر على هارون ما بينه في طه من قوله ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلوا إلا تتبعن ﴾ الآية عن أبي مسلم ﴿ قال ﴾ يعني قال هارون ﴿ ابن أم ﴾ قال الحسن والله لقد كان أخاه لأبيه وأمه إلا أنه إنما نسبه إلى الأم لأن ذكر الأم أبلغ في الاستعطاف ﴿ إن القوم استضعفوني ﴾ يعني أن القوم الذين تركتني بين أظهرهم اتخذوني ضعيفاً ﴿ وكادوا يقتلونني ﴾ أي هموا بقتلي وقرب أن يقتلونني لشدة انكاري عليهم ﴿ فلا تشمت بي الأعداء ﴾ أي لا تسرهم بأن تفعل ما يوهم ظاهره خلاف التعظيم ﴿ ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ أي لا تجعلني مع عبدة العجل ومن جملتهم في اظهار الغضب والموجدة علي^(١) ﴿ قال ﴾ موسى حين تبين له ما نبهه هارون عليه من خوف التهمة ودخول الشبهة على القوم ﴿ رب اغفر لي ولأخي ﴾ وهذا على وجه الانقطاع إلى الله سبحانه والتقرب إليه لا أنه كان وقع منه أو من أخيه قبيح كبير أو صغير يحتاج أن يستغفر منه فإن الدليل قد دل على أن الأنبياء لا يجوز أن يقع منهم شيء من القبيح وقيل أنه (ع) بين بهذا لبني اسرائيل أنه لم يجز رأسه إليه لعصيان وجد منه وإنما فعله كما يفعل الإنسان بنفسه عند شدة غضبه على غيره عن الجبائي ﴿ وادخلنا في رحمتك ﴾ أي نعمتك وجنتك ﴿ وأنت أرحم الراحمين ﴾ ظاهر المعنى وإنما يذكر في آخر الدعاء لبيان شدة الرجاء من جهته فإن الابتداء بالنعمة يوجب الإتمام وسعة الرحمة تقتضي الزيادة فيها فيقال أرحم الراحمين لاستدعاء الرحمة من جهته كما يقال أجود الأجودين لاستدعاء الجود من قبله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ

مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾
وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ

الْأَلْوَا حَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

[اللغة] النول اللحق وأصله مَدَّ اليد إلى الشيء الذي يبلغه ومنه قولهم نَوَّلَكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أي ينبغي أَنْ تَفْعَلَهُ فإنه يلحقك خيره وسكت أي سكن والسكوت هو الإمساك عن الكلام بهيئة منافية بسببه وهو تسكين آلة الكلام وإنما قيل سكت الغضب توسعاً ومجازاً لأنه لما كان بفورته دالاً على ما في نفس المغضوب عليه كان بمنزلة الناطق بذلك فإذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة الساكت عما كان متكلماً به فالسكوت في هذا الموضع أحسن من السكون لتضمنه معنى سكوته عن المعاتبة مع سكون غضبه .

[الإعراب] قال لربهم يرهبون ولا يجوز يرهبون لربهم لأنه إذا تقدم المفعول ضعف عمل الفعل فيه فصار بمنزلة ما لا يتعدى في دخول اللام عليه وقيل أنه إذا كان بمعنى من أجله جاز دخول اللام عليه تقدم أو تأخر كما قال تعالى ﴿ رَدِّفْ لَكُمْ ﴾ .

[المعنى] ثم أوعدهم سبحانه فقال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ فيه حذف أي اتخذوه إلهاً أو معبوداً من دون الله ﴿ سَيُنَالِهِمْ غَضَبٌ ﴾ أي سيلحقهم على عبادتهم إياه عقوبة ﴿ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وإنما ذكر الغضب مع الوعيد بالشار لأنه أبلغ في الزجر عن القبيح ﴿ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني صغر النفس والمهانة قال الزجاج والذلة ما أمروا به من قتل أنفسهم وقيل أن الذلة أخذ الجزية وأخذ الجزية لم يقع فيمن عبد العجل وإنما أراد استسلامهم للقتل ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ أي مثل هذا الوعيد والعذاب والغضب نجزي الكاذبين والمتخرصين وإنما سُمُوا مُفْتَرِينَ لأنهم عبدوا عجلاً وقالوا أنه إله فكانوا كاذبين ثم عطف سبحانه على ذلك بقوله ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي الشرك والمعاصي ﴿ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا ﴾ أي واستأنفوا عمل الإيمان وقيل معناه تابوا وآمنوا بأن الله قابل للتوبة ﴿ إِنْ رَبُّكَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد التوبة وقيل من بعد السيئات ﴿ لَغَفُورٌ لِّذُنُوبِهِمْ ﴾ رحيم بهم ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ ﴾ أي سكن ﴿ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ ﴾ وقيل في معناه زالت فورة غضبه ولم يزل الغضب لأن توبتهم لم تخلص وقيل معناه زال غضبه لأنهم تابوا ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ﴾ التي كانت فيها التوراة ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي وفيما نسخ فيها وكتب عن الجبائي وأبي مسلم وقيل وفي نسختها التي كتبت ونسخت منها ﴿ هُدًى ﴾ أي دلالة وبيان لما يحتاج إليه من أمور الدين ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي نعمة ومنفعة ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ أي يخشون ربهم فلا يعصونه ويعملون بما فيها وفي الآية دلالة على أنه يجوز

القاء التوراة للغضب الذي يظهر بالقائها ثم أخذها للحكمة التي فيها من غير أن يكون القاؤها رغبة عنها .

﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُهُم بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنِّي إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

[اللغة] الاختيار إرادة ما هو خير يقال خيره بين أمرين فاختر أحدهما والاختيار والايثار بمعنى واحد والفتنة الكشف والاختيار وقال المسيب بن علس :

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِأَصْلَتِي نَاعِمٌ قَامَتْ لِتَفْتِنَهُ بِغَيْرِ قِنَاعٍ ^(١)

أي لتكشفه وتبرزه .

[الإعراب] واختار موسى تقديره اختار موسى من قومه فحذف من فوصل الفعل فنصبه وإنما حذف من لدالة الفعل عليه مع إيجاز اللفظ قال الفرزدق :

وَمِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً وَجُوداً إِذَا هَبَّ الرِّيحُ الرُّعَازُ ^(٢)
وقال غيلان :

وَأَنْتَ الَّذِي اخْتَرْتَ الْمَذَاهِبَ كُلَّهَا بِوَهْمَيْنِ إِذْ رُدْتُ عَلَيَّ الْأَبَاعِرُ ^(٣)
وقال آخر :

فَقُلْتُ لَهُ اخْتَرَهَا قُلُوصاً سَمِينَةً وَنَاباً عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا ^(٤)

(١) السبي : الأسر . وأصلت الجبين : واسعه والياء للمبالغة والناعم : اللين الملمس

(٢) الرعازع : شدائد الدهر وقوله الرجال بالنصب أي من الرجال .

(٣) وَهْمَيْنِ موضع أي اخترتك من بين من يذهب إلى هذا الموضع .

(٤) القلوص من الإبل : الشابة . الناب : الناقة المسنة . الحيا : الخصب

[المعنى] ثم أخبر تعالى عن اختيار موسى من قومه عند خروجه إلى ميقات ربه فقال ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ واختلف في سبب اختياره إياهم ووقته فقيل أنه اختارهم حين خرج إلى الميقات ليكلّمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة فيكونوا شهداء له عند بني إسرائيل لما لم يثقوا بخبره أن الله سبحانه يكلّمه فلما حضروا الميقات وسمعوا كلامه تعالى سألوها الرؤية فأصابته الصاعقة ثم أحياهم الله تعالى فابتدأ سبحانه بحديث الميقات ثم اعترض حديث العجل فلما تمّ عاد إلى بقية القصة وهذا الميقات هو الميعاد الأول الذي تقدم ذكره عن أبي علي الجبائي وأبي مسلم وجماعة من المفسرين وهو الصحيح ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره وقيل أنه اختارهم بعد الميقات الأول للميقات الثاني بعد عبادة العجل ليعتدروا من ذلك ﴿ فلما ﴾ سمعوا كلام الله قالوا أرنا الله جهرة ﴿ فأخذتهم الرجفة ﴾ وهي الرعدة والحركة الشديدة حتى كادت أن تبين مناصلهم وخاف موسى عليهم الموت فبكى ودعا وخاف أن يتهمه بنو إسرائيل على السبعين إذا عاد إليهم ولم يصدّقوه بأنهم ماتوا عن السدي والحسن وقال ابن عباس أن السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين أخذتهم الرجفة وإنما أمر الله تعالى موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً فاخترهم وبرز بهم ليدعور بهم فكان فيما دعوا أن قالوا اللهم أعطنا ما لم نعط أحد قبلنا ولا تعطيه أحداً بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة ورووا عن علي بن أبي طالب (ع) أنه قال إنما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل أخيه هارون وذلك أن موسى وهارون وشبر وشبير ابني هارون انطلقوا إلى سفح جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فلما مات دفنه موسى (ع) فلما رجع إلى بني إسرائيل قالوا له أين هارون قال توفاه الله فقالوا لا بل أنت قتلتَه حسدنا على خلقه ولينه قال فاخترنا من شتم فاخترنا منهم سبعين رجلاً وذهب بهم فلما انتهوا إلى القبر قال موسى يا هارون أقتلت أم مت فقال هارون ما قتلتني أحد ولكن توفاني الله فقالوا لن نعصي بعد اليوم فأخذتهم الرجفة وصعقوا وقيل أنهم ماتوا ثم أحياهم الله وجعلهم أنبياء وقال وهب لم تكن تلك الرجفة موتاً ولكن القوم لما روا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة فقلقلوا ورجفوا حتى كادت تبين منه مفاصلهم وتنقض ظهورهم فلما رأى ذلك موسى رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا وزراءه على الخير سامعين له مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة والرعدة فسكنوا واطمأنوا وسمعوا كلام ربهم ﴿ قال ﴾ أي قال موسى ﴿ رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ﴾ أي لو شئت أهلكت هؤلاء السبعين من قبل هذا الموقف وأهلكتني

معهم فالآن ماذا أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم ﴿ أنهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾ معناه النفي وإن كان بصورة الإنكار والمعنى أنك لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا فهذا نسألك رفع المحنة بالاهلاك عتاً وما فعله السفهاء هو عبادة العجل ظن موسى أنهم اهلكوا لأجل عبادة بني إسرائيل العجل فهم السفهاء وقيل هو سؤال الرؤية عن جماعة من المفسرين ﴿ إن هي إلا فتنتك ﴾ معناه إن الرجفة إلا اختبارك وابتلاؤك ومحتتك أي تشديدك التعبد والتكليف علينا بالصبر على ما أنزلته بنا عن سعيد بن جبير وأبي العالية والربيع ومثله قوله ﴿ أولاً يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ﴾ يعني بذلك الأمراض والأسقام التي شدد الله بها التعبد على عباده وإنما سمي ذلك فتنة لأنه يشتد الصبر عليها ومثله ﴿ ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ أي لا ينالهم شدائد الدنيا وقيل أن المراد إن هي إلا عذابك عن ابن عباس وقد سمي الله العذاب فتنة في قوله ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أي يعذبون فكأنه قال ليس هذا الاهلاك إلى عذابك لهم بما فعلوه من الكفر وعبادة العجل أو سؤالهم الرؤية ﴿ تضلُّ بها من تشاء وتهدي من تشاء ﴾ أي تصيب بهذه الرجفة من تشاء وتصرفها عن تشاء عن ابن عباس وتقديره تهلك بها من تشاء وتنجي من تشاء وقيل معناه تضلُّ بترك الصبر على فتنتك وترك الرضاء بها من تشاء عن نيل ثوابك ودخول جنتك وتهدي بالرضا بها والصبر عليها من تشاء ﴿ أنت ولينا ﴾ معناه أنت ناصرنا والأولى بنا تحوطنا وتحفظنا ﴿ فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴾ أي خير الساترين على عباده والمتجاوزين لهم عن جرمهم .

﴿ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا إِلَيْكَ ۚ
قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ
فَسَأْأُكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَاقِبَتِنَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الحسن وعمر و الاسواري من أساء والقراءة المشهورة من

أشياء والوجه فيه ظاهر .

[المعنى] هذا تمام ما قاله موسى في دعائه ﴿ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة ﴾ سأل الله سبحانه أن يكتب لهم الحسنة في الدنيا وهي النعمة وإنما سميت النعمة حسنة وإن كانت الحسنة اسم الطاعة لله لأمرين (أحدهما) أن النعمة تتقبلها النفس كما أن الطاعة يتقبلها العقل والآخر أنها ثمرة الطاعة لله وإنما ذكر بلفظ الكتابة ولم يقل واجعل لنا أو أوجب لنا لأن الكتابة أثبت وأدوم يقال كتب رزق فلان في الديوان فيدل ذلك على دوامه وثبوته على مرور الأزمان ﴿ وفي الآخرة ﴾ معناه واكتب لنا في الآخرة حسنة أيضاً كما في قوله ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ﴾ وقيل الحسنة في الدنيا الثناء الجميل وفي الآخرة الرفعة وقيل هي في الدنيا التوفيق للأعمال الصالحة وفي الآخرة المغفرة والجنة ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ أي رجعنا بتوبتنا إليك والهود الرجوع ﴿ قال ﴾ الله تعالى مجيباً لموسى (ع) ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾ ممن عصاني واستحقه بعصيانته وإنما علّقه بالمشيئة لجواز الغفران في العقل ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ قال الحسن وقتادة أن رحمته في الدنيا وسعت البر والفاجر وهي يوم القيامة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون وذلك أن الكافر يرزق ويلقى عنه بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فإذا صار في الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجهم وقيل معناه أنها تسع كل شيء إن دخلوها فلو دخل الجميع فيها لوسعتهم إلا أن فيهم من لا يدخل فيها لضلاله وفي الحديث أن النبي ﷺ قام في الصلاة فقال اعرابي وهو في الصلاة اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً فلما سلم رسول الله ﷺ قال للأعرابي لقد تحجرت واسعاً يريد رحمة الله عز وجل أورده البخاري في الصحيح ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ أي فسأوجب رحمتي للذين يتقون الشرك أي يجتنبونه وقيل يجتنبون الكبائر والمعاصي ﴿ ويؤتون الزكاة ﴾ أي يخرجون زكاة أموالهم لأنهم من أشق الفرائض وقيل معناه ويطيعون الله ورسوله عن ابن عباس والحسن وإنما ذهبوا إلى تزكية النفس وتطهيرها ﴿ والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ أي بحججنا وبيّناتنا يصدقون وروي عن ابن عباس وقتادة وابن جريج أنها لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء قال إبليس إنا من ذلك الشيء فنزعها الله من إبليس بقوله ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ﴾ إلى آخر الآية فقال اليهود والنصارى نحن نؤمن ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها منهم وجعلها لهذه الأمة بقوله ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ﴾ الآية .

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
عَنَّهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْآغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده أصارهم على الجمع والباقون اصرهم على التوحيد .

[الحجة] قال أبو علي الاصر مصدر يقع على الكثير مع افراد لفظه يدل على ذلك قوله اصرهم فأضيف وهو مفرد إلى الكثرة ولا يجمع وقال ربنا ولا تحمل علينا إصراً وقال ينظرون من طرف خفي ولا يرتد إليهم طرفهم فالوجه الافراد كما أفرد في غير هذا الموضع وجمعه ابن عامر كأنه أراد ضروباً من المآثم مختلفة فجمع لاختلافها والمصادر تجمع إذا اختلف ضروبها وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضرباً واحداً كقوله :

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِأَقْوَامٍ فَيُنْذِرُهُمْ^(١) مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِي وَتَضْرِيبي
فإن يجمع ما يختلف من المآثم أجدر ويقوي ذلك قوله ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع
أثقالهم ﴾ والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر .

[اللغة] قال الزجاج اختلف أهل اللغة في معنى قوله عزروه وفي قولهم عزرت فلاناً
أعززه وأعززه عزراً ف قيل معناه رددته وقيل معناه أعنته وقيل معناه لمته ويقال عزرت بالتشديد
نصرته ويقال منعت منه فمعنى عزروه منعوا أعداءه من الكفر به وقيل نصره والمعنى قريب
لأن منع الاعداء منه نصرته ومعنى عزرت فلاناً إذا ضربته ضرباً دون الحد أنه يمنعه بضربه
إياه من معاودته مثل عمله ويجوز أن يكون من عزرت أي رددته معناه فعلت به ما يردّه عن
المعصية .

(١) حُلُوم جمع حلم .

[الإعراب] قال الزجاج قوله يأمرهم بالمعروف يجوز أن يكون على تقدير يجدونه مكتوباً عندهم أنه يأمرهم بالمعروف ويجوز أن يكون يأمرهم بالمعروف مستأنفاً قال أبو علي لا وجه لقوله يجدونه مكتوباً أنه يأمرهم إن كان يعني أن ذلك مراد لأنه لا شيء يدل على حذفه ولأننا لم نعلمهم حذفوا هذا في شيء وتفسيره أن وجدت هنا هو المتعدي إلى مفعولين ومكتوباً مفعول ثانٍ والمعنى يجدون ذكره مكتوباً عندهم في التوراة أو اسمه فالمفعول الأول قام مقام المضاف إليه وإنما قلنا ذلك لأن المكتوب هو الاسم أو الذكر والمفعول الثاني في هذا الباب يجب أن يكون الأول في المعنى قال فأما قوله يأمرهم بالمعروف فهو عندي تفسير لما كتب كما أن قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير لوعدهم وكما أن قوله ﴿ خلقه من تراب ﴾ تفسير للمثل فإن قلت لم لا تجعله حالاً من المفعول الأول فلأن ذلك ممتنع في المعنى ألا ترى أن المعنى إذا كان يجدون ذكره أو اسمه مكتوباً لم يجز أن يكون يأمرهم حالاً منه لأن الاسم والذكر لا يأمران إنما يأمر المذكور والمسمى ولا يجوز أن يكون مما في مكتوب من الضمير لأن الضمير هو المفعول الأول في المعنى

[المعنى] ثم وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي ﴾ أي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته يعني نبينا محمد ﷺ ﴿ الأمي ﴾ ذكر في معناه أقوال (أحدها) أنه الذي لا يكتب ولا يقرأ (وثانيها) أنه منسوب إلى الأمة والمعنى أنه على جبهة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل أن المراد بالأمة العرب لأنها لم تكن تحسن الكتابة (وثالثها) أنه منسوب إلى الأم والمعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة (ورابعها) أنه منسوب إلى أم القرى وهي مكة وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) ﴿ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ معناه يجدون نعتهم وصفته ونبوته مكتوباً في الكتابين لأنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس إني سأقيم لهم نبياً من أخوتهم مثلك واجعل كلامي في فيه فيقول لهم كل ما أوصيه به وفيها أيضاً مكتوب وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً وأؤخره لأمة عظيمة وفيها أيضاً أنا الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضع منها نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله وفيه أيضاً قول المسيح للحواريين أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه أنه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي وفيه أيضاً أنه إذا جاء فتد أهل العالم ^(١) ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم

(١) فتد : كذبه وخطأ رآه وجهله .

عن المنكر ﴿ يجوز أن يكون هذا مكتوباً في التوراة والانجيل ويكون موصولاً بما قبله وبياناً لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة ويجوز أن يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحاً للنبي ﷺ والمعروف الحق والمنكر الباطل لأن الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقيل المعروف مكارم الاخلاق وصلة الأرحام والمنكر عبادة الأوثان وقطع الأرحام عن ابن عباس وهذا القول داخل في القول الأول ﴿ ويحلُّ لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ معناه يبيح لهم المستلذات الحسنة ويحرم عليهم القبائح وما تعافه الانفس وقيل يحلُّ لهم ما اكتسبوه من وجه طيب ويحرم عليهم ما اكتسبوه من وجه خبيث وقيل يحلُّ لهم ما حرّمه عليهم رَهَابِيْنُهُمْ وأخبارهم وما كان يحرمه أهل الجاهلية من البحائر والسوائب وغيرها ويحرم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير وما ذكر معها ﴿ ويضع عنهم اصرهم ﴾ أي ثقلهم شبه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك أن الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي ﷺ عن الحسن وقيل الإصر هو العهد الذي كان الله سبحانه أخذه على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة عن ابن عباس والضحاك والسدي ويجمع المعنيين قول الزجاج الإصر ما عقدته من عقد ثقيل ﴿ والاعلال التي كانت عليهم ﴾ معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاعلال التي تكون في الاعناق للرومها كما يقال هذا طوق في عنقك وقيل يريد بالاعلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من أجسادهم وما أشبه ذلك من تحريم السبت وتحريم العروق والشحوم وقطع الأعضاء الخاطئة ووجوب القصاص دون الدية عن أكثر المفسرين ﴿ فالذين آمنوا به ﴾ أي بهذا النبي وصدقوه في نبوته ﴿ وعزّروه ﴾ أي عظّموه ووقّروه ومنعوا عنه أعداءه ﴿ ونصروه ﴾ عليهم ﴿ واتبعوا النور ﴾ معناه القرآن الذي هو نور في القلوب كما أن الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدون بالنور في أمور الدنيا ﴿ الذي أنزل معه ﴾ أي أنزل عليه وقد يقوم مع مقام على كما يقوم على مقام مع وقيل معناه أنزل في زمانه وعلى عهده ويروى أن النبي ﷺ قال لأصحابه أي الخلق أعجب إيماناً قالوا الملائكة فقال الملائكة عند ربهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فالنبيون قال النبيون يوحى إليهم فما لهم لا يؤمنون قالوا فنحن يا نبي الله قال أنا فيكم فما لكم لا تؤمنون إنما هم قوم يكونون بعدكم يجدون كتاباً في ورق فيؤمنون به فهو معنى قوله ﴿ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴾ ﴿ أولئك هم المفلحون ﴾ أي الظافرون بالمراد الناجون من العقاب الفائزون بالثواب .

﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ
وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

[الإعراب] جميعاً نصب على الحال من ضمير المخاطب الذي عمل حرف الإضافة فيه والعامل في الحال معنى الفعل في رسول الله إلا أنه لا يجوز أن يتقدم على حرف الإضافة لأنه قد صار بمنزلة العامل .

[المعنى] ثم أمر الله سبحانه نبينا أن يخاطب جميع الخلق من العرب والعجم فقال ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﴾ أرسلني ﴿ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ أدعوكم إلى توحيده وطاعته واتباعي فيما أؤديه إليكم وإنما ذكر جميعاً للتأكيد وليعلم أنه مبعوث إلى الكافة ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ معناه الذي له التصرف في السماوات والأرض من غير دافع ومنازع ﴿ لَا إِلَهَ ﴾ أي لا معبود ﴿ إِلَّا هُوَ ﴾ ولا شريك له في الإلهية ﴿ يُحْيِي ﴾ الأموات ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ الأحياء لا يقدر أحد على الإحياء والإماتة سواه لأنه لو قدر أحد على الإماتة لقدرة على الإحياء فإن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادراً على ضده ﴿ فَعَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ﴾ يعني لم يأمركم بالإيمان حتى آمن هو أولاً وعليه زيادة التكليف من أداء الرسالة وبيان الشرائع والقيام بالدعوة ﴿ وَكَلِمَاتِهِ ﴾ أي يؤمن بكلماته من الكتب المتقدمة والوحي والقرآن ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي لكي تهتدوا إلى الثواب والجنة .

﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ
وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا
وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ
وَوَضَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

[اللغة] قال الأزهري السبط الفرقة لا يشئ ولا يجمع ولا يؤنث وقد جمع فقبل اسباط واشتقاقها من سبط وهو شجر والواحدة سبطة ورجل سبط الشعر وامرأة سبطة وقد سبط شعره سبوطه وهو الذي لا جعودة فيه ورجل سبط الأصابع طويلها وسبط الكف سمحها ومطر سبط وسبط متدارك وسباطته سعته والسبط في كلام العرب خاصة الأولاد قال الزجاج قال بعضهم السبط القرن الذي يجيء بعد قرن والصحيح أن الأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل فولد كل ولد من أولاد يعقوب سبط وولد كل ولد من أولاد إسماعيل قبيلة وإنما سموا هؤلاء بالقبائل وهؤلاء بالأسباط ليفصل بين ولد إسماعيل وولد إسحاق (ع) ومعنى القبيلة الجماعة ويقال للشجرة لها قبائل وكذلك الأسباط من السبط كأنه جعل إسحاق بمنزلة شجرة وجعل إسماعيل بمنزلة شجرة وكذلك يفعل النسب في النسب يجعلون الوالد بمنزلة شجرة وأولاده بمنزلة أغصانها ويقال طوبى لفرع فلان وفلان من شجرة صالحة فهذا معنى الأسباط والسبط .

[الإعراب] اثنتي عشرة اسباطاً يعني اثنتي عشرة فرقة فحذف المميز ولذلك أنث واسباطاً بدل من اثنتي عشرة تقديره وفرقناهم أسباطاً وجعلناهم أسباطاً ويجوز كسر الشين في عشرة وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب وأما نعت الأسباط .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى قصة بني إسرائيل فقال سبحانه ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾ أي جماعة يدعون إلى الحق ويرشدون إليه ﴿وبه يعدلون﴾ أي وبالحق يحكمون يعدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على أقوال (أحدها) أنهم قوم من وراء الصين وبينهم وبين الصين وادٍ جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وهو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا أحد ولا منهم إلينا وهم على الحق قال ابن جريج بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا

وكانوا اثنتي عشرة سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقاً من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقيل ان جبرائيل انطلق بالنبي ﷺ ليلة المعراج اليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لطيفاً يعني عيسى بن مريم يخرجون معه وروى اصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد وروى أن ذا القرنين رآهم وقال لو أمرت بالمقام لسرني ان أقيم بين أظهركم (وثانيها) أنهم قوم من بني إسرائيل تمسكوا بالحق وبشرية موسى (ع) في وقت ضلالة القوم وقتلهم انبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى (ع) فيكون تقدير الآية ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق عن أبي علي الجبائي وأنكر القول الأول وقال لو كانوا باقين لكانوا كافرين بجحد نبوة محمد ﷺ وليس هذا بشيء لأنه لا يمنع أن يكون قوم لم يبلغهم دعوة النبي ﷺ فلا يحكم بكفرهم ويمكن أن يكون بلغهم خبر النبوة وآمنوا (وثالثها) أنهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ مثل عبد الله بن سلاء وابن صوريا وغيرهما وفي حديث أبي حمزة الثمالي والحكم بن ظهير ان موسى (ع) لما أخذ الألواح قال رب إني لأجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة كتبهم في صدورهم يقرأونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر ويقاثلون الأعور الكذاب (١) فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرة أمثالها وان هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني لأجد في الألواح أمة هم الشافعون وهم المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال موسى رب اجعلني من أمة أحمد ﷺ قال أبو حمزة فأعطى موسى آيتين لم يعطوها يعني أمة أحمد قال الله يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي

(١) أريد به الدجال .

وبكلامي وقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضي موسى (ع) كل الرضا وفي حديث غير أبي حمزة قال ان النبي ﷺ لما قرأ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها ﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ أي وفرقنا بني إسرائيل اثنتي عشرة فرقة أسباطاً يعني أولاد يعقوب (ع) فإنهم كانوا اثني عشر وكان لكل واحد منهم أولاد ونسل فصار كل فرقة منهم سبطاً وأمة وانما جعلهم سبحانه أمماً لتمييزوا في مشربهم ومطعمهم ويرجع كل أمة منهم إلى رئيسهم فيخف الأمر على موسى (ع) ولا يقع بينهم اختلاف وتباغض ﴿وأوحينا إلى موسى اذ استقيه قومه﴾ أي طلبوا منه السقيا ﴿ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست﴾ الانبجاس خروج الماء الجاري بقلعة والانفجار خروجه بكثرة وكان يتدّى الماء من الحجر بقلعة ثم يتسع حتى يصير إلى الكثرة فلذلك ذكر ههنا الانبجاس وفي سورة البقرة الانفجار والآية إلى آخرها مفسرة هناك فلا معنى لإعادته .

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل تغفر بالتاء وضمها وفتح الفاء والباقون تغفر بالنون وكسر الفاء وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل خطيئاتكم على جمع السلامة ورفع التاء وقرأ ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد ورفع التاء وقرأ أبو عمرو خطاياكم بغير همز وعلى جمع التكسير والباقون خطيئاتكم على جمع السلامة وكسر التاء .

[الحجة] من قرأ تغفر بالنون فهو على وإذ قيل لهم ادخلوا تغفر لكم أي إن دخلتم غفرنا والتي في البقرة تغفر والنون هناك أحسن لقوله وإذ قلنا وأما قراءة من قرأ تغفر بالتاء مضمومة فلأنه قد استند إليها خطيئاتكم وهو مؤنث فأنث وبني الفعل للمفعول وهو أشبه بقوله وإذ قيل لهم وقد مضى تفسير مثل هاتين الآيتين في سورة البقرة فلا وجه لإعادته .

﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي
السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ
لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ
أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

[القراءة] قرأ حفص معذرة بالنصب والباقون بالرفع وروي في الشواذ عن شهر ابن حوشب وأبي نهيك يعدون عن الحسن يُسبتون بضم الياء .

[الحجة] من قرأ معذرة بالرفع فتقديره موعظتنا معذرة فيكون خبر مبتدأ محذوف ومن قرأ بالنصب فعلى معنى نعتذر معذرة وقال سيويه لو قال رجل لرجل معذرة إلى الله وإليك من كذا وكذا لنصب إلى معنى نعتذر ومن قرأ يعدون أراد يعتدون فاسكن التاء ليدغمها في الدال ونقل فتحها إلى العين فصار يعدون ومن قرأ يُسبتون فمعناه يدخلون في السبت كما يقال اشهرنا دخلنا في الشهر واجمعنا دخلنا في الجمعة ومن فتح الياء أراد يفعلون السبت ويقيمون عمل يوم السبت فالسبت على هذا فعلهم يقول سبت يسبت سبتاً إذا عظم يوم السبت .

[اللغة] حيتان جمع حوت وأكثر ما يسمى العرب السمك الحيتان والنينان وعدا فلان يعدو عدواناً وعداء وعدواً وعدواً ظلم وأصله مجاوزة الحد والشرع أصله الظهور ومنه الشرعة والشرعة وهو الظاهر المستقيم من المذاهب ومنه المشرعة والشرعة لكونهما في مكان ظاهر من النهر ومنه شراع السفينة لظهورها والمعذرة والعذر والعُذرى والعذرة واحد مصدر عذره أعذره والمُعذر الذي له عذر صحيح والمعذر بالتشديد الذي لا عذر له وهو يريك انه معذور وهو المقصر والمعتذر يقال لمن له عذر ولمن لا عذر له وقولهم من يعذرني معناه من يقوم بعذري

[الإعراب] إذ يعدون موضع إذ نصب على معنى سلهم عن عدوهم أي عن وقت ذلك إذ تأتيتهم في موضع نصب أيضاً يعدون المعنى سلهم إذ عدوا في وقت الإتيان . شرعاً

نصب على الحال من الحيتان وموضع الكاف من كذلك نبلوهم نصب بنبلوهم ويحتمل أن يكون على ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك أي لا تأتيهم شرعاً فيكون الكاف في موضع نصب على الحال من تأتيهم ويكون نبلوهم مستأنفاً والقول الأول أجود ولم تعظون أصله لما ولكن هذه الألف تحذف مع حرف الجر يقول مم وفيم وعلام وعم .

[المعنى] ثم ابتداء سبحانه بخبر آخر من أخبار بني إسرائيل فقال مخاطباً لنبيه ﴿وسألهم﴾ أي استخبرهم يا محمد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام ﴿عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾ أي مجاورة البحر وقرية من البحر على شاطئ البحر وهي ايلة عن ابن عباس وقيل هي مدين عنه أيضاً وقيل طبرية عن الزهري ﴿إذ يعدون في السبت﴾ أي يظلمون فيه بصيد السمك ويتجاوزون الحد في امر السبت ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ أي ظاهرة على وجه الماء عن ابن عباس وقيل متتابعة عن الضحاك وقيل رافعة رؤوسها قال الحسن كانت تشرع إلى أبوابها مثل الكباش البيض لأنها كانت آمنة يومئذ ﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم﴾ أي ويوم لا يكون السبت كانت تغوص في الماء واختلف في أنهم كيف اصطادوا ف قيل أنهم القوا الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلى يوم الأحد وهذا تيسير محظوظه وفي رواية عكرمة عن ابن عباس اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان إليها ولا يمكنها الخروج منها فيأخذونها يوم الأحد وقيل أنهم اصطادوها وتناولوها باليد في يوم السبت عن الحسن ﴿كذلك نبلوهم﴾ أي مثل ذلك الاختبار الشديد نجبرهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ أي بفسقهم وعصيانهم وعلى المعنى الآخر لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الاثيان الذي كان منها يوم السبت ثم استأنف فقال نبلوهم ﴿وإذ قالت أمة﴾ أي جماعة ﴿منهم﴾ أي من بني إسرائيل الذين لم يصطادوا وكانوا ثلاثة فرق فرقة قانصة^(١) وفرقة ساكتة^(٢) واعظة فقال الساكتون للواعظين والناهين ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ أي يهلكهم الله ولم يقولوا ذلك كراهية لوعظهم ولكن لأياسهم عن ان يقبل أولئك القوم الوعظ فإن الأمر بالمعروف إنما يجب عند عدم الاياس من القبول عن الجبائي ومعناه ما ينفع الوعظ ممن لا يقبل والله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم ﴿أو معذبهم عذاباً شديداً﴾ في الآخرة ﴿قالوا﴾ أي قال الواعظون في جوابهم ﴿معذرة الى ربكم﴾ معناه موعظتنا إياهم معذرة إلى الله وتأدية لفرضه في النهي عن المنكر لئلا يقول لنا

(١) القانصة: الصيادون .

(٢) [وفرقة] .

لَمْ تَعْظُوهُمْ ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾ بِالْوَعظِ ﴿يَتَّقُونَ﴾ وَيَرْجِعُونَ .

﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَبْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا

الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ

مَا نَهَوْا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء غير مهموز على وزن فِعْل وقراً ابن عامر بش مهموز على وزن فعل أيضاً وقراً أبو بكر غير حماد بيش على وزن فيعل والباقون بيش على وزن فَعِيل وروي في الشواذ عن ابن عباس بيش على وزن فيعل وعن زيد بن ثابت بيش على وزن فعل وعن يحيى والسلمي بخلاف بيش وعن طلحة بن مصرف بيس وروي أيضاً عن نافع وروي عن مجاهد بئس على وزن فاعل وعن الحسن بيش بكسر الباء وفتح السين .

[الحجة] قال أبو علي من قرأ بيش فإنه يحتمل الأمرين أن يكون فعلاً من يؤس يؤس إذا كان شديد البأس فيكون مثل بعذاب شديد وأن يكون مصدرأ على فَعِيل نحو النذير والكير وقولهم « عذير الحي من عدوان كانوا جبة الأرض »^(١) فوصف بالمصدر والتقدير بعذاب ذي بيش أي ذي يؤس ومن قرأ بعذاب بيش فإنه جعل بيش الذي هو فعل اسماً فوصف به ومثل ذلك قوله إن الله ينهى عن قيل وقال ومثله مذ شُبَّ إلى دُبٍّ ومذ شُبَّ إلى دُبٍّ^(٢) فلما استعملت هذه الألفاظ أسماء وأفعالاً فكذلك بيش جعله اسماً بعد أن كان فعلاً فصار وصفاً ومن قرأ بيش فإنه يكون وصفاً مثل ضيغم وحيدر وقال ولا يجوز كسر العين منه لأن فيعل بناء اختص به ما كان عينه ياء أو واواً مثل طيب وسيد ولم يجيء مثل ضيغم وقد جاء في المعتل فيعل انشد سيبويه « ما بال عينك كالشعيب العين »^(٣) فينبغي أن يحمل بيش ممن رواه على الوهم قال ابن جني وإنما جاء في الهمز لمشابتها حر في العلة وأما

(١) قائله ذو الاصبع العدوانى وبعده « بغى بعض على بعض فلم يرعوا على بعض » يقول هات عذراً فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد والتباغض والقتل ولم يرع بعضهم على بعض بعد ما كانوا حية الأرض . التي يحذرها كل أحد .

(٢) أي من لدن شبيت إلى أن دببت على العصا .

(٣) الشعيب: السقاء . سقاء عين إذا سال ماؤه وفيل أريد بالعين الجديد .

بئس على فَعِل فإنه جاء على بئس الرجل بأساً إذا شجع فكأنه عذاب مقدم عليهم غير متأخر عنهم ويجوز أن يكون مقصوراً من بئس فيكون مثل أتق من أتق وأما بئس في وزن جيش فكأنه أراد بش فخفف الهمزة فصارت بين بين فلما قاربت الياء اسكنها طلباً للخفة فصارت في اللفظ ياء ونحو من ذلك قول ابن ميادة « وكان يوميد لها حكمها » أراد يومئذ فخفف وأما بئس فاسم الفاعل من بئس وأنكر أبو حاتم قراءة الحسن بئس وقال لو كان كذا لما كان بد معها من ماء بئس ما، كنعم ما .

[اللغة] قال أبو زيد يقال بؤس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس وفي البؤس وهو الفقر بئس الرجل يبأس بؤساً^(١) وبأساً والبأساء الاسم والعثر الخروج الى افحش الذنوب والعاتي المبالغ في المعاصي والليل العاتي الشديد الظلمة والخاصىء المطرود المبعد عن الخير من خسأت الكلب إذا أقصيته فحسأ أي بعد .

[المعنى] ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أي فلما ترك أهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعصية بصيد السمك ﴿ أنجينا الذين ينهون عن السوء ﴾ أي خلصنا الذين ينهون عن المعصية ﴿ وأخذنا الذين ظلموا ﴾ أنفسهم ﴿ بعذاب بئس ﴾ أي شديد ﴿ بما كانوا يفسقون ﴾ أي بفسقهم وذلك العذاب لحقهم قبل أن مسخوا قردة عن الجبائي ولم يذكر حال الفرقة الثالثة هل كانت من الناجية ام من الهالكة وروي عن ابن عباس فيهم ثلاثة أقوال (أحدها) أنه نجت الفرقتان وهلكت الثالثة وبه قال السدي (والثاني) انه هلكت الفرقتان ونجت الفرقة الناهية وبه قال ابن زيد وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والثالث) التوقيف فيه روي عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وبين يديه المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال قد علمت ان الله تعالى أهلك الذين أخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا واختاره الجبائي وقال الحسن انه نجا الفرقة الثالثة لأنه ليس شيء أبلغ في الأمر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وهم قد ذكروا الوعيد فقالوا الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً وقال قتل المؤمن اعظم والله من أكل الحيتان ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه ﴾ أي عن ترك ما نهوا عنه يعني لم يتركوا ما نهوا عنه وتمردوا في الفساد والجرأة على المعصية وأبوا أن

(١) [وبئساً] .

يرجعوا عنها ﴿قلنا لهم كونوا قردة﴾ أي جعلناهم قردة ﴿خاسئين﴾ مبعدين مطرودين وإنما ذكر كُنْ ليدل على أنه سبحانه لا يمتنع عليه شيء وأجاز الزجاج أن يكون قيل لهم ذلك بكلام سمعوه فيكون ذلك أبلغ في الآية النازلة بهم وحكي ذلك عن أبي الهذيل قال قتادة صاروا قردة لها أذنان تعاوى بعد أن كانوا رجالاً ونساء وقيل أنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر إليهم الناس ثم هلكوا ولم يتناسلوا عن ابن عباس قال ولم يمكث مسخ فوق ثلاثة أيام وقيل عاشوا سبعة أيام ثم ماتوا عن مقاتل وقيل أنهم توالدوا عن الحسن وليس بالوجه لأن من المعلوم أن القردة ليست من أولاد آدم كما أن الكلاب ليست منهم ووردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إن الله تعالى لم يمسح شيئاً فجعل له نسلًا وعقباً .

[القصة] قيل كانت هذه القصة في زمن داود (ع) وعن ابن عباس قال أمروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سمناً حتى لا يرى الماء من كثرتها فمكثوا كذلك ما شاء الله لا يصيدون ثم أتاهم الشيطان وقال إنما نهيتهم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوفون الحيتان إليها يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد وعن ابن زيد قال أخذ رجل منهم خوتاً وربط في ذنبه خيطاً وشده إلى الساحل ثم أخذه يوم الأحد وشواه فلاموه على ذلك فلما لم يأتهم العذاب أخذوا ذلك وأكلوه وباعوه وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً فصار الناس ثلاث فرق على ما تقدم ذكره فاعتزلتهم الفرقة الناهية ولم تسكنهم فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العاصية أحد فنظروا فإذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي فإذا قالوا لهم ألم نهكم قالت برؤوسها إن نعم قال قتادة صارت الشبان قردة والشيوخ خنازير .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ

سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾

وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ

وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

[الإعراب] ومنهم دوون ذلك دون في موضع الرفع بالابتداء ولكنه جاء منصوباً لتمكنه في الظرفية ومثله على قول أبي الحسن لقد تقطع بينكم هو في موضع الرفع فجاء منصوباً لهذا المعنى وكذلك في قوله يوم القيامة يفصل بينكم بين في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل وإن شئت كان التقدير ومنهم جماعة دون ذلك فحذف الموصوف وقامت صفته مقامه .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه النبي فقال ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ معناه واذكر يا محمد إذ أذن واعلم ربك فإن تأذن واذن بمعنى وقيل معناه تألي ربك أي أقسم القسم الذي يسمع بالاذن وقيل معناه قال ربك عن ابن عباس ﴿لِيُبْعَثَ عَلَيْهِمْ﴾ أي على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ من يسومهم سوء العذاب ﴿أَيَّ مَنْ يَذِيقُهُمْ وَيُؤْلِيهِمْ شِدَّةَ الْعَذَابِ بِالْقَتْلِ وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْهُمْ وَالْمَعْنَى بِهِ أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ عِنْدَ جَمِيعِ الْمَفْسِّرِينَ وَهُوَ الْمَرْوِيُّ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (ع) وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْيَهُودَ لَا تَكُونُ لَهُمْ دَوْلَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا عِزٌّ وَأَمَّا مَعْنَى الْبَعْثِ هَاهُنَا فَهُوَ الْأَمْرُ وَالْإِطْلَاقُ وَالْمَعْنَوَةُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ التَّخْلِيَةُ وَإِنْ وَقَعَ عَلَى وَجْهِ الْمَعْصِيَةِ كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ رَبِّكَ لِسَرِيعِ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ يَسْتَوْجِبُهُ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ظَاهِرُ الْمَعْنَى وَإِنَّمَا قَالَ سَرِيعَ الْعِقَابِ وَإِنْ كَانَ الْعِقَابُ مُؤَخَّرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ كُلَّ آتٍ فَهُوَ قَرِيبٌ وَقِيلَ مَعْنَاهُ سَرِيعَ الْعِقَابِ لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَعْاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ مَعْنَاهُ وَفَرَّقْنَاهُمْ فِي الْبِلَادِ فِرْقًا مُخْتَلَفَةً وَجَمَاعَاتٍ شَتَّى يَعْنِي الْيَهُودَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٍ وَإِنَّمَا فَرَّقَهُمْ بِأَنَّ فِرْقَ دَوَاعِيهِمْ حَتَّى افْتَرَقُوا فِي الْبِلَادِ وَتَفَرَّقَهُمْ ذُلُّ لَهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَخَذِ الْجِزْيَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَعَاوَنُونَ وَلَا يَتَنَاصَرُونَ وَقِيلَ إِنَّهُ فَرَّقَهُمْ لِمَا عَلِمَ سُبْحَانَهُ مِنَ الصَّلَاحِ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ فَصَلَحَ فَرِيقٌ وَعَصَى فَرِيقٌ ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْهُمْ فَقَالَ ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ أَيَّ مِنْ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِينَ يَعْنِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيُطِيعُونَهُ ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أَيَّ دُونَ الصَّالِحِ فِي الدَّرَجَةِ وَالْمَنْزِلَةِ وَهُمْ الَّذِينَ امْتَثَلُوا بَعْضَ الْأَمْرِ دُونَ بَعْضٍ وَعَمَلُوا بَعْضَ الْمَعَاصِي وَإِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ قَبْلَ ارْتِدَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَ فِيهِمْ عِيسَى (ع) وَقِيلَ مَعْنَاهُ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمِنْهُمْ الْكَافِرُونَ عَنْ عَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ مَعْنَاهُ اخْتَبَرْنَاهُمْ بِالرِّخَاءِ فِي الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ فِي الدُّنْيَا وَالِدَّعَةِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ بِالشَّدَائِدِ فِي الْعَيْشِ وَالْمَصَائِبِ فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ فَكَأَنَّهُ قَالَ بَلَوْنَاهُمْ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ وَالرِّخَاءِ وَالشَّدَةِ فَإِنْ

فعل النعم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في ارتباطها وفعل النقم يقتضي الرغبة إلى الله تعالى في كشفها ﴿لعلهم يرجعون﴾ أي لكي يرجعوا إلى الله تعالى وينيبوا إلى طاعته وامثال أمره ومتى قيل كيف يصح الرجوع إلى أمر لم يكونوا عليه قط فالقول فيه أن الذهاب عن الشيء قد يقال له ارجع إليه أصر أي صر إليه كما أن من رأى غيره سالكا في المهالك قد يقول له ارجع إلى الطريق المستقيم يريد به اخراجه عن المهالك وقيل ان معناه لعلهم يرجعون إلى ما عليه أصل الفطرة .

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ
يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ
عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ
لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

[القراءة] قرأ أبو بكر يُمسكون بتسكين الميم والباقون بفتحها وتشديد السين وهما بمعنى واحد وفي الشواذ قراءة السلمي وأداسوا ما فيه أراد تدارسوا فادغم .

[اللغة] قال الزجاج يقال للقرن الذي يجيء في أثر قرن خلف والخلف ما اخلف عليك بدلاً مما ذهب منك قال الفراء يقال هو خلف صدق وخلف سوء قال لبيد :

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَيَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ^(١)

قال علي بن عيسى وقد يوضع احدهما مكان الآخر قال حسان :

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى إِلَيْكَ وَخَلْفُنَا لَأُولُنَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَابِعٌ

(١) شبه أصحابه بجلد الإجرب في كونهم كلاً عليه كما أن جلد الإجرب من جهة حكه دائماً فيه مشقة على صاحبه .

والأغلب في الفتح أن يستعمل في المدح. والعَرَض ما يعرض ويقل لبثه ومنه سمي العرض القائم بالجسم عرضاً لأنه يعرض في الوجود ولا يجب له من اللبث ما يجب للأجسام والدرس تكرير الشيء ويقال درس الكتاب إذا كرر قراءته ودرس المنزل إذا تكرر عليه مرور الامطار والرياح حتى المحى أثره وامسك ومسك وتمسك واستمسك بالشيء بمعنى واحد أي اعتصم به.

[الإعراب] يأخذون عرض هذا الأدنى في موضع النصب على الحال من الضمير في ورثوا وقوله ورثوا الكتاب صفة لـخلف ودرسوا ما فيه عطف على ورثوا وقوله الم يؤخذ عليهم إلى قوله الا الحق اعتراض بين ورثوا ودرسوا ولا يجوز الوقف من اول الآية إلا على قوله ما فيه وخبر الذين يمسكون قوله انا لا نضيع أجر المصلحين منهم فحذف منهم لدلالة الكلام عليه كما في قوله السمن منوان بدرهم ويحتمل ان يكون التقدير لا نضيع أجرهم لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب في المعنى ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً وتقديره نعطيهم أجرهم لأننا لا نضيع أجر المصلحين فاستغنى بذكر العلة عن ذكر المعلول.

[المعنى] ثم ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف فقال ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ معناه فذهب أولئك وقام مقامهم قوم آخرون ورثوا الكتاب يعني التوراة فإن الميراث ما صار للباقي من جهة البادي ﴿يأخذون عرض هذا الأدنى﴾ معناه ما اشرف لهم من الدنيا أخذوه عن ابن عباس يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر وجميع متاع الدنيا عرض وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بجور وقيل انهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق وكل ذلك عرض خسيس واراد بقوله هذا الأدنى هذا العاجل وقيل اراد عرض هذا العالم الأدنى وهو الدار الفانية ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب إذا اشرف لهم شيء من الدنيا أخذوه حلاًلاً كان أو حراماً ويتمنون على الله المغفرة ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ أي وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه وهذا دليل على اصرارهم وانهم تمنوا المغفرة مع الإصرار وقيل معناه وإن جاءهم حرام من الرشوة وغيرها بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل معناه لا يشبعهم شيء عن الحسن ﴿الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾ معناه الم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في الأحكام القائلين سيغفر لنا إذا عوتبوا على ذلك الميثاق في التوراة ان لا يكذبوا على الله تعالى ولا يضيفوا إليه الا ما انزله على رسوله

موسى (ع) في التوراة من الوعد والوعيد وغير ذلك وليس فيها ميعاد المغفرة مع الاصرار ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي وقرأوا ما فيه فهم ذاكرون لذلك وقيل انه معطوف على قوله ورثوا الكتاب والمعنى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه فضيعوه وتركوا العمل به ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ معناه ما أعدّه الله لأوليائه في الدار الآخرة من النعيم والثواب للعاملين بطاعته خير للذين يجتنبون معاصي الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ من قرأ بالياء فمعناه أفلا يعقل هذه الطائفة ومن قرأ بالتاء فمعناه قل لهم أفلا تعقلون ان الأمر على ما أخبر الله به ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ أي يتمسكون به والكتاب التوراة أي لا يحرفونه ولا يكتُمونه عن مجاهد وابن زيد وقيل الكتاب القرآن والمتمسك به أمة محمد ﷺ عن عطاء ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ إنما خصّ الصلاة بالذكر لجلالة موقعها أو شدة تأكدها ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ أي لا نضيع جزاء عملهم ونشبههم على ما يستحقونه.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا

مَاءً اتِّبَنَكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

[اللغة] التتق قلع الشيء من الأصل وكل شيء قلعته ثم رميت به فقد نتقته ومنه قيل للمرأة الكثيرة الأولاد ناتق لأنها ترمي بالأولاد رمياً هذا قول أبي عبيدة وقيل أصل التتق الرفع ومنه امرأة ناتق لرفعها الأولاد ونتقت المرأة فهي ناتق ومتناق إذا كثر ولدها وهو قول ابن الأعرابي وقيل أصله الجذب يقال نتقت الغرب^(١) من البئر جذبته عن أبي مسلم والظلة كلما اظلك أي سترك من سقف أو سحابة أو جناح حائط.

[المعنى] عاد الكلام إلى قوم موسى (ع) فقال سبحانه ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قلعنا الجبل من أصله فرفعناه فوق بني إسرائيل وكان عسكر موسى (ع) فرسخاً في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جميعهم ﴿كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ أي غمامة وقيل سقيفة عن عطاء ﴿وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ أي علموا وایقنوا عن الحسن وقيل معناه على ظاهره من الظن أي قوي في نفوسهم ذلك عن الرماني والجبائي ﴿خُذُوا﴾ أي وقلنا لهم خذوا ﴿مَاءً اتِّبَنَكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ أي خذوا ما الزمناكم من احكام كتابنا وفرائضه فاقبلوه بجِدٍّ واجتهاد منكم في

(١) الغرب: الدلو العظيمة.

كل أوان من غير تقصير ولا توان ﴿واذكروا ما فيه﴾ من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه ﴿لعلكم تتقون﴾ أي لكي تتقوا ربكم وتخافوا عقابه وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة مشروحاً.

﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ

بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ

بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ

هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا

ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ

نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأهل الكوفة ذريتهم على التوحيد والباقون ذرياتهم على الجمع وقرأ أبو عمرو أن يقولوا أو يقولوا بالياء والباقون بالتاء .

[الحجة] قال أبو علي الذرية قد يكون جمعاً وقد يكون واحداً فمما جاء فيه جمعاً قوله وكنا ذرية من بعدهم وذرية من حملنا مع نوح فمن أفرد جعله جمعاً فاستغنى عن جمعه لوقوعه على الجمع ومما جاء فيه واحداً قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ثم قال إن الله يبشرك بيحيى وهذا مثل قوله رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب وأما قراءة أبي عمرو أن يقولوا بالياء فلأن الذي تقدم من الكلام على الغيبة ومن قرأ بالتاء فلأنه جرى في الكلام خطاب أيضاً فقال الست بربكم وكلا الوجهين حسن لأن الغيب هم المخاطبون في المعنى .

[الإعراب] من ظهورهم بدل من قوله من بني آدم والمعنى أخذ ربك من ظهور بني آدم ذريتهم وقد ذكرنا الذرية وما قيل في تقدير وزنها واشتقاقها فيما تقدم وقوله أن تقولوا تقديره كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا وقد مضى الكلام في أمثاله .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما أخذ على الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جمعاً بين دلائل السمع والعقل وإبلاغاً في إقامة الحجة فقال ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ أي واذكر لهم يا محمد إذ أخرج ربك ﴿مَنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ أي من ظهور بني آدم ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ السُّتَ بَرَبِكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ اختلف العلماء من العام والخاص في معنى هذه الآية وفي هذا الإخراج والأشهاد على وجوه (أحدها) أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم على آدم وقال اني آخذ على ذريتك ميثاقهم ان يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً وعليّ أرزاقهم ثم قال لهم السُّت بَرَبِكُمْ قَالُوا بَلَى شهدنا انك ربنا فقال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا وقيل ان الله تعالى جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه ويفهمونه ثم ردهم إلى صلب آدم والناس محبوسون باجمعهم حتى يخرج كل من أخرج الله في ذلك الوقت وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى ومن كفر وجحد فقد تغير عن الفطرة الأولى عن جماعة من المفسرين ورووا في ذلك آثراً بعضها مرفوعة وبعضها موقوفة يجعلونها تأويلاً للآية وردّ المحققون هذا التأويل وقالوا انه مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه لأنه تعالى قال ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ آدَمَ وَقَالَ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَلَمْ يَقُلْ مِنْ ظُهُورِهِمْ وَقَالَ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَمْ يَقُلْ ذُرِّيَّتَهُ ثُمَّ أَخْبَرَ بَعَالِي بِأَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ لِشَلَا يَقُولُوا أَنَّهُمْ كَانُوا عَنْ ذَلِكَ غَافِلِينَ أَوْ يَعْتَذِرُوا بِشُرْكَ آبَائِهِمْ وَأَنَّهُمْ نَشَأُوا عَلَى دِينِهِمْ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ يَكُونُ لَهُمْ آبَاءُ مُشْرِكُونَ فَلَا يَتَنَاوَلُ الظَّاهِرُ وَلَدَ آدَمَ لَصَلْبٍ وَأَيْضاً فَإِنَّ هَذِهِ الذَّرِيَّةَ الْمُسْتَخْرَجَةَ مِنْ صَلْبِ آدَمَ لَا يَخْلُو إِذَا انْجَعَلَهُمُ اللَّهُ عَقْلَاءَ أَوْ لَمْ يَجْعَلَهُمْ كَذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَجْعَلَهُمُ عَقْلَاءَ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يَعْرِفُوا التَّوْحِيدَ وَأَنْ يَفْهَمُوا خُطَابَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنْ يَجْعَلَهُمُ عَقْلَاءَ وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فَيَجِبُ أَنْ يَتَذَكَّرُوا ذَلِكَ وَلَا يَنْسُوهُ لِأَنَّ أَخْذَ الْمِيثَاقِ لَا يَكُونُ حُجَّةً عَلَى الْمَأْخُوذِ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَاكِرًا لَهُ فَيَجِبُ أَنْ نَذَكِّرَ نَحْنُ الْمِيثَاقَ وَلِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْسِيَ الْجَمْعَ الْكَثِيرَ وَالْجَمَّ الْغَفِيرَ مِنَ الْعَقْلَاءِ شَيْئاً كَانُوا عَرَفُوهُ وَمَيَّزُوهُ حَتَّى لَا يَذْكُرَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنْ طَالَ الْعَهْدُ لَا تَرَى أَنَّ أَهْلَ الْآخِرَةِ يَعْرِفُونَ كَثِيراً مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لِأَهْلِ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً وَلَوْ حَازَ أَنْ يَنْسُوا ذَلِكَ مَعَ هَذِهِ الْكَثْرَةِ لَجَازَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ كُلِّفَ الْخَلْقَ فِيمَا مَضَى ثُمَّ أَعَادَهُمْ إِمَّا لِيُشَبِّهَهُمْ وَإِمَّا لِيُعَاقِبَهُمْ وَنَسُوا ذَلِكَ وَذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَى التَّجَاهُلِ وَإِلَى صَحَّةِ مَذْهَبِ التَّنَاسُخِيَّةِ وَحَكِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ عِيْسَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْأَخْشِيدِ أَنَّهُ جَوَّزَ أَنْ يَكُونَ خَبَرُ الذَّرِّ صَحِيحاً غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ لَيْسَ تَأْوِيلُ الْآيَةِ عَلَى ذَلِكَ وَيَكُونُ فَائِدَتُهُ أَنَّهُ إِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ لِيُجْبِرُوا عَلَى الْإِعْرَاقِ الْكَرِيمَةِ فِي شُكْرِ النِّعْمَةِ وَالْإِقْرَارِ لِلَّهِ تَعَالَى

بالربوبية كما روي انهم ولدوا على الفطرة وحكى أبو الهذيل في كتاب الحجة ان الحسن البصري واصحابه كانوا يذهبون إلى ان نعيم الاطفال في الجنة ثواب عن الإيمان في الذر (وثانيها) ان المراد بالآية ان الله سبحانه اخرج بني آدم من اصلااب آبائهم إلى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة وعلقة ثم مضغه ثم أنشأ كلاً منهم بشراً سوياً ثم حياً مكلفاً وأراهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه اشهدهم وقال لهم الست بربكم فقالوا بلى هذا يكون معنى اشهدهم على انفسهم دلهم بخلقه على توحيدهِ وإنما اشهدهم على انفسهم بذلك لما جعل في عقولهم من الأدلة الدالة على وحدانيته وركب فيهم من عجائب خلقه وغرائب صنعه وفي غيرهم فكأنه سبحانه بمنزلة المشهد لهم على انفسهم فكانوا في مشاهدة ذلك وظهوره فيهم على الوجه الذي اراده الله وتعذر امتناعهم منه بمنزلة المعترف المقر وان لم يكن هناك اشهاد صورة وحقيقة ونظير ذلك قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وان لم يكن منه سبحانه قول ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر ومعلوم ان الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم لكنه لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه فكأنهم اعترفوا به ومثله في الشعر:

وَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمِعَا وَطَاعَتُهُمَا وَحَدَّرْنَا كَالذَّرِ لَمَّا يُثَقَّبُ

وكما يقول القائل جوارحي تشهد بنعمتك وكما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الأرض مَنْ شَقَّ انهارك وغرس اشجارك واينع ثمارك فإن لم تجبك حواراً^(١) اجابتك اعتباراً ومثله كثير في كلام العرب واشعارهم ونظمهم ونثرهم وهو قول الرماني وابي مسلم وابن الاخشيد (وثالثها) انه تعالى إنما عنى بذلك جماعة من ذرية آدم خلقهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله (ع) بمعرفته وبما يجب من طاعته فأقرؤا بذلك وأشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او يقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل فقلدناهم في ذلك فنبه سبحانه على أنه لا يعاقب من له عذر رحمة منه لخلقه وكرماً وهذا يكون في قوم خاص من بني آدم ولا يدخل جميعهم فيه لأن المؤمن لا يدخل فيه لأنه بين ان هؤلاء المأخوذ ميثاقهم كان لهم سلف في الشرك ولأن ولد آدم لصلبه لم يؤخذوا من ظهور بني آدم فقد خرجوا من ذلك وهذا اختيار الجبائي والقاضي وقوله (شهدنا) حكاية عن قول

(١) الحوار - بالفتح ويكسر - : مراجعة الكلام .

الملائكة أنهم يقولون ذلك أي شهدنا لثلاثا تقولوا ذكره الأزهرى عن بعضهم وقال ان قوله قالوا بلى تمام الكلام وهذا خلاف الظاهر وما عليه المفسرون لأن الكل قالوا شهدنا من قول من قال بلى وان اختلفوا في كيفية الشهادة على ان الملائكة لم يجر لها ذكر في الآية فيبعد أن يكون اخباراً عنهم ﴿ان تقولوا يوم القيامة﴾ معناه لثلاثا يقولوا إذا صاروا إلى العذاب يوم القيامة ﴿انا كنا من هذا غافلين﴾ لم تنبه عليه ولم تقم لنا حجة به ولم تكمل عقولنا ففكر فيه ﴿أو تقولوا﴾ أي أو تقول قوم منهم ﴿إنما اشرك آباؤنا من قبل﴾ حين بلغوا وعقلوا ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ أي اطفالاً لا نعقل ولا نصلح للفكرة والنظر والتدبر وعلى التأويل الأخير فمعناه أني إنما قررتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي وتشكروا نعمتي ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا غافلين عما اخذ الله من الميثاق على لسان الانبياء وتقولوا إنما اشرك آباؤنا من قبل فنشؤنا على شركهم احتجاجاً بالتقليد وتعويلاً عليه اي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي واشهدتكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم إني ﴿أفهلكتنا بما فعل المبطلون﴾ ومعناه ولأن لا تقولوا أفهلكتنا بما فعل آباؤنا من الشرك وتقديره انا لا نهلككم بما فعلوه وإنما نهلككم بفعلكم أنتم ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ معناه انا كما بينا لكم هذه الآيات كذلك نفصلها للعباد ونبينها لهم وتفضل الآيات تمييزاً لئلا يمكن من الاستدلال بكل واحدة منها ﴿ولعلمهم يرجعون﴾ أي ليرجعوا إلى الحق من الباطل.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي

ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ

الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثٌ

أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَاقْصُصْ

الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا

بِءَايَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى

وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

[اللغة] النبا الخبر عن الأمر العظيم ومنه اشتقاق النبوة نبأه الله أي جعله نبياً واخلد إلى كذا واخلد إليه سكن إليه واخلد أكثر واصله اللزوم على الدوام ورجل مخلد إذا ابطأ عنه الشيب واخلد إلى الأرض لصق بها قال مالك بن نويرة .

بِأَنْبَاءٍ حَقٍّ مِنْ قَبَائِلِ مَالِكٍ وَعَمَرُو بْنِ يَرْبُوعٍ أَقَامُوا فَأُخْلِدُوا
اللهث أن يدلح الكلب لسانه من العطش واللهاث حر العطش وفي حديث سعيد بن جبير في المرأة اللهثي إنما تفطر في رمضان وقيل هو النفس الشديد من شدة الإعياء .

[الإعراب] نصب مثلاً لأنه تفسير الضمير في ساء التي هي بمعنى بشس فيكون فعلاً ماضياً غير متصرف وتقديره ساء المثل مثلاً وفي الكلام حذف آخر وتقديره ساء المثل مثلاً مثل القوم ثم حذف المثل الاول لدلالة المنصوب عليه وحذف الثاني لقيام المضاف إليه مقامه ولأن المعنى مفهوم .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني إسرائيل فقال ﴿واتل﴾ أي وقرأ ﴿عليهم﴾ يا محمد ﴿نبأ الذي آتيناه﴾ أي خبر الذي اعطيناه ﴿آياتنا﴾ أي حججنا وبيّناتنا ﴿فانسلخ منها﴾ أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده ﴿فأتبعه الشيطان﴾ أي تبعه وتبع وأتبع واتبع بمعنى وقيل معناه لحقه الشيطان وأدركه حتى اضله ﴿فكان من الغاوين﴾ أي من الهالكين وقيل من الخائبين عن الجبائي واختلف في المعنى به فقيل هو بلعام بن باعور عن ابن عباس وابن مسعود وكان رجلاً على دين موسى (ع) وكان في المدينة التي قصدها موسى وكانوا كفاراً وكان عنده اسم الله الأعظم وكان إذا دعا الله تعالى به اجابه وقيل هو بلغم بن باعورا من بني هاب بن لوط عن أبي حمزة الثمالي ومسروق قال أبو حمزة وبلغنا أيضاً والله اعلم انه أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر وروي ذلك عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابي روق وكانت قصته أنه قرأ الكتب وعلم ان الله سبحانه مرسِل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما ارسل محمد ﷺ حسده ومراً على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل قتلهم محمد فقال لو كان نبياً ما قتل اقرباءه واستنشد رسول الله اخته شعره بعد موته فانشدته .

لَكَ الْحَمْدُ وَالنُّعْمَاءُ وَالْفَضْلُ رَبَّنَا وَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ جَدًّا وَأَمَجَّد

مَلِيكَ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمٌ لِعِزَّتِهِ تَعْنُوا أَلْوَجُوهُ وَتَسْجُدُ

وهي قصيدة طويلة حتى أتت على آخرها ثم انشدته قصيدته التي فيها .

وَقَفَ النَّاسُ لِلْجَنَابِ جَمِيعاً فَشَقِيٌّ مُعَذَّبٌ وَسَعِيدٌ

والتي فيها :

عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ يَوْمَ يَأْتِي الرَّحْمَنُ وَهُوَ رَحِيمٌ
يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَالسِّرَّ وَالْخَفِيَّ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً
رَبِّ إِنْ تَعَفُّ فَالْمُغَافَاةُ ظَنِّي أَوْ تُعَاقِبْ فَلَمْ تُعَاقِبْ بَرِيّاً

فقال رسول الله ﷺ آمن شعره وكفر قلبه وانزل الله فيه قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه الآية وقيل انه أبو عامر بن النعمان بن صيفي الراهب الذي سمّاه النبي الفاسق وكان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوخ فقدم المدينة فقال للنبي ﷺ ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية دين إبراهيم قال فأنا عليها فقال ﷺ لست عليها ولكنك ادخلت فيها ما ليس منها فقال أبو عامر أمت الله الكاذب منا طريداً وحيداً فخرج إلى أهل الشام وارسل إلى المنافقين ان استعدوا السلاح ثم أتى قيصر وأتى بجند ليخرج النبي ﷺ من المدينة فمات بالشام طريداً وحيداً عن سعيد بن المسيب وقيل المعني به منافقوا أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم ويكون معنى فانسلك منها اعرض عن آيات الله وتركها فاتبعه الشيطان أي خذله الله وخلق بينه وبين الشيطان عن الحسن وابن كيسان وقيل انه مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله عن قتادة وقال أبو جعفر (ع) الأصل في ذلك بلعم ثم ضربه الله مثلاً لكل مؤثر هواه على هدى الله من أهل القبلة وقيل أيضاً في الآيات التي أوتيتها اقوال آخر منها ان المراد بها المعجزات الدالة على صدق الأنبياء فلم يقبلها وعري عنها يعني فرعون عن أبي مسلم فكانه قال اتل عليهم نبأ فرعون إذ آتيناه الحجج الدالة على صدق موسى فلم يقبلها ومنها ان الآيات الإيمان والهدى والدين عن الحسن ومنها انها النبوة عن مجاهد وهذا لا يجوز لأن الأنبياء منزهون عن ذلك فإنهم حجج الله على خلقه ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي بتلك الآيات والهاء في رفعناه يعود إلى الذي أتاه الله بآياته فانسلك منها معناه ولو شئنا لرفعنا منزلته بإيمانه ومعرفته قبل ان يكفر ولكن بقيناه ليزداد الإيمان فكفر عن الجبائي وقيل معناه ولو شئنا لحلنا بينه وبين ما اختاره من المعصية وهذا اخبار عن كمال

قدرته عن البلخي والزجاج ﴿ولكنه اخلد إلى الأرض﴾ أي ركن إلى الدنيا ومال إليها عن سعيد بن جبير والسدي ومعناه ولكنه مال إلى الدنيا بإيثار الراحة والدعة في لذة ﴿واتبع هواه﴾ أي وانقاد لهواه في الركون إلى الدنيا واختيارها على الآخرة ثم ضرب له مثلاً فقال ﴿فمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ معناه فصفته كصفة الكلب ان طردته وشدت عليه يخرج لسانه من فمه وان تركته ولم تطرده يخرج لسانه من فمه أيضاً وتحمل عليه من الحمله لا من الحمل والمعنى ان واعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال في كل حال كما ان كل شيء يلهث فإنما يلهث في حال الاعياء والكلال الا الكلب فإنه يلهث في كل حال ومثله قوله سبحانه سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون وقيل إنما شبهه بالكلب في الخسة وقصور الهمة وسقوط المنزلة ثم وصف الكلب باللهث على عادة العرب في تشبيههم الشيء بالشيء ثم يأخذون في وصف المشبه به وان لم يكن ذلك الوصف في المشبه وذلك يكثر في كلامهم عن أبي مسلم وقيل شبهه بالكلب إذا اخرج لسانه لإيذائه الناس بلهائه حملت عليه أو تركته يقال لمن أذى الناس بلسانه فلان اخرج لسانه من الفم مثل الكلب ولهث في هذا الموضع صباحه ونباحه وقيل ان هذا مثل للذي يقرأ القرآن فلا يعمل به عن مجاهد ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ معناه ذلك صفة الذين يكذبون بآيات الله قال ابن عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هادياً يهديهم ويدعوهم إلى طاعة الله فلما جاءهم من لا يشككون في صدقه كذبوه فلم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما دعوا بالرسول والكتاب ﴿فاقصص القصص﴾ أي فاقصص عليهم اخبار الماضين ﴿لعلهم يتفكرون﴾ فيعتبرون ولا يفعلون مثل فعلهم حتى لا يحل بهم ما حل بهم ثم وصف الله تعالى بهذا المثل الذي ضربه وذكره بأنه ﴿سء مثلاً﴾ أي بش مثلاً ﴿القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ ومعناه بثت الصفة المضروب فيها المثل أو قبح حال المضروب فيه لأن المثل حسن وحكمة وصواب وإنما القبيح صفتهم ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ أي وإنما نقصوا بذلك انفسهم ولم ينقصوا شيئاً لأن عقاب ما يفعلونه من المعاصي يحل بهم والله سبحانه لا يضُرُّه كفرهم ومعصيتهم كما لا ينفعه إيمانهم وطاعتهم ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ كتبت ههنا بالياء ليس في القرآن غيره بالياء وأثبت الياء ههنا في اللفظ جميع القراء ومعناه من يهده الله إلى نيل الثواب كما يهدي المؤمن من إلى ذلك وإلى دخول الجنة فهو المهتدي للإيمان والخير عن الجبائي ﴿ومن يضلل﴾ أي ومن يضلله الله عن طريق الجنة وعن نيل الثواب عقوبة على كفره وفسقه ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾ خسروا الجنة ونعيمها وخسروا انفسهم والانتفاع بها وقيل

المهتدي هو الذي هداه الله فقبل الهداية واجاب اليها والذي أضله الله هو الذي اختار الضلالة فخلّى الله بينه وبين ما اختاره ولم يمنعه منه بالجبر عن البلخي .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَأَلٍ لَّنَعْمِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

[القراءة] قرأ حمزة يُلْحِدُونَ بفتح الياء والحاء حيث كان ووافقه الكسائي وخلف في النحل والباقون يُلْحِدُونَ بضم الياء وكسر الحاء .

[الحجة] قال أبو الحسن لحدوا لحد لغتان والحد في الكلام اكثر قال الشاعر « ليس الإمام بالشحيح الملحد » وفي القرآن ومن يرد فيه بإلحاد :

[اللغة] الذرء والإنشاء والإحداث والخلق نظائر قال علي بن عيسى الاسم كلمة تدل على المعنى دلالة الاشارة والفعل كلمة تدل على المعنى دلالة الإفادة والصفة كلمة مأخوذة للمذكور من اصل من الأصول لتجري عليه تابعة له والالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الضريح الذي يحفر في وسطه وروى ابو عبيدة عن الأحمر لحدث جزت وملت والحدث ماريت وجادلت أبو عبيدة لحدث للميت والحدث بمعنى واحد .

[الإعراب] اللام في قوله لجهنم لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون

لهم عدواً وإنما التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك ومثله قول الشاعر:

وَأُمُّ مِمَّاكَ فَلَا تَجْزَعِي فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةُ
وقول الآخر:

وَلِلْمَوْتِ تَغْذُو الْوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِي الْمَسَاكِينُ
وقول الآخر:

أَمْوَالُنَا لِذَوِي الْمِيرَاثِ نَجْمَعُهَا وَدُورُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ تُبْنِيهَا
وقول الآخر:

يَا أُمَّ وَجَرَةٍ بَعْدَ الْوَجْدِ وَأُعْتَرِفِي فَكُلُّ وَالِدَةٍ لِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ

قال علي بن عيسى هي لام الإضافة تذكر مرة على معنى العلة ومرة على معنى شبه العلة .

[المعنى] لما بين سبحانه أمر الكفار وضرب لهم الأمثال عقبه ببيان حالهم في المصير والمآل فقال ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِإِبْلِيسَ ابْنًا مِنْهُ ﴾ أي خلقنا لهم كافرين من الجن والانس يعني خلقناهم على ان عاقبتهم المصير إلى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم وبدل على هذا المعنى قوله سبحانه وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون فآخبر انه خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يكون خلقهم للنار وقوله وما ارسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا في نظائر لذلك لا تحصي والمراد الآية كل من علم الله تعالى انه لا يؤمن ويصير إلى النار ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ الحق لأنهم لا يتدبرون ادلة الله تعالى وبياناته ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ الرشد ﴿ لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ الوعظ لأنهم يعرضون عن جميع ذلك اعراض من ليست له آله الادراك وقد مر تفسيره في سورة البقرة عند قوله صم بكم عمي الآية ﴿ أُولَئِكَ كَالْإِطْمَارِ ﴾ أي هؤلاء الذين لا يتدبرون آيات الله ولا يستدلون بها على وحدانيته وصدق انبيائه اشباه الانعام والبهائم التي لا تفقه ولا تعلم ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ من البهائم فإنها اذا رُجرت انزجرت وإذا ارشدت إلى طريق اهتدت وهؤلاء لكفرهم وعتوهم لا يهتدون إلى شيء من الخيرات مع ما ركب الله فيهم من العقول الدالة على الرشاد الصارفة عن الفساد ولم يذكر بل ههنا للرجوع عن الاول ولكن للإضراب عنه مع بقائه وقيل إنما قال بل هم أضل من الانعام لأن الانعام لم تعط آلة المعرفة والتمييز فلا تلحقها المذمة وهؤلاء اعطوا آلة المعرفة والتمييز فضيعوها ولم ينتفعوا بها ولأن الانعام وان لم تكن مطيعة لم تكن عاصية

وهؤلاء عصاة فهم اسوء حالاً منها ﴿اولئك هم الغافلون﴾ عن آياتي وحججي وعن الاستدلال والاعتبار بتدبرها والتفكر فيها دون البهائم التي هي مسخرة مصرفة وقيل الغافلون عما يحل بهم في الآخرة من العذاب ﴿والله الاسماء الحسنى﴾ اخبر سبحانه ان له الاسماء الحسنى لحسن معانيها مثل الجواد والرحيم والرازق والكريم ويقال إن جميع اسمائه داخله فيه وانها كلها حسنة متضمنة لمعانٍ حسنة فمنها ما يرجع إلى صفات ذاته كالعالم والقادر والحي والإله والقديم والسميع والبصير ومنها ما هي صفات فعله كالخالق والرازق والمبدع والمحيي والمميت ومنها ما يفيد التنزيه ونفي صفات النقص عنه كالغني والواحد والقدوس ونحو ذلك وقيل المراد بالحسنى ما مالت إليه النفوس من ذكر العفو والرحمة دون السخط والنقمة ﴿فادعوه بها﴾ أي بهذه الاسماء الحسنى ودعاؤه بها أن يقال يا الله يا رحمن يا رحيم يا خالق السموات والأرض وكل اسم لله سبحانه فهو صفة مفيدة لأن اللقب لا يجوز عليه فإنه بمنزلة الإشارة إلى الحاضر وقد ورد في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحدة من احصاها دخل الجنة إنه وتريحب الوتر اورده مسلم في الصحيح ﴿وذروا الذين يلحدون في اسمائه﴾ أي دعوا الذين يعدلون باسماء الله تعالى عما هي عليه فيسمون بها اصنامهم ويغيرونها بالزيادة والنقصان فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومنات من المنان عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان معنى يلحدون في اسمائه يصفونه بما لا يليق به ويسمونه بما لا يجوز تسميته به وهذا الوجه اعم فائدة ويدخل فيه قول الجبائي اراد تسميتهم المسيح بأنه ابن الله وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز ان يسمى الله تعالى إلا بما سمي به نفسه ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ في الآخرة وقيل في الدنيا والآخرة ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق﴾ اخبر سبحانه من جملة من خلقه جماعة وعصبة يدعون الناس إلى توحيد الله تعالى وإلى دينه وهو الحق يرشدونهم إليه ﴿وبه يعدلون﴾ أي وبالحق يحكمون وروى ابن جريج عن النبي ﷺ أنه قال هي لأمتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون وقد أعطي القوم بين ايديكم مثلها ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ وقال الربيع بن أنس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم وروى العياشي بإسناده عن امير المؤمنين علي (ع) انه قال والذي نفسي بيده لتفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون فهذه التي تنجو وروى عن أبي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالان نحن هم .

[النظم] قيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان (أحدهما) أنه لما بين في

الآية المتقدمة حال قوم من الكفار يغفلون عن الحق بين في هذه الآية أن من جملة ما خلق من يهدي إلى دينه بالحق ويحكم بالعدل والآخر انه يتصل بقوله ذرأنا فكأنه قال خلقنا قوماً صفتهم كذا وكذا وقوماً صفتهم كذا.

﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

[القراءة] قرأ أهل العراق ويذَرُهُم بالياء والجزم كوفي غير عاصم والباقون ونذَرُهُم بالنون والرفع.

[الحجة] من قرأ بالنون فالتقدير وأنا نذرهم ومن قرأ بالياء رَدَّه إلى اسم الله تعالى أي وهو يذرهم ويكون مقطوعاً عن الأول على الوجهين ولم يكن جواباً ومن جزمه فإنه عطفه على موضع الفاء وما بعده من قوله فلا هادي له ومثله في الحمل على الموضع قوله فاصدق واكن لأنه لو لم يلحق الفاء لقبل لولا آخرتني أَصْدَقُ لأن معنى لولا آخرتني آخرني اصدق ومثله قول الشاعر.

أَنْتَ سَلَكَتَ فَإِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَعَلَى اتِّقَاصِكَ فِي الْحَيَاةِ وَازْدَدَ
وقول أبي داود :

فَأَبْلُونِي بِلَيْتِكُمْ لَعَلِّي أَضَالِحُكُمْ وَأَسْتَدْرِجُ نَبِيًّا^(١)

(١) النبوي : الصاحب الذي نيته نيتك .

حمل استدرج على موضع الفاء المحذوفة من قوله فلعلني اصالحكم وموضعه جزم .
 [اللغة] الاستدرج أصله من الدرجة وهو أن يؤخذ قليلاً قليلاً ولا يياغت كما يرتقي
 الراقي الدرجة فيتدرج شيئاً بعد شيء حتى يصل إلى العلو وقيل أصله من الدرج الذي يطوى فكأنه
 يطوى منزلة بعد منزلة كما يطوى الدرج ويقال درج القوم إذا مات بعضهم في أثر بعض
 والاملاء التأخير والإمهال من الملي يقال مضى عليه ملي من الدهر وملاوة من الدهر بضم
 الميم وفتحها وكسرهما أي قطعة منه واصل الاملاء الاستمرار على العمل من غير لبث من
 املت الكتاب ومنه الملاة للفلاة ذات الحر والسراب لاستطالة المكث فيه والمتين القوي
 والشديد وأصله من المتن وهو اللحم الغليظ الذي عن جانب الصلب وهما متنان والكيد
 والمكر واحد والجنة الجنون وأصله الستر والملكوت هو الملك الأعظم للمالك الذي ليس
 بمملوك .

[المعنى] لما ذكر سبحانه المؤمنين بمحمد ﷺ الهادين بالحق ذكر بعده المكذبين
 بآياته فقال ﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ التي هي القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي ﷺ
 وكفروا بها ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ إلى الهلكة حتى يقعوا فيه بغتة كما قال
 سبحانه بل تأتيهم بغتة فتبهمهم فلا يستطيعون ردها وقال فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا
 هل نحن منظرون وقيل يجوز أن يريد عذاب الآخرة أي نقرهم إليه درجة درجة إلى أن يقعوا
 فيه وقيل هو من المدرجة وهي الطريق ودرج إذا مشى سريعاً أي سنأخذهم من حيث لا
 يعلمون أي طريق سلكوا فإن الطريق كلها علي ومرجع الجميع إلي ولا يغبي غالب ولا يسبقني
 سابق ولا يفوتني هارب وقيل أنه من الدرج أي سنطويهم في الهلاك ونرفعهم عن وجه الأرض
 يقال طويت فلاناً وطويت أمر فلان إذا تركته وهجرته وقيل معناه كلما جددوا خطيئة جددنا لهم
 نعمة عن الضحاك ولا يصح قول من قال أن معناه نستدرجهم إلى الكفر والضلال لأن الآية
 وردت في الكفار وتضمنت أنه يستدرجهم في المستقبل فإن السين تختص المستقبل ولأنه
 جعل الاستدرج جزاء على كفرهم وعقوبة فلا بد من أن يريد معنى آخر غير الكفر وقوله
 ﴿وأملئ لهم﴾ معناه وامهلهم ولا اعجلهم بالعقوبة فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم
 ﴿إن كيدي متين﴾ أي عذابي قوي منيع لا يمنعه مانع ولا يدفعه دافع وسماه كيداً لنزوله بهم
 من حيث لا يشعرون وقيل أراد أن جزاء كيدهم متين والقول هو الأول ﴿أو لم يفكروا ما
 بصاحبهم من جنة﴾ معناه أو لم يفكروا هؤلاء الكفار المكذبون بمحمد ﷺ وبنبوته في

أقواله وأفعاله فيعلموا أنه ﷺ ليس بمجنون إذ ليس في أقواله وأفعاله ما يدل على الجنون وتم الكلام عند قوله أو لم يتفكروا ثم ابتداء فقال ما بصاحبهم من جنة أي ليس به جنون وذلك أن رسول الله ﷺ صعد الصفا وكان يدعو قريشاً فخذاً فخذاً إلى توحيد الله ويخوفهم عذاب الله فقال المشركون إن صاحبهم قد جن بات ليلاً يصوت إلى الصباح فأنزل الله هذه الآية عن الحسن وقتادة ﴿إن هو إلا نذير مبين﴾ أي ما هو إلا معلم موضع المخافة ليتقي ولموضع الأمن ليحتبى ومعنى مبين بين أمره وقيل مبين لهم عن الله أمره فيهم ثم قال ﴿أولم ينظروا﴾ معناه أو لم يتفكروا ﴿في ملكوت السماوات والأرض﴾ وعجيب صنعهما فينظروا فيها نظر المستدل المعترف فيعترفوا بأن لهما خالقاً مالِكاً ويستدلوا بذلك عليه ﴿وما خلق الله من شيء﴾ أي وينظروا فيما خلق الله من اصناف خلقه فيعلموا بذلك أنه سبحانه خالق جميع الاجسام فإن في كل شيء خلق الله عز وجل دلالة واضحة على اثباته وتوحيده ﴿وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ أي أو لم يتفكروا وينظروا في أن عسى أن يكون قد قرب أجلهم وهو أجل موتهم فيدعوهم ذلك إلى أن يحتاطوا لدينهم ولأنفسهم مما يصيرون إليه بعد الموت من أمور الآخرة ويزهدوا في الدنيا وفيما يطلبونه من فخرها وشرفها وعزها ومعناه لعل أجلهم قريب وهم لا يعلمون ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ مع وضوح الدلالة على أنه كلام الله المعجز إذ لم يقدر أحد منهم أن يأتي بسورة مثله وسماء حديثاً لأنه محدث غير قديم ﴿من يضل الله فلا هادي له﴾ قد ذكرنا معناه ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ معناه وتركهم في ضلالتهم يتحирون والعمه في القلب كالعمى في العين.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا
عَلَيْهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾﴾

[اللغة] أيان معناه متى وهو سؤال عن الزمان على وجه الظرف للفعل قال الشعر.

أَيَّانَ تَقْضِي حَاجَتِي أَيَّانَا أَمَا تَرَى لِنُجْجِهَا أَيَّانَا^(١)

والساعة ههنا الساعة التي يموت فيها الخلق والارساء الأثبات ومرسيها مثبتها ورسا الشيء يرسو فهو راس إذا ثبت وارساه غيره والحفي المستقصي في السؤال واحفى فلان بفلان في المسئلة إذا أكثر عليه وألح قال الأعشى .

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَأْرَبْ سَائِلٍ حَفِي عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا^(٢)
ومنه أحفى شاربه إذا استقصى أخذه وحفيت الدابة تحفى حفى مقصوراً إذا كثر عليها ألم المشي والحفاء ممدوداً المشي بغير نعل .

[الإعراب] الكاف في يسئلونك المفعول الأول وعن الساعة في موضع المفعول الثاني وإيان مرساها يتعلق بمدلول السؤال والتقدير قائلين إيان مرساها . مرساها في موضع رفع بالابتداء وإيان خبره وبغثة مصدر في موضع الحال من الضمير في تأتيكم .

[النزول] قيل جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمد أخبرنا عن الساعة متى هي ان كنت نبياً فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل قالت قریش يا محمد متى الساعة فنزلت الآية عن قتادة والحسن .

[المعنى] لما تقدم الوعيد بالساعة سألوا عن وقتها فقال تعالى ﴿يسألونك﴾ يا محمد ﴿عن الساعة﴾ وهي الساعة التي يموت فيها الخلق عن الزجاج وقيل هي القيامة وهو وقت قيام الناس في الحشر عن أكثر المفسرين وقيل هو وقت فناء الخلق عن الجبائي ﴿إيان مرساها﴾ أي متى وقوعها وكونها عن الزجاج وقيل مرساها منتهاها عن ابن عباس وقبل قيامها عن قتادة والسدي ﴿قل﴾ يا محمد ﴿إنما علمها عند ربي﴾ أي إنما علم وقت قيامها ومجيئها عند الله تعالى لم يطلع عليه أحد من خلقه وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد على حذر منه فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة وازجر عن المعصية ﴿لا يعجلها لوقتها إلا هو﴾ أي لا يظهرها ولا يكشف عن علمها ولا يبين وقتها إلا هو فلا يعلم أحد سواه متى يكون قبل وقتها وقيل معناه لا يأتي بها إلا هو عن مجاهد ﴿ثقلت في السماوات والأرض﴾ ذكر فيه وجوه (أحدها) ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن من خفي عليه علم شيء كان

(٢) قوله به أي بذلك الموضع

(١) الأيان : الوقت .

ثقيلاً عليه عن السدي وغيره قال أبو علي الفارسي اصل هذا قولهم احطت به علماً أي ذل لي
فصرت لعلمي به غالباً عليه فحُفَّ علي ولم يثقل كما يثقل ما لا تعلمه عليك (وثانيها) ان
معناه عظمت على أهل السماوات والأرض صفتها لما يكون فيها من انتشار النجوم وتكوير
الشمس وتسيير الجبال وغير ذلك عن الحسن وابن جريج (وثالثها) ثقل وقوعها على أهل
السماوات والأرض لعظمها وشدتها ولما فيها من المحاسبة والمجازاة عن الجبائي وأبي
مسلم وجماعة (ورابعها) أن المراد نفس السماوات والأرض أي لا تطيق السماوات والأرض
حملها لعظمها وشدتها عن قتادة والمعنى انها لو كانت احياء لثقل عليها تلك الأحوال من
انفطار السماوات وانكدار النجوم وتسيير الجبال وغيرها ﴿لَا تَأْتِيَكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي فجأة لتكون
اعظم واهول ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ معناه يسألونك عنها كأنك حفي بها أي عالم بها
قد اكثرت المسألة عنها عن مجاهد والضحاك واصله من احفيت في السؤال عن الشيء حتى
علمته أي استقصيت فيه وروي عن ابن عباس أنه قرأ كأنك حفي بها فعلى هذا يكون الجار
والمجرور الذي هو عنها محذوفاً لدلالة الحال عليها كما يكون في التقدير الأول يكون الجار
والمجرور الذي هو بها محذوفاً للدلالة عليها أيضاً ألا ترى انه إذا كان حفياً بها فلا بد أن
يسأل عنها كما أنه إذا سأل عنها فليس ذلك إلا للحفاوة بها وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون
تقديره يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بار بهم فرح بسؤالهم والحفاوة في المسألة هي
البشاشة بالمسؤول عنه وقيل معناه كأنك معني بالسؤال عنها فسألت عنها حتى علمتها وعلى
هذا فإن السؤال يوصل بعن فلما وضع قوله حفي موضع السؤال وصله بعن وتقديره كأنك
حفي بالمسألة عنها أو تسأل عنها فتعلمها ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا يعلمها
الا هو وإنما اعاد سبحانه هذا القول لأنه وصله بقوله ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقيل
اراد بالاول علم وقت قيامها وبالثاني علم كقيمتها وهيأتها وتفصيل ما فيها عن الجبائي قال
وهذا يدل على بطلان قول الرافضة أن الأئمة منصوص عليهم باعيانهم إمام بعد إمام إلى يوم
القيامة لأنه لو كان كذلك لوجب ان يعلم آخر الأئمة أن القيامة تقوم بعده وذلك خلاف قوله
قل إنما علمها عند الله وهذا ضعيف لأنه غير ممتنع ان يعلم آخر الأئمة أنه لا إمام بعده وإن
لم يعلم وقت قيام الساعة لأنه لا يعلم وقت وفاته بعينه هذا إذا قيل إن الساعة وقت فناء
الخلق أو موتهم وإذا قيل إن الساعة عبارة عن وقت الحشر فقد زالت الشبهة لأنه إذا علم انه
يفني الخلق بعده لا يجب ان يعلم متى يحشر الخلق على أنه قد وردت الرواية ان التكليف
يزول عند موت آخر الأئمة لظهور اشراط الساعة وامارات قيامها نحو طلوع الشمس من

مغربها وخروج الدابة وغير ذلك ومع هذا فيجوز أن لا يعلم وقت قيام الساعة .

﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

[النزول] قيل إن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتريه فتربح فيه وبالأرض التي تريد أن تجذب فنرتحل منها إلى أرض قد أخصبت فأنزل الله هذه الآية .

[المعنى] ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ﴾ أن يملكني إياه فأملكه بتمليكه إياي ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ وما هنا محذوف آخر وهو قوله ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ إلا ما شاء الله أن يعلمنيه ولو كنت أعلم الغيب لادخرت من السنة المخصصة للسنة المجدية ولأشتريت وقت الرخص لأيام الغلاء وقيل معناه لاستكثرت من الأعمال الصالحة قبل إقتراب الأجل ولم أشتغل بغيرها ولا اخترت الأفضل فالأفضل عن مجاهد وابن جريج وقيل معناه لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لاستكثرت من الخير أي لأجبت في كل ما أسأل عنه من الغيب في أمر الساعة وغيرها عن الزجاج ﴿ وما مسني سوء ﴾ أي وما أصابني الضر والفقر وقيل معناه وما بي جنون كما تزعمون فيكون ابتداء وقيل معناه وما مسني التكذيب منكم لأنني إذا كنت عالماً بكل شيء أجبت عن كل ما أسأل عنه فتصدقوني ولا تكذبوني وقيل معناه وما مسني سوء من جهة الأعداء لأنني كنت أعلم ذلك فاتحرز منه ﴿ إن أنا إلا نذير ﴾ مخوف بالعذاب ﴿ وبشير ﴾ مبشر بالثواب ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك كقوله ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر ﴾ وإن كان ينذر غيرهم أيضاً وفي قوله ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ دلالة على فساد مذهب المجبرة لأن الأفعال كلها لو كانت مخلوقة لله لما صح الاستثناء منها لأن أحداً لا يملك عندهم شيئاً وفي قوله ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ﴾ دلالة على أن القدرة قبل الفعل لأنها لو كانت مع الفعل لما أمكنه الاستكثار من الخير إذا علم الغيب .

[النظم] وجه إتصال الآية بما قبلها أنه لما تقدّم إجابة القوم بأنه لا يعلم الغيب عقبه بأن علم الغيب يختص به المالك للنفع والضر وهو الله سبحانه عن أبي مسلم وقيل إن الآية في معنى جواب سؤالهم أيضاً فكأنه قال إذا أنا لا أملك أن أسوق إلى نفسي نفعاً ولا أن أدفع عنها ضرراً فكيف أعلم الغيب .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً
فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ
فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ
شَيْئاً وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ
يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ
عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَلِمْتُونَ ﴿١٩٣﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة وأبو بكر شركاً بكسر الشين والتنوين على المصدر لا على الجمع وهو قراءة الأعرج وعكرمة والباقون شركاء بضم الشين والمد على الجمع وروي في الشواذ قراءة يحيى بن يعمر فمرت به خفيفة وقرأ نافع لا يتبعوكم وفي الشعراء يتبعهم بالتخفيف والباقون يتبعوكم بالتشديد .

[الحجة] من قرأ شركاً فإنه حذف المضاف وتقديره جعلاً له ذا شرك أو ذوي شرك فالقراءتان على هذا يؤلان إلى معنى واحد فإن معنى جعلاً له شركاء جعلاً له ذوي شرك والضمير في له يعود إلى اسم الله ومن قرأ فمرت به خفيفة فإنه ينبغي أن يكون أصله التشديد كقراءة الجماعة إلا أنه حذفه تخفيفاً لثقل التضعيف قالوا مَسْتُ بده أي مسستها وقال أبو زيد :

خَلَا إِنَّ الْعِثَاقَ مِنَ الْمَطَايَا أَحْسَنَ بِهِ فَهَنَّ إِلَيْهِ شُوسٌ^(١)

أي احسن به وقيل أنه من المرية أي شكت أحملت أم لا وعن الحسن شكت إغلام أم جارية وروي أن عبد الله بن عمر قرأ فمارت به وهو من قولهم مار يَمُور إذا ذهب وجاء وقرأ ابن عباس فاستمرت به ومعناه مرت به مكلفة نفسها ذلك لأن استفعل يأتي في أكثر الأمر بمعنى الطلب ومن قرأ لا يتبعوكم فإنه في المعنى مثل القراءة الأخرى قال أبو زيد رأيت القوم فاتبعتهم إتباعاً أي ذهبت معهم واتبعتهم إتباعاً ذا سبقوك فاسرعت نحوهم وتبعتهم مثل اتبعتهم في المعنى إتبعهم تبعاً .

[المعنى] لَمَّا تَقَدَّمَ ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ذَكَرَ عَقِيهِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فَقَالَ ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ وَالْخَطَابُ ﴿ لِبَنِي آدَمَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ يَعْنِي آدَمَ (ع) ﴿ وَجَعَلَ ﴾ أَي وَخَلَقَ ﴿ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ يَعْنِي حَوَاءَ ﴿ لِيَسْكُنَ ﴾ آدَمَ ﴿ إِلَيْهَا ﴾ وَيَأْنَسَ بِهَا ﴿ فَلَمَّا يَغْشَاهَا ﴾ أَي فَلَمَّا أَصَابَهَا كَمَا يَصِيبُ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ يَعْنِي وَطْأَهَا وَجَامَعَهَا ﴿ حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيفاً ﴾ وَهُوَ الْمَاءُ الَّذِي حَصَلَ فِي رَحِمِهَا وَكَانَ خَفِيفاً ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ أَي اسْتَمَرَّتْ بِالحَمَلِ عَلَى الْخَفَةِ تَقُومُ وَتَقْعُدُ وَتَجِيءُ وَتَذْهَبُ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ لَمْ يَمْنَعَهَا ذَلِكَ الْحَمْلُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّصَرُّفِ ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ أَي صَارَتْ ذَاتَ ثَقَلٍ كَمَا يُقَالُ أَثْقَرَتِ الشَّجَرَةُ صَارَتْ ذَاتَ ثَمَرٍ وَقِيلَ مَعْنَاهُ دَخَلَتْ فِي الثَّقَلِ كَمَا يُقَالُ أَصَافَ دَخَلَ فِي الصَّيْفِ وَأَشْتَى دَخَلَ فِي الشِّتَاءِ الْمَعْنَى لَمَّا كَبُرَ الْحَمْلُ فِي بَطْنِهَا وَتَحَرَّكَ وَصَارَتْ ثَقِيلَةً بِهِ ﴿ دَعَا اللهُ رَبَّهُمَا ﴾ يَعْنِي آدَمَ وَحَوَاءَ سَأَلَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَ كِبَرِ الْوَلَدِ فِي بَطْنِهَا ﴿ لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً ﴾ أَي أَعْطَيْتَنَا وَلِداً صَالِحاً عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ وَقِيلَ نَسْلاً صَالِحاً أَي مَعَاْفَى سَلِيماً صَاحِحَ الْخَلْقَةِ عَنِ الْجَبَائِي وَقِيلَ بَشِراً سَوِيّاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقِيلَ غَلاماً ذَكَراً عَنِ الْحَسَنِ ﴿ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ لَنَعْمَتِكَ عَلَيْنَا قَالَ الْجَبَائِي وَإِنَّمَا قَالَا ذَلِكَ لِأَنَّهُمَا أَرَادَا أَنْ يَكُونَ لَهُمَا أَوْلَادٌ يُؤْنِسُونَهُمَا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَا فِيهِ لِأَنَّهُمَا كَانَا فَرْدَيْنِ مُسْتَوْحِشَيْنِ وَكَانَ إِذَا غَاب أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ بَقِيَ الْآخَرُ مُسْتَوْحِشاً بِلَا مُؤْنَسٍ وَيَحْتَمِلُ أَيْضاً أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ صَالِحاً مَطِيعاً فَاعِلاً لِلْخَيْرِ مُصْلِحاً غَيْرَ مُفْسِدٍ ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا اللهُ ﴾ صَالِحاً ﴿ كَمَا إِنْ تَمَسَّاهُ ﴾ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴿ اِخْتَلَفَ فِي مَنْ يَرْجِعُ

(١) العتاق - ككتاب - النجيات من الإبل . والمطايا جمع مطبة . الدابة السريعة . والشوس كقفل جمع شوساء مؤنث أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .

الضمير الذي في جعلاً إليه على وجوه (أحدها) أنه يرجع إلى النسل الصالح أي المعافى في الخلق والبدن لا في الدين وإنما ثنى لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى يعني أن هذا النسل الذين هم ذكر وأنثى جعلاً له شركاء فيما أعطاهما من النعمة فأضافاً تلك النعم إلى الذين اتخذوهم آلهة مع الله تعالى من الأصنام والأوثان عن الجبائي - (وثانيها) - أنه يرجع إلى النفس وزوجها من ولد آدم لا إلى آدم وحواء عن الحسن وقتادة وهو قول الأصم قال ويكون المعنى في قوله ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ خلق كل واحد منكم من نفس واحدة ولكل نفس زوج هو منها أي من جنسها كما قال سبحانه ومن آياته ﴿إن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها فلما تغشى﴾ كل نفس زوجها ﴿حملت حملاً خفيفاً﴾ وهو ماء الفحل ﴿فلما أثقلت﴾ بمصير ذلك الماء لحماً ودماً وعظماً ﴿دعا الرجل والمرأة ربهما لئن آتيتنا صالحاً﴾ أي ذكراً سوياً ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ وكانت عادتهم أن يثدوا البنات^(١) فلما آتاها يعني الأب والأم صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها لأنهم كانوا يسمون عبد العزى وعبد اللات وعبد منات ثم رجعت الكناية إلى جميعهم في قوله ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ فالكناية في جميع ذلك غير متعلقة بآدم وحواء ولو كانت متعلقة بهما لقال عما يشركان وقال أبو مسلم تقدير الآية هو الذي خلقكم والخطاب لجميع الخلق من نفس واحدة يعني آدم وجعل من ذلك النفس زوجها وهي حواء ثم إنقضى حديث آدم وحواء وخص بالذكر المشركين من أولاد آدم الذين سألوا ما سألوا وجعلوا له شركاء فيما آتاها قال ويجوز أن يذكر العموم ثم يخص البعض بالذكر ومثله كثير في الكلام قال تعالى ﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر﴾ حتى إذا كنتم في الفلك ﴿وجرين بهم بريح طيبة﴾ فخطب الجماعة بالتسيير ثم خص ركب البحر بالذكر وكذلك هذه الآية أخبرت عن جملة البشر بأنهم مخلوقون من آدم وحواء ثم عاد الذكر إلى الذي سأل الله تعالى ما سأل فلما أعطاه إياه إدعى له شركاء في عطيته قال وجائز أن يكون عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً إذا كان كل واحد من بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها وذكر قريباً من قول الأصم قال وقد يجيء مثله في التنزيل وغيره قال سبحانه ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم﴾ والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم (وثالثها) إن الضمير يرجع إلى آدم وحواء عليهما السلام ويكون التقدير في قوله ﴿جعلاً له

(١) وأد البت : دفنها في التراب وهي حبة .

شركاء ﴿ جعل أولادهما له شركاء فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فصار جعلاً وهذا مثل قوله سبحانه ﴿ إتخذتم العجل ﴾ ﴿ وإذا قتلتم نفساً ﴾ والتقدير وإذا قتل أسلافكم نفساً واتخذ أسلافكم العجل فحذف المضاف وعلى هذا الوجه تكون الكناية من أول الكلام إلى آخره راجعة إلى آدم وحواء ويقويه قوله سبحانه ﴿ فتعالى الله عما يشركون ﴾ (ورابعها) ما روت العامة أنه يرجع إلى آدم وحواء وأنهما جعلاً لله شريكاً في التسمية وذلك أنهما أقاما زماناً لا يولد لهما فمر بهما إبليس ولم يعرفاه فشكوا إليه فقال لهما إن أصلحت حالكما حتى يولد لكما ولد أتسميانه باسمي قالا نعم وما أسمك قال الحرث فولد لهم فسمياه عبد الحرث ذكره ابن فضال وقيل إن حواء حملت أول ما حملت فأناها إبليس في غير صورته فقال لها يا حواء ما يؤمنك أن تكون في بطنك بهيمة فقالت لآدم لقد أتاني آت فأخبرني أن الذي في بطني بهيمة وإني لأجد له ثقلاً فلم يزالا في هم من ذلك ثم أنهاها فقال إن سألت الله أن يجعله خلقاً سواً مثلك ويسهل عليك خروجه أتسميه عبد الحرث ولم يزل بها حتى غرّها فسمته عبد الحرث برضاء آدم وكان اسم إبليس عند الملائكة الحارث وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فإن البراهين الساطعة التي لا يصح فيها الاحتمال ولا يتطرق إليها المجاز والاتساع قد دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي وطاعة الشيطان فلو لم نعلم تأويل الآية لعلمنا على الجملة أن لها وجهاً يطابق دلالة العقل فكيف وقد ذكرنا الوجوه الصحيحة الواضحة في ذلك على أن الرواية الواردة في ذلك قد طعن العلماء في سندها بما هو مذكور في مواضعه ولا نحتاج إلى إثباته فإن الآية تقتضي أنهم أشركوا الأصنام التي تخلق ولا تخلق لقوله ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾ وفي خبرهم أنهم أشركوا إبليس اللعين فيما ولد لهما بأن سمّوه عبد الحرث وليس في ظاهر الآية لإبليس ذكر وحكى البلخي عن جماعة من العلماء أنهم قالوا لو صح الخبر لم يكن في ذلك إلا إشراكاً في التسمية وليس ذلك بكفر ولا معصية واختاره الطبري وروى العياشي في تفسيره عنهم (ع) أنه كان شركهما شرك طاعة ولم يكن شرك عبادة وقوله ﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ﴾ توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى جماداً لا يخلق شيئاً من الأجسام ولا ما يستحق به العبادة وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم وإن خرج الكلام مخرج الاستفهام ولفظة ما إنما تستعمل فيما لا يعقل فدل ذلك على أن المراد بقوله جعلاً له شركاء أنهم أشركوا الأصنام مع الله تعالى لا ما ذكروه من إشراك إبليس وإنما قال وهم يخلقون على لفظ العقلاء وإن كانت الأصنام جماداً لأنه أراد به الأصنام

والعابدين لها جميعاً فغلب ما يعقل على ما لا يعقل ويجوز أن يكون على أنهم يعظمونها تعظيم من يعقل ويصوّرونها على صورة من يعقل فكُنِيَ عنهم كما يَكُنَى عن العقلاء كَقَوْلِهِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتَهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٩٤﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٥﴾ أَيِ وَيَشْرَكُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ نَصْرَ عَابِدِيهِ وَلَا نَصْرَ نَفْسِهِ بِأَنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ مَنْ أَرَادَ بِهِ الضَّرَّ وَمَنْ هَذِهِ صُورَتُهُ فَهُوَ فِي غَايَةِ الْعِجْزِ فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا مَعْبُودًا ﴿١٩٦﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴿١٩٧﴾ قِيلَ مَعْنَاهُ وَإِنْ دَعَوْتُمُ الْأَصْنَامَ الَّتِي عَبْدُوهَا إِلَى الْهُدَى فَإِنَّهَا لَا تَقْبَلُ الْهُدَى عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْجَبَائِي بَِيِّنَ بِذَلِكَ ضَعْفَ أَمْرِهَا بِأَنَّهَا لَا تَهْدِي غَيْرَهَا وَلَا تَهْتَدِي بِأَنْفُسِهَا وَإِنْ دَعَيْتَ إِلَى الْهُدَى وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِنْ دَعَوْتُمُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ إِلَى دِينِ الْحَقِّ لَمْ يُؤْمِنُوا وَهُوَ نَظِيرُ قَوْلِهِ ﴿١٩٨﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩٩﴾ عَنِ الْحَسَنِ ﴿٢٠٠﴾ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿٢٠١﴾ أَيِ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ دَعَاؤُهُمْ وَالسَّكُوتُ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا قَالَ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ وَلَمْ يَقُلْ أَمْ صَمْتُمْ فَيَكُونُ فِي مَقَابِلِ ادْعَوْتُمُوهُمْ لِيُفِيدَ الْمَاضِي وَالْحَالُ فَإِنَّ الْمَقَابِلَةَ كَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الْمَاضِي فَحَسَبَ وَصُورَةَ اللَّفْظِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْحَالِ وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

سَوَاءٌ عَلَيْكَ الْفَقْرُ أَمْ بِتَ لَيْلُهُ ^{فَرَكْتُهُ تَكْوِينُ عَلَوِيٍّ} بِأَهْلِ الْقُبَابِ مِنْ نَمِيرِ بْنِ غَامِرٍ

﴿٢٠٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠٣﴾ أَهْمُ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿٢٠٤﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وحده يبطشون ههنا وفي القصص والدخان بضم الطاء والباقون بكسرهما وقرأ هشام ويعقوب كيدوني بياء في الوقف والوصل ووافقهما أبو جعفر وأبو

عمرو واسماعيل في الوصل والباقون بغير ياء في الحاليين وقرأ تنظروني بالياء في الحاليين يعقوب .

[الحجة] بطش يبطش ويبطش والكسر أفصح وقال أبو علي الفواصل من الكلام التام تجري مجرى القوافي لاجتماعهما في أن الفاصلة آخر الآية كما أن القافية آخر البيت وقد ألزموا في القوافي حذف هذه الآيات قال الأعشي :

فَهَلْ يَمْنَعُنِي إِرْتِيَادُ الْبِلَادِ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنِي^(١)

والياء التي هي لام كذلك نحو قوله :

يَلْمَسُ الْأَخْلَامَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ^(٢)

ومن أثبت فلان الأصل الإثبات .

[المعنى] ثم أتم سبحانه الحجة على المشركين بقوله ﴿ إن الذين تدعون من دون الله ﴾ يعني الأصنام يريد تدعونهم إلهة ﴿ عباد أمثالكم ﴾ أي مخلوقة أمثالكم عن الحسن وقيل مملوكون أمثالكم عن الكلبي وقيل أمثالكم في التسخير أي أنهم مسخرون مذلّلون لأمر الله عن الأخفش ولما كانت الأصنام غير ممتعة مما يريد الله بها كانت في معنى العباد فإن التعبيد التذليل وطريق معبد موطؤ مسلك ومنه قوله ﴿ وتلك نعمة تمنّٰها عليّ إن عبّدت بني إسرائيل ﴾ أي ذلّلتهم واستخدمتهم ضروباً من الخدمة ﴿ فادعوهم ﴾ هذا الدعاء ليس الدعاء الأول والمراد به فادعوهم في مهماتكم ولكشف الأسواء عنكم ﴿ فليستجيبوا لكم ﴾ هذه لام الأمر على معنى التعجيز والتهجين كما قال هاتوا برهانكم ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ قال ابن عباس معناه فاعبدوهم هل يثبونكم أو يجاوزونكم إن كنتم صادقين إن لكم عندها منفعة وثواباً أو شفاعاة ونصرة ثم فضل سبحانه بني آدم عليهم فقال ﴿ ألهم أرجل يمشون بها ﴾ أي لهؤلاء الأصنام أرجل يمشون بها في مصالحكم ﴿ أم لهم أيد يبطشون بها ﴾ أي يأخذون بها في الدفع عنكم ومعنى البطش التناول والأخذ بشدة ﴿ أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم أذان يسمعون بها ﴾ أي ليس لهم هذه الحواس ولكم هذه الحواس فأنتم أفضل منهم فلو دعوتهم وعبدتم من له الحياة ومنافعها للزمكم الدم واللوم بذلك لأنها مخلوقة مربوبة فكيف تعبدون

(١) الارتداد : طلب الشيء . (٢) قبل أن عادة اليهود أن يلبسوا حلساً حين يصلون كالرداء يجعلونه على أكتافهم .

من أنتم أفضل منه ثم زاد سبحانه في تهجينهم فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ادعوا شركاءكم ﴾ أي هذه الأوثان التي تزعمون أنها آلهة وتشركونها في أموالكم وتجعلون لها حظاً من المواشي وغيرها وتوجهون عبادتكم إليها إشراكاً بالله لها ﴿ ثم كيدوني ﴾ بأجمعكم ﴿ ولا تنظرون ﴾ أي لا تؤخروني ومعناه أن معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فإن قدرتم على ضرر فاجتمعوا أنتم مع أصنامكم وتظاهروا على كيدي ولا تمهلوني في الكيد والاضرار فإن معبودي يدفع كيدكم عني .

﴿ إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ

الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ

مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (١٩٧) وَإِنْ

تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ

وَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴾ (١٩٨)

[المعنى] ثم بين سبحانه بعد أن ناصر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وحافظه فأمره أن يقول للمشركين ﴿ إن وليي ﴾ أي ناصري وحافظي ودافع شركم عني ﴿ الله الذي نزل الكتاب ﴾ أي القرآن يؤيدني بنصره كما أنزله علي ﴿ وهو يتولى الصالحين ﴾ أي ينصر المطيعين له المجتنبين معاصيه تارة بالدفع عنهم وأخرى بالحجة ﴿ والذين تدعون من دونه آلهة لا يستطيعون نصركم ﴾ أي لا يقدر على أن ينصروكم ولا أن يدفعوا عنكم ﴿ ولا أنفسهم ينصرون ﴾ كرر هذا لأن ما تقدم فإنه على وجه التقرير والتوبيخ وما ذكره هنا فإنه على وجه الفرق بين صفة من يجوز له العبادة وصفة من لا يجوز له العبادة فكأنه قال أن من أعبده ينصرني ومن تعبدونه لا يقدر على نصركم ولا على نصر نفسه ﴿ وإن تدعوهم ﴾ يعني إن دعوتهم هؤلاء الذين تعبدونهم من الأصنام ﴿ إلى الهدى ﴾ أي إلى الرشد والمنافع عن الجبائي والفراء وقيل معناه وإن دعوتهم المشركين إلى الدين عن الحسن ﴿ لا يسمعون ﴾ أي لا يسمعون دعاءكم ﴿ وتراهم ﴾ فاتحة أعينهم نحوكم على ما صورتموهم عليه من الصور

وقال الجبائي جعل الله إنفتاح عيونهم في مقابلتهم نظراً منهم إليهم مجازاً لأن النظر تقلب الحدة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته وذلك لا يتأتى في الجماد ويقال تناظر الحائطان إذا تقابلا وقيل معناه لا يقبلوا ومنه سمع الله لمن حمده ﴿ وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾ الحجة يعني مشركي العرب عن الحسن ومجاهد والسدي .

﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (١٩٩) وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

[اللغة] قد مر ما قيل في العفو عند قوله ﴿ قل العفو ﴾ في سورة البقرة والعرف ضد النكر ومثله المعروف والعارفة وهو كل خصلة حميدة تعرف صوابها العقول وتطمئن إليها النفوس قال الشاعر « لا يذهب العرف بين الله والناس » والنزغ الإزعاج بالإغراء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب وأصله الإزعاج بالحركة نزغة ينزغه نزغاً وقيل النزغ الفساد ومنه نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد قال الزجاج النزغ أدنى حركة تكون ومن الشيطان أدنى وسوسة .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

[المعنى] لما أمر الله سبحانه نبيه (ﷺ) بالدعاء إليه وتبليغ رسالته علمه محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق والخصال فقال ﴿ خذ العفو ﴾ أي خذ يا محمد ما عفا من أموال الناس أي ما فضل من النفقة وكان رسول الله (ﷺ) يأخذ الفضل من أموالهم ليس فيها شيء موقت ثم نزلت آية الزكاة فصار منسوخاً بها فإن هذه السورة مكية عن ابن عباس والسدي والضحاك وقيل معناه خذ العفو من أخلاق الناس وأقبل الميسور منها عن مجاهد والحسن ومعناه أنه أمره بالتساهل وترك الاستقصاء في القضاء والاقتضاء وهذا يكون في الحقوق الواجبة لله وللناس وفي غيرها وهو في معنى الخبر المرفوع أحب الله عبداً سمحاً باتعاً ومشترياً قاضياً ومقتضياً وقيل هو العفو في قبول العذر من المعتذر وترك المؤاخذه بالإساءة وروي أنه لما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل عن ذلك فقال لا أدري حتى أسأل العالم ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك ﴿ وأمر بالعرف ﴾ يعني بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل فعله أو في الشرع ولم يكن منكراً ولا قبيحاً عند العقلاء وقيل بكل خصلة

حميدة ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ معناه واعرض عنهم عند قيام الحجة عليهم والإياس من قبولهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك فإن مجاوبة السفه تضع عن القدر ولا يقال هذه الآية منسوخة بآية القتال لأنها عامة خصّ عنها الكافر الذي يحب قتله بدليل . قال ابن زيد لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله ﴿ وأما ينزغنك من الشيطان نزغ ﴾ ومعناه يا محمد إن نالك من الشيطان وسوسة ونخسة في القلب بما يسؤل للإنسان معناه إن عرض لك من الشيطان عارض عن ابن عباس وقيل معناه وإن منعك الشيطان عن شيء مما أمرتك من هذه الأشياء ﴿ فاستعذ بالله ﴾ أي سل الله عز اسمه أن يعيذك منه ﴿ أنه سميع ﴾ للمسموعات ﴿ عليم ﴾ بالخفيات وقيل سميع لدعائك عليم بما عرض لك وقيل أن النزغ أول الوسوسة والمس لا يكون إلا بعد التمكن ولذلك فصل الله سبحانه بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإما ينزغنك وقال للناس إذا مسهم طائف من الشيطان

﴿ إِنَّ الَّذِي تَتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿ ٢٠٢ ﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِعَاقِبَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢٠٣ ﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة وابن كثير والكسائي طيف بغير ألف وهو ألف وهو قراءة النخعي والأسود بن زيد وقرأ الباقر طائف بالالف وقرأ أهل المدينة يُمدُّونهم بضم الياء وكسر الميم والباقر بفتح الياء وضم الميم وفي الشواذ عن الجحدري يمدونهم وعن عيسى بن عمر يقصرون بفتح الياء وضم الصاد .

[الحجة] الطيف مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً إذا ألمَّ به في المنام فمعناه إذا مسهم خطرة من الشيطان ويكون الطائف بمعناه فطيف كالخطرة وطائف كالمخاطر والبطيف

أكثر قال :

أَلَا يَا لَقَوْمِي لَطِيفُ الْخِيَا لِرَ أَرْقُ مِنْ نَازِحٍ ذِي دَلَالٍ^(١)
وقال الأعشى :

وَتَضْبِیحُ عَنْ غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا أَلَمَ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ^(٢)

وقال أبو علي عامة ما جاء في التنزيل فيما يحمد ويستحب أمددت على أفعلت كقوله إنما نمدهم به من مال وبينين وامددناهم بفاكهة وأتمدوني بمال وما كان بخلافه على مددت قال ونمدهم في طغيانهم فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء كما ذهب إليه الأكثر والوجه في قراءة من قرأ يمدونهم أنه مثل فبشرهم بعذاب أليم فسنيسره للعسرى والله أعلم ويمادونهم يفاعلونهم منه أي يعاونونهم وقصر يقصر لغة في أقصر يقصر ويقال أقصر عنه إذا تركه عن قدرة وقصر عنه إذا ضعف عنه .

[اللغة] الممسوس الذي به مس جن والممسوس من المياه ما نالته الأيدي والاجتباء افتعال من الجباية ونظيره الاصطفاء وهو استخلاص الشيء للنفس قال علي بن عيسى أصله الاستخراج ومنه الجباية الخراج وقيل أصله الجمع من جبيت الماء في الحوض والحوض جابية لجمعها الماء قال الفراء اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته إذا افتعلته من قبل نفسك قال أبو عبيدة واخترعته مثل ذلك قال أبو زيد هذه الحروف تقولها العرب للكلام يبتدؤه الرجل لم يكن أعدّه قبل ذلك في نفسه والبصائر البراهين والحجج جمع بصيرة والبصائر أيضاً طرائق الدم قال الأشعر الجعفي :

رَاحُوا بِضَائِرُهُمْ عَلَى اكْتِافِهِمْ وَبَصِيرَتِي يَغْدُو بِهَا عَتْدُ وَأَي^(٣)

أو البصيرة الترس وجمعها بصائر قال الزجاج وجميع هذا معناه ظهور الشيء وتبينه .

[الإعراب] إذا الأولى ظرف زمان ويكون لها جواب بمنزلة الجزاء وإذا الثانية ظرف مكان بمعنى المفاجأة كقولك خرجت فإذا زيد .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه طريقة المتقين إذا عرضت لهم وساوس الشياطين فقال

(٣) مضى البيت في صفحة ٥٣٤

(٢) الأولق : الجنون .

(١) أرقه : أسهره . والنازح : البعيد

﴿ إن الذين اتقوا ﴾ الله باجتناب معاصيه ﴿ إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ﴾ قيل معناه إذا وسوس إليهم الشيطان وأغراهم بمعصيته تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه وهو معنى قول ابن عباس والسدي وقال الحسن يعني إذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه وقال سعيد بن جبیر هو الرجل الذي يغضب الغضبة فيتذكر فيكظم غيظه وبه قال مجاهد وروي عنه أيضاً أنه قال هو الرجل يهّم بالذنب فيذكر الله فيتركه وقيل طائف غضب وطيف جنون وقيل معناه واحد ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ للرشد ﴿ وإخوانهم يمدونهم في الغي ﴾ معناه وإخوان المشركين من شياطين الجن والإنس يمدونهم في الضلال والمعاصي أي يزيدونهم فيه ويزينون لهم ما هم فيه ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ ثم لا يكفون يعني الشيطان عن استغوائهم ولا يرحمونهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه وإخوان الشياطين من الكفار يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصر هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتقوا عن ابن عباس والسدي والجبائي وقيل معناه ثم لا يقصر الشياطين عن إغوائهم ولا يقصرونهم عن ارتكاب الفواحش ﴿ وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتنا ﴾ معناه أنك يا محمد إذا جئتهم بآية كذبوا بها وإذا أبطأت عنهم يقترحونها ويقولون هلا جئتنا به من قبل نفسك فليس كل ما تقوله وحى من السماء عن قتادة ومجاهد والراجح وقيل معناه إذا لم تأتهم بآية مقترحة قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها عن ابن عباس والجبائي وأبي مسلم ﴿ قل ﴾ يا محمد لهم ﴿ إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي ﴾ أي لست آتي بالآيات من عندي وإنما يفعلها الله تعالى ويظهرها على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك لا بحسب اقتراح الخلق وإنما اتبع الوحي ولا أتعداه وليس لي أن أسأله إنزال الآيات إلا بعد أذنه في السؤال ﴿ هذا بصائر من ربكم ﴾ هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة وبراهين ساطعة من ربكم يبصر الإنسان بها أمور دينه ﴿ وهدى ورحمة ﴾ أي ودلالة تهدي إلى الرشd ونعمة في الدين والدنيا ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم من الكفار وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله تابعة للوحي وأنه لا يجوز أن يعمل بالرأي والقياس .

[النظم] قيل إن هذه الآية إتصلت بقوله ﴿ يسألونك عن الساعة ﴾ وتقديره ويسألونك عن الآيات فإذا لم تأتهم بها قالوا لولا اجتبتنا عن أبي مسلم وقيل إتصلت بما قبلها من قوله ﴿ وإخوانهم يمدونهم ﴾ ومعناه يبقون في الضلالة وإذا لم تأتهم بآية يسألون عنها فقالوا كذا .

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ، وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٢:٤) وَأَذْكُرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢:٥) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ، يَسْجُدُونَ ﴾ (٢:٦) ﴿

[اللغة] الإنصات السكوت مع إستماع قال ابن الاعرابي نصت وانصت وانصت استمع الحديث وسكت وانصته وانصت له وانصت الرجل سكت وانصته غيره عن الأزهري والأصال جمع أصل وأصل جمع أصيل فالأصال جمع الجمع وتصغيره أصيلان على إبدال النون ومعناه العشيات وهو ما بين العصر إلى غروب الشمس .

[الإعراب] تضرعا وخيفة مصدران وضعا موضع الحال أي متضرعين وخائفين ودون الجهر عطف عليه فيجب أن يكون في موضع الحال أي وغير رافعين أصواتكم حتى يبلغ حد الجهر .

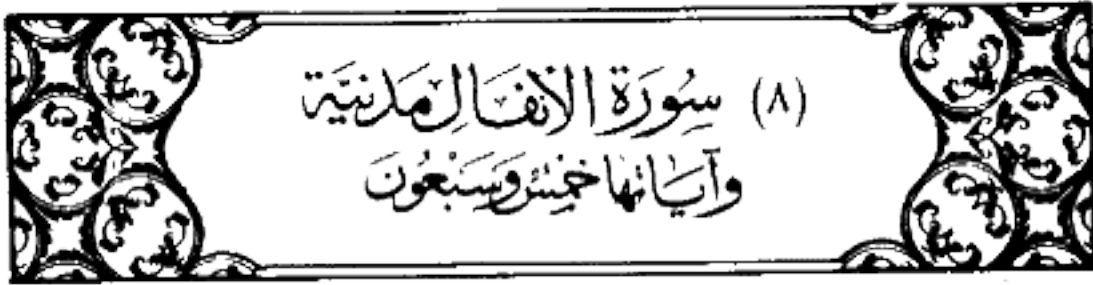
[المعنى] ثم أمر سبحانه بالاستماع للقرآن عند قراءته فقال ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ اختلف في الوقت المأمور بالإنصات للقرآن والاستماع له ف قيل إنه في الصلاة خاصة خلف الإمام الذي يؤتم به إذا سمعت قراءته عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد والزهري وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) قالوا وكان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض وإذا دخل داخل فقال لهم كم صليتم أجابوه فنهوا عن ذلك وأمروا بالاستماع وقيل أنه في الخطبة أمروا بالإنصات والاستماع إلى الإمام يوم الجمعة عن عطا وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم وقيل أنه في الخطبة والصلاة جميعاً عن الحسن وجماعة قال الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وأقوى الأقوال الأول لأنه لا حال يجب فيها الإنصات لقراءة القرآن إلا حالة قراءة الإمام في الصلاة فإن على المأموم الإنصات والاستماع فأما خارج الصلاة فلا خلاف أن الإنصات والاستماع غير واجب وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يجب الإنصات للقرآن في الصلاة وغيرها

قال وذلك على وجه الاستحباب وفي كتاب العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال قرأ ابن الكوا خلف أمير المؤمنين (ع) لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين فأنصت له أمير المؤمنين (ع) وعن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله (ع) قال قلت له الرجل يقرأ القرآن أوجب على من سمعه الإنصات له والاستماع قال نعم إذا قرىء عندك القرآن وجب عليك الإنصات والاستماع قال الزجاج ويجوز أن يكون فاستمعوا له وانصتوا أي إعملوا بما فيه ولا تجاوزوا لأن معنى قول القائل سمع الله دعاءك أجاب الله دعاءك لأن الله سميع عليم وقال الجبائي أنها نزلت في ابتداء التبليغ ليعلموا أو يتفهموا وقال أحمد بن حنبل أجمعت الأمة على أنها نزلت في الصلاة ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لترحموا بذلك وباعتباركم به واتعاظكم بمواعظه ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ خطاب للنبي عليه وآله السلام والمراد به عام وقيل هو خطاب لمستمع القرآن والمعنى واذكر ربك في نفسك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد وروى زرارة عن أحدهما (ع) قال معناه إذا كنت خلف الإمام تأتم به فانصت وسبح في نفسك يعني فيما لا يجهر الإمام فيه بالقراءة وقيل معناه واذكر نعمة ربك بالتفكر في نفسك وقيل أراد اذكره في نفسك بصفاته العلية وأسمائه الحسنى ﴿تضرعاً وخيفة﴾ يعني بتضرع وخوف يعني في الدعاء فإن الدعاء بالتضرع والخوف من الله تعالى أقرب إلى الإجابة وإنما خص الذكر بالنفس لأنه أبعد من الرياء عن الجبائي ﴿ودون الجهر من القول﴾ معناه أرفعوا أصواتكم قليلاً ولا تجهروا بها جهاراً بليغاً حتى يكون عدلاً بين ذلك كما قال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وقيل أنه أمر للإمام أن يرفع صوته في الصلاة بالقراءة مقدار ما يسمع من خلفه عن ابن عباس ﴿بالغدو والأصال﴾ أي بالغدوات والعشيات عن قتادة والمراد به دوام الذكر واتصاله وقيل إنما خص هذين الوقتين لأنهما حال فراغ القلب عن طلب المعاش فيكون الذكر فيهما ألصق بالقلب ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عما أمرتك به من الدعاء والذكر وقيل إن الآية متوجهة إلى من أمر بالاستماع للقرآن والإنصات وكانوا إذا سمعوا القرآن رفعوا أصواتهم بالدعاء عند ذكر الجنة أو النار عن ابن زيد ومجاهد وابن جريج قال الجبائي وفي الآية دليل على أن الذين يرفعون أصواتهم عند الدعاء ويجهرون به مخطئون وعلى خلاف الصواب ثم ذكر سبحانه ما يبعث إلى الذكر ويدعو إليه فقال ﴿إن الذين عند ربك﴾ وهم الملائكة عن الحسن وغيره ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ معناه أنهم مع جلالة قدرهم وعلو أمرهم يعبدون الله ويذكرونه وفائدته أنكم إن استكبرتم عن عبادته فمن هو أعظم حالاً منكم

لا يستكبر عنها وإنما قال عند ربك تشريقاً للملائكة بإضافتهم إلى نفسه ولم يرد به قرب المكان تعالى الله عن ذلك وتقدس وقيل معناه أنهم في المكان الذي شرفه الله تعالى ولا يملك عليهم الحكم إلا الله تعالى بخلاف البشر كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند والمراد أنهم في حكمه وتحت أمره وعند فلان كذا من المال ولا يراد به أن ذلك بحضرته وقال الزجاج من قرب من رحمة الله وفضله فهو عند الله أي هو قريب من فضله وإحسانه ﴿ويسبحونه﴾ أي ينزهونه عما لا يليق به ﴿وله يسجدون﴾ أي يخضعون وقيل يصلون وقيل يسجدون في الصلاة عن الحسن ولا خلاف أن ههنا سجدة وهي أول سجدة القرآن واختلف في سجدة التلاوة هل هي واجبة فعند أبي حنيفة واجبة وعند الشافعي سنة مؤكدة وإليه ذهب أصحابنا .



مرکز تحقیقات کتب و ترویج علوم اسلامی



هي مدنية عن ابن عباس وقتادة غير سبع آيات نزلت بمكة ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ إلى آخرهم وقيل نزلت بأسرها في غزاة بدر عن الحسن وعكرمة .

[عدد آياتها] هي سبعون وسبع آيات شامي وست حجازي بصري وخمس كوفي (اختلافها) ثلاث آيات ثم يغلبون بصري شامي مفعولاً الأول غير الكوفي بنصره وبالمؤمنين غير البصري .

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامی

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له وشاهد يوم القيامة أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة في دار الدنيا عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وكان العرش وحملته يصلون عليه أيام حياته في الدنيا وروى العياشي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ الأنفال وبراءة في كل شهر لم يدخله نفاق أبداً وكان من شيعة أمير المؤمنين (ع) حقاً ويأكل يوم القيامة من موائد الجنة معهم حتى يفرغ الناس من الحساب وعن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال في سورة الأنفال جدد الأنوف^(١)

[تفسيرها] لما قص الله سبحانه في سورة الأعراف قصص الأنبياء وختمها بذكر نبينا صلى الله عليه وآله إفتح سورة الأنفال بذكره ثم ذكر ما جرى بينه وبين قومه فقال :

(١) وذلك لاشتمالها لآية الخمس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝۱﴾

[القراءة] قرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وأبو جعفر بن محمد بن علي الباقر وزيد بن علي وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وطلحة بن مصرف يسألونك الأنفال .

[الحجة] قال ابن جني هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي عن الأنفال وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضاً لطلبها واستعلاماً لحالها هل يسوغ طلبها وهذه القراءة بالنصب أصرح بالتماس الأنفال وبيان عن الغرض في السؤال عنها فإن قلت هل يحسن حملها على حذف حرف الجر كأنه قال يسألونك عن الأنفال فلما حذف عن نصب المفعول كقوله « أمرتك الخير فافعل ما أمرت به » قيل هذا شاذ إنما يحمله الشعر فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات وإن كان قد جاء واختار موسى قومه واقعدوا لهم كل مرصد فإن الأظهر ما قدمناه .

[اللغة] الأنفال جمع نفل والنفل الزيادة على الشيء يقال نفلتك كذا إذا زدته قال

ليبد :

إِنْ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٌ وَيَاْذِنْ اللَّهَ رَبِّي وَعَجَل^(١)

وقيل النفل العطية ونفلتك أعطيتك والنافلة عطية التطوع من حيث لا يجب ومنه نوافل الصلاة والنفل الرجل الكثير العطية .

[المعنى] ﴿ يسألونك ﴾ أي يسألك يا محمد جماعة من أصحابك ﴿ عن الأنفال ﴾ يختلف المفسرون في الأنفال وهنا فليل هي الغنائم التي غنمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر وهو العروي عن عكرمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد

(١) الريث : الإبطاء .

وقيل هي أنفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي وقيل هي ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال أو ما أشبه ذلك عن عطا وقيل هو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة يعمل به ما شاء وقيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الغرس والزرع^(١) والرمح عن ابن عباس في رواية أخرى وروى عنه أيضاً أنه سلب الرجل وفرسه ينفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شاء وقيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في رواية أخرى وصححت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالاً إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكل أرض إنجلى أهلها عنها بغير قتال ويسميتها الفقهاء فياً وميراث من لا وارث له وقطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب والأجام وبطون الأودية والأرضون الموات وغير ذلك مما هو مذكور في مواضعه وقالوا هي لله وللرسول وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء وقالوا أن غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة فسألوه أن يعطيهم وقد صح أن قراءة أهل البيت عليهم السلام يسألونك الأنفال فقال الله تعالى ﴿ قل يا محمد الأنفال لله والرسول ﴾ وكذلك ابن مسعود وغيره إنما قرأوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال هؤلاء إن أصحابه سألوه أن يقسم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه أن ذلك لله ولرسوله دونهم وليس لهم في ذلك شيء وروى ذلك أيضاً عن ابن عباس وابن جريج والضحاك وعكرمة والحسن واختاره الطبري وقالوا أن عن صلة ومعناه يسألونك الأنفال أن تعطيهم ويؤيد هذا القول قوله ﴿ فاتقوا الله ﴾ إلى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله ﴿ واعلموا إنما غنمتم من شيء ﴾ وقال بعضهم ليست بمنسوخة وهو الصحيح لأن النسخ يحتاج إلى دليل ولا تنافي بين هذه الآية وآية الخمس وقال آخرون أنهم سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن حكم الأنفال وعلمها فقالوا لمن الأنفال وتقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي ولهذا جاء الجواب بقوله ﴿ قل الأنفال لله والرسول ﴾ وقال آخرون أنهم سألوه عن حال الغنائم وقسمتها وأنها حلال أم حرام كما كانت حراماً على من قبلهم فبين لهم أنها حلال واختلفوا أيضاً في سبب سؤالهم فقال ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا ومن جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان وبقي الشيوخ

(٢) وفي بعض النسخ كنسخة التبيان : الفرس والدرع ، مكان : الغرس والزرع ،

تحت الرايات فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي صلى الله عليه وسلم به فقال الشيوخ كنا ردها لكم ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم إلينا وجرى بين أبي اليسر بن عمرو الأنصاري أخى بني سلمة وبين سعد بن معاذ كلام فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها ما يشاء فقسمها بينهم بالسوية وقال عبادة بن الصامت إختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله فقسمه بيننا على السواء وكان ذلك في تقوى الله وطاعته وصلاح ذات البين وقال سعد بن أبي وقاص قتل أخى عمير يوم بدر فقتلت سعيد بن العاص بن أمية وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك إذهب فاطرحه في القبض فطرحته ورجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى وقلت عسى أن يعطى هذا لمن لم يئيل بلائى فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني الرسول وقد أنزل الله ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ الآية فخفت أن يكون قد نزل في شيء فلما إنتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وأنه قد صار لي فاذهب فخذهُ فهو لك وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من شيء أثوة به فمن جيس منه إبرة أو سلكاً فهو غلول فسألوا رسول الله أن يعطيهم منها فنزلت الآية وقال ابن جريج إختلف من شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار في الغنيمة فكانوا ثلاثاً فنزلت الآية ومَلَكَها الله رسوله يقسمها كما أراه الله وقال مجاهد هي الخمس وذلك أن المهاجرين قالوا لم يرفع منا هذا الخمس ولم يخرج منا فقال الله تعالى قل الأنفال لله والرسول يقسمانها كما شاء أو ينفلان منها ما شاء أو يرضخان منها ما شاء فاتقوا الله باتقاء معاصيه واتباع ما يأمركم به وما يأمركم به رسوله واحذروا مخالفة أمرهما ﴿واصلحوا ذات بينكم﴾ وأي أصلحوا ما بينكم من الخصومة والمنازعة وقوله ﴿ذات بينكم﴾ كناية عن المنازعة والخصومة والذات هي الخلقة والبنية يقال فلان في ذاته صالح أي في خلقة وبنية يعني أصلحوا نفس كل شيء بينكم أو أصلحوا حال كل نفس بينكم وقيل معناه وأصلحوا حقيقة وصلحكم كقوله ﴿لقد تقطع بينكم﴾ أي وصلحكم والمراد كونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله وكذلك معنى اللهم أصلح ذات البين أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون عن الزجاج وهذا نهى من الله تعالى عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة يوم بدر عن ابن عباس ومجاهد والسدي ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ أي أقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها عن الزجاج ومعناه وأطيعوهما فيما يأمرانكم به

وينهيانكم عنه ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ مصدقين للرسول فيما يأتكم به من قبل الله كما تدعون وفي تفسير الكلبي أن الخمس لم يكن مشروعاً يومئذ وإنما شرع يوم أحد وفيه أنه لما نزلت هذه الآية عرف المسلمون أنه لاحق لهم في الغنيمة وأنها لرسول الله فقالوا يا رسول الله سمعاً وطاعة فاصنع ما شئت فنزل قوله ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة ﴾ أي ما غنمتم بعد بدر وروي أن رسول الله قسم غنائم بدر عن بواء أي على سواء ولم يخمس .

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ

حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[اللغة] الوجل والخوف والفرع واحد يقال وجل يوجل ويوجل بالالف ويوجل

أربع لغات حكاهما سيبويه وأجودها يوجل قال الشاعر ندي

لَسَمُرُكُ مَا أَذْرِي وَإِنِّي لِأُوجِلُ عَلَىٰ أَيْنَا تَغْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

والتوكل هو الثقة بالله في كل ما يحتاج إليه يقال وكلت الأمر إلى فلان إذا جعلت إليه

القيام به والوكيل القائم بالأمر لغيره .

[الإعراب] حقاً منصوب بما دلت عليه الجملة التي هي قوله أولئك هم المؤمنون

والمعنى أحق ذلك حقاً .

[المعنى] لما قال سبحانه إن كنتم مؤمنين بين صفة المؤمنين بقوله ﴿ إنما المؤمنون

الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ أي خافت تعظيماً له وذلك إذا ذكر عندهم عقوبته وعدله

ووعيده على المعاصي بالعقاب واقتداره عليه فأما إذا ذكرت نعمة الله على عباده

وإحسانه إليهم وفضله ورحمته عليهم وثوابه على الطاعات اطمأنت قلوبهم وسكنت نفوسهم

إلى عفو الله تعالى كما قال سبحانه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ فلا تنافي بين الآيتين إذ

وردتا في حالتين ووجه آخر وهو أن المؤمن ينبغي أن يكون من صفته أنه إذا نظر في نعم الله

عليه ومنته لديه وعظيم مغفرته ورحمته اطمأنت قلبه وحسن بالله ظنه وإذا ذكر عظيم معاصيه

بترك أوامره وارتكاب نواهيه وَجَلَّ قلبه واضطربت نفسه والوجل الخوف مع شدة الحزن وإنما يستعمل على الغالب في القلب ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ معناه وإذا قرئ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ويقيناً على يقين عن الضحك وقيل زادتهم تصديقاً مع تصديقهم بما أنزل الله إليهم قبل ذلك عن ابن عباس والمعنى أنهم يصدقون بالأولى والثانية والثالثة وكل ما يأتي من عند الله فيزداد تصديقهم ﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ أي يفوضون أمورهم إلى الله فيما يخافونه من سوء في الدنيا وقيل فيما يرجونه من قبول أعمالهم في الآخرة ﴿ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قد مر تفسيره في سورة البقرة وإنما خص الصلاة والزكاة بالذكر لعظم شأنهما وتأكد أمرهما وليكون داعياً إلى المواظبة على فعلهما ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ أي هؤلاء المستجمعون لهذه الخصال والحائزون لهذه الصفات هم الذين استحقوا هذا الاسم على الحقيقة ﴿ لهم درجات عند ربهم ﴾ يعني درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم عن عطاء وقيل لهم أعمال رفيعة وفضائل استحقوها في أيام حياتهم عن مجاهد ﴿ ومغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ ورزق كريم ﴾ أي خطير كبير في الجنة وقيل كريم دائم كثير لا يشوبه ضرر ولا يعتريه كدر ولا يخاف عليه فناء ولا نقصان ولا حساب من قولهم فلان كريم إذا كانت أخلاقه محمودة واستدل من قال أن الإيمان يزيد وينقص وأن أفعال الجوارح من الإيمان بهذه الآيات فقال أن الله تعالى نفى أن يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة إنما فكانه قال لا يكون أحد مؤمناً إلا أن يكون بهذه الصفات والجواب عنه أن هذه الصفات خيار المؤمنين وأفاضلهم فكانه قال إنما خيار المؤمنين من له هذه الأوصاف وليس يمتنع أن يتفاضل المؤمنون في الطاعات وإن لم يتفاضلوا في الإيمان يذل على ذلك أن الإجماع حاصل على أن وَجَلَّ القلب ليس بواجب وإنما هو من المندوبات وإن الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل . والإنفاق كذلك فعلنا أن الإشارة بالآية إلى خيار المؤمنين وأمائلهم فلا تدل إذاً على أن من كان دونهم في المنزلة خارج عن الإيمان وقد قال ابن عباس أنه سبحانه أراد بذلك أن المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره وإن هذه الأوصاف المذكورة منتفية عنه .

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
لَكَرِهُونَ ﴾ يُجَدِّلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ
أَنَّهَا لَكُمْ وَتُؤَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ ۖ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ
وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

[اللغة] المجادلة المنازعة الذي يقتل بها عن مذهب إلى مذهب سميت بذلك لشدة
وأصل الجدل شدة القتال ومنه الأجلد الصقر لشدة وزمام جديل شديد القتال وقيل أصله من
الجدالة وهي الأرض يقال طعنه فجدله أي أوقعه على الأرض فكأن المتجادلين يريد كل
واحد منهما أن يرمي بخصمه إلى الأرض والسوق الحث على المسير والشوكة الحد يقال ما
أشد شوكة بني فلان وفلان شاك في السلاح وشانك وشاك من الشكة وشاك مخفف مثل
قولهم كبش صاف كثير الصوف مثل صائف قال الشاعر :

فَتَوَهَّمُونِي أَنَّنِي أَنَا ذَاكُمُ شَاكٌ سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مُعَلَّمٌ ^(١)

وأصله من الشوك ودابر الأمر آخره ودابر الرجل عقبه والحق وقوع الشيء في موضعه
الذي هو له فإذا اعتقد شيء بضرورة أو حجة فهو حق لأنه وقع موقعه الذي هو له وعكسه
الباطل .

[الإعراب] الكاف في قوله كما أخرجك ربك يتعلق بما دل عليه قوله ﴿ قل الأنفال
للّٰه والرسول ﴾ لأن في هذا معنى نزعها من أيديهم بالحق كما أخرجك
ربك من بيتك بالحق وقيل تقديره قل الأنفال ثابت للّٰه والرسول ثبوتاً مثل ما أخرجك ربك أي
هذا كائن لا محالة كما أن ذلك كان لا محالة وقيل إنه يتعلق بيجادلونك وتقديره يجادلونك
بالحق كما كرهوا إخراجك من بيتك بالحق وقيل أنه يعمل فيه معنى الحق بتقدير هذا الذكر
الحق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقوله ﴿ إنها لكم ﴾ في موضع نصب على البدل
من إحدى الطائفتين وتقديره يعدكم أن إحدى الطائفتين لكم ونظيره قوله ﴿ هل ينظرون إلى

(١) ورجل معلم إذا علم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها .

الساعة أن تأتيهم ﴿

[المعنى] ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك ﴾ يا محمد على التقدير الأول قل الانفال لله ينزعها عنكم مع كراحتكم ومشقة ذلك عليكم لانه أصلح لكم كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك لان الخروج كان أصلح لكم من كونكم في بيتكم والمراد بالبيت هنا المدينة يعني خروج النبي ﷺ منها إلى بدر ويكون معنى أخرجك ربك دعاك إلى الخروج وأمرك به وحملك عليه كما يقال أضربت زيداً عمرواً فضربه وأما على التقدير الثاني وهو أن يكون اتصاله بما بعده فيكون معناه يجادلونك في الحق كارهين له كما جادلوك يا محمد حين أخرجك ربك كارهين للخروج كرهوه كراهية طباع فقال بعضهم كيف نخرج ونحن قليل والعدو كثير وقال بعضهم كيف نخرج على عمياء لا ندري إلى العير نخرج أم إلى القتال فشبّه جدالهم بخروجهم لأن القوم جادلوه بعد خروجهم كما جادلوه عند الخروج فقالوا هلا أخبرتنا بالقتال فكنا نستعدّ لذلك فهذا هو جدالهم على تأويل مجاهد وأما على التقدير الثالث فمعناه أن هذا خير لكم كما أن إخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم خير لكم وقريب منه ما جاء في حديث أبي حمزة الثمالي قاله ناصرك كما أخرجك من بيتك وقوله ﴿ بالحق ﴾ أي بالوحي وذلك أن جبرائيل (ع) أتاه وأمره بالخروج وقيل معناه أخرجك ومعك الحق وقيل معناه أخرجك بالحق الذي وجب عليك وهو الجهاد ﴿ وإن فريقاً من المؤمنين ﴾ أي طائفة منهم ﴿ لكارهون ﴾ لذلك للمشقة التي لحقتهم ﴿ يجادلونك في الحق بعد ما تبين ﴾ معناه يجادلونك فيما دعوتهم إليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ومجادلتهم قولهم هلا أخبرتنا بذلك وهم يعلمون أنك لا تأمرهم عن الله إلا بما هو حق وصواب وكانوا يجادلون فيه لشدة عليهم يطلبون بذلك رخصة لهم في التخلف عنه أو في تأخير الخروج إلى وقت آخر وقيل معناه يجادلونك في القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وأنه مأمور به عن ابن عباس وقيل بعدما تبين أنك يا محمد لا تصنع إلا ما أمرك الله به ﴿ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴾ معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك في لقاء العدو لشدة القتال عليهم حيث لم يكونوا مستعدين له ولكراحتهم له من حيث الطبع كانوا بمنزلة من يساق إلى الموت وهم يرونه عياناً وينظرون إليه وإلى أسبابه ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم ﴾ يعني واذكروا واشكروا الله إذ يعدكم الله إن إحدى الطائفتين لكم أما العير وأما النفير ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ أي تودون أن يكون لكم العير

وصاحبها أبو سفيان بن حرب لثلا تلحقكم مشقة دون النفير وهو الجيش من قريش قال الحسن كان المسلمون يريدون العير ورسول الله يريد ذات الشوكة كنى بالشوكة عن الحرب لما في الحرب من الشدة عن قطرب وقيل ذات الشوكة ذات السلاح ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته﴾ معناه والله أعلم بالمصالح منكم فأراد أن يظهر الحق بلطفه ويعزّز الاسلام ويظفركم على وجوه قريش ويهلكهم على أيديكم بكلماته السابقة وعداته في قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقيل بكلماته أي بأمره لكم بالقتال ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ أي يستأصلهم فلا يبقى منهم أحداً يعني كفار العرب ﴿ليحق الحق﴾ أي انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام ﴿ويبطل الباطل﴾ أي الكفر باهلاك اهله ﴿ولو كره المجرمون﴾ أي الكافرون وذكر البلخي عن الحسن ان قوله وإذ يعدكم الله الآية نزلت قبل قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وهي في القراءة بعدها .

[قصة غزاة بدر] قال أصحاب السير وذكر أبو حمزة وعلي بن إبراهيم في تفسيرهما دخل حديث بعضهم في بعض أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللطيمة^(١) وفيها أربعون راكباً من قريش فنذب النبي ﷺ أصحابه للخروج إليها ليأخذوها وقال لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فحقت بعضهم وثقل بعضهم ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقي كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم فلما سمع أبو سفيان بمسير النبي ﷺ استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ويخبرهم أن محمداً ﷺ قد تعرّض لغيرهم في أصحابه فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى بجملته على أبي قيس فأخذ حجراً فدهده من الجبل فما ترك داراً من دور قريش إلا أصابته منه فلذة فانتبهت فزعة من ذلك وأخبرت العباس بذلك فأخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وفشت الرؤيا فيهم وبلغ ذلك أبا جهل فقال هذه نبيه ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لنتظرن ثلاثة أيام فإن كان ما رأت حقاً وإلا لنكتبن كتاباً بيننا أنه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ونساء من بني هاشم فلما كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت يا آل غالب يا آل غالب اللطيمة اللطيمة العير العير أدركوا وما أراكم تدركون أن محمداً والصباة من أهل يشرب قد خرجوا

(١) اللطيمة : المسك . ونافجة المسك . وقيل : العير التي تحمل الطيب وبز التجار .

يتعرضون لغيركم فتهيأوا للخروج وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش وقالوا من لم يخرج نهدم داره وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وأخرجوا معهم القيان يضربون الدفوف وخرج رسول الله ﷺ في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم وفي حديث أبي حمزة بعث رسول الله ﷺ أيضاً عيناً له على العير اسمه عدي فلما قدم على رسول الله ﷺ فأخبره أين فارق العير نزل جبرائيل على رسول الله ﷺ فأخبره بنفير المشركين من مكة فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت ولا ذلت منذ عزت ولم تخرج على هيئة الحرب وفي حديث أبي حمزة قال أبو بكر أنا عالم بهذا الطريق فارق عدي العير بكذا وكذا وساروا وسرنا فنحن والقوم على ماء بدر يوم كذا وكذا كأننا فرسا رهان فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام عمر بن الخطاب فقال مثل ذلك فقال ﷺ اجلس فجلس ثم قام المقداد فقال يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها وقد آمنا بك وصدقتنا وشهدنا أن ما جئت به حق والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا وشوك الهراس^(١) لخضناه معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى (ع) اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكننا نقول امض لأمر ربك فإننا معك مقاتلون فجازه رسول الله ﷺ خيراً على قوله ذاك ثم قال أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الانصار لأن أكثر الناس منهم ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا إنا براء من ذمتك حتى تصل إلى دارنا ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا فكان ﷺ يتخوف أن لا يكون الأنصار تروى عليها نصرته إلا على من دهمه بالمدينة من عدو إن ليس عليهم أن ينصروه خارج المدينة فقام سعد بن معاذ فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا فقال نعم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقتنا وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأترك منها ما شئت والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح بذلك رسول الله ﷺ وقال سيروا على بركة الله فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده والله لكأنني أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وفلان

(١) الجمر: النار المتقدة . والغضا : شجر عظيم من الإثل واحده غضة . وخشبه من أصلب الخشب ولهذا يكون في فحبه صلابه وهو حسن النار وجمره يبقى زماناً طويلاً لا ينطفئ . والهراس - كسحاب - : شجر شائك .

وفلان وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل وخرج إلى بدر وهو بشر وفي حديث أبي حمزة الشمالي بذر رجل من جهينة والماء ماؤه فإنما سمي الماء باسمه وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأخذهم أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا لهم من أنتم قالوا نحن عبيد قريش قالوا فآين العير قالوا لا علم لنا بالعير فاقبلوا يضربونهم وكان رسول الله ﷺ يصلي فانفتل من صلاته وقال أن صدقوكم ضربتموهم وإن كذبوكم تركتموهم فاتوه بهم فقال لهم من أنتم قالوا يا محمد نحن عبيد قريش قال كم القوم قالوا لا علم لنا بعددهم قال كم ينحرون في كل يوم من جزور قالوا تسعة إلى عشرة فقال رسول الله ﷺ القوم تسعمائة إلى ألف رجل وأمر ﷺ بهم فحبسوا وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا على مسيرهم ولقي عتبة بن ربيعة أبا البخثري بن هشام فقال أما ترى هذا البغي والله ما أبصر موضع قدمي خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً والله ما أفلح قوم بغوا قط ولوددت أن ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير فقال له أبو البخثري انك سيد من سادات قريش فسر في الناس وتحمل العير التي أصابها محمد ﷺ وأصحابه بنحلة وهم ابن الحضرمي فإنه حليفك فقال له علي ذلك وما علي أحد منا خلاف إلا ابن الحنظلية يعني أبا جهل فصر إليه وأعلمه أنني حملت العير ودم ابن الحضرمي وهو حليفي وعلي عقه قال فقصدت خباءه وأبلغته ذلك فقال أن عتبة يتعصب لمحمد فإنه من بني عبد مناف وابنه معه يريد أن يخذل بين الناس لا واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب أو نأخذهم أسارى فندخلهم مكة وتتسامع العرب بذلك وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله ﷺ وكان أبو سفيان لما جاز بالعير بعث إلى قريش قد نجى الله عيركم فارجعوا ودعوا محمداً والعرب وادفعوه بالراح ما اندفع وإن لم ترجعوا فردوا القيان فلحقهم الرسول في الجحفة فأراد عتبة أن يرجع فأبى أبو جهل وبنو مخزوم وردوا القيان من الجحفة قال وفزع أصحاب رسول الله ﷺ لما بلغهم كثرة قريش واستغاثوا وتضرعوا فأنزل الله سبحانه إذ تستغيثون ربكم .

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَأِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾

وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النَّعَاسَ
 أَمْنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ ۖ وَيُذْهِبَ
 عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ
 الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْتِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا
 فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة ويعقوب مردفين بفتح الدال والباقون مردفين بكسر الدال
 وقرأ أهل المدينة يُغَشِّيكُم بضم الياء وسكون الغين النعاس بالنصب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 يغشاكم بالالف وفتح الياء النعاس بالرفع والباقون يُغَشِّيكُم بضم الياء وفتح الغين والتشديد
 النعاس بالنصب وفي الشواذ قراءة الشعبي ما ليطهركم به ما بمعنى الذي .

[الحجة] قال أبو علي مردفين يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون مردفين مثلهم كما
 قالوا أردفت زيدا خلفي فيكون في الآية المفعول الثاني محذوفاً (والآخر) أن يكونوا جاؤوا
 خلفهم تقول العرب بنو فلان يردفوننا أي يجيئون بعدنا وقال أبو عبيدة مردفين جاءوا بعد،
 وردفني وأردفني واحد قال الشاعر :

إِذَا الْجَوُزَاءُ أُرْدَفَتِ الشُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِأَلِ فَاطِمَةَ الظَّنُونَا

وهذا الوجه كأنه أبين لقوله ﴿ إِذْ تُسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ مردفين ﴾ أي جاثين
 بعد استغاثتكم ربكم وامداده إياكم بهم فمردفين على هذا صفة لألف وقال الزجاج معناه
 يأتون فرقة بعد فرقة ومردفين على أردفوا الناس أي أنزلوا بعدهم فيجوز على هذا أن يكون
 حالاً من الضمير المنصوب في ممدكم مردفين بألف من الملائكة وقرأ في الشواذ مردفين

وَمُرْدَفَيْنِ وَالْأَصْلُ فِيهِمَا مُرْتَدِفَيْنِ فَادْغَمِ التَّاءَ فِي الدَّالِ فَلَمَّا التَقَى سَاكِنَانِ حَرَّكَ الرَّاءَ لِلتَّلْقَاءِ السَّاكِنَيْنِ فَضُمَّتْ تَارَةً اتِّبَاعاً لُضْمَةِ الْمِيمِ وَكَسَرَتْ تَارَةً لِأَنَّ السَّاكِنَ يَحْرُكُ بِالْكَسْرِ وَمَنْ قَرَأَ يُغْشِيَكُمْ وَيُغْشِيَكُمْ فَلَأَنَّهُ أَشْبَهَ بِمَا بَعْدَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿ وَيَنْزِلُ عَلَيْكُمْ ﴾ فَكَمَا أَنَّهُ مُسْنَدٌ إِلَى اسْمِ اللَّهِ فَكَذَلِكَ يَغْشَى وَيَغْشَى وَمَنْ قَرَأَ يَغْشَاكُمْ فَإِنَّهُ أَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى النَّعَاسِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿ أَمَنَةً ﴾ نَعَاساً يَغْشَى ، وَأَغْشَى وَغَشَى مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَقَدْ جَاءَ بِهِمَا التَّنْزِيلُ قَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ ﴾ وَقَالَ فَغْشَاهَا مَا غَشَى وَمَنْ قَرَأَ مَا لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ فَإِنْ مَا هَهُنَا مُوصُولَةٌ وَصَلَتْهَا حَرْفُ الْجَرِّ بِمَا بَعْدَهُ فَكَأَنَّهُ قَالَ مَا لِلطُّهُورِ كَقَوْلِكَ كَسَوْتُ الثَّوبَ الَّذِي لِدَفْعِ الْبَرْدِ وَهَذِهِ اللَّامُ فِي قِرَاءَةِ الْجَمَاعَةِ مَا لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ هِيَ لَامُ الْمَفْعُولِ لَهُ وَهِيَ كَقَوْلِهِ ﴿ أَنَا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ ﴾ وَيَتَعَلَّقُ بِنَفْسِ الْفِعْلِ وَاللَّامُ الَّتِي فِي قِرَاءَةٍ مِنْ قَرَأَ مَا لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ أَيُّ الَّذِي لِلطَّهَارَةِ بِهِ فَمَتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ وَفِيهَا ضَمِيرٌ لَتَعْلُقُهَا بِالْمَحذُوفِ .

[اللُّغَةُ] الرُّعْبُ الْخَوْفُ يُقَالُ رَعِبَتْ أَرْغَبُهُ رَغْباً وَرُغْباً وَالرُّعْبُ انْزِعَاجُ النَّفْسِ بِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ وَأَصْلُهُ التَّقْطِيعُ مِنْ قَوْلِهِمْ رَعِبْتُ السَّيَّامَ تَرْعِيباً إِذَا قَطَعْتَهُ مُسْتَطِيعاً فَالرُّعْبُ تَقْطِيعُ حَالِ السَّرُورِ بِضَدِّهِ مِنْ انْزِعَاجِ النَّفْسِ بِتَوَقُّعِ الْمَكْرُوهِ وَرُعِبَ السَّيْلُ فَهُوَ رَاغِبٌ إِذَا امْتَلَأَ مِنْهُ الْوَادِي لِأَنَّهُ انْقَطَعَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَالْبَنَانُ الْأَطْرَافُ مِنَ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَالوَاحِدُ بَنَانَةٌ وَيُقَالُ لِلْأَصْبَعِ بَنَانَةٌ وَأَصْلُهُ اللَّزُومُ وَأَصْلُهُ مِنْ أُبْنَتْ السَّحَابَةُ ابْنَاناً إِذَا لَزِمَتْ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَلَا لِيَتَنَبَّيَ قَطُوعُ مِنْهُ بَنَانُهُ وَلَا قَيْتُهُ فِي الْبَيْتِ يَقْطَآنُ خَادِرًا^(١)

الشَّقَاقُ الْعَصِيَانُ وَأَصْلُهُ الْانْفِصَالُ يُقَالُ شَقَّ شَقًّا فَانْشَقَّ وَشَاقَهُ شَقَاقًا إِذَا صَارَ فِي شَقِّ عَدُوِّهِ عَلَيْهِ وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْكَلَامِ لِأَنَّهُ انْفِصَالُ الْكَلِمَةِ عَمَّا تَحْتَمِلُ فِي الْأَصْلِ .

[الْإِعْرَابُ] الْعَامِلُ فِي إِذْ مِنْ قَوْلِهِ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ قَوْلَهُ وَيَبْطُلُ الْبَاطِلُ وَقِيلَ مُحذُوفٌ وَتَقْدِيرُهُ وَاذْكُرُوا إِذْ فَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ يَكُونُ مُتَّصِلاً بِمَا قَبْلَهُ وَعَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي يَكُونُ مُسْتَأْنَفًا وَالْهَاءُ فِي جَعْلِهِ عَائِدَةٌ إِلَى الْأَمْدَادِ لِأَنَّهُ مُعْتَمِدُ الْكَلَامِ وَقِيلَ عَائِدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ بِالْمَدَدِ لِأَنَّ تَقْدِيمَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ بَشَارَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَقِيلَ عَائِدَةٌ إِلَى الْإِرْدَافِ وَأَمَنَةً انْتَصَبَ بِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ وَالْعَامِلُ فِيهِ يُغْشَى إِذْ يُوْحَى فِي مَوْضِعٍ نَصَبَ عَلَى مَعْنَى وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بَشَرِي فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَلَى تَقْدِيرِ وَاذْكُرُوا إِذْ يَغْشِيَكُمْ النَّعَاسُ وَإِذْ يُوْحَى ، ذَلِكَ فَذَوْقُهُ تَقْدِيرُهُ

(١) المخادر: الفاتر الكسلان . المتنحير .

لأمر ذلكم فيكون خبر مبتدأ محذوف فيكون كما قال الشاعر :

وَقَائِلَةٌ خَوْلَانٌ فَأَنْكَحَ فَتَسَاتَهُمْ وَأَكْرُومَةٌ الْحَيِّينِ خَلَوْ كَمَا هِيَ^(١)

أي هذه خولان ويجوز أن يكون ذلكم منصوب الموضع فيكون مثل قولهم زيداً فاضربه منصوباً بفعل مضمر يفسره الظاهر وكم في ذلكم لا موضع له من الإعراب لأنه حرف الخطاب وإن للكافرين يحتمل أن يكون موضعه نصباً وجراً ورفعاً فالرفع بالعطف على ذلكم فكأنه قال الأمر ذلكم وإن للكافرين عذاب النار مع ذا والنصب بالعطف على قوله ﴿إني معكم﴾ ومعناه إذ يوحى ربكم أن للكافرين والجر على أن يكون معطوفاً على قوله بأنهم شاقوا الله والرفع أليق بالظاهر ويشاقق بإظهار التضعيف مع الحزم لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم .

[النزول] قال ابن عباس لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو جهل اللهم أولانا بالنصر فانصره واستغاث المسلمون فنزلت الملائكة ونزل قوله ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ إلى آخره وقيل إن النبي ﷺ لما نظر إلى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال يهتف ربّه ماداً يديه حتى سقط رداؤه من منكبّه فانزل الله تعالى ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ الآية عن عمر بن الخطاب والسدي وأبي صالح وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال ولما أمسى رسول الله ﷺ وجئته الليل ألقى الله على أصحابه النعاس وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا يثبت فيه قدم فانزل الله عليهم المطر رذاذاً^(٢) حتى لبد الأرض وثبت أقدامهم وكان المطر على قریش مثل العزالي^(٣) وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه ما أتى المسلمين من النصر فقال ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ أي تستجيرون بربكم يوم بدر من أعدائكم وتسألونه النصر عليهم لقتلكم وكثرتهم فلم يكن لكم مفرع إلا التضرع إليه والدعاء له في كشف الضر عنكم والاستغاثة بطلب المعونة والغوث وقيل معناه تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير أن المستنصر طالب الظفر

(١) خولان: قبيلة من اليمن . الاكرومة من الكرم كالأعجوبة من العجب . الخلو: الفارغ البال من الهموم .

(٢) الرذاذ: المطر الضعيف .

(٣) العزالي جمع الغزلاء وهو قم المزادة الأسفل وشبه اتساع المطر واندفاقه بها .

والمستجير طالب الخلاص ﴿فاستجاب لكم﴾ والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة فمعناه فأغاثكم وأجاب دعاءكم ﴿إني ممدكم﴾ أي مرسل إليكم مدداً لكم ﴿بألف من الملائكة مردفين﴾ أي متبعين ألفاً آخر من الملائكة لأن مع كل واحد منهم ردفاً له عن الجبائي وقيل معناه مترادفين متتابعين وكانوا ألفاً بعضهم في أثر بعض عن ابن عباس وقتادة والسدي وقيل معناه بألف من الملائكة جاءوا على أثر المسلمين عن أبي حاتم ﴿وما جعله الله إلا بشرياً ولتطمئن به قلوبكم﴾ معناه وما جعله الله الإمداد بالملائكة إلا بشرياً لكم بالنصر ولتسكن به قلوبكم وتزول الوسوسة عنها وإلا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبريل (ع) بقوم لوط فأهلكهم بريشة واحدة واختلف في أن الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا فقيل ما قاتلت ولكن شجعت وكثرت سواد المسلمين وبشرت بالنصر عن الجبائي وقيل انها قاتلت قال مجاهد إنما أمدهم بألف مقاتل من الملائكة فأما ما قاله سبحانه في آل عمران بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف فإنه للبشارة وقد ذكرنا هناك ما قيل فيه وروي عن ابن مسعود انه سأل أبو جهل من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة فقال هم غلبونا لا أنتم وعن ابن عباس أن الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ معناه أنه لم يكن النصر من قبل الملائكة وإنما كان من قبل الله لأنهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ويحتمل أن يكون المعنى ما النصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر ﴿إن الله عزيز﴾ لا يمنع عن مراده ﴿حكيم﴾ في أفعاله يجريها على ما تقتضيه الحكمة ﴿إذ يغشيكم النعاس﴾ قد ذكرنا تفسيره عند قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاساً والنعاس أول النوم قبل أن يثقل ﴿أمانة﴾ أي أماناً ﴿منه﴾ أي من العدو وقيل من الله فإن الإنسان لا يأخذه النوم في حال الخوف فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم كما يقال الخوف مسهر والأمن منيم والأمانة الدعة التي تنافي المخافة وأيضاً فإنه قواهم بالاستراحة على القتال من العدو ﴿وينزل عليكم من السماء ماء﴾ أي مطراً ﴿ليظهركم به﴾ وذلك لأن المسلمين قد سبقهم الكفار إلى الماء فنزلوا على كثيب رمل وأصبحوا محدثين ومجنبيين وأصابهم الظمأ ووسوس اليهم الشيطان فقال ان عدوكم قد سبقكم إلى الماء وأنتم تصلون مع الجنابة والحدث وتسوخ أقدامكم في الرمل فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة وتطهروا به من الحدث وتلبدت به أرضهم وأوحلت أرض عدوهم ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ أي وسوسته بما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل معناه ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة عن ابن زيد وقيل معناه ويذهب عنكم

الجنابة التي أصابتكم بالاحتلام ﴿وليربط على قلوبكم﴾ أي وليشد على قلوبكم ومعناه يشجع قلوبكم ويزيدكم قوة قلب وسكون نفس وثقة بالنصر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ أي أقدامكم في الحرب بتلبد الرمل عن ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل بالصبر وقوة القلب عن أبي عبيدة والهاء في به ترجع الى الماء المنزل وقيل إلى ما تقدم من الربط على القلوب ﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم﴾ يعني الملائكة الذين أمد بهم المسلمين أي أني معكم بالمعونة والنصرة كما يقال فلان مع فلان على فلان والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون بنصب دليل يخفى إلا على من ألقى إليه من الملائكة ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ يعني بشروهم بالنصر وكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم عن مقاتل وقيل معناه قاتلوا معهم المشركين عن الحسن وقيل ثبتوهم بأشياء تلقونها في قلوبهم يقولون بها عن الزجاج ﴿سألني في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ أي الخوف من أوليائي ﴿فاضربوا فوق الأعناق﴾ يعني الرؤوس لأنها فوق الأعناق قال عطا يريد كل هامة وجمجمة وجائر أن يكون هذا أمراً للمؤمنين وجائر أن يكون أمراً للملائكة وهو الظاهر قال ابن الأنباري إن الملائكة حين أمرت بالقتال لم تعلم أين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى ﴿واضربوا منهم كل بنان﴾ يعني الأطراف من اليدين والرجلين عن ابن عباس وابن جريج والسدي وقيل يعني أطراف الأصابع اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل عن ابن الأنباري ﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ معناه ذلك العذاب لهم والأمر بضرب الأعناق والأطراف وتمكين المسلمين منهم بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله قال ابن عباس معناه حاربوا الله ورسوله ثم أوعد المخالف فقال ﴿ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾ في الدنيا بالإهلاك وفي الآخرة بالتخليد في النار ﴿ذلكم فذوقوه﴾ أي هذا الذي أعددت لكم من الأمر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلاً ﴿وان للكافرين﴾ آجلاً في المعاد ﴿عذاب النار﴾ قال الحسن ذلكم حكم الله فذوقوه في الدنيا وان لكم ولسائر الكافرين في الآخرة عذاب النار ومعناه كونوا للعذاب كالذائق للطعام وهو طالب ادراك الطعم بتناول السير بالفم لأن معظم العذاب بعده .

[تمام القصة]

ولما أصبح رسول الله ﷺ يوم بدر عباً أصحابه فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن

العوام وفرس للمقداد بن الأسود وكان في عسكره سبعون رجلاً كانوا يتعاقبون عليها وكان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب (ع) ومرثد بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون على جمل لمرثد ابن أبي مرثد وكان في عسكر قريش أربع مائة فرس وقيل مائتا فرس فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله ﷺ قال أبو جهل ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد فقال عتبة بن ربيعة أترى لهم كميناً أو مدداً فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله ﷺ ثم رجع فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خرساً لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الأفاعي ما لهم ملجأ إلا سيوفهم وما أراهم يولون حتى يقتلوا ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتأوا رأيكم فقال له أبو جهل كذبت وجنبت فأنزل الله تعالى ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ فبعث إليهم رسول الله ﷺ فقال يا معشر قريش إني أكره أن أبدأ بكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة ما رد هذا قوم قط فأفلحوا ثم ركب رجلاً له أحمر فنظر إليه رسول الله ﷺ وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال فقال ﷺ إن يك عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وإن يعطيه يرشدوا وخطب عتبة فقال في خطبته يا معشر قريش أطيعوني اليوم وأعصوني الغد إن محمداً له إل وذمة^(١) وهو ابن عمكم فخلوه والعرب فإن يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به وإن يك كاذباً كفتكم ذوبان العرب أمره فغاظ أبا جهل قوله وقال له جنبت وانتفخ سحرك فقال يا مصفر استه مثلي يجبن وستعلم قريش أيننا وأجبن وأينا المفسد نفومه ونبس درعه وتقدم هو وأخوه شيبه وابنه الوليد وقال يا محمد اخرج إلينا اكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة نفر من الأنصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا إنما نريد الأكفاء من قريش فنظر رسول الله ﷺ إلى عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ونظر إلى حمزة فقال قم يا عم ثم نظر إلى علي بن أبي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان أصغر القوم فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفئ نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ثم قال يا عبيدة عليك بعتبة بن ربيعة وقال لحمزة عليك بشيبه وقال لعلي (ع) عليك بالوليد فمروا حتى انتهوا إلى القوم فقالوا اكفاء كرام فحمل عبيدة على عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته وضرب عتبة عبيدة على ساقه فأطناها^(٢) فسقطا جميعاً وحمل شيبه على حمزة فتضاربا بالسيفين حتى انثلما

(١) الإل : العهد .

(٢) أطن الساق : قطعها .

وحمل أمير المؤمنين علي (ع) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من ابطنه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون يا علي أما ترى أن الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (ع) ثم قال يا عم طأطأ رأسك وكان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه وفي رواية أخرى أنه برز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي (ع) للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل عبيدة شيبة وقتل علي (ع) الوليد فضرب شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنفذه حمزة وعلي وحمل عبيدة حمزة وعلي حتى أتيا به رسول الله ﷺ فاستعبر فقال يا رسول الله الست شهيداً قال بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي وقال أبو جهل لقريش لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها وجاء إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جشعم فقال لهم أنا جار لكم ادفعوا إلي رايكم فدفعوا إليه راية الميسرة وكانت الراية مع بني عبد الدار فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال لأصحابه غصوا أبصاركم وعصوا على النواجد ورفع يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم أصابه الغشي فسوي عنه وهو يسلمت العرق عن وجهه^(١) فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأينا يوم بدر أن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى اصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الواقعة على من تكون الدبرة فبينما نحن هناك إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها جمجمة الخيل فسمعت قائلاً يقول أقدم حيزوم^(٢) ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت اهلك ثم تماسكت وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبرائيل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتنم إسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم

(١) أي يمسحه عن وجهه .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبرئيل أراد أقدم يا حيزوم .

يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر من قريش كتبه الله وأخزاه ووجدنا في أنفسنا قوة وعزاً قال وكنت رجلاً ضعيفاً وكنت أعمل القداح انحيتها في حجرة زمزم فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر إذا أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره إلى ظهري فبينما هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان ابن حرب بن عبد المطلب وقد قدم فقال أبو لهب هلم إلي يا ابن أخي فعندك الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم فمئناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجلاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض ما تليق شيئاً ولا يقوم لها شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك الملائكة قال فرفع أبو لهب يده وضرب وجهي ضربة شديدة فتأوزته واحتملني فضرب بي الأرض ثم برك علي يضربني وكنت رجلاً ضعيفاً فقامت أم الفضل إلى عمود من عمد الحجرة فأخذته فضربته ضربة فلفت رأسه شجرة منكراً وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش إلا سبع ليالٍ حتى رماه الله بالعدسة فقتله ولقد تركه ابنه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنه حتى أنتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة كما يتقي الناس الطاعون حتى قال لهما رجل من قريش ونحكما ألا تستحيان أن أباكما قد انتن في بيته لا تغيبانه فقالا أنا نخشى هذه القرحة قال فانطلقا فأنا معكما فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يمسون ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة إلى جدار وقذفوا عليه بالحجارة حتى واره وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً وكان العباس رجلاً جسيماً فقال رسول الله ﷺ لأبي اليسر كيف أسرت العباس يا أبا اليسر فقال يا رسول الله لقد أعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيأته كذا وكذا فقال ﷺ لقد أعانك عليه ملك كريم .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ

الْأَدْبَارَ ۝١٥ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ

مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ

الْمَصِيرُ ۝١٦ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ

رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

[اللغة] اللقاء الاجتماع على وجه المقاربة لأن الاجتماع قد يكون على غير وجه المقاربة فلا يكون لقاء كاجتماع الأعراض في المحل الواحد والزحف الدنو قليلاً قليلاً والتزاحف التداني يقال رَحَفَ يَزْحَفُ زَحْفاً وزحفت للقوم إذا دنوت لقتالهم وثبت لهم قال الليث الزحف جماعة يزحفون الى عدولهم بمرة وجمعه زحوف والتولية جعل الشيء يلي غيره يقال ولآه دبره إذا جعله يليه فهو يتعدى إلى مفعولين ومنه ولآه البلد من ولاية الامارة وتولى هو إذا قبل الولاية وأولاه نعمة لأنه جعلها تليه والتحرف الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف ومنه الاحتراف وهو أن يقصد جهة الحرف لطلب الرزق والمحارف المحدود عن جهة الرزق إلى جهة الحرف ومنه حروف الهجاء لأنها أطراف الكلمة كحرف الجبل ونحوه والتحيز طلب حيز يتمكن فيه والحيز المكان الذي فيه الجواهر والفئة القطعة من الناس وهي جماعة منقطعة عن غيرها وذكر الفئة في هذا الموضع حسن جداً وهو من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعه .

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

[الإعراب] زحفا نصب على المصدر وهو في موضع الحال لأن معناه متزاحفين مجتمعين ومتحرفاً متحيزاً منصوبان على الحال أيضاً ويجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء أي إلا أن يكون رجلاً متحيزاً أو أن يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة ويومئذ يجوز اعرابه وبناءه فالإعراب لأنه متمكن اضيف على تقدير الاضافة الحقيقية كقولك هذا يوم ذاك واما البناء فلأنه اضيف الى مبني اضافة غير حقيقية فأشبه الأسماء المركبة .

[المعنى] لَمَّا أَمَدَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَلَائِكَةِ وَوَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ بِالْكَفَّارِ نَهَاَهُمْ عَقْبِيهِ عَنِ الْفِرَارِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قِيلَ أَنَّهُ خُطَابٌ لِأَهْلِ بَدْرٍ وَقِيلَ هُوَ عَامٌ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا﴾ أَيِ مُتَدَانِينَ لِقِتَالِكُمْ قَالَ الزَّجَّاجُ مَعْنَاهُ إِذَا وَاقَفْتُمُوهُمْ لِلْقِتَالِ ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ يَعْنِي فَلَا تَجْعَلُوا ظُهُورَكُمْ مِمَّا يَلِيهِمْ أَيِ فَلَا تَنْهَزمُوا ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمَئِذٍ دَبْرَهُ﴾ أَيِ وَمَنْ يَجْعَلُ ظَهْرَهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِتَالِ وَوَجْهَهُ إِلَى جِهَةِ الْإِنْهَازِ وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ يَوْمَئِذٍ ذَلِكَ الْوَقْتُ وَلَمْ يَرُدَّ بِهِ بَيَاضُ النَّهَارِ خَاصَّةً دُونَ اللَّيْلِ ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ﴾ أَيِ إِلَّا تَارِكاً مَوْقِفاً إِلَى مَوْقِفٍ آخَرَ أَصْلَحَ لِلْقِتَالِ مِنَ الْأَوَّلِ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِلَّا مُنْعَطِفاً مُسْتَطَرِداً كَأَنَّهُ

يطلب عورة يمكنه اصابتها فيتحرف عن وجهه ويرى أنه يفر ثم يكرّ والحرب كرّ وفرّ ﴿أو متحيزاً الى فئة﴾ أي منحازاً منضماً إلى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي احتمل غضب الله واستحقه وقيل رجع بغضب من الله ﴿ومأواه جهنم﴾ أي مرجعه إلى جهنم ﴿وبئس المصير﴾ وأكثر المفسرين على أن هذا الوعيد خاص بيوم بدر خاصة ولم يكن لهم يومئذ أن ينحازوا لأنه لم يكن يومئذ في الأرض فئة للمسلمين فأما بعد ذلك فإن المسلمين بعضهم فئة لبعض وهو قول أبي سعيد الخدري وابن عباس في رواية الكلبي والحسن وقتادة والضحاك ووردت الرواية عن ابن عمر قال بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فلقوا العدو فجاض الناس جيزة^(١) وأتينا المدينة فتخبأنا بها وقلنا يا رسول الله نحن الفرّارون فقال بل انتم العكّارون^(٢) وأنا فتتكم وقيل انه عام في جميع الأوقات وان من فر من الزحف اذا لم يزيدوا على ضعفي المسلمين لحقه الوعيد عن ابن عباس في رواية أخرى وهو قول الجبائي وأبي مسلم ثم نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يوم بدر فقال ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ وإنما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ونسبه إلى نفسه وليس بفعل له من حيث كانت أفعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل والمؤدي إليه من إقداره إياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم والقاء الرعب في قلوب اعدائهم والمشركين حتى قتلوا ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ خطاب للنبي ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ان جبرائيل (ع) قال للنبي ﷺ يوم بدر خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ﷺ لما التقى الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصا الوادي فناوله كفاً من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال شأهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل في عينه وفمه ومنخره منها شيء ثم ردّهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم وقال قتادة وانس ذكر لنا ان رسول الله ﷺ أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فانهزموا فعلى هذا انما أضاف الرمي الى نفسه لأنه لا يقدر أحد غيره على مثله فإنه من عجائب المعجزات ﴿وليليلي المؤمنين منه بلاء حسناً﴾ أي ولينعم عليهم به نعمة حسنة أي فعل ذلك انعاماً على المؤمنين والضمير في منه راجع إلى النصر أي من ذلك النصر ويجوز أن يكون راجعاً الى الله تعالى ﴿إن الله سميع﴾ لدعائكم ﴿عليم﴾ بأفعالكم وضمائرهم وإنما

(١) أي فروا .

(٢) العكار: من يحمل على العدو ثم يتخلف ثم يحمل كثيراً .

يقال للنعمة بلاء كما يقال للمضرة بلاء لأن اصل البلاء ما يظهر به الأمر من الشكر والصبر فببتلي سبحانه عباده أي يختبرهم بالنعمة ليظهر شكرهم عليها وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للأجر والبلاء الحسن هاهنا هو النصر والغنيمة والأجر والمثوبة .

[النظم] وقيل في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهان (أحدهما) انه سبحانه لما أمرهم بالقتال في الآية المتقدمة ذكر عقبيها ان ما كان من الفتح يوم بدر وقهر المشركين انما كان بنصرته ومعونته تذكير للنعمة عن أبي مسلم (والآخر) أنهم لما أمروا بالقتال ثم كان بعضهم يقول أنا قتلنا فلاناً وأنا فعلت كذا نزلت الآية على وجه التنبيه لهم لئلا يعجبوا بأعمالهم .

﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ۝١٨
 إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ
 تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ
 مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٩ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا
 وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ ﴾

[القراءة] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو ويعقوب برواية روح موهن بالتشديد غير منون ، كيد بالجر على الإضافة وقرأ الباقون موهن بالتنوين والتخفيف ، كيد بالنصب وقرأ حفص عن عاصم موهن بالتخفيف ، كيد بالنصب وقرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص وأن الله مع المؤمنين بفتح الألف والباقون بكسر الألف .

[الحجة] من قرأ موهن فإنه من أوهنته أي جعلته واهناً ومن شدد فإنه من وهنته كما يقال فرح وفرحته وكلاهما حسن ومن قرأ وإن الله بكسر الهمزة فإنه قطعه مما قبله ويقويه

أنهم زعموا أن في حرف عبد الله^(١) والله مع المؤمنين ومن فتح الهمزة فوجهه أن يكون على تقدير ولأن الله مع المؤمنين أي لذلك لن تغني عنكم فتبتكم .

[اللغة] الاستفتاح طلب الفتح وهو النصر الذي تفتح به بلاد العدو والفتح أيضاً الحكم ويقال للقاضي الفتح وأصل الباب من الفتح الذي هو ضد الإغلاق والإنتهاء ترك الفعل لأجل النهي عنه يقال نهيته فأنتهى وأمرته فأنتمر .

[الإعراب] ذلكم موضعه رفع وكذلك أن الله في موضع رفع والتقدير الأمر ذلكم والأمر أن الله موهن وكذلك الوجه فيما تقدم من قوله ﴿ ذلكم فذوقوه وإن للكافرين عذاب النار ﴾ ومن قال أن ذلكم مبتدأ وفذوقوه خبره فقد أخطأ لأن ما بعد الفاء لا يكون خبر المبتدأ ولا يجوز زيد فمنطلق ولا زيد فاضربه إلا أن تضره هذا ، تريد هذا زيد فاضربه .

[المعنى] ﴿ ذلكم ﴾ إشارة إلى بلاء المؤمنين خاطبهم سبحانه بعد أن أخبر عنهم ومعناه الأمر ذلكم الإنعام أو ذلكم الذي ذكرت ﴿ وإن الله موهن كيد الكافرين ﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم وتفريق كلمتهم قال ابن عباس يقول إني قد أوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم وأسرت أشرافهم ﴿ أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ قيل أنه خطاب للمشركين فإن أبا جهل قال يوم بدر حين التقى الفتيان اللهم إقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فانصر عليه عن الحسن ومجاهد والزهري والضحاك والسدي وفي حديث أبي حمزة قال أبو جهل اللهم ربنا ديننا القديم ودين محمد الحديث فأبي الدينين كان أحب إليك وأرضى عندك فانصر أهله اليوم وعلى هذا فيكون معناه أن تستنصروا لأهدى الفتتين فقد جاءكم النصر أي نصر محمد وأصحابه وقيل أنه خطاب للمؤمنين عن عطا وأبي علي الجبائي ومعناه أن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الزجاج ويجوز أن يكون معناه أن تستحكموا وتستقصوا فقد جاءكم القضاء والحكم من الله ﴿ وأن تنتهوا ﴾ أي تمتنعوا من الكفر وقاتل الرسول والمؤمنين ﴿ فهو خير لكم وأن تعودوا نعد ﴾ معناه وأن تعودوا أيها المشركون إلى قتال المسلمين نعد بأن ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم ﴿ ولن تغني عنكم فتكتكم شيئاً ﴾ أي ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً ﴿ وإن كثرت وإن الله مع المؤمنين ﴾ بالنصر والحفظ يمكنهم منكم وينصرهم عليكم عن جماعة من المفسرين

(١) أي في قراءة عبد الله بن مسعود .

وقيل معناه وأن تنتهوا أيها المسلمون عما كان منكم في الغنائم وفي الأسارى من مخالفة الرسول فهو خير لكم وأن تعودوا إلى ذلك الصنيع نعد إلى الإنكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغني عنكم حينئذ جمعكم شيئاً إذ منعناكم النصر عن عطا والجبائي ثم أمر سبحانه بالطاعة التي هي سبب النصر فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾ خص المؤمنين بطاعة الله ورسوله وإن كانت واجبة على غيرهم أيضاً لأنه لم يعتد بغيرهم لإعراضهم عما وجب عليهم ويجوز أن يكون إنما خصهم إجلالاً لقدرهم ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع ﴿ولا تولوا عنه﴾ أي ولا تعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم تسمعون ﴿دعاه لكم وأمره ونهيه إياكم عن ابن عباس وقيل معناه وأنتم تسمعون الحجة الموجبة لطاعة الله وطاعة الرسول عن الحسن﴾ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في الكلام حذف ومعناه ولا تكونوا كههم في قولهم هذا المنكر فحذف المنهي عنه لدلالة الحال عليه وفي ذلك غاية البلاغة ومعنى قولهم سمعنا وهم لا يسمعون أنهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك والسماع بمعنى القبول كما في قوله سمع الله لمن حمده وهؤلاء الكفار هم المنافقون عن ابن إسحاق ومقاتل وابن جريج والجبائي وقيل هم أهل الكتاب من اليهود وقريظة والنضير عن ابن عباس والحسن وقيل أنهم مشركو العرب لأنهم قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا عن ابن زيد .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْرُ
الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۚ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ
أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ۚ﴾

[اللغة] الشرُّ إظهار السوء الذي يبلغ من صاحبه وهو نقيض الخير وقيل الشرُّ الضرر القبيح والخير النفع الحسن وقيل الشرُّ الضرر الشديد والخير النفع الكثير وهذا ليس بالوجه لأنه قد يكون ضرراً ما لا يكون شراً بأن يعقب خيراً وأصل الشرُّ الإظهار من قوله :

إِذَا قِيلَ أُتِيَ النَّاسُ شَرْقِيَّةً أَشَارَتْ كُلُّ يَدٍ بِأَكْفِ الْأَصَابِعِ

والدواب جمع دابة وهي ما دب على وجه الأرض إلا أنه تختص في العرف بالخيول

[المعنى] ثم ذم سبحانه الكفار فقال ﴿ إن شر الدواب ﴾ أي شر من دب على وجه الأرض من الحيوان ﴿ عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ يعني هؤلاء المشركين الذين لم يتفكروا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يعتقدونه ولا يقرؤون به فكانهم صم بكم لا يتفكرون أيضاً فيما يسمعون فكانهم لم يتفكروا بعقولهم أيضاً وصاروا كالذباب وقال الباقرون (ع) نزلت الآية في بني عبد الدار لم يكن أسلم منهم غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾ معناه ولو علم الله فيهم قبولاً للهدى وإقبالاً على طلب الحق لأسمعهم ما يذهبون عن إستماعه عن الحسن وقيل معناه لأسمعهم الجواب عن كل ما سألوا عنه عن الزجاج وقيل معناه لأسمعهم قول قصي بن كلاب فإنهم قالوا أحي لنا قصي إن كلاب ليشهد بنبوتك عن الجبائي ﴿ ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾ أي لأعرضوا وفي هذا دلالة على أن الله تعالى لا يمنع أحداً من المكلفين اللطف وإنما لا يلفظ لمن يعلم أنه لا يتففع به .

مرکز تحقیقات کتب و تفسیر علوم اسلامی

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا
لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ؕ وَأَنَّهُ رَءِيبٌ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ٢٤ ﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢٥

[القراءة] قرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وزيد بن ثابت وأبو جعفر الباقر (ع) والربيع بن أنس وأبو العالية لتصبين والقراءة المشهورة لا تصبين .

[الحجة] قال ابن جني معنى هاتين القراءتين ضدان كما ترى لأن إحداهما لتصبين الذين ظلموا خاصة والأخرى لا تصبينهم ويمكن أن يكون حذفت الألف من لا تصبين تخفيفاً واكتفى بالفتحة منها كما قالوا أم والله ليكونن كذا فحذفوا ألف أما وذهب أبو عثمان في قوله

يا أبتَ بفتح التاء أنه أراد يا أبتا فحذف الألف تخفيفاً فإن قلت فهل يجوز أن نحمله على أنه أراد لتصيين ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها الفا كقول عترة « يَنْبَغُ مِنْ ذِفْرِي غَضُوبٌ جَسْرَةٌ »^(١) أراد ينبع ومثله قول ابن هرمة :

فَسَأَنْتَ مِنَ الْغَوَائِلِ حِينَ تُرْمَى وَمِنْ ذَمِّ الرُّجَالِ بِمُنْتَزَاحٍ^(٢)

أي بمنتزح قيل قوله تعالى فيما يليه ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ أشبه بما ذكرناه وأما الوجه في قوله ﴿ لا تصيين ﴾ فقد قال الزجاج زعم بعض النحويين إن هذا الكلام جزاء خبر وفيه طرف من النهي فإذا قلت أنزل عن الدابة لا تطرحك أو لا تطرحك فهذا جواب الأمر بلفظ النهي والمعنى أنزل أن تنزل عنه لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة أو الثقيلة كان أوكد للكلام ومثله قوله تعالى ﴿ يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان ﴾ والمعنى إن تدخلوا لا يحطمنكم ويجوز أن يكون نهياً بعد أمر فيكون المعنى اتقوا فتنة ثم نهى بعده فقال ﴿ لا تصيين الفتنة الذين ظلموا ﴾ أي لا تتعرضن الذين ظلموا لما ينزل بهم معه العذاب ويكون بمعنى يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم أنها أمرت بالدخول ثم نهتهم أن يحطمنهم سليمان فقالت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فلفظ النهي لسليمان ومعناه للنمل كما تقول لا أرينك هاهنا قال أبو علي أنه حكى القول الأول على جهة احتمال الآية كاحتمالها للقول الثاني فأما القول الثاني فقوله أبي الحسن ولا يصح عندنا إلا قول أبي الحسن لأن قوله ﴿ لا تصيين ﴾ لا يخلو أما أن يكون جواب شرط ولا يجوز ذلك لأن دخول النون فيه يكون لضرورة الشعر كما أنشده سيبويه « وَمَهْمَا تَشَأْ مِنْهُ فَزَارَةٌ تَمْنَعُنِ » وأما أن يكون نهياً بعد أمر فاستغنى عن استعمال حرف العطف معه لاتصال الجملة الثانية بالأولى كما مضى ذكر أمثاله من قوله ﴿ ثلاثة رابعهم كلبهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ وهذا هو الصحيح دون الأول قال ومحال أن يكون جواب الأمر بلفظ النهي كما يستحيل أن يكون جواب الشرط بلفظ النهي لأن جواب الأمر في الحقيقة جواب الشرط ولا يجوز أيضاً أن يكون اللفظ لفظ النهي والمعنى معنى الجزاء لأن الجزاء خبر فحكمه أن يكون على الفاظ الأخبار والفاظ الأخبار لا تجيء على لفظ الأمر إلا فيما علمته من قولهم أكرم به ومما يدل على أنه ليس

(١) تمامه : « زِيَاةٌ مِثْلُ الْفَنِيْقِ الْمَقْرَمِ » وذفرى : العظم الذي خلف الأذن وهو أول ما يعرق من البعير . والغضوب : العبوس من النوق . وناق جسر : طويلة ضخمة .

(٢) الغوائل جمع الغائلة : الداهية والفساد والشر . وأنت بمنتزح من كذا أي ببعد منه . قاله في رثاء ابنه .

بجزاء دخول النون فيه والنون لا تدخل في الجزاء لما ذكرنا أنه خبر ولا يجوز دخول النون في الخبر إلا في ضرورة الشعر نحو :

رُبَمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرْفَعُنْ ثَوْبِي شَمَالَاتٌ^(١)

[المعنى] ثم أمر سبحانه بطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ ﴾ أي أجبوا الله والرسول فيما يأمرانكم به فإجابة الله والرسول طاعتهم فيما يدعوان إليه ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجهاد واللام في معنى لي قال القتيبي هو الشهادة فإن الشهداء أحياء عند الله تعالى وقال الجبائي أي دعاكم إلى إحياء أمركم وإعزاز دينكم بجهاد عدوكم مع نصر الله إياكم وهو معنى قول القراء (وثانيها) إن معناه إذا دعاكم إلى الإيمان فإنه حياة القلب والكفر موته عن السدي وقيل إلى الحق عن مجاهد (وثالثها) إن معناه إذا دعاكم إلى القرآن والعلم في الدين لأن الجهل موت والعلم حياة. والقرآن سبب الحياة بالعلم وفيه النجاة والعصمة عن قتادة (ورابعها) إن معناه إذا دعاكم إلى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعيم الأبد عن أبي مسلم ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ أي يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت فلا يمكنه استدراك ما فات فبادروا إلى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف عن الجبائي قال وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع وقيل معناه أنه سبحانه أقرب إليه من قلبه وهو نظير قوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد فإن الحائل بين الشيء وغيره أقرب إلى ذلك الشيء من ذلك الغير عن الحسن وقتادة قالوا وفيه تحذير شديد وقيل معناه أنه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال إلى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب والأبصار فكانهم خافوا من القتال فأعلمهم سبحانه أنه يبذل خوفهم أمناً بأن يحول بينهم وبين ما يتفكرون فيه من أسباب الخوف وروى يونس بن عمار عن أبي عبد الله (ع) قال أنه يحول بين المرء وقلبه معناه لا يستيقن القلب أن الحق باطل أبداً ولا يستيقن القلب أن الباطل حق أبداً وروى هشام بن سالم عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال معناه يحول بينه وبين أن يعلم أن الباطل حق أوردهما العياشي في تفسيره وقال محمد بن إسحاق معناه لا يستطيع القلب أن يكتم الله شيئاً وهذا في معنى قول الحسن ﴿ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ﴾ معناه واعلموا.

(١) قوله أوفيت أي أشرفت . والعلم : الجبل .

أنكم تحشرون أي تجمعون للجزاء على أعمالكم يوم القيامة أن خيراً فخير وإن شراً فشر ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة وأمرهم أن يتقوها فكأنه قال إتقوا فتنة لا تقربوها فتصيبكم لأن قوله لا تصيبن نهى مسوق على الأمر ولفظ النهي واقع على الفتنة وهو في المعنى للمأمورين بالالتقاء كقوله ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أي إحدروا أن يدرككم الموت قبل أن تسلموا واختلف في معنى الفتنة هاهنا فقليل هي العذاب أمر الله المؤمنين أن لا يقربوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة عن ابن عباس والجبائي وقيل هي البلية التي يظهر باطن أمر الإنسان فيها عن الحسن قال ونزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها فخالفنا حتى أصابتنا خاصة وقيل نزلت في أهل بدر خاصة فأصابتهم يوم الجمل فاقتلوا عن السدي وقيل هي الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً عن ابن زيد وقيل هي الهرج الذي يركب الناس فيه بالظلم ويدخل ضرره على كل أحد ثم اختلف في إصابة هذه الفتنة على قولين (أحدهما) أنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم أما الظالمون فمعدَّبون وأما المؤمنون فممتحنون محصون عن ابن عباس وروى أنه سئل عنها فقال أبهموا ما أبهم الله (والثاني) أنها تخص الظالم لأن الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره واتقوا عذاباً يصيب الظلمة خاصة . ويقويه قراءة من قرأ لتصيب الذين ظلموا منكم خاصة باللام فإنه تفسيره على هذا المعنى وقيل إن لا في قوله لا تصيبن زائدة ويجوز أن يقال إن الألف في لا لإشباع الفتحة على ما تقدم ذكره قال أبو مسلم تقديره إحدروا أن يخص الظالم منكم بعذاب أي لا تظلموا فيأتيكم عذاب لا ينجو منه إلا من زال عنه اسم الظلم ﴿ واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ لمن لم يتق المعاصي وروى الثعلبي بإسناده عن حذيفة أنه قال أتتكم فتن كقطع الليل المظلم يهلك فيها كل شجاع بطل وكل راكب موضع وكل خطيب مضقع^(١) وفي حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعمار يا عمار أنه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب (ع) فإن سلك

(١) الراكب الموضع في الفتنة -: المسرع فيها . والمضقع - كمبر - : البليغ .

الناس كلهم وادياً وسلک عليّ وادياً فاسلک وادي عليّ وخلّ عن الناس يا عمار أن علياً لا يردّك عن هدى ولا يدلك على ردى يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله رواه السيد أبو طالب الهروي بإسناده عن علقمة والأسود قالاً أتينا أبا أيوب الأنصاري الخبير بطوله وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم أبي القاسم الحسكاني وحدثنا عنه أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني حدثني محمد بن القاسم بن أحمد قال حدثنا أبو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد قال حدثنا محمد بن صالح العرزمي قال حدثنا عبد الرحمن بن أبي حاتم قال حدثنا أبو سعيد الأشج عن أبي خلف الأحمر عن إبراهيم بن طهمان عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ﴿ واتقوا فتنة ﴾ قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ظلم علياً مقعدي هذا بعد وفاتي فكأنما جحد بنبوتي ونبوة الأنبياء قبلي .

﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ

النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيْدِيكُمْ يُنْصِرُهُ ۚ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ ﴿٢١﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

[اللغة] الذكر ضدّ السهو وهو إحصار المعنى للنفس والاستضعاف طلب ضعف الشيء بتهوين حاله والتخطف الأخذ بسرعة إنتزاع يقال تخطف وخطف واختطف .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه حالتهم السالفة في القلة والضعف وإنعامه عليهم بالنصر والتأييد والتكثير فقال ﴿ واذكروا ﴾ معشر المهاجرين ﴿ إذ أنتم قليل ﴾ في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الإسلام ﴿ مستضعفون ﴾ يطلب ضعفكم بتهوين أمركم ﴿ في الأرض ﴾ أي في مكة عن ابن عباس والحسن ﴿ تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ أي يستلبكم المشركون من العرب إن خرجتم منها وقيل أنه يعني بالناس كفار قريش عن قتادة وعكرمة وقيل فارس والروم عن وهب ﴿ فأواكم ﴾ أي جعل لكم مأوى ترجعون إليه يعني المدينة دار الهجرة ﴿ وأيدكم بنصره ﴾ أي قواكم ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ يعني الغنائم أحلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم وقيل هي عامة في جميع ما أعطاهم من الأطعمة اللذيذة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ أي لكي تشكروا والمعنى قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة فتشكروا عليها .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٧) وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ
وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

[اللغة] الخيانة منع الحق الذي قد ضمن التأدية فيه وهي ضد الأمانة وأصلها أن تنقص من أثمنتك أمانته قال زهير :

بَارِزَةُ الْفِقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرُّكَابِ وَلَا خَلَا^(١)
أي لم ينقص من فرائدها .

[الإعراب] وتخونوا مجزوم على النهي وتقديره ولا تخونوا عن الأخفش وهو في معنى قول ابن عباس وقيل أنه نصب على الظرف مثل قول الشاعر :

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقِي وَتَأْتِي بِمِثْلِهِ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وهو في معنى قول السدي .

[النزول] قال عطا سمعت جابر بن عبد الله يقول أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبرائيل (ع) النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فأخرجوا إليه واكتبوا قال فكتب إليه رجل من المنافقين أن محمداً يريدكم فخذوا حذرکم فأنزل الله هذه الآية وقال السدي كانوا يسمعون الشيء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين وقال الكلبي والزهري نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير على أن يسيروا إلى إخوانهم إلى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى أن يعطيهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا أرسل إلينا أبا لبابة وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله وولده كانت عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الأزره : الشديدة المجتمع بعضها إلى بعض . أراد أنها مدمجة الفقار متداخلته وذلك أقوى لها . والقطاف مصدر القطف من الدواب : البطيء .

فأتاهم فقالوا ما ترى يا أبا لبابة أتزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا فأتاه جبرائيل (ع) فأخبره بذلك قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فيه فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقبل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحلّه بيده ثم قال أبو لبابة أن من تمام توبتي أن أهجز دار قومي التي أصبت فيها الذنب وإن إنخلع من مالي فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجزئك الثلث أن تصدق به وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

[المعنى] ثم أمرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ﴾ أي لا تخونوا الله بترك فرائضه والرسول بترك سننه وشرائعه عن ابن عباس وقيل إن من ترك شيئاً من الدين وضيعه فقد خان الله ورسوله عن الحسن ﴿ وتخونوا أماناتكم ﴾ يعني الأعمال التي إئتمن الله عليها العباد يعني الفرائض التي يقول لا تنقصوها عن ابن عباس وقيل أنهم إذا خانوا الله والرسول فقد يخافون أماناتهم عن السدي ﴿ وأنتم تعلمون ﴾ ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل وأنتم تعلمون أنها أمانة من غير شبهة ﴿ واعلموا ﴾ أي وتحققوا وأيقنوا ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ أي بلية عليكم إبتلاككم الله تعالى بها فإن أبا لبابة حملة على ما فعله ماله الذي كان في أيديهم وأولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم ﴿ وإن الله عنده أجر عظيم ﴾ لمن أطاعه وخرج إلى الجهاد ولم يخن الله ورسوله وذلك خير من الأموال والأولاد بين سبحانه بهذه الآية أنه يختبر خلقه بالأموال والأولاد ليتبين الراضي بقسمه ممن لا يرضى به وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ولكن ليظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن فإن الله تعالى يقول واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقد روي هذا المعنى عن ابن مسعود أيضاً .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ

عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

[المعنى] ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أي يا أيها المؤمنون ﴿ ان تتقوا الله ﴾ أي ان تتقوا عقاب الله بإتقاء معاصيه وإداء فرائضه ﴿ يجعل لكم فرقاناً ﴾ أي هداية ونوراً في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل عن ابن جريج وابن زيد وقيل معناه يجعل لكم مخرجاً في الدنيا والآخرة عن مجاهد وقيل يجعل لكم نجاة عن السدي وقيل يجعل لكم فتحاً ونصراً كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان عن الفراء وقيل يجعل لكم عزاً في الدنيا وثواباً في الآخرة وعقوبة وخذلاناً لإعدائكم وذلاً وعقاباً كل ذلك يفرق بينكم وبينهم في الدنيا والآخرة عن الجبائي ﴿ ويكفر عنكم سيئاتكم ﴾ التي عملتموها ﴿ يغفر لكم ﴾ ذنوبكم ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾ على خلقه بما أنعم عليهم من أنواع النعم فإذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير إستحقاق كرمأ منه وجوداً فإنه لا يمنعهم ما استحقوه بطاعاتهم له وقيل معناه إذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق فعليه إتمام ذلك بنعيم الآخرة باستحقاق وغير استحقاق .

[النظم] قيل اتصلت الآية بأول السورة من الأمر بالجهاد وتقديره أن تتقوا الله ولم تخالفوه فيما أمركم به من الجهاد يجعل لكم فرقاناً وقيل أنه لم أمر بالطاعة وترك الخيانة بين بعده ما أعدّه لمن إمتثل أمره في الدنيا والآخرة .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ

وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾

[اللغة] المكر الميل إلى جهة الشر في خفية قال الأزهري المكر من الناس خبٌ وخداع ومن الله جزاء وأصل المكر الالتفاف من قولهم جارية ممكورة قال ذو الرمة :

عَجَزَاءُ مَمْكُورَةٌ خَمْضَانَةٌ قَلِقُ عَنْهَا الْوِشَاحُ وَتَمَّ الْجِسْمُ وَالْقَصَبُ^(١)

أي ملتفة والفرق بين المكر والغدر أن الغدر نقض العهد الذي يجب الوفاء به والمكر قد يكون ابتداء من غير عقد والإثبات الحبس يقال رماه فأثبتته أي حبسه مكانه وأثبتته في

(١) بعض البيت في صفحة ٦٩٨ .

الحرب إذا جرحه جراحة مثقلة .

[النزول] قال المفسرون أنها نزلت في قصة دار الندوة وذلك أن نفرأ من قريش اجتمعوا فيها وهي دار قصي بن كلاب وتأمروا في أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون وقال أبو البختری أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه وقال أبو جهل ما هذا برأي ولكن إقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيا فهم ضربة رجل واحد فيرضى حينئذ بنو هاشم بالدية فصوب إبليس هذا الرأي وكان قد جاءهم في صورة شيخ كبير من أهل نجد وخطأ الأولين فاتفقوا على هذا الرأي وأعدوا الرجال والسلاح وجاء جبرائيل (ع) فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرج إلى الغار وأمر علياً (ع) فبات على فراشه فلما أصبحوا وفتشوا عن الفراش وجدوا علياً وقد رد الله مكرهم فقالوا أين محمد فقال لا أدري فاقتصوا أثره وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الجبل ومرو بالغار رأوا على بابة نسج العنكبوت فقالوا لو كان هاهنا لم يكن نسج العنكبوت على بابة فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة .

[المعنى] ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ﴾ أي واذكره إذ يحتال الكفار في إبطال أمرك ويدبرون في هلاكك وهم مشركو العرب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأبو البختری بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف وغيره ﴿ ليثبتوك ﴾ أي ليقيدوك ويثبتوك في الوثاق عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت عن عطا والسدي وقيل معناه ليثبتوك بالجراحة والضرب عن أبان بن تغلب والجبائي وأبو حاتم وأنشد :

فَقُلْتُ وَيْحَكَ مَاذَا فِي صَحِيفَتِكُمْ قَالُوا الْخَلِيفَةُ أُمْسَى مُثَبَّأً وَجَعَا

﴿ أو يقتلوك أو يخرجوك ﴾ من مكة إلى طرف من أطراف الأرض وقيل أو يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾ أي ويدبرون في أمرك ويدبر الله في أمرهم عن أبي مسلم وقيل ويحتالون في أمرك من حيث لا تشعر فأحل الله بهم ما أراد من عذابه من حيث لا يشعرون عن الجبائي وقيل يمكرون والله تعالى يجازيهم على مكرهم كما قال سبحانه وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ والله خير الماكرين ﴾ لأنه لا يمكر إلا ما هو حق وصواب وهو إنزال المكروه بمن يستحقه والعباد قد يمكرون مكرأ هو ظلم وباطل

ومكرهم الذي هو عدل لا يبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله فلذلك قال خير الماكرين وقيل معناه خير المجازين على المكر .

[النظم] الآية إتصلت بقوله ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل ﴾ فتقديره واذكروا تلك الحال واذكروا ما مكر الكفار بمكة عن أبي مسلم وغيره وقيل إنها يتصل بما قبلها من قوله ﴿ أن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ يعني يجعل لكم نجاة كما جعل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه النجاة من مكر مشركي قريش فاذكروا ذلك .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣١) وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)

[الإعراب] هو الحق هو فصل لا محل له من الإعراب ويسميه الكوفيون عماداً والحق منصوب بأنه خبر كان ويجوز فيه الرفع ولكن لم يقرأ به واللام في قوله ليُعَذِّبَهُمْ لام الجحد وأصلها لام الإضافة وإنما دخلت في النفي ولم تدخل في الإيجاب لتعلق الخبر بحرف النفي كما دخلت الباء في خبر ما ولم تدخل في الإيجاب وموضع أن من قوله أن لا يعذبهم الله نصب لأن تقديره وما لهم في أن لا يعذبهم الله أي شيء لهم في ذلك لكن لما حذف الجار عمل معنى الفعل الذي هو الاستقرار ونحوه وإنما جاز الحذف مع إن ولم يجز

مع المصدر لطول الكلام بالصلة اللازمة من الفعل والفاعل وليس كذلك المصدر .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ومباہتہم للحق فقال ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا ﴾ من القرآن ﴿ قالوا قد سمعنا ﴾ أي أدركنا بأذاننا فإن السماع إدراك الصوت بحاسة الأذن ﴿ لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴾ إنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بسورة مثله بعد التحدي عداوة وعناداً وقد تحمل الإنسان شدة العداوة على أن يقول ما لا يعلم وقيل إنما قالوا ذلك لأنه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه في المستقبل إذ القرآن كان مركباً من كلمات جارية على السنتهم فطمعوا أن يتأتى لهم في ذلك المستقبل بخلاف صيرورة العصا حية في أنه قد انقطع طمعهم عن الإتيان بمثله إذ جنس ذلك لم يكن في مقدورهم ﴿ إن هذا إلا أساطير الأولين ﴾ معناه ما هذه إلا أحاديث الأولين تتلوها علينا وكان قائل هذا النضر بن الحارث بن كلفة وأسر يوم بدر فقتله رسول الله ﷺ وعقبة بن أبي معيط قال يا عليّ عليّ بالنضر أبغيه فأخذ عليّ بشعره وكان رجلاً جميلاً له شعر فجاء به إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أسألك بالرحم بيني وبينك ألا أجريتنى كرجل من قريش إن قتلتهم قتلتنى وإن فاديتهم فاديتني فقال ﷺ لا رحم بيني وبينك قطع الله الرحم بالإسلام فدمه يا علي فاضرب عنقه فضرب عنقه ثم قال يا علي عليّ بعقبة فأحضر فقال يا محمد ألم تقل لا تُضبر قريش أي لا يقتلون صبراً فقال ﷺ وأنت من قريش إنما أنت علع من أهل صفورية والله لأنت في الميلاد أكبر من أبيك الذي تدعى له قال فمن للصبية قال ﷺ النار ثم قال حنّ قدح ليس منها قال سعيد بن جبیر قتل رسول الله ﷺ يوم بدر ثلاثة نفر من قريش صبراً المطعم بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ﴿ وإذا قالوا ﴾ أي واذكر يا محمد إذ قالوا أي قال هؤلاء الكفار ﴿ اللهم إن كان هذا ﴾ الذي جاء به محمد ﴿ هو الحق من عندك ﴾ دون ما نحن عليه ﴿ فامطر علينا حجارة من السماء ﴾ كما أمطرته على قوم لوط ﴿ أو إئتنا بعذاب أليم ﴾ أي شديد مؤلم والقائل لذلك النضر بن الحارث أيضاً عن سعيد بن جبیر ومجاهد وروي في الصحيحين أن هذا من قول أبي جهل ويسأل هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق وإنما يطلب بالحق الخير والثواب والأجر والجواب أنهم كانوا يعتقدون أن ما جاء به النبي ﷺ ليس بحق من الله وإذا لم يكن حقاً لم يصبهم شيء ويقال لم قال امطر من السماء والإمطار لا يكون إلا من السماء وفي هذا جوابان (أحدهما) أنه يجوز أن يكون أمطار الحجارة من مكان عال غير السماء (والثاني) أنه على طريق البيان بمن ثم قال سبحانه

﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وما كان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وأنت مقيم بين أظهرهم لفضلك وحرمتك يا محمد فإن الله تعالى بعثك رحمة للعالمين فلا يعذبهم إلا بعد أن يفعلوا ما يستحقون به سلب النعمة بإخراجك عنهم قال ابن عباس إن الله سبحانه لم يعذب قومه حتى أخرجوه منها ﴿ وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ معناه وما كان الله يعذبهم وفيهم بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعذر وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركي مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائي وقيل معناه وما يعذبهم الله بعذاب الاستئصال في الدنيا وهم يقولون غفرانك ربنا وإنما يعذبهم على شركهم في الآخرة عن ابن عباس في رواية أخرى ويزيد بن رومان وأبي موسى ومحمد بن مبشر وفي تفسير علي بن إبراهيم لما قال النبي ﷺ لقريش إني أقتل جميع ملوك الدنيا وأجري الملك إليكم فأجيئوني إلى ما أدعوكم إليه تملكون بها العرب وتدين لكم العجم فقال أبو جهل اللهم إن كان هذا هو الحق الآية حسداً لرسول الله ﷺ ثم قال غفرانك اللهم ربنا فانزل الله ﴿ وما كان الله ليعذبهم ﴾ الآية ولما هموا بقتل رسول الله وأخرجوه من مكة أنزل الله سبحانه ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ الآية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا وقيل معناه أنهم لو استغفروا لم يعذبوا وفي ذلك استدعاء إلى الاستغفار عن ابن عباس في رواية أخرى والسدي وقتادة وابن زيد قال مجاهد وفي أصلابهم من يستغفر وقال عكرمة وهم يسلمون فأراد بالاستغفار الإسلام وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به وقرأ هذه الآية وروي ذلك عن قتادة أيضاً ﴿ وما لهم ألا يعذبهم الله ﴾ معناه ولم لا يعذبهم الله وأي أمر يوجب ترك تعذيبهم ﴿ وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴾ أي يمنعون عن المسجد الحرام أوليائه فحذف لأن ما بعده يدل عليه ﴿ وما كانوا أولياءه ﴾ أي وما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وإن سعوا في عمارته ﴿ إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ معناه وما أولياء المسجد الحرام إلا المتقون عن الحسن وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل معناه وما كانوا أولياء الله إن أولياء الله إلا المتقون الذين يتركون معاصي الله ويجتنبونها والأول أحسن ويسأل فيقال كيف يجمع بين الآيتين وفي الأولى نفي تعذيبهم وفي الثانية اثبات ذلك وجوابه على ثلاثة أوجه (أحدها) أن المراد

بالأول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالأمم الماضية وبالثاني عذاب القتل بالسيف والأسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم (والآخر) أنه أراد وما لهم أن لا يعذبهم الله في الآخرة ويريد بالأول عذاب الدنيا عن الجبائي (والثالث) أن الأول استدعاه للاستغفار يريد أنه لا يعذبهم بعذاب دنيا ولا آخرة إذا استغفروا وتابوا فإذا لم يفعلوا عذبوا ثم بين أن استحقاقهم العذاب بصددهم الناس عن المسجد الحرام .

﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ۚ

فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٥﴾

[القراءة] يروى في الشواذ عن عاصم وما كان صلاتهم بالنصب إلا مكاء وتصديّة بالرفع وروى أيضاً عن أبان بن تغلب .

[الحجة] قال ابن جني لسنّا ندفع أن جعل اسم كان نكرة وخبرها معرفة قبيح وإنما جاءت منه أبيات شاذة لكن من وراء ذلك ما أذكره وهو أن نكرة الجنس تفيد مفاد معرفته ألا تراك تقول خرجت فإذا أسد بالباب فتحدّ معناه فإذا الأسد بالباب ولا فرق بينهما وذلك أنك في الموضعين لا تريد أسداً واحداً معيناً وإنما تريد واحداً من هذا الجنس وإذا كان كذلك جاز هنا الرفع في مكاء وتصديّة جوازاً قريباً كأنه قال وما كان صلاتهم إلا هذا الجنس من الفعل ولا يكون مثل قولك كان قائم أخاك لأنه ليس في قائم معنى الجنسية وأيضاً فإنه يجوز مع النفي ما لا يجوز مع الإيجاب ألا تراك تقول ما كان إنسان خيراً منك ولا تجيز كان إنسان خيراً منك .

[اللفظة] المُكَّاء الصغير والمُكَّاء طائر يكون بالحجاز له صغير بالتشديد يقال مكاء يمكو مكاء إذا صفر بفيه قال عترة :

وَحَلِيلٌ غَانِيَةٌ تَرَكْتُ مُجَدَّلاً تَمْكُو فَرِيضَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ (١)

والتصديّة التصفيق وهو ضرب اليد على اليد ومنه الصدى صوت الجبل ونحوه .

(١) الحليل : الزوج . الغانية : المرأة التي غنيت بحسنها وجمالها عن الزينة . جدله فتجدل : رماه بالأرض فارتمى شدق : طفلة الغم من باطن الخدين . الأعلم : مشفوق الشفة العليا . يصف رجلاً طعنه .

[المعنى] ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت ﴾ يعني هؤلاء المشركين الصادين عن المسجد الحرام ﴿ إلا مكاء وتصدية ﴾ قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وصلاتهم معناه دعاؤهم أي يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح وقيل أراد ليس لهم صلاة ولا عبادة وإنما يحصل منهم ما هو ضرب من اللهو واللعب فالمسلمون الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت أحق بمنع المشركين منه وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبد الدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته فقتلهم الله جميعاً ببدر ولهم يقول ولبقية بني عبد الدار ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ يعني عذاب السيف يوم بدر عن الحسن والضحاك وقيل عذاب الآخرة على هذا يكون في الكلام حذف أي يقال لهم إذا عذبوا ذوقوا العذاب ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ بتوحيد الله .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْزِقُنَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ
حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٨٧﴾ لِيَمِيزَ
اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ
فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٨٨﴾

[اللغة] الحسرة الغم بما انكشف من فوت استدراك الخطيئة وأصله الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً والتميز إخراج الشيء عما خالفه مما ليس منه وإلحاقه بما هو منه يقال ميزه يميزه ومازه ويميزه فامتاز وانماز الأزهري الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً مرتكماً وهو المتراكب بعضه فوق بعض .

[التزويل] قيل نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش يقاتل بهم النبي ﷺ سوى من استجاشهم من العرب وفيهم يقول كعب بن مالك :

فَجِئْنَا إِلَىٰ مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطَهُمُ أَحَابِيشُ مِنْهُمْ خَاسِرٌ وَمُقَنَّنُ

ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَنَحْنُ بِسَقِيَّةٍ ثَلَاثُ مِثْمِينَ إِنْ كَثُرْنَا فَارْبَعُ

عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلاً أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان كل يوم يُطعم واحد منهم عشر جزر وكانت النوبة يوم الهزيمة للعباس عن الكلبي والضحاك ومقاتل وقيل لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع قُلُوبُهُمْ^(١) إلى مكة مشى صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل في رجال من قريش أصيب أبائهم وأخوانهم ببدر فكلّموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمداً قد وترككم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال الذي أفلت على حربته لعلنا أن ندرك منه ثأراً بمن أصيب منا ففعلوا فأنزل الله فيهم هذه الآية رواه محمد بن إسحاق عن رجاله .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه انفاق المشركين أموالهم في معصية الله تعالى فقال ﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَموالَهُمْ ﴾ في قتال الرسول والمؤمنين ﴿ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي ليمنعوا بذلك الناس عن دين الله الذي أتى به محمد ﷺ وإنما قال ليصدوا وإن كانوا لم يقصدوا ذلك من حيث لم يعلموا أن ذلك دين الله لأن فعلهم ذلك كان صدأً عن دين الله وإن لم يقصدوا ذلك ﴿ فَيَسْتَفْقُونَهَا ﴾ معناه فسيقع منهم الانفاق لها ﴿ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ﴾ معناه ثم ينكشف لهم ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم من حيث أنهم لا يتفكرون بذلك الانفاق لا في الدنيا ولا في الآخرة بل يكون وبالاً عليهم ﴿ ثُمَّ يَغْلِبُونَ ﴾ في الحرب أي يغلبهم المؤمنون وفي هذا دلالة على صحة نبوة النبي ﷺ لأنه أخبر بالشيء قبل كونه فوجد على ما أخبر به ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ أي يجمعون إلى النار بعد تحسّرهم في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وإنما أعاد قوله ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ لأن جماعة ممن أنفقوا أسلموا بعد فخصّ منهم من مات على كفره بوعيد الآخرة ﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾ معناه ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين ﴿ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي ويجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض ﴿ فَيَرْكَمَهُ ﴾ أي فيجمعه ﴿ جَمِيعاً ﴾

(١) أي منهزموهم .

في الآخرة ﴿ فيجعلله في جهنم ﴾ فيعاقبهم به كما قال ﴿ يوم يحمى عليها في نار جهنم ﴾ الآية وقيل معناه ليميز الله الكافر من المؤمن في الدنيا بالغلبة والنصر والأسماء الحسنة والاحكام المخصوصة وفي الآخرة بالثواب والجنة عن أبي مسلم وقيل بأن يجعل الكافر في جهنم والمؤمن في الجنة ويجعل الخبيث بعضه على بعض في جهنم يضيقها عليهم فيركمه جميعاً أي يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم بأن يكون بعضهم فوق بعض في النار مجتمعين فيها فيجعلله في جهنم أي فيدخله جهنم ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ قد خسروا أنفسهم لأنهم اشتروا بإنفاق الأموال في المعصية عذاب الله في الآخرة .

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٣٨) وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

[اللغة] الانتهاء الاقلاع عن الشيء لأجل النهي يقال نهاه عن كذا فأنتهى والسنة والطريقة والسيرة نظائر قال :

فَلَا تَجْزَعَنَّ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرَّتْهَا فَأُولَ رَاضِي سُنَّةٍ مَنْ يَسِيرُهَا
وَالسَّلُوفُ التَّحَدُّمُ وَالتَّوَلَّى عَنِ الدِّينِ الذَّهَابُ عَنْهُ إِلَى خِلَافِهِ وَالتَّوَلَّى فِيهِ هُوَ الذَّهَابُ إِلَى
جِهَةِ الْحَقِّ وَمَتَابَعَتِهِ .

[الإعراب] وان تولوا شرط وقوله فاعلموا أن الله مولاكم أمر في موضع الجواب وإنما جاز ذلك لأن فيه معنى الخبر فكأنه قال فواجب عليكم العلم بأن الله مولاكم .

[المعنى] ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم إلى التوبة والإيمان فقال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ للذين كفروا أن ينتهوا ﴾ أي يتوبوا عما هم عليه من الشرك ويمتنعوا منه ﴿ يغفر لهم ما قد

سلف ﴿ أي ما قد مضى من ذنوبهم وقيل معناه أن ينتهوا عن المحاربة إلى المَوادعة يغفر لهم ما قد سلف من المعاقبة ﴾ وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴿ معناه وإن يعودوا إلى القتال وأصروا على الكفر فقد مضت سنة الله في آبائكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت أعداء الدين والأسر والاسترقاق وإنما ذكر ذلك تحذيراً لهم وأضاف السنة إليهم لأنها كانت تجري عليهم وقال سنة من قد أرسلنا فأضاف السنة إلى الرسل لأنها كانت تجري على أيديهم ثم قال ولا تجد أستاذنا تحويلاً فأضاف إلى نفسه لأنه هو المجري لها ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا تكون فتنة أي شرك عن ابن عباس والحسن ومعناه حتى لا يكون كافر بغير عهد لأن الكافر إذا كان بغير عهد كان عزيزاً في قومه يدعو الناس إلى دينه فتكون الفتنة في الدين وقيل حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ﴿ ويكون الدين كله لله ﴾ أي ويجتمع أهل الحق وأهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ويعملون به أي ويكون الدين حينئذ كله لله باجتماع الناس عليه وروى زرارة وغيره عن أبي عبد الله (ع) أنه قال لم يجرى تأويل هذه الآية ولو قام قائمنا بعد سيري من يدركه ما يكون من تأويل هذه الآية وليبلغ دين محمد ﷺ ما بلغ الليل حتى لا يكون مشرك على ظهر الأرض كما قال الله تعالى ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ﴾ ﴿ فإن انتهوا ﴾ عن الكفر ﴿ فإن الله بما يعملون بصير ﴾ معناه فإن رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فإن الله يجازيهم بأعمالهم مجازاة البصير بها باطنها وظاهرها لا يخفى عليه منها شيء ﴿ وإن تولوا ﴾ عن دين الله وطاعته ﴿ فاعلموا ﴾ أيها المؤمنون ﴿ إن الله مولاكم ﴾ أي ناصركم وسيدكم وحافظكم ﴿ نعم المولى ﴾ أي نعم السيد والحافظ ﴿ ونعم النصير ﴾ هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولا يخذل من هو ناصره .

﴿ * وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ

خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ

يَوْمَ التَّنَاقُ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

[اللغة] الغنيمة ما أخذ من أموال أهل الحرب من الكفار بقتال وهي هبة من الله تعالى للمسلمين والفيء ما أخذ بغير قتال وهو قول عطاء ومذهب الشافعي وسفيان وهو المروي عن أئمتنا (ع) وقال قوم الغنيمة والفيء واحد وأدعوا أن هذه الآية ناسخة للتي في الحشر من قوله ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ الآية واليتيم الذي مات أبوه وهو صغير قبل البلوغ وكل حيوان يتيم من قبل أمه إلا الإنسان فإنه من قبل أبيه والمساكين الذي تحل له الصدقة وهو المحتاج الذي من شأنه أن تسكنه الحاجة عما ينهض به الغني وابن السبيل المسافر المنقطع به في سفره وإنما قيل ابن السبيل لأن السبيل أخرجه إلى هذا المستقر كما أخرجه أبوه إلى مستقره .

[الإعراب] فإن الله خمسة قيل في فتح أن قولان (أحدهما) أن تقديره فعلى أن الله خمسة ثم حذف حرف الجر (والآخر) أنه عطف على أن الأولى وحذف خبر الأولى للدلالة الكلام عليه وتقديره اعلّموا أنما غنمتكم من شيء يجب قسمته فاعلموا أن الله خمسة .

[المعنى] ثم بيّن سبحانه حكم الغنيمة فقال سبحانه مخاطباً للمسلمين ﴿ واعلموا إنما غنمتكم من شيء ﴾ أي مما قل أو كثر ﴿ فإن الله خمسة وللرسول ولذي القربى ﴾ اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس ومن يفتحه على أقوال (أحدها) ما ذهب إليه أصحابنا وهو أن الخمس يقسم على ستة أسهم فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول ﷺ وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لأن الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس وروى ذلك الطبري عن علي بن الحسين زين العابدين (ع) ومحمد بن علي الباقر عليهما السلام وروى أيضاً عن أبي العالية والربيع أنه يقسم على ستة أسهم إلا أنهما قالاً سهم الله للكعبة والباقي لمن ذكره الله وهذا القسم مما يقتضيه ظاهر الكتاب ويقويه والثاني أن الخمس يقسم على خمسة أسهم وإن سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم إلى الكراع^(١) والسلاح وهو المروي عن ابن عباس وإبراهيم وقتادة وعطاء والثالث أن يقسم على أربعة أسهم سهم ذي القربى لقربة النبي ﷺ والأسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين وهو مذهب الشافعي والرابع أنه يقسم على ثلاثة

(١) الكراع : اسم لجميع الخيل .

أسهم لأن سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لأن الأنبياء لا يورثون فيما يزعمون وسهم ذي القربى قد سقط لأن أبا بكر وعمر لم يعطيا سهم ذي القربى ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة عليهما وهو مذهب أبي حنيفة وأهل العراق ومنهم من قال لو أعطى فقراء ذوي القربى سهماً والآخرين ثلاثة أسهم جاز ولو جعل ذوو القربى أسوة الفقراء ولا يفرد لهم سهم جاز واختلف في ذوي القربى فقليل هم بنو هاشم خاصة من ولد عبد المطلب لأن هاشماً لم يعقب إلا منه عن ابن عباس ومجاهد وإليه ذهب أصحابنا وقيل هم بنو هاشم بن عبد مناف وبنو المطلب بن عبد مناف وهو مذهب الشافعي وروي ذلك عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ وقال أصحابنا أن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب وأرباح التجارات وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك مما هو مذكور في الكتب ويمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة ونعود إلى تأويل الآية قوله ﴿فَأَنْ لَّهِ خُمُسُهُ﴾ قالوا افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك لأن الأشياء كلها له عز وجل والمراد به مصروف إلى الجهات المقربة إلى الله تعالى وللرسول قالوا كان للنبي ﷺ سهم من خمسة أسهم يصرفه في مؤنته وما فضل من ذلك يصرفه إلى الكراع والسلاح والمصالح ولذي القربى قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ﷺ على ما ذكرناه قال الشافعي يصرف سهم الرسول إلى الخيل والكراع في سبيل الله وسهم ذي القربى لبني هاشم وبني المطلب يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه الغني والفقير وروي عن الحسن وقتادة أن سهم الله وسهم الرسول وسهم ذي القربى للإمام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ومصالح المسلمين وهو مثل مذهبنا ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قالوا إن هذه الأسهم الثلاثة لجميع الناس وأنه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم وقد بينا أن عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ قال الزجاج يجوز أن يكون إن كنتم آمنتم معلقة بقوله فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير إن كنتم آمنتم بالله ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان﴾ أي فأيقنوا أن الله ناصركم إن كنتم قد شاهدتم من نصره ما قد شاهدتم ويجوز أن يكون إن كنتم آمنتم بالله معناه اعلّموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول يأمر أن فيه بما يريدان إن كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ما أمرتم به من الغنيمة واعملوا به وما أنزلنا على عبدنا أي وآمنتم بما أنزلنا على محمد من القرآن وقيل من النصر وقيل من الملائكة أي علمتم أن ظفركم على عدوكم كان بنا يوم الفرقان يعني يوم بدر لأن الله تعالى

فرق فيه بين المسلمين والمشركين بإعزاز هؤلاء وقمع أولئك يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً وجمع الكافرين وهم بين تسعمائة إلى ألف من صناديد قريش ورؤسائهم فهزموهم وقتلوا منهم زيادة على السبعين وأسروا منهم مثل ذلك وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة على رأس ثمانية عشر شهراً وقيل كان التاسع عشر من شهر رمضان وقد روي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿ والله على كل شيء قدير ﴾ قد مر تفسيره في سورة البقرة وفي تفسير الثعلبي قال المنهال بن عمرو سألت علي بن الحسين (ع) وعبد الله بن محمد بن علي عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي أن الله يقول ﴿ واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ فقال يتامانا ومساكيننا وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) قال كتب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن موضع الخمس فكتب إليه ابن عباس أما الخمس فإننا نزع من أنه لنا ونزعم قومنا أنه ليس لنا فصبرنا وعن أبي عبد الله (ع) قال إن الله تعالى لما حرم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا حلال والكرامة لنا حلال .

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ
الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ
لَا خَلْفَكُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا
لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ
كَثِيرًا فَفَسَلَتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا
وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

[القراءة] قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالعدوة بكسر العين والباقون بضمها وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم والبزي عن ابن كثير جَمَيَّ بإظهار اليائين والباقون حَيَّ بالادغام .

[الحجة] الكسر والضم في العدوة لغتان قال الراعي في الكسر:

وَعَيْنَانِ حُمٌّ مَأْقِيَهُمَا كَمَا نَظَرَ الْعِدْوَةَ الْجُؤُودُ^(١)

وقال أوس بن حجر في الضم :

وَفَارِسٌ لَا يَجِلُّ الْحَيُّ عُذْوَتَهُ وَلَوْ سِرَاعاً وَمَا هُمَا بِإِقْبَالِ

ومن أدغم حي فللزوم الحركة في الثاني فجرى مجرى ردوا إذا أخبروا عن جماعة قالوا حيوا فخففوا وقد جاء مدغماً نحو حيوا قال :

عَيُّوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا غَيَّتْ بِيضَتَهَا الْحُمَامَةُ^(٢)

ومن اختار الاظهار فلامتناع الإدغام في مضارعه وهو يحيا فاجري الماضي على شاكلة المستقبل .

[اللفظة] العدوة شفير الوادي وللوادي عدوتان وهما جانباه والجمع عدى وعدى والدنيا تأنيث الأدنى من دنوت والقصوى تأنيث الأقصى وما كان من النعوت على فعلى من بنات الواو فإن العرب تحوَّله إلى الياء نحو الدنيا والعليا استثقلوا الواو مع ضم الأول إلا أن أهل الحجاز قالوا القصوى فأظهروا الواو وهو نادر وغيرهم يقولون القصيا والأقصى الأبعد والقضا البعد وقصوت منه اقصو أي تباعدت والركب جمع راكب مثل شارب وشرب وصاحب وصحب والعلو قرار تحته قرار والسفل قرار فوقه قرار والنوم ضرب من السهو يزول معه معظم الحس والمنام موضع النوم كالمضطجع موضع الاضطجاع والقلة نقصان عن عدة كما أن الكثرة زيادة على عدة والفشل ضعف من فزع والفعل منه فُشِلَ يفشل والتنازع الاختلاف الذي يحاول كل واحد نزع صاحبه مما هو عليه والسلامة النجاة من الآفة وأسلم الإنسان دخل في السلامة وأسلمه إسلاماً دفعه عن السلامة وسلمه إذا نجاه واستلم الحجر إذا طلب

(١) الحُمة : السواد . والماق جمع المؤنق : مجرى الدمع من العين . والعدوة : المكان المرتفع . والجؤود : بقر الوحش .

(٢) عَيَّ بِأَمْرِهِ : لم يهتد لوجه مراده .

لمسه على السلامة والصدر الموضع الأجل يكون فيه القلب وصدر المجلس أجله لأنه موضع الرئيس والالتقاء اجتماع الاتصال لأن الاجتماع قد يكون في معنى من غير اتصال كاجتماع القوم في الدار وإن لم يكن هناك اتصال ويقال للعسكريين إذا تصافوا التقيا لوقوع العين على العين .

[الإعراب] إنما نصب أسفل لأن تقديره بمكان أسفل أو في مكان أسفل فهو في موضع جرّ فهو غير منصرف ويجوز أن يكون منصوباً على الظرف على تقدير والركب مكاناً أسفل منكم قال الزجاج ويجوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والركب أسفل منكم أي أشدّ تسفلاً .

[المعنى] ثم بين سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه ﴿ إذ أنتم ﴾ أيها المسلمون ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ قال ابن عباس يريد والله قدير على نصركم وأنتم ^(١) أدلة إذ أنتم نزول بشفير الوادي الأقرب إلى المدينة ﴿ وهم ﴾ يعني المشركين أصحاب النفير ﴿ بالعدوة القصوى ﴾ أي نزول بالشفير الأقصى من المدينة ﴿ والركب ﴾ يعني أبا سفيان وأصحابه وهم العير ﴿ أسفل منكم ﴾ أي في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة أميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفتتين من غير ميعاد وما كان المسلمون فيه من قلة الماء والرمل الذي تسوخ فيه الأرجل مع قلة العدد والعدة وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء والعير أسفل منهم وفيها أموالهم ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ليعلم أن النصر من عنده سبحانه ﴿ ولو تواعدتم لاختلقتم في الميعاد ﴾ معناه لو تواعدتم أيها المسلمون للاجتماع في الموضع الذي اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد عن ابن إسحاق وقيل معناه لاختلقتم بما يعرض من العوائق والقواطع فذكر الميعاد لتأكيد أمره في الاتفاق ولولا لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف كما قال الشاعر :

جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ فَكَانَهُمْ كَأَنوَا عَلَى مِيعَاهِ

﴿ ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ معناه ولكن قدر الله تعالى التقاءكم وجمع بينكم وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضي الله أمراً كان كائناً لا محالة وهو اعزاز الدين وأهله وإذلال

الشرك واهله ومعنى ليقضي ليظهر قضاءه إذ الله تعالى قد قضى ما هو كائن ومعنى قوله مفعولاً أي واجباً كونه لا محالة يقال للأمر الكائن لا محالة هذا أمر مفروغ منه وقيل معناه ليتّم أمراً كان في علمه مفعولاً لا محالة من إظهار الإسلام واعلاء كلمته على عبدة الأصنام ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ أي فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرة للنبي ﷺ وفي حروبه وغيرها ويعيش من عاش منهم بعد قيام الحجة عليه وقيل ان البينة هي وعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس في صدق النبي ﷺ فيما اتاهم به من عند الله وقيل معناه ليهلك من ضلّ بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقاؤه هلاكاً له ويحيا من اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقي على الإيمان حياة له وقوله عن بينة يعني بعد بيان ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب ما يكون منهم ﴿إِذْ يَرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ العامل في إذ ما تقدّم وتقديره أتاكم النصر إذ كنتم بشفير الوادي إذ يريكهم الله وقيل العامل فيه محذوف وتقديره وأذكر يا محمد إذ يريكهم الله أي يريك الله يا محمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُم كَثِيرًا لَفُشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ معناه يريكهم الله في نومك قليلاً لتخبر المؤمنين بذلك فيجتريء المؤمنون على قتالهم وهذا قول أكثر المفسرين وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصوّر يتوهم معه الرؤية في اليقظة ولا يكون إدراكاً ولا علماً بل كثير مما يراه الانسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكاً قال الرمانى ويجوز أن يري الله الشيء في المنام على خلاف ما هو به لأن الرؤيا في المنام تخيل للمعنى من غير قطع وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وإنما ذلك على مثل ما يخيل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ولا يجوز أن يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ما هو به لأن ذلك يكون جهلاً لا يجوز ان يفعله الله سبحانه والرؤيا على اربعة اقسام رؤيا من الله عز وجل ولها تأويل ورؤيا من وساوس الشيطان ورؤيا من غلبة الاخلاط ورؤيا من الافكار وكلها اضغاث احلام إلا الرؤيا من قبل الله تعالى التي هي إلهام في المنام ورؤيا النبي ﷺ هذه كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة وقال الحسن معنى قوله في منامك في موضع نومك أي في عينك التي تنام بها وليس من الرؤيا في النوم وهو قول البلخي وهذا بعيد لأنه خلاف الظاهر ﴿وَلَوْ أَرَاكُم كَثِيرًا﴾ على ما كانوا عليه لجبنتم عن قتالهم وضعفتهم ولتنازعتم في أمر القتال فكان يقول بعضكم نقاتلهم وبعض آخر يخالفونهم ويقول بعضكم لبعض تقدّم انت في القتال ويتأخر هو

بنفسه ﴿ولكن الله سَلَمٌ﴾ أي سَلَمُ المؤمنين عن الفشل والتنازع واختلاف الكلمة واضطراب الأمر بلطفه لهم وإحسانه إليهم حتى بلغوا ما أرادوه من عدوهم ﴿أنه عليهم بذات الصدور﴾ أي بما في قلوبكم يعلم انكم لو علمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال ﴿وإذ يريكموهم إذا التقيتم في اعينكم قليلاً﴾ الكاف والميم كناية عن المؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين اضاف الرؤيا في النوم إلى النبي ﷺ لأن رؤيا الأنبياء لا تكون إلا حقاً واضاف رؤية العين اليهم قلل الله المشركين في أعين المؤمنين ليستد بذلك طمعهم فيهم وجرأتهم عليهم وقلل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ولا يكثرثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون وذلك قوله تعالى ﴿ويقللکم في اعينهم﴾ وقد وردت الرواية عن ابن مسعود قال قلت لرجل بجني أترأهم سبعين رجلاً فقال هم قريب من مائة وقد روي ان ابا جهل كان يقول خذوهم بالأيدي أخذاً ولا تقاتلوهم ومتى قيل كيف قللهم الله في اعينهم مع رؤيتهم لهم قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية اما بغبار أو ما شاكلة فتخيلوهم بأعينهم قليلاً من غير رؤية عن الصحة لجميعهم وذلك لطف من الطاف الله تعالى ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ إنما كرره سبحانه مع ذكره في الآية الأولى لتكرّر الفائدة لأن المعنى في الآية الأولى جمعكم من غير ميعاد ليقضي الله أمراً مفعولاً من الالتقاء على تلك الصفة والمعنى هنا انه قلل كل فريق في عين صاحبه ليقضي أمراً كان مفعولاً من اعزاز الدين بجهادكم وقيل اراد بالأول الوعد بالنصرة يوم بدر وبالثاني الاستمرار على النصر وقيل إنما كرر للتأكيد وإنما قال كان مفعولاً والمعنى يكون مفعولاً في المستقبل لتحقيق كونه لا محالة حتى صار بمنزلة ما قد كان لعلمه سبحانه انه كائن لا محالة ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ مرّ معناه .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ

[اللغة] الريح الدولة قال عبيد بن الابرص :

كَمَا حَمَيْتَاكَ يَوْمَ النُّعْفِ مِنْ شَطَبٍ وَالْفَضْلُ لِلْقَوْمِ مِنْ رِيحٍ وَمِنْ عَدَدٍ^(١)

أي من عزة ودولة والبطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع والرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح .

[الإعراب] فتفشلوا منصوب باضمار ان على معنى جواب النهي ولذلك عطف عليه وتذهب ويصدون في محلّ النصب بالعطف على قوله بطراً ورثاء الناس وهما مصدران وضعا موضع الحال والمعنى يبطرون ويرأؤون ويصدون ولا يجوز ان يكون عطفاً على خرجوا إذ لا يعطف مستقبل على ماضٍ .

[المعنى] ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات في الحرب فقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ أي جماعة كافرة ﴿ فَاثْبِتُوا ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا وإنما اطلق الفئة لأن من المعلوم ان المؤمن لا يقاتل الفئة الكافرة أو الباغية فحذف للايجاز ﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ مستعين به على قتالهم ومتوقعين النصر من قبله عليهم وقيل معناه واذكروا ما وعدكم الله تعالى من النصر على الأعداء في الدنيا والثواب في الآخرة ^{لِيُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ أَجْرًا بَاقٍ} ذلك إلى الثبات في القتال ﴿ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ أي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم وبالشواب عند الله يوم القيامة ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ فيما يأمرانكم به ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾ أي لا تنازعوا في لقاء العدو ولا تختلفوا فيما بينكم فتجنبوا عن عدوكم وتضعفوا عن قتالهم ﴿ وَتَذَهَبْ رِيحُكُمْ ﴾ معناه تذهب صولتكم وقوتكم وقال مجاهد نصرتكم وقال الأخفش دولتكم والريح هاهنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد تقول العرب هبّ ريح فلان إذا جرى أمره على ما يريد وركدت ريحه إذا ابر أمره وقيل إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله عن قتادة وابن زيد ومنه قوله ^{سَبَّحْتَ} نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدُّبور ﴿ وَاصْبِرُوا ﴾ على قتال الأعداء ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ بالنصر والمعونة ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا ﴾ أي بطرين يعني قريشاً خرجوا من مكة ليحموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان والمعازف يشربون الخمر وتعزف عليهم القيان ﴿ وَرِثَاءَ النَّاسِ ﴾ قيل أنهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك إلى الناس كانوا مراثين وقيل اتهم وردوا بدرأ ليروا

(١) النعف: المكان المرتفع في اعراض. وشطب. جبل في ديار بني أسد .

الناس انهم لا يبالون بالمسلمين وفي قلوبهم من الرعب ما فيه فسمى الله سبحانه ذلك رثاء ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي ويمنعون غيرهم عن دين الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ أي عالم بأعمالهم فيجازيهم عليها ولا يخفى عليه منها شيء .

[القصة] قال ابن عباس لما رأى أبو سفيان انه احرز غيره ارسل إلى قريش ان ارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نردّ بدرأ وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثاً وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا ابداً فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح .

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٨﴾﴾

[المعنى] ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ دخلت الواو عطفاً على حال المشركين في خروجهم بطراً ورثاء الناس يعني وفي وقت تزوين الشيطان اعمالهم وقيل أنه يعني واذكروا إذ زين الشيطان للمشركين اعمالهم اي حسنها في نفوسهم وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي لا يغلبكم احد من الناس لكثرة عددكم وقوتكم ﴿وَإِنِّي﴾ مع ذلك ﴿جَارٌ لَكُمْ﴾ أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء وقيل معناه وانني عاقد لكم عقد الأمان من عدوكم من قوله وهو يجير ولا يجار عليه ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْ الْفِئْتَانِ﴾ أي التقت الفرقتان ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ أي رجع القهقري منهزماً وراءه ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أي رجعت عما كنت ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأنني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لا يطاق عقابه وقيل معناه اني أخاف أن يكون قد حل الوقت الذي انظرت إليه فإن الملائكة لا ينزلون إلا لقيام الساعة أو للعقاب وقال قتادة كذب عدو الله

ما به من مخافة ولكنه علم انه لا قوة له ولا منعة وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه حتى إذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وعلى هذا فيكون قوله ارى ما لا ترون معناه اعلم ما لا تعلمون وأخاف الله أن يهلكني فيمن يهلك واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان فقل إن قريشاً لما أجمعت المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ابن عبد مناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يشيهم فجاء إبليس في جند من الشيطان فتبدي لهم في صورة سراقه بن مالك بن جشعم الكناني ثم المدلجي وكان من اشراف كنانة فقال لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم أي مجير لكم من كنانة كما قال الشاعر:

يَا ظَالِمِي أَنِّي تَرُومُ ظُلَامَتِي وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ الْحَوَادِثِ جَارِي

فلما رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لا طاقة لهم بهم نكص على عقبيه عن ابن عباس والسدي والكلبي وغيرهم وقيل انه لما التقوا كان إبليس في صف المشركين أخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يا سراقه أين اتخذ لنا على هذه الحالة فقال له اني ارى ما لا ترون فقال والله ما نرى إلا جعاسيس يثرب فدفع في صدر الحرث وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا إنك أتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان عن الكلبي وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل ان ابليس لا يجوز أن يقدر على خلع صورته ولبس صورة سراقه ولكن الله تعالى جعل إبليس في صورة سراقه علماً للنبي ﷺ وإنما فعل ذلك لأنه علم انه لو لم يدع المشركين انسان إلى قتال المسلمين فإنهم لا يخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بني كنانة فصوّره بصورة سراقه حتى تمّ المراد في إعزاز الدين عن الجبائي وجماعة وقيل ان إبليس لم يتصور في صورة الانسان وإنما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن واختاره البلخي والاول هو المشهور في التفاسير ورأيت في كلام الشيخ المفيد ابي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (رض) انه يجوز ان يقدر الله تعالى الجن ومن جرى مجراهم على أن يجتمعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتى يتمكن الناس من رؤيتهم ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان لأن اجسامهم من الرقة على ما يمكن ذلك فيها وقد وجدنا الانسان يجمع الهوا ويفرقه ويغير صور الاجسام الرخوة ضرورياً من التغيير واعيانها لم تزد ولم تنقص وقد استفاض الخبر بأن ابليس تراءى لأهل دار الندوة في

صورة شيخ من اهل نجد وحضر يوم بدر في صورة سراقه وان جبرائيل (ع) ظهر لأصحاب رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي قال غير محال ايضاً ان يغير الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الأحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان .

﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّهُتْ أَغْشَىٰ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٩ ﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا

الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٢٠ ﴾

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ٢١ ﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده إذ تتوفى بتاءين والباقون يتوفى بالياء والتاء .

[الحجة] من قرأ بالتاء فلا سند الفعل إلى الملائكة ومن قرأ بالياء فلأن التانيث غير

حقيقي .

[الإعراب] العامل في إذ يجوز ان يكون الابتداء والتقدير ذلك إذ يقول ويجوز أن

يكون التقدير اذكر إذ يقول وجواب لو محذوف وتقديره لرأيت منظرًا عظيمًا أو أمرًا عجيبيًا

وحذف الجواب هنا أوجز وابلغ فإن ذكره يخص وجهًا واحدًا ومع الحذف الاحتمال لوجوه

كثيرة وموضع بما قدمت ايديكم يحتمل وجهين من الاعراب (أحدهما) الرفع بكونه خبر ذلك

(والثاني) النصب بأن يكون متصلًا بمحذوف وتقديره ذلك جزاؤكم بما قدمت ايديكم وان الله

ليس بظلام للعبيد يحتمل ان يكون محله نصباً بتقدير وبأن الله اوجراً على الخلاف فيه

ويحتمل ان يكون محله رفعاً بتقدير وذلك ان الله كما تقول ذلك ا .

[المعنى] ﴿إِذَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ هذا يتعلق بما قبله معناه وإذ زين لهم الشيطان

اعمالهم إذ يقول المنافقون فلذلك حذف الواو وهم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ وهم الشاككون في الإسلام مع اظهارهم كلمة الإيمان وقيل انهم

فتية من قريش اسلموا بمكة واحتبسهم اباؤهم فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد ابن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منه بن الحجاج والحارث بن زمعة وابو قيس ابن الفاكهة بن المغيرة لما رأوا قلة المسلمين قالوا ﴿غُرُّ هؤلاء دينهم﴾ أي غرَّ المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قتلهم لأجل دينهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لأنفسهم حين اغترُّوا بقول رسولهم فيئن الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله ﴿ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم﴾ معناه ومن يسلم لأمر الله ويثق به ويرض بفعله وإن قلَّ عددهم فإن الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيز لا يغلب فكذلك لا يغلب من توكل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ يتوفى ابن كفروا الملائكة﴾ أي يقبضون ارواحهم عند الموت ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ يريد استأصمهم ولكن الله سبحانه كنَى عنها عن سعيد بن جبير ومجاهد وقيل وجوههم ما قبل منهم وادبارهم ما ادبر منهم والمراد يضربون جسادهم من قدامهم ومن خلفهم والمراد به قتلى بدر عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين وقيل معناه سيضربهم الملائكة عند الموت قال الرماني وهذا غلط لانه الظاهر وروي الحسن قال ان رجلاً قال يا رسول الله إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فقال ﷺ ذلك ضرب الملائكة وروي مجاهد أن رجلاً قال للنبي ﷺ إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فنذر^(١) فقال سبقك إليه الملائكة ﴿وذوقوا عذاب الحريق﴾ أي ويقول الملائكة للكفار استخفافاً بهم وذوقوا عذاب الحريق بعد هذا في الآخرة وقيل انه كان مع الملائكة يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهب النار في جراحتهم فذلك وله وذوقوا عذاب الحريق ﴿ذلك﴾ أي ذلك العقاب لكم ﴿بما قدّمت ايديكم﴾ أي بما قدمتم وفعلتم وإنما اضاف إلى اليد على التغليب لأن اكثر الأفعال تكون باليد والمراد بذلك بجنايتكم الكفر والمعاصي ﴿وان الله ليس بظلام للعبيد﴾ أي لا يظلم عباده في عقوبتهم من حيث انه إنما عاقبهم بجناياتهم على قدر استحقاتهم وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة في انه يخلق الكفر ثم يعذب عليه وانه يجوز ان يعذب من غير ذنب وان يأخذ بذنب غيره لأن هذا غاية الظلم وقد بالغ عزُ اسمه في نفي الظلم عن نفسه بقوله ليس بظلام للعبيد.

(١) [رأسه] ونذر الشيء : سقط .

﴿ كَذَّابِ ۖ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ
 مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَنَّ
 اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾ كَذَّابِ ۖ آلِ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ
 فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَاذِبٍ ظَلِيمٌ ۝٥٤﴾

[اللغة] الدَّابُ العادة والطريقة يقال ما زال ذلك دأبه ودينه وديده قال الزجاج الدَّابُ
 ادامة الفعل دَابَّ يَدَابُّ في كذا إذا دام عليه وهو دَائِبٌ بفعل كذا أي يجزي فيه على عادة قال
 خدّاش بن زهير.

وَمَا زَالَ ذَاكَ الدَّابُّ حَتَّىٰ تَخْذَلْتِ ۚ هَوَازِنُ وَأَرْقَضْتِ سُلَيْمَ وَغَامِرُ
 والتغيير تصيير الشيء على خلاف ما كان بما لو شوهده على خلاف ما كان.

[الإعراب] كَذَّابِ. الكاف في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ كما يقول زيد خافك
 فموضع خلفك رفع بأنه خبر المبتدأ ولفظه نصب بالاستقرار وتقديره دأبهم كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ
 لم يك أصله يكون فحذفت الواو للجزم ثم حذفت النون استخفافاً لكثرة الاستعمال مع انه
 لا يقع بالحذف اخلال بالمعنى لأن كان ويكون أم الافعال الا ترى أن كُلَّ فعل فيه معناها
 لأنك إذا قلت ضرب فمعناه كان ضرب ويضرب معناه يكون يضرب فلما قويت بأنها أم
 الافعال وكثر استعمالها احتمل الحذف ولم يحتمل نظائرها ذلك مثل لم يصن.

[المعنى] ثم بين سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال ﴿كذّاب﴾
 آلِ فِرْعَوْنَ ﴿أي عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد ﷺ كعادة آلِ فِرْعَوْنَ﴾ والذين من
 قبلهم ﴿في الكفر بالرسول وما انزل اليهم وقيل معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبة
 لآلِ فِرْعَوْنَ وآلِ فِرْعَوْنَ أتباعه والفرق بين آلِ فِرْعَوْنَ واصحاب فِرْعَوْنَ أن لأصحاب مأخوذ من

الصحة وكثر في الموافقة في المذهب كما يقال اصحاب الشافعي وأبي حنيفة يراد به الموافقة في المذهب ولا يقال آل الشافعي إلا لمن يرجعون اليه بالنسب الأوكد الاقرب ﴿كفروا بآيات الله﴾ كما كفر هؤلاء ﴿فأخذهم الله﴾ أي فعاقبهم الله ﴿بذنوبهم إن الله قوي﴾ أي قادر لا يقدر أحد على منعه عن احلال العقاب بما يريد ﴿شديد العقاب﴾ لمن استحقه ولا يوصف الله سبحانه بأنه شديد لأن الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه وإنما وصف العقاب بالشدة دون نفسه وشبهه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون لأن تعجيل العقاب لهؤلاء بالإهلاك كتعجيله لأولئك بعذاب الاستئصال ﴿ذلك﴾ أي ذلك الأخذ والعقاب لهم ﴿بأن الله لم يك مغيراً نعمة نعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ معناه بأن الله لم يكن يزيل نعمة انعمها على قوم حتى يتغيروا هم عن احوالهم المرضية الى احوال لا يجوز لهم ان يتغيروا إليها وهو ان يستبدلوا المعصية بالطاعة وكفران النعمة بشكرها وقد سلب الله تعالى النعمة على وجه المصلحة لا على وجه العقاب امتحاناً لمصلحة يعلمها في ذلك ولكن لا يسلبها بفعل النعمة على وجه العقاب الا عمن استحق العقاب قال السدي النعمة التي انعمها الله عليهم محمد ﷺ انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله إلى الانصار ﴿وأن الله سميع﴾ لأقوالهم ﴿عليم﴾ بضمائرهم وبكل شيء ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم﴾ أي كعادتهم وطريقتهم في التكذيب بآيات الله عادة هؤلاء ﴿كذبوا بآيات ربهم﴾ أي بحجه وبياناته ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ أي استأصلناهم ﴿وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ أي كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لأنفسهم فلم نعاقب فريقاً منهم الا عن استحقاق وإنما كرر قوله كدأب آل فرعون لأنه اراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا وقيل ان في الأول تشبيه حالهم بحال أولئك في التكذيب وفي الثاني تشبيه حالهم بحالهم في الاستئصال وقيل ان الأول في اخذهم بالعذاب والثاني في كيفية العذاب وقيل إن آل فرعون كانوا على احوال مختلفة في المعصية فبين مشاركة هؤلاء اياهم في تلك الأحوال.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ
عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ

[الإعراب] فهم لا يؤمنون الفاء لعطف جملة على جملة وهو في الصلة كأنه قال

كفروا مصممين على الكفر فهم لا يؤمنون وإنما حسن عطف جملة اسمية على جملة فعلية لما فيها من التأكيد إلى معنى الحال وذلك ان صبابتهم في الكفر واصرارهم عليه أدى إلى الحال في انهم لا يؤمنون وقوله ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لأن الغرض ان من شأنهم نقض العهد بعد مرة في مستقبل اوقاتهم بعد العهد اليهم .

[المعنى] ثم ذم سبحانه الكفار فقال ﴿إِنْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي شر من يدب على وجه الارض في معلوم الله أو في حكم الله ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ واستمروا على كفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذا اخبار عن قوم من المشركين انهم لا يؤمنون ابداً فخرج المخبر على وفق الخبر فماتوا مشركين ثم وصفهم الله فقال ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أي من جملتهم والضمير العائد إلى الذين محذوف أي الذين عاهدت منهم أي من المشركين وقيل ان من مزيدة وإنما دخلت لأن معنى عاهدتم اخذت العهد منهم وكما قال ردف لكم لأن معنى ردف قرب فعومل بما يعامل به وقيل معناه عاهدت معهم قال مجاهد أراد به يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يضرّوا به ولا يمالئوا عليه عدواً ثم مالأوا عليه الأحزاب يوم الخندق وأعانوه عليه بالسلاح وعاهدوا مرة بعد أخرى فنقضوا فانتقم الله منهم ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ نقض العهد وقيل لا يتقون عذاب الله تعالى .

﴿فَلَمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾

فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ

خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾

[اللغة] الثقف الظفر والادراك بسرعة والتشريد التفريق على اضطراب والخيانة نقض

العهد فيما أوتمن عليه والنبذ القاء الخبر إلى من لا يعلمه والسواء العدل قال الراجز .

فَاضْرِبْ وَجْهَ الْغُرَرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يَجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

أي إلى العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله إلى الجهات قال حسان :

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ

أي في وسطه وقيل عنى بقوله على سواء على استواء في العلم به .

[الاعراب] اما تثقنُ واما تخافنُ دخلت نون التأكيد لما دخلت ما ولو لم يدخل ما لما حسن دخول النون لأن دخول ما كدخول القسم في انه علامة تؤذن انه من مواضع تأكيد المطلوب من التصديق لأن النون يدخل لتأكيد المطلوب فيما يدل على الطلب وهي في ستة مواضع النهي والأمر والاستفهام والعرض والقسم والجزاء مع ما .

[المعنى] ثم حكم سبحانه في هؤلاء الناقضين للعهد فقال لنبيه ﷺ ﴿فَإِذَا تَشَفَّعْتُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ معناه فإذا تصادفتم في الحرب أي إن ظفرت بهم وادركتهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي فنكّل بهم تنكيلاً وأثر فيهم تأثيراً يشرد بهم من بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بأن ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضوا العهد ويتفرقوا في البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل ما عاملتهم به وان يحلّ بهم ما حلّ بهم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبيرة والسدي وقال الزجاج معناه افعل بهم فعلاً من القتل تفرّق بهم من خلفهم وقيل ان معنى شرّد بهم سمّع بهم بلغة قريش قال الشاعر :

أَطَوَّفُ فِي السَّوَاطِحِ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةً أَنْ يُشَرِّدَ بَنِي حَكِيمٍ^(١)

﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ أي لكي يتذكروا ويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ معناه وإن خفت يا محمد من قوم بينك وبينهم عهد خيانة فيه لأن الخيانة إنما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد ﴿فَانْذِرْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أي فآلق اليهم ما بينك وبينهم من العهد واعلمهم بأنك قد نقضت ما شرطت لهم لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ولا تبدأهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لا ينسبوك إلى الغدر بهم فهذا معنى قوله على سواء وقيل معنى قوله على سواء على عدل أي إن كان بينك وبينهم عهد بغير مال فأعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم وإن كان العهد على مال فردّ المال عليهم ثم انقض العهد ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ أي بنقضهم معناه فلا تخنهم بأن تبدأ هم بالقتال من غير اعلامهم بنقض العهد قال الواقدي هذه الآية نزلت في بني قينقاع وبهذه الآية سار النبي ﷺ اليهم .

(١) الصبابة : الشوق وقيل رفته وقيل حرارته : وقيل رقة الهوى والولع الشديد بالشيء وفي التبيان « صلابتهم » .

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ ٥٩ ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ٦٠ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ٦١

[القراءة] قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحزمة وحفص ولا يحسبن بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر انهم لا يعجزون بالفتح والباقون انهم بالكسر وقرأ رويس عن يعقوب ترهبون بالتشديد والباقون ترهبون بالتخفيف وقرأ أبو بكر للسلم بكسر السين والباقون بفتح السين.

[الحجة] من قرأ لا تحسبن بالتاء فالذين كفروا المفعول الأول وسبقوا جملة في موضع نصب بكونها المفعول الثاني ومن قرأ يحسبن بالياء فلا يخلو من أن يكون جعل الذين كفروا الفاعل وهذا لا يجوز لأن يحسبن لا بُدَّ له من مفعولين ولكنه محمول على أحد ثلاثة اشياء اما ان يكون فاعله النبي ﷺ وتقديره ولا يحسبن النبي ﷺ الذين كفروا سبقوا واما ان يكون تقديره على حذف إن كأنه قال لا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا فحذفت إن كما حذفتها في تأويل سيويه في قوله افغير الله تأمروني اعبد كأنه قال افغير عبادته تأمروني قال الزجاج ويقوي هذا الوجه انها في حرف ابن مسعود انهم سبقوا وإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك حسبت أن اقوم وحسبت اقوم على حذف ان وإذا وجهته على هذا فقد سدَّ أن سبقوا مسد المفعولين كما ان قوله الم أحسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا كذلك واما ان يكون اضم المفعول الاول وتقديره ولا يحسبن الذين كفروا انفسهم سبقوا أو إياهم سبقوا ومن قرأ انهم لا يعجزون بكسر الألف يكون على الاستئناف كما ان قوله ساء ما يحكمون منقطع من الجملة التي قبلها التي هي أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا

ومن قرأ انهم لا يعجزون جعله متعلقاً بالجملة الأولى وتقديره لا تحسبهم سبقوا لأنهم لا يفوتون ومن قرأ ترهبون فلأن رهب يرهب رهبة يعذى تارة بالهمزة وتارة بالتشديد فيقال رهبته وارهبته واما السلم والسلم فلغتان ومعناهما الصلح .

[اللغة] السبق تقدم الشيء على طالب الحقوق به والاعجاز إيجاد ما يعجز عنه والعجز معنى عند أبي علي الجبائي وأبي القسم البلخي وليس بمعنى عند أبي هاشم وأصحابه بل هو عدم القدرة وذهب إليه المرتضى والإعداد اتخاذ الشيء لغيره مما يحتاج إليه في أمره والاستطاعة معنى ينطاع بها الجوارح للفعل مع انتفاع المنع والرباط شدّ ايسر من العقد يقال ربطه يربطه ربطاً وربطة ورباطة ورباطاً والإرهاب ازعاج النفس بالخوف والجنوح الميل ومنه جناح الطائر لأنه يميل به في احد شقيه ولا جناح عليه أي لا ميل إلى مآثم .

[الإعراب] لا يعجزون فتح النون هو القراءة ويجوز كسرهما على معنى لا يعجزونني ويحذف النون الأولى لاجتماع النونين كما قال الشاعر :

تَرَاهُ كَالثُّغَامِ يُعَلُّ مِسْكَاً يَكُونُ الْغَالِيَاتِ إِذَا فَلَّيْنِي

يريد فليني وآخرين من دونهم متصوفين على تقدير وترهبون آخرين ويجوز أن يكون على تقدير وأعدوا لهم الآخرين فيكون مجروراً عطفاً على الهاء والميم .

[المعنى] لما تقدم الأمر بقتال الكفار عقبه سبحانه بوعده النصر والأمر بالإعداد لقتالهم فقال ﴿ولا تحسبن الذين كفروا﴾ معناه ولا تحسبن يا محمد اعداءك الكافرين قد سبقوا أمر الله وأعجزوه وأنهم قد فاتوك فإن الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ويظهرك عليهم والسبق والفوت بمعنى واحد وقيل معناه لا تحسبن من أفلت من هذه الحرب انه قد يسبق إلى الحياة عن الزجاج والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره وقيل انه إنما قاله تطيباً لقلبه في الهاربين كما طيب قلبه في المقتولين والمأسورين وعلى القراءة بالياء فالمعنى لا يحسبن الكافرون أنفسهم سابقين أو لا يحسبن الكافرون أنهم سابقون ﴿أنهم لا يعجزون﴾ أي لا يعجزون الله ولا يفوتونه حتى لا يبعثهم الله يوم القيامة عن الحسن وقيل معناه لا يعجزونك عن الجبائي ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ هذا أمر منه سبحانه بأن يعدوا السلاح قبل لقاء العدو ومعناه وأعدوا للمشركين ما قدرتم عليه مما يتقوى به على القتال من الرجال وآلات الحرب وروى عتبة بن عامر عن النبي ﷺ أن القوة الرمي وعلى هذا فيكون معناه أنه من القوة

وقيل ان القوة اتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى والرغبة في ثوابه وقيل القوة الحصون عن عكرمة ﴿ومن رباط الخيل﴾ أي ومن ربطها واقتنائها للغزو وهي من أقوى عدد الجهاد وروي عن النبي ﷺ انه قال ارتبطوا الخيل فإن ظهورها لكم عزّ وأجوافها كنز وقيل ان القوة ذكور الخيل والرباط والإناث منها عن الحسن وعكرمة ﴿ترهبون به﴾ أي تخوفون بما تعدونه لهم ﴿عدو الله وعدوكم﴾ يعني مشركي مكة وكفار العرب ﴿وآخرين من دونهم﴾ أي وترهبون كفاراً آخرين دون هؤلاء واختلفوا في الآخرين فقليل أنهم بنو قريظة عن مجاهد وقيل هم أهل فارس عن السدي وقيل هم المنافقون لا يعلم المسلمون أنهم اعداؤهم وهم اعداؤهم عن الحسن وابن زيد ﴿لا تعلمونهم﴾ معناه لا تعرفونهم لأنهم يُصلّون ويصومون ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويختلطون بالمؤمنين ﴿الله يعلمهم﴾ أي يعرفهم لأنه المطلع على الأسرار وقيل هم الجن وهو اختيار الطبري قال لأن الأعداء دخل فيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلم يبق إلا من لا يشاهد ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله﴾ أي في الجهاد وفي طاعة الله ﴿يوف إليكم﴾ أي يوفر عليكم ثوابه في الآخرة ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أي لا تنقصون شيئاً منه ﴿وإن جنحوا للسلم﴾ أي مالوا إلى الصلح وترك الحرب ﴿فاجنح لها﴾ أي مل إليها واقبلها منهم وإنما أنث لأن السلم بمعنى التسليم ﴿وتوكل على الله﴾ أي فوض أمرك إلى الله ﴿إنه هو السميع العليم﴾ لا تخفى عليه خافية وقيل ان هذه الآية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾ الآية عن الحسن وقتادة وقيل انها ليست بمنسوخة لأنها في المواعدة لأهل الكتاب والأخرى لعباد الأوثان وهذا هو الصحيح لأن قوله ﴿اقتلوا المشركين﴾ والآية الأخرى نزلتا في سنة تسع في سورة براءة وصالح رسول الله ﷺ وفد نجران بعدها .

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ، وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝١٢ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنْفَقْتَ
مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٣﴾

[اللغة] الخدع والخدعة اظهار المحبوب في الأمر مع ابطان المكروه والتأييد التمكين من الفعل على اتم ما يصح فيه والأيد القوة والتأليف الجمع على تشاكل واختلاف في التأليف فأنبته بعضهم معنى ونفاه بعضهم والصحيح أنه معنى يحل محلين ولا يحصل من فعلنا إلا متولداً .

[المعنى] ثم خاطب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال ﴿ وَإِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ ﴾ معناه وإن يرد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك في الصلح بأن يقصدوا بالتماس الصلح دفع أصحابك والكف عن القتال حتى يقروا فيبدأوكم بالقتال من غير استعداد منكم ﴿ فَإِنْ حَسِبْتَ أَنَّ أَهْلَ الْكَافَّةِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي هو الذي كفائتك الله ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي هو الذي قواك بالنصر من عنده وأيدك بالمؤمنين الذين ينصرونك على أعدائك ﴿ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ وأراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج عن أبي جعفر (ع) والسدي وأكثر المفسرين وأراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس والخزرج من المعاداة والقتال فإنه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ما كان بين هذين الحيين فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متواريين متحابين ببركة نبينا ﷺ وقيل أراد كل متحابين في الله عن مجاهد ﴿ لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي لم يملكك جمع قلوبهم على الإلفة وإزالة ضغائن الجاهلية ﴿ وَلَكِنْ اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ بأن لطف لهم بحسن تدبيره وبالإسلام الذي هداهم إليه ﴿ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لا يمتنع عليه شيء يريد فعله ولا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة قال الزجاج وهذا من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بعث إلى قوم أنفثهم شديدة بحيث لو لطم الرجل من قبيلة لظمة قاتل عنه قبيلته فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أباه وأخاه وابنه فأعلم الله سبحانه أن هذا ما تولاه منهم إلا هو .

﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ

اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ

يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَعَنَ خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

[القراءة] إن يكن منكم مائة بالياء فيهما كوفي والأول بالتاء بصري ضعفاً بفتح الضاد كوفي الا الكسائي والباقون بضم الضاد ولكنهم سكنوا العين إلا أبا جعفر فإنه قرأ ضعفاء على وزن فعلاء .

[الحجة] من قرأ بالياء فإنه أراد به المذكر يدل ذلك على ذلك قوله تعالى يغلبوا وقرأ أبو عمرو وإن تكن منكم مائة صابرة بالتاء كما أنت صفة المائة وهي قوله صابرة كذلك أنت الفعل ومن قرأ الجميع بالتاء يحمله على اللفظ فاللفظ مؤنث والضعف والضعف لغتان كالْفَقْر والْفَقْر .

[اللغة] الإتياع موافقة الداعي فيما يدعو إليه من أجل دعائه والتحريض والحض والحث بمعنى وهو الترغيب في الفعل ~~بما يبيح على المبادرة إليه~~ وضده التقدير والصبر حبس النفس عما تنازع إليه من ضد ما ينبغي أن يكون عليه وضده الجزع قال :

فَإِنْ تَصَبَّرَا فَالصَّبْرُ خَيْرٌ مَغْبَةً وَإِنْ تَجَزَّعَا فَالْأَمْرُ مَا تَرَيَانِ

والتخفيف رفع المشقة بالخفة والخفة نقبض الثقل والخفة والسهولة بمعنى والضعف نقصان القوة وهو من الضعف لأنه ذهاب ضعف القوة .

[الإعراب] موضع من اتبعك رفع على معنى حسبك الله وتباعك من المؤمنين ويحتمل أن يكون نصباً بمعنى ويكفي من اتبعك على التأويل لأن الكاف في حسبك وفي موضع جر بالإضافة لكنه مفعول به في المعنى فعطف على المعنى ومثله قوله تعالى انا منجوك وأهلك وقال الشاعر :

إِذَا كَانَتْ الْهَيْجَاءُ وَأَنْشَقَّتِ الْعَصَا فَحَسْبُكَ وَالضُّحَاكَ سَيْفٌ مُهْنَدٌ^(١)

(١) المهند : السيف المطبوع من حديد الهند .

الآن مبني مع الألف واللام لأنه خرج عن التمكن بشبه الحرف قال الزجاج عشرون لا يجوز إلا بكسر العين وزعم أهل اللغة أنه كسر أوله كما كسر أول اثنين لأن عشرين من عشرة مثل اثنين من واحد ويدل عليه فتحهم ثلاثين كفتح ثلاثة وكسرهم تسعين ككسر تسعة .

[المعنى] ثم أمر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أي كافيك الله ويكفيك متبعوك من المؤمنين وقال الحسن معناه الله حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين أي يكفيك ويكفيهم قال الكلبي نزلت هذه الآية بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين﴾ أي ابعث المؤمنين ﴿على القتال﴾ وورغبهم فيه بسائر اسباب التحريض والترغيب من ذكر الثواب الموعود على القتال وبيان ما وعد الله لهم من النصر والظفر واغتنام الأموال ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون﴾ على القتال ﴿يغلبوا مأتين﴾ من العدو ﴿وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾ واللفظ لفظ الخبر والمراد به الأمر ويدل على ذلك قوله فيما بعد الآن خفف الله عنكم لأن التخفيف لا يكون إلا بعد التكليف ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار والخذلان للكفار بأنكم تفقهون أمر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك إلى الصبر على القتال والجهد فيه والكفار لا يفقهون أمر الله تعالى ولا يصدقونه فيما وعدكم من الثواب ولما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد وثبات الواحد للعشرة ﴿وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ أراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن فإن الذين أسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم أقوىاء البدن بل كان فيهم القوي والضعيف ولكن كانوا أقوىاء البصيرة واليقين ولما كثر المسلمين واختلط بهم من كان اضعف يقيناً وبصيرة نزل الآن خفف الله عنكم ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾ على القتال ﴿يغلبوا مأتين﴾ من العدو ﴿وإن يكن منكم ألف﴾ صابرة ﴿يغلبوا ألفين﴾ منهم ﴿بإذن الله﴾ أي بعلم الله وقيل بأمره فأمر الله تعالى الواحد بأن يثبت لاثنين وتضمن النصرة له عليهما وإنما لم يفصل ولم يأمر من كان قوي البصيرة بأن يثبت لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة بأن يثبت لاثنين لأنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين فكان لا يمكن التمييز بينهم ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه إحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم ﴿والله مع الصابرين﴾ أي معونة الله مع الصابرين ومعناه والله معين الصابرين وقيل إن هذه الآية نزلت

الدنيا سماه عرضاً لقلة لبثه والفرق بين الحلال والمباح ان الحلال من حل العقد في التحريم والمباح من التوسعة في الفعل وإن اجتمعا في الحل والطيب المستلذ وشبه الحلال به فسمي طيباً واللذة نيل المشتهى .

[الإعراب] الفاء في فكلوا دخلت للجزاء المعنى لقد أحللت لكم الغذاء فكلوا وحلالاً طيباً منصوب على الحال .

[المعنى] ﴿ ما كان لنبي ﴾ أي ليس له ولا في عهد الله اليه ﴿ أن يكون له أسرى ﴾ من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم ﴿ حتى يشخن في الأرض ﴾ أي حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من وراءهم وقال أبو مسلم الإثخان الغلبة على البلدان والتذليل لأهلها يعني حتى يتمكن في الأرض ﴿ تريدون عرض الدنيا ﴾ هذا خطاب لمن دون النبي ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى في أول وقته ورغبوا في الحرب للغنيمة قال الحسن وابن عباس يريد يوم بدر ويقول أخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت لكم من قبل أن تشخنوا في الأرض وعرض الدنيا مال الدنيا لأنه بمعرض الزوال ﴿ والله يريد الآخرة ﴾ أي تريدون عاجل الحظ من عرض الدنيا والله يريد لكم ثواب الآخرة ﴿ والله عزيز ﴾ لا يغلب انصاره فاعملوا ما يريد منكم ليصركم ﴿ حكيماً ﴾ يجري أفعاله على ما توجهه الحكمة فصل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما أرادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل ﴿ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) لولا ما مضى من حكم الله ان لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون وانه لم يبين لكم ان لا تأخذوا الفداء لعذبتكم بأخذ الفداء عن ابن جريج (وثانيها) لولا أن الله حكم لكم إباحة الغنائم والفداء في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الإباحة عذاب عظيم فإن الغنائم لم تحل لأحد قبلكم عن ابن عباس (وثالثها) لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمتتم به واستوجبتم بالإيمان به الغفران لمسكم العذاب عن الجبائي قال والمراد به الصغائر (ورابعها) ان الكتاب الذي سبق قوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن أو في اللوح المحفوظ انه لا يعذبكم والنبي بين أظهركم لعذبكم ﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾ هذه إباحة منه سبحانه للمؤمنين ان يأكلوا مما غنموه من أموال المشركين ﴿ واتقوا الله ﴾ باتقاء معاصيه ﴿ إن الله غفور رحيم ﴾ .

[القصة] كان القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن أبي طالب عليه

السلام سبعة وعشرين وكان الأسرى أيضاً سبعين ولم يؤسر أحد من أصحاب النبي ﷺ فجمعوا الأسارى وقرنوهـم في الحبال وساقوهم على أقدامهم وقتل من أصحاب رسول الله تسعة رجال منهم سعد بن خيثمة وكان من النقباء من الأوس وعن محمد بن إسحاق قال استشهد من المسلمين يوم بدر أحد عشر رجلاً أربعة من قريش وسبعة من الأنصار وقيل ثمانية وقتل من المشركين بضعة وأربعون رجلاً وعن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهراً أول الليلة فقال له أصحابه مالك لا تنام فقال ﷺ سمعت أنين عمي العباس في وثاقه فأطلقوه فسكت فنام رسول الله ﷺ وروى عبيدة السلماني عن رسول الله ﷺ أنه قال لأصحابه يوم بدر في أسارى ان شتم قتلتموهم وان شتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم وكانت الأسارى سبعين فقالوا بل نأخذ الفداء فنستمع به ونتقوى به على عدونا وليستشهد منا بعدتهم قال عبيدة طلبوا الخيرتين كلتيهما فقتل منهم يوم أحد سبعون وفي كتاب علي بن إبراهيم لما قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط خافت الأنصار ان يقتل الأسارى فقالوا يا رسول الله قتلنا سبعين وهم قومك وأسرتك أتجداً أصلهم^(١) فخذ يا رسول الله منهم الفداء وقد كانوا اخذوا ما وجوده من الغنائم في عسكر قريش فلما طلبوا إليه وسألوه نزلت الآية ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيات فأطلق لهم ذلك وكان أكثر الفداء أربعة آلاف درهم وأقله ألف درهم فبعثت قريش بالفداء أولاً فأولاً فبعثت زينب بنت رسول الله ﷺ من فداء زوجها أبي العاص بن الربيع وبعثت قلايد لها كانت خديجة جهزتها بها وكان أبو العاص ابن أخت خديجة فلما رأى رسول الله ﷺ تلك القلائد قال رحم الله خديجة هذه قلائد هي جهزتها بها فأطلقه رسول الله ﷺ بشرط أن يبعث إليه زينب ولا يمنعها من اللحوق به فعاهده على ذلك ووفى له وروى أن النبي ﷺ كره أخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه فقال يا رسول الله هذا أول حرب لقينا فيه المشركين والإثخان في القتل احب إلي من استبقاء الرجال وقال عمر بن الخطاب يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم ومكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ومكني من فلان اضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وقال أبو بكر اهلك وقومك استأن بهم واستبقهم وخذ منهم فدية فيكون لنا قوة على الكفار قال ابن زيد فقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء ما نجا منكم غير عمر وسعد بن معاذ وقال أبو جعفر

(١) جلده : قطعه مستصلاً .

الباقر (ع) كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أوقية والأوقية أربعون مثقالاً إلا العباس فإن فداءه كان مائة أوقية وكان أخذ منه حين أسر عشرون أوقية ذهباً فقال النبي ﷺ ذلك غنيمة ففاد نفسك وابني أخيك نوقلاً وعقياً فقال ليس معي شيء فقال أين الذهب الذي سلمته إلى أم الفضل وقلت إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبد الله وقثم فقال من أخبرك بهذا قال الله تعالى فقال أشهد أنك رسول الله والله ما أطلع على هذا أحداً إلا الله تعالى .

﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ٧٠ ﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٧١

[القراءة] قرأ أبو جعفر وأبو عمرو من الأسارى والباقون من الأسرى وقد ذكرنا الفرق بين الأسرى والأسارى فيما قبل .

[المعنى] ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ﴾ من الأسارى إنما ذكر الأيدي لأن من كان في وثاقهم فهو بمنزلة من يكون في أيديهم لاستيلائهم عليه ﴿مِنَ الْأَسْرَى﴾ يعني أسراء بدر الذين أخذ منهم الفداء ﴿أَن يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي إسلاماً وإخلاصاً أو رغبة في الإيمان وصحة نية ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ أي يعطكم خيراً ﴿مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ﴾ من الفداء أما في الدنيا والآخرة وأما في الآخرة ﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿رَحِيمٌ﴾ روي عن العباس بن عبد المطلب أنه قال نزلت هذه الآية في وفي أصحابي كان معي عشرون أوقية ذهباً فأخذت مني فأعطاني الله مكانها عشرين عبداً كل منهم يضرب بمال كثير وأدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا انتظر المغفرة من ربي قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توضأ لصلاة الظهر فما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحني فأخذ فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا

وأرجو المغفرة ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ معناه وإن يرد الذين أطلقتهم من الأسارى خيانتك بأن يعدوا حرباً لك أو ينصروا عدواً عليك ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ بأن خرجوا إلى بدر وقاتلوا مع المشركين وقيل بأن اشركوا بالله وأضافوا إليه ما لا يليق به ﴿فأمكن منهم﴾ أي فأمكنتك منهم يوم بدر بأن غلبوا وأسروا وسيمكنتك منهم ثانياً إن خانوك ﴿والله عليم حكيم﴾ معناه عليم بما يقولونه وبما في نفوسهم وبجميع الأشياء حكيم فيما يفعله .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[القراءة] قرأ حمزة ولايتهم بكسر الواو وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب والباقون ولايتهم بفتح الواو .

[الحجة] قال الزجاج من قرأ بالفتح فلأن الولاية من النصرة والنسب بفتح الواو والولاية التي بمنزلة الامارة مكسورة ليفصل بين المعنيين وقد يجوز كسر الواو لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل وكل ما كان من جنس الصناعة فمكسور نحو الخياطة والصياغة وقال أبو عبيدة وأبو الحسن من ولايتهم مصدر المولى وأما في السلطان فالولاية بكسر الواو وهي في الأخرى لغة .

[اللغة] الهجرة والمهاجرة فراق الوطن الى غيره من البلاد وأصله من الهجر ضد الوصل والجهاد تحمل المشاق في قتال اعداء الدين من جهده الأمر جهداً والايواء ضم الانسان غيره إليه بإنزاله عنده وتقريبه له يقال آواه يؤويه ايواء وأوى يسأوي أو ياواويت معناه

رجعت الى المأوى والولاية عقد النصر للموافقة في الديانة .

[النزول] قيل نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الارحام وكان الذي آمن ولم يهاجر ولم يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر وكانوا يعملون بذلك حتى انزل الله تعالى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فنسخت هذه الآية وصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين ولا يتوارث أهل ملتين عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والسدي .

[المعنى] ثم ختم سبحانه السورة بإيجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله وبما يجب الإيمان به ﴿وَهَاجَرُوا﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَجَاهَدُوا﴾ وقتلوا العدو ﴿بَأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي في طاعة الله وإعزاز دينه ﴿وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ الرسول والمهاجرين بالمدينة أي جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعني الأنصار ﴿وَنَصَرُوا﴾ أي ونصروهم بعد الإيواء على أعدائهم وبذلوا المهج في نصرتهم ﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ أي هؤلاء بعضهم أولى ببعض في النصر وإن لم يكن بينهم قرابة من أقربائهم من الكفار وقيل في التوارث عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة والسدي وقيل في التناصر والتعاون والموالاة في الدين عن الأصم وقيل في نفوذ أمان بعضهم على بعض فإن واحداً من المسلمين لو آمن إنساناً نفذ أمانه على سائر المسلمين ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهِاجِرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهِاجِرُوا﴾ أي ما لكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا فحينئذ يحصل بينكم التوارث فإن الميراث كان منقطعاً في ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين وروي عن أبي جعفر (ع) انهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى وقيل معناه ما لكم من مولاتهم ونصرتهم من شيء أي ليس عليكم نصرتهم ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ معناه وإن طلبوا يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصر لهم على الكفار وإعانتهم في الدين فعليكم النصر والمعونة لهم وليس عليكم نصرتهم في غير الدين ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ معناه إلا أن يطلبوا منكم النصر لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم أمان وعهد يجب الوفاء به ولا تنصروهم عليهم لما فيه من نقض العهد ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي بأعمالهم عليم لا يخفى عليه شيء منها .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝٧٣ ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ الْأَرْحَامُ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

[اللغة] الفتنة أصلها الامتحان ثم تستعمل في أشياء منها الكفر والشرك وذلك نحو قوله تعالى والفتنة اكبر من القتل وقابلوهم حتى لا تكون فتنة ومنها العذاب نحو قوله تعالى ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ وقوله ﴿ذوقوا فتنتكم﴾ يعني عذابكم بالتحريق بالنار ومنها المعذرة في نحو قوله تعالى ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي معذرتهم ومنها القتل في نحو قوله ﴿إن خفتهم أن يفتنكم﴾ أي يقتلكم وقوله على خوف من فرعون وملئه أن يفتنهم ومنها الهرج والابتلاء على أثر البلاء في نحو قوله وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم وهذا التفصيل مأخوذ من قول الصادق (ع) . والكريم فاعل الكرم والكرم الجود العظيم والشرف قال

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانٍ مِنْ لَبَنِ شَيْبَا بِمَاءٍ فَعَاذَا بَعْدُ أَبَوَالَا^(١)

والرزق الكريم العظيم الواسع .

[الإعراب] قوله فعليكم النصر ويجوز في العربية فعليكم النصر على قولك عليك زيدا ولم يقرأ بها .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء

(١) مضي البيت في صفحة ٦٨٩

بعض ﴿أي بعضهم انصار بعض عن ابن إسحاق وقتادة وقيل معناه بعضهم اولى ببعض في الميراث عن ابن عباس وأبي مالك ﴿إلا تفعلوه﴾ وتقديره ألا تفعلوا ما أمرتم به في الآية الأولى والثانية ومخرجه مخرج الخبر والمراد به الأمر وتقديره إلا تفعلوا ما أمرتم به من التناصر والتعاون والتبرء من الكفار ﴿تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا المحنة بالميل إلى الضلال وبالفساد الكبير ضعف الإيمان وقيل ان الفتنة هي الكفر لأن المسلمين إذا والوهم تجرؤوا على المسلمين ودعوهم إلى الكفر وهذا ٧ يوجب التبرء منهم والفساد الكبير سفك الدماء عن الحسن وقيل معناه وان لم تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها أدى إلى فتنة في الأرض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة عن ابن عباس و بن زيد ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار ومدحهم والثناء عليهم فقال ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله﴾ أي صدقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم وأوطانهم يعني من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك في اعلاء دين الله ﴿والذين آووا ونصروا﴾ أي ضمهم اليهم ونصروا النبي ﷺ ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ أي أولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والنصرة بخلاف من أقام بدار الشرك وقيل معناه ان الله حقق إيمانهم بالبشارة التي بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا واختلفوا في أن الهجرة هل تصح في هذا الزمان ام لا فقل لا تصح لأن النبي ﷺ قال لا هجرة بعد الفتح ولأن الهجرة الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام وليس يقع مثل هذا في هذا الزمان لاتساع بلاد الإسلام إلا أن يكون نادراً لا يعتد به وقيل إن هجرة الاعراب الى الأمصار باقية إلى يوم القيامة عن الحسن والأقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً لأن من اسلم في دار الحرب ثم هاجر إلى دار الإسلام كان مهاجراً وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر إلى اعرابية وروي عن عمر بن الخطاب انه قال لا تنكحوا اهل مكة فإنهم اعراب وإنما سمي الجهاد سبيل الله لأنه الطريق إلى ثواب الله في دار كرامته ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ لا يشوبه ما ينغصه وقيل الرزق الكريم هاهنا طعام الجنة لأنه لا يستحيل في أجوافهم نجوا بل يصير كالمسك ريحاً ﴿والذين آمنوا من بعد﴾ أي من بعد فتح مكة عن الحسن وقيل معناه آمنوا من بعد إيمانكم ﴿وهاجروا﴾ بعد هجرتكم ﴿وجاهدوا معكم﴾ أيها المؤمنون ﴿فأولئك منكم﴾ أي مؤمنون مثلكم من جملتكم وحكمهم حكمكم في وجوب موالاتهم وموارثتهم ونصرتهم وان تأخر إيمانهم وهجرتهم ﴿وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض﴾ معناه وذوو الارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعضهم من غيرهم عن ابن عباس والحسن وجماعة

المفسرين وقالوا صار ذلك نسخاً لما قبله من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من الاسباب فقد كانوا يتوارثون بالمؤاخاة فإن النبي ﷺ كان آخى بين المهاجرين والانصار ﴿وفي كتاب الله﴾ أي في حكم الله عن الزجاج وقيل في اللوح المحفوظ كما في قوله ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها وقيل في القرآن وفي قوله ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ دلالة على ان من كان اقرب إلى الميت في النسب كان أولى بالميراث سواء كان ذا سهم أو غير ذي سهم أو عصبه أو غير ذي عصبه ومن وافقنا في توريث ذوي الأرحام يستثني اصحاب الفرائض والعصبه من الآية وذلك خلاف الظاهر ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ ظاهر المعنى وأكثر هذه السورة في قصة بدر .



تم المجلد الرابع من التفسير
مركز تحقيقات وتطوير علوم إسلامي
وهو الموسوم بكتاب مجمع البيان لعلوم القرآن



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس المجلد الثاني من مجمع البيان في تفسير القرآن وهو حاو للجزء الثالث والرابع حسب تجزئة المصنف وفيه تفسير سورة النساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال

صفحة	صفحة
بجهالة وليست التوبة للذين يعملون السيئات	﴿سورة النساء﴾
٣٨ يا أيها الذين آمنوا لا يحمل لكم أن ترثوا النساء كرهاً	٣ يا أيها الناس اتقوا ربكم
٤١ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج، وكيف تأخذونه	٦ وآتوا اليتامى أموالهم وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
٤٣ ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم	٨ وآتوا النساء صدقاتهن
٤٥ حرمت عليكم أمهاتكم	١٣ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
٤٩ والمحصنات من النساء	١٥ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح
٥٣ ومن لم يستطع منكم طولاً	١٧ للرجال نصيب مما ترك الوالدان
٥٦ يريد الله ليبين لكم والله يريد أن يتوب عليكم يريد الله أن يخفف عنكم	١٨ وإذا حضر القسمة أولوا القربى
٥٨ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ومن يفعل ذلك عدواناً وظلماً	١٩ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً
٦٠ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه	١٩ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً
٦٣ ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض	٢٢ يوصيكم الله في أولادكم
	٢٧ ولكم نصف ما ترك أزواجكم
	٣١ تلك حدود الله ومن يعص الله ورسوله
	٣٣ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والالذان يأتياها منكم
	٣٥ إنما التوبة على الله للذين يعملون سوء

صفحة	صفحة
٦٤ ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان	٩٧ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها
٦٧ الرجال قوامون على النساء	٩٩ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
٧٠ وإن خفتن شقاق بينهما	١٠١ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا
٧١ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً	وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله
٧٣ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل	١٠٢ فكيف إذا أصابتهم مصيبة أولئك
٧٤ والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس وماذا	الذين يعلم الله ما في قلوبهم
عليهم لو آمنوا بالله	١٠٤ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع
٧٥ إن الله لا يظلم مثقال ذرة	١٠٥ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
٧٦ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد يومئذ	١٠٧ ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا
يود الذين كفروا	أنفسكم . وإذا لآتيناهم ولهديناهم
٧٨ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة	١٠٩ ومن يطع الله والرسول
وأنتم سكارى	ذلك الفضل م الله
٨٣ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب	١١٢ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم
والله أعلم بأعدائكم	١١٣ وإن منكم لمن ليسطن ولئن أصابكم
٨٤ من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه	فضل من الله
٨٦ يا أيها الذين أوتوا الكتاب	١١٥ فليقاتل في سبيل الله
٨٧ إن الله لا يغفر أن يشرك به	١١٦ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله
٩٠ ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم انظر	١١٧ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
كيف يفترون على الله الكذب	١١٨ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم
٩١ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب	١١٩ أينما تكونوا يدرككم الموت
أولئك الذين لعنهم الله	١٢١ ما أصابك من حسنة فمن الله
٩٣ أم لهم نصيب من الملك أم يحسدون	١٢٤ أفلا يتدبرون القرآن
الناس على ما آتاهم فمنهم من آمن به	١٢٤ وإذا جاءكم أمر من الأمن أو الخوف
٩٦ إن الذين كفروا بآياتنا والذين آمنوا	أذاعوا به
وعملوا الصالحات	

صفحة	صفحة
١٢٧	فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك
١٢٨	من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
١٣٠	وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها
١٣١	الله لا إله إلا هو ليجمعنكم
١٣٢	فما لكم في المنافقين فئتين
١٣٣	ودوا لو تكفرون كما كفروا
١٣٤	إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق
١٣٦	ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم
١٣٧	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ
١٤١	ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم
١٤٣	يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيبنوا
١٤٦	لا يستوي القاعدون من المؤمنين درجات منه ومغفرة
١٤٩	إن الذين توفاهم الملائكة إلا المستضعفين، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم
١٥١	ومن يهاجر في سبيل الله
١٥٣	وإذا ضربتم في الأرض
١٥٥	وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة
١٥٨	فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله
١٥٩	ولا تنهوا في ابتغاء القوم
١٦٠	إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق،
١٦٢	ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم،
١٦٤	ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه إلى قوله بهتاناً وإثماً مبيناً
١٦٦	ولولا فضل الله عليكم ورحمته إلى قوله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً
١٦٩	ومن يشاقق الرسول
١٧٠	إن الله لا يغفر أن يشرك به
١٧٠	أن يدعون من دونه إلا إنائاً إلى قوله ولا يجدون عنها محيصاً
١٧٤	والذين آمنوا وعملوا الصالحات
١٧٥	ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب إلى قوله ولا يظلمون نقيراً
١٧٧	ومن أحسن ديناً إلى قوله وكان الله بكل شيء محيطاً
١٧٩	ويستفتونك في النساء
١٨٢	وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً
١٨٤	ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء إلى قوله وكان الله واسعاً حكيماً
١٨٦	ولله ما في السماوات وما في الأرض إلى قوله وكفى بالله وكيلاً
١٨٧	إن يشأ يذهبكم أيها الناس إلى قوله فإن الله كان بما تعملون خبيراً
١٩٠	يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله
١٩٢	إن الذين آمنوا ثم كفروا إلى قوله فإن

صفحة	صفحة
العزة لله جميعاً	١٩٤
وقد نزل عليكم في الكتاب	١٩٥
الذين يتربصون بكم	١٩٧
إن المنافقين يخادعون الله إلى قوله فلن	تجد له سبيلاً
١٩٩ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله أجراً عظيماً	٢٠٠
ما يفعل الله بعذابكم	٢٠١
لا يحب الله الجهر بالسوء إلى قوله فإن	الله كان عفواً قديراً
٢٠٢ إن الذين يكفرون بالله ورسوله إلى	قوله وآتينا موسى سلطاناً مبيناً
٢٠٤ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم	٢٠٦
فبما نقضهم ميثاقهم إلى قوله وكان الله	عزيزاً حكيماً
٢١٠ وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن	٢١٣
فبظلم من الذين هادوا إلى قوله	وأعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً
٢١٤ لكن الراسخون في العلم منهم	٢١٦
إنا أوحينا إليك	٢١٧
ورسلنا قد قصصناهم عليك إلى قوله	وكان الله عزيزاً حكيماً
٢١٨ لكن الله يشهد بما أنزل إليك إلى قوله	وكان ذلك على الله يسيراً
٢٢٠ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق	٢٢١
يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم	٢٢٤
لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله	
إلى قوله ولياً ولا نصيراً	
٢٢٦ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من	ربكم إلى قوله ويهديهم إليه صراطاً
مستقيماً	٢٢٧
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة	
﴿سورة المائدة﴾	
٢٣١ فضلها	٢٣٢
يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	٢٣٤
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	٢٤٠
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم	الخنزير
٢٤٧ يسألونك ماذا أحل لهم	٢٥٠
اليوم أحل لكم الطيبات	٢٥٢
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة	٢٥٩
واذكروا نعمة الله عليكم	٢٦٠
يا أيها الذين آمنوا إلى قوله أولئك	أصحاب الجحيم
٢٦٢ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله	عليكم
٢٦٣ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل	٢٦٥
فبما نقضهم ميثاقهم	٢٦٨
ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا	ميثاقهم
٢٦٩ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا إلى	قوله إلى صراط مستقيم

صفحة	صفحة
٢٧١ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم إلى قوله وإليه المصير	٣٠٩ وقفينا على آثارهم إلى قوله فأولئك هم الفاسقون
٢٧٣ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا	٣١١ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق
٢٧٥ وإذ قال موسى لقومه إلى قوله فتقبلوا خاسرين	٣١٤ وإن أحكم بينهم إلى قوله لقوم يوقنون
٢٧٧ قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين إلى قوله إنا هاهنا قاعدون	٣١٧ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله فأصبحوا خاسرين
٢٨٠ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي إلى قوله على القوم الفاسقين	٣٢٠ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه
٢٨٢ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق	٣٢٢ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا إلى قوله هم الغالبون
٢٨٣ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني إلى قوله فأصبح من الخاسرين	٣٢٧ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
٢٨٥ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض	٣٢٩ وإذا ناديتهم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً إلى قوله وإن أكثركم فاسقون
٢٨٧ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل	٣٣١ قل هل أنبئكم بشر من ذلك
٢٩٠ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله إلى قوله غفور رحيم	٣٣٣ وإذا جاءوكم قالوا آمنا إلى قوله لبئس ما كانوا يصنعون
٢٩٣ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله إلى قوله عذاب مقيم	٣٣٦ وقالت اليهود يد الله مغلولة
٢٩٥ والسارق والسارقة إلى قوله على كل شيء قدير	٣٤١ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا إلى قوله وكثير منهم ساء ما يعملون
٢٩٨ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر	٣٤٢ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
٣٠٢ سماعون للكذب إلى قوله وما أولئك بالمؤمنين	٣٤٤ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء
٣٠٤ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور	٣٤٦ إن الذين آمنوا والذين هادوا
٣٠٧ وكتبنا عليهم فيها	٣٤٧ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل إلى قوله والله بصير بما تعملون
	٣٥٠ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح إلى قوله والله غفور رحيم

صفحة	صفحة
٣٩٣ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم	٣٥٣ ما المسيح بن مريم إلا رسول إلى قوله
٣٩٧ فإن عثر على أنها استحقا ذلك أدنى أن	وضلوا عن سواء السبيل
يأتوا بالشهادة على وجهها	٣٥٦ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل إلى
٤٠٢ يوم يجمع الله الرسل	قوله وفي العذاب هم خالدون
٤٠٣ إذ قال الله يا عيسى بن مريم	٣٥٨ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي إلى قوله
٤٠٥ وإذ أوحيت إلى الحوارين	مع القوم الصالحين
٤٠٦ إذ قال الحواريون قالوا نريد أن نأكل	٣٦٣ فأتاهم الله بما قالوا إلى قوله واتقوا الله
منها	الذي أنتم به مؤمنون
٤٠٨ قال عيسى بن مريم قال الله إني منزلها	٣٦٥ لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم
عليكم	٣٦٩ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر إلى
٤١٢ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم إلى قوله	قوله فهل أنتم متتهون
فإنك أنت العزيز الحكيم	٣٧١ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول
٤١٦ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين	٣٧١ ليس على الذين آمنوا
صدقهم	٣٧٤ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء
٤١٦ لله ملك السماوات والأرض	من الصيد إلى قوله والله عزيز ذو
الجزء الرابع	انتقام
﴿سورة الأنعام﴾	٣٨٠ أحل لكم صيد البحر وطعامه
٤٢١ عدد آيها وفضلها	٣٨١ جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً
٤٢٢ الحمد لله الذي خلق السماوات	للناس
والأرض	٣٨٣ اعلّموا أن الله شديد العقاب إلى قوله
٤٢٣ هو الذي خلقكم من طين	لعلكم تفلحون
٤٢٣ وهو الله في السماوات وفي الأرض	٣٨٥ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن شيئاً
٤٢٦ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ألم	ان تبد لكم تسوءكم
يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن	٣٨٨ قد سألها قوم من قبلكم إلى قوله
	وأكثرهم لا يعقلون
	٣٩١ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله إلى

صفحة	صفحة
٤٢٨ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس	٤٥٧ وإن كان كبر عليك إعراضهم إلى قوله
٤٢٨ وقالوا لولا أنزل عليه ملك إلى قوله ما	ولكن أكثرهم لا يعلمون
كانوا به يستهزئون	٤٥٩ وما من دابة في الأرض والذين كذبوا
٤٣٠ قل سيروا في الأرض إلى قوله وهو	بآياتنا صم وبكم
السميع العليم	٤٦٢ قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بل
٤٣٢ قل أغير الله أتخذ ولياً قل إني أخاف إن	اياه تدعون
عصيت ربي	٤٦٤ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلكم إلى
٤٣٤ من يصرف عنه يومئذ	قوله والحمد لله رب العالمين
٤٣٥ وإن يمسك الله بضر وهو القاهر فوق	٤٦٧ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم
عباده	وأبصاركم إلى قوله يمسه العذاب بما
٤٣٦ قل أي شيء أكبر شهادة الذين آتيناهم	كانوا يفسقون
الكتاب يعرفونه	٤٦٩ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله
٤٣٨ ونم أظلم ممن افترى على الله كذباً	٤٧١ ولا تطرد الذين يدعون ربهم إلى قوله
ويوم نحشرهم جميعاً	أليس بأعلم بالشاكرين
٤٣٩ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا أنظر	٤٧٤ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا
كيف كذبوا على أنفسهم	٤٧٦ وكذلك نفصل الآيات
٤٤٢ ومنهم من يستمع إليك	٤٧٧ قل إني نهي أن أعبد الذين تدعون
٤٤٢ وهم يبهون عنه وينثون	من دون الله
٤٤٦ ولو ترى إذ وقفوا على النار بل بدا لهم	٤٧٨ قل إني على بينة من ربي قل لو أن
ما كانوا يخفون من قبل	عندي ما تستعجلون به
٤٤٩ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا ولوترى	٤٨٠ وعنده مفاتح الغيب وهو الذي
إذ وقفوا على ربهم	يتوفاكم بالليل
٤٥٠ قد خسر الذين كذبوا بقاء الله وما	٤٨٢ وهو القاهر فوق عباده ثم ردوا إلى الله
الحياة الدنيا إلا هو ولعب	٤٨٤ قل من ينجيكم من ظلمات البر
٤٥٤ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون	والبحر قل الله ينجيكم منها
ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا	٤٨٦ قل هو القادر على أن يبعث عليكم
	عذاباً

صفحة	صفحة
٤٨٨ وكذب به قومك وهو الحق لكل نبأ مستقر	٥٢٦ وهو الذي أنزل من السماء ماء
٤٨٨ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء	٥٢٩ وجعلوا لله شركاء الجن بديع السماوات والأرض
٤٩٠ وذر الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً	٥٣١ ذلكم الله ربكم لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار
٤٩٢ قل أندعوا من دون الله	٥٣٣ قد جاءكم بصائر من ربكم وكذلك نصرف الآيات
٤٩٤ وأن أقيموا الصلاة وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق	٥٣٥ اتبع ما أوحى إليك من ربك ولو شاء الله ما أشركوا
٤٩٦ وإذا قال إبراهيم لأبيه أزر إلى قوله وليكون من الموقنين	٥٣٦ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
٤٩٨ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً إلى قوله وما أنا من المشركين	٥٣٨ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم
٥٠٣ وحاجه قومه إلى قوله إن كنتم تعلمون	٥٤١ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة
٥٠٦ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم	٥٤٢ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً إلى قوله وليقتربوا ما هم مقتربون
٥٠٧ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم إلى قوله وهديناهم إلى صراط مستقيم	٥٤٥ أفغير الله أبتغي حكماً
٥١١ ذلك هدى الله إلى قوله إن هو إلا ذكرى للعالمين	٥٤٦ ونمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً
٥١٤ وما قدروا الله حق قدره	٥٤٨ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك إلى قوله وهو أعلم بالمهتدين
٥١٦ وهذا كتاب أنزلناه	٥٥٠ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إلى قوله سيجزون بما كانوا يقترفون
٥١٧ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	٥٥٣ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه
٥١٩ ولقد جئتمونا فرادى	٥٥٤ أو من كان ميتاً فأحييناه وكذلك جعلنا لكل قرية أكابر مجرميها
٥٢٢ إن الله فالق الحب والنوى فالق الاصباح وجعل الليل سكناً	
٥٢٤ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا	

صفحة	صفحة
٥٨٩ قل تعالوا أتلى ما حرم ربكم عليكم	٥٥٧ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
٥٩١ ولا تقربوا مال اليتيم إلى قوله ولعلكم تتقون	٥٥٩ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
٥٩٤ ثم آتينا موسى الكتاب إلى قوله لعلكم ترحمون	٥٦٢ وهذا صراط ربك مستقيماً لهم دار السلام عند ربهم
٥٩٦ أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، إلى قوله بما كانوا يصدقون	٥٦٣ ويوم نحشرهم جميعاً إلى قوله بما كانوا يكسبون
٥٩٨ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة	٥٦٥ يا معشر الجن والإنس إلى قوله وما ربك بغافل عما يعملون
٦٠٠ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً	٥٦٨ وربك الغني ذو الرحمة إلى قوله أنه لا يفلح الظالمون
٦٠١ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	٥٧٠ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً
٦٠٢ قل إنني هادي ربي إلى صراط مستقيم، إلى قوله وأنا أول المسلمين	٥٧١ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل نبياتهم وأولادهم شركائهم
٦٠٣ قل لا يغري الله غفلي أبغي رباً إلى قوله وإنه لغفور رحيم	٥٧٤ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خسر الذين قتلوا أولادهم وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات
﴿سورة الأعراف﴾	٥٧٩ ومن الأنعام حمولة وفرشا إلى قوله إن الله لا يهدي القوم الظالمين
٦٠٨ اختلافها، فضلها، تفسيرها	٥٨٢ قل لا أجد في ما أوحى إلي
٦٠٨ المص إلى قوله قليلاً ما تذكرون	٥٨٤ وعلى الذين هادوا حرمنا إلى قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين
٦١١ وكم من قرية أهلكناها	٥٨٦ سيقول الذين أشركوا إلى قوله وهم يبرهم يعدلون
٦١٣ فلنسألن الذين أرسل إليهم إلى قوله بما كانوا بآياتنا يظلمون	
٦١٧ ولقد مكناكم في الأرض إلى قوله لم يكن من الساجدين	
٦١٩ قال ما منعك ألا تسجد قال فاهبط منها	

صفحة	صفحة
٦٢١ قال انظري إلى يوم يبعثون إلى قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين	٦٥٤ ونسأدى أصحاب الأعراف رجالاً أهؤلاء الذين أقسمتم
٦٢٣ قال اخرج منها مذموماً مدحوراً إلى قوله وقاسمها إني لكما لمن الناصحين	٦٥٥ ونسأدى أصحاب النار أصحاب الجنة الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً
٦٢٧ فدلاهما بغرور إلى قوله ومنها تخرجون	٦٥٦ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه هل ينظرون إلا تأويله
٦٢٩ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً إلى قوله أتقولون على الله ما لا تعلمون	٦٥٨ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
٦٣٣ قل أمر ربي بالقسط إلى قوله ويحسبون أنهم مهتدون	٦٦٠ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها
٦٣٦ يا بني آدم خذوا زيتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله	٦٦٢ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته . والبلد الطيب يخرج نباته بإذن
٦٣٩ قل إنما حرم ربي الفواحش ولكل أمة أجل	٦٤١ يا بني آدم إنا يأتينكم رسلنا منكم رسولاً قد بآياتنا
٦٤٢ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً	٦٤٢ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إلى قوله إنهم كانوا قوماً عمين
٦٤٣ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم إلى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون	٦٧٠ قصة نوح
٦٤٤ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها، إلى قوله وكذلك نجزي الظالمين	٦٧١ وإلى عاد أخاهم هوداً إلى قوله ما كانوا بآياتنا مؤمنين
٦٤٧ والذين آمنوا وعملوا الصالحات ونزعنا ما في صدورهم من غل	٦٧٥ قصة هود
٦٤٩ ونسأدى أصحاب الجنة أصحاب النار الذين يصدون عن سبيل الله	٦٧٦ وإلى ثمود أخاهم صالحاً إلى قوله ولكن لا يحبون الناصحين
٦٥١ وبينها حجاب وعلى الأعراف رجال	٦٨٠ قصة صالح
	٦٨٣ ولوطاً إذ قال لقومه إلى قوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
	٦٨٥ قصة لوط مع قومه

صفحة	صفحة
٦٨٧ وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى قوله وهو خير الحاكمين	٧١٧ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه
٦٨٩ قال الملأ الذين استكبروا من قومه قد افترينا على الله كذباً	٧١٩ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فأرسلنا عليهم الطوفان
٦٩٢ وقال الملأ الذين كفروا من قومه إلى قوله فكيف آسى على قوم كافرين	٧٢٢ ولما وقع عليهم الرجز إلى قوله وكانوا عنها غافلين
٦٩٤ وما أرسلنا في قرية من نبي ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة	٧٢٤ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
٦٩٥ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا إلى قوله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون	٧٢٥ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر إلى قوله وهو فضلكم على العالمين
٦٩٩ أولم يهد الذين يرثون الأرض وان وجدنا أكثرهم لفاسقين	٧٢٧ وإذ أنجيناكم من آل فرعون
٧٠١ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى قوله ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين	٧٢٨ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
٧٠٦ حديث العصا	٧٢٩ ولما جاء موسى لميقاتنا
٧٠٦ قال الملأ من قوم فرعون إلى قوله يأتوك بكل ساحر عليم	٧٣٢ قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وكتبنا له في الألواح من كل شيء
٧٠٨ وجاء السحرة فرعون إلى قوله وجاءوا بسحر عظيم	٧٣٤ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض والذين كذبوا بآياتنا
٧١١ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك إلى قوله رب موسى وهارون	٧٣٧ واتخذ قوم موسى من بعده
٧١٣ قال فرعون آمتم به قبل أن أذن لكم إلى قوله وتوفنا مسلمين	٧٣٨ ولما سقط في أيديهم
٧١٥ قال الملأ من قوم فرعون	٧٣٩ ولما رجع موسى إلى قومه قال رب اغفر لي ولأخي
٧١٦ قال موسى لقومه قالوا أؤذينا من قبل	٧٤٢ إن الذين اتخذوا العجل إلى قوله للذين هم لربهم يرهبون
	٧٤٤ واختار موسى قومه سبعين رجلاً
	٧٤٦ واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة

صفحة	صفحة
٧٤٨ الذين يتبعون الرسول النبي	٧٤٨ قوله ادعوتهم أم أنتم صامتون
٧٥١ قل يا أيها الناس إني رسول الله ومن قوم موسى أمة	٧٨٤ إن الذين تدعون من دون الله أهم أرجل يمشون بها
٧٥١ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً	٧٨٦ إن وليي الله الذي نزل الكتاب إلى قوله وهم لا يبصرون
٧٥٤ وإذا قيل لهم اسكنوا هذه القرية فبدل الذين ظلموا أمنهم	٧٨٧ خذ العفو وإما يترغبك من الشيطان نزع
٧٥٥ وسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر	٧٨٨ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان إلى قوله وهدي ورحمة لقوم يؤمنون
٧٥٧ فلما نسوا ما ذكروا به فلما عتوا عن ما نهوا عنه	٧٩١ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا إلى قوله وله يسجدون
٧٥٩ وإذا تأذن ربك ليعثن عليهم وقطعناهم في الأرض أماً	﴿سورة الأنفال﴾
٧٦١ فخلق من بعدهم خلف والذين يسكون بالكتاب	٧٩٤ عدد آياتها وفضلها وتفسيرها
٧٦٣ وإذا نتقنا الجبل فوقهم	٧٩٥ يسألونك عن الأنفال
٧٦٤ وإذا أخذ ربك من بني آدم إلى قوله ولعلمهم يرجعون	٧٩٨ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم إلى قوله ومغفرة ورزق كريم
٧٦٧ وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا إلى قوله فأولئك هم الخاسرون	٧٩٩ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق إلى قوله ولو كره المجرمون
٧٧١ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس إلى قوله وبه يعدلون	٨٠٢ قصة غزاة بدر
٧٧٤ والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم إلى قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون	٨٠٤ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إلى قوله وإن للكافرين عذاب النار
٧٧٧ يسألونك عن الساعة إيان مرساها	٨١٢ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً إلى قوله إن الله سميع عليم
٧٧٩ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً	
٧٨٠ هو الذي خلقكم من نفس واحدة إلى	

صفحة	صفحة
٨١٥ ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين إلى قوله وهم لا يسمعون	٨٤١ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا إلى قوله والله بما يعملون محيط
٨١٧ إن شر الدواب عند الله ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم	٨٤٥ وإذ يقول المنافقون للذين في قلوبهم مرض إلى قوله وإن الله ليس بظلام للعبيد
٨١٨ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا واثقوا فتنه لا تصيبين	٨٤٧ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم إلى قوله وكل كانوا ظالمين
٨٢٢ واذكروا إذ أنتم قليل	٨٤٨ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
٨٢٣ يا أيها الذين آمنوا لا تحونوا الله والرسول إلى قوله وإن الله عنده أجر عظيم	٨٤٩ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم وإما تخافن من قوم خيانة
٨٢٤ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً	٨٥١ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إلى قوله أكثرهم لا يعلمون
٨٢٧ وإذا تلى عليهم آياتنا إلى قوله ولكن أكثرهم لا يعلمون	٨٥٣٠ وإن يريدوا أن يخدعوك وألف بين قلوبهم
٨٣٠ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية	٨٥٤ يا أيها النبي حسبك الله إلى قوله والله مع الصابرين
٨٣١ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله إلى قوله أولئك هم الخاسرون	٨٥٧ ما كان لنبي أن يكون له أسرى إلى قوله إن الله غفور رحيم
٨٣٣ قل للذين كفروا إن ينتهوا يخفر لهم ما قد سلف إلى قوله نعم المولى ونعم النصير	٨٦٠ يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى وإن يروا خيانتك فقد خانوا الله من قبل
٨٣٤ واعلموا إنما غنمتم من شيء فأن الله خمسة	٨٦٣ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلى قوله إن الله بكل شيء عليم
٨٣٧ إذ أنتم بالعدوة الدنيا إلى قوله وإلى الله ترجع الأمور	



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی